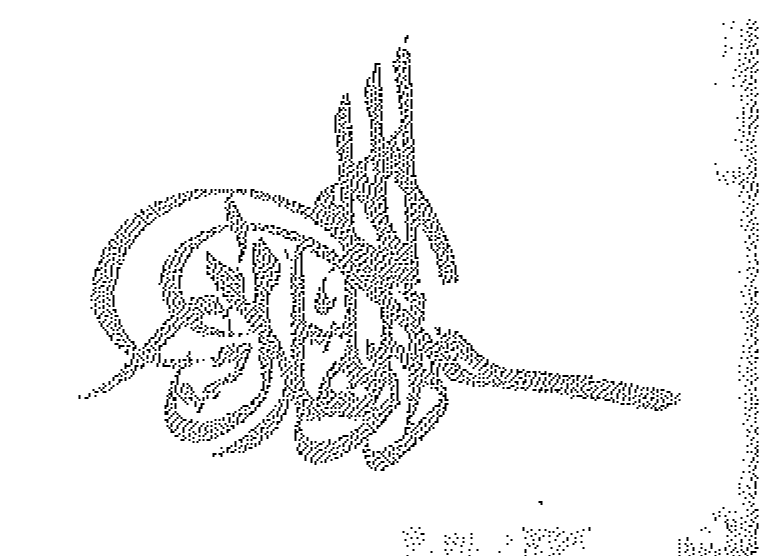


كتاب
الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد احمد
رئيس التحرير : مصطفى نبيل
مدير التحرير : عايد عياد

مركز الإدارة :
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ ، سبعة خطوط .

KITAB ALHILAL

العدد ٤٦١ - رمضان ١٤٠٩ - مايو ١٩٨٩

No . 461 MAY 1989

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية اثنا عشر جنيها ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة الفنان
محمد أبوطالب

مذكرات
الزعيم أحمد عرابي

« كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية ، المشهورة بالثورة العرابية ، فى عامى ١٢٩٨ و ١٢٩٩ الهجريتين ، وفى ١٨٨١ و ١٨٨٢ الميلاديتين »

بقلم
زعيم الثورة العرابية
أحمد عرابى

•

دار الهلال

مذكرات عرابى

عرض وتعليق :
د . أحمد عبدالرحيم مصطفى

كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ و ١٢٩٩ الهجريتين وفى ١٨٨١ و ١٨٨٢ الميلاديتين

كانت الثورة المصرية المعروفة بالعرابية وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية التى مرت بها مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر ، فرغم أهمية الإصلاحات التى حققها محمد على إلا أن عهده كان شديد الوطأة على المصريين الذين أثقلت كواهلهم فى عهده وعهد خلفائه بألوان لا حصر لها من الضرائب ، وناءوا تحت وطأة السخرة والكرباج ولم يتوفر لهم الأمن على أملاكهم وأرواحهم وكانوا يشغلون أوضاعا دونية بالنسبة إلى الأجانب من كل لون سواء منهم الأتراك والشراكسة الذين جعلت منهم الأسرة الحاكمة ركيزة لحكمها وأوسعت لهم فى المناصب والأملاك والنفوذ أو من الأوروبيين الذين تمتعوا بالوضع الممتاز الذى أضفته عليهم الامتيازات الاجنبية ونفوذ الدول الأوروبية .

فى غضون ذلك نمل الوعى لدى المصريين نتيجة للتعليم الحديث والاحتكاك بأوروبا والحضارة الأوروبية وظهور الصحافة الوطنية مما جعلهم يتطلعون إلى تحسين أوضاعهم والاشتراك فى حكم بلادهم .

وساعد على يقظة الرأى العام ازدياد التدخل الأجنبى فى شئون البلاد نتيجة للديون التى اقترضها كل من سعد باشا (١٨٥٤ ـ ٦٣) وإسماعيل باشا (١٨٦٣ ـ ٧٩) ونمو الحركة الامبريالية الأوربية التى سال لعابها على موقع مصر الجغرافى الهام ـ فكانت مقدمات الثورة التى تزعمها أحمد عرابى ونسبت اليه .وفرغ من كتابة مذكراته عنها فى ٢٦ يولية ١٩١٠ ، أى قبيل وفاته .

وقد كتب عرابى هذه المذكرات بعد أن عاد من منفاه فى سيلان واطلع على ما كتب عن الثورة ولم يجد فيه التزاما بالحقيقة . ومن ثم كان هدفه من كتابة مذكراته "تمحيص للتاريخ من درن الأهواء الفاسدة والمغتريات الباطلة" ، والمطلع على مذكرات عرابى يلمس منذ اللحظة الأولى مدى إحساسه بالظلم والتفرقة ، اللذين تعرض لهما بعد أن انخرط في سلك القوات المسلحة المصرية . فقد تلقى تعليما تقليديا فى كتاب قريته "هرية رزنة" ثم التحق بالأزهر بعض الوقت وانخرط فى القوات المسلحة جنديا عاديا ورقاه محمد سعيد باشا ملازما من تحت السلاح وخلال سنتين رقاه عدة مرات إلى أن شغل رتبة البكباشى فكان بذلك أول مصرى يصل إلى هذه الرتبة . وقد قربه سعيد اليه ، وكثيرا ما كان يشركه معه فى ترتيب المناورات الحربية وينيبه عنه فى "تلقينها لأكابر الضباط بحضرته" ، كما أهداه تاريخ نابليون بونابرت باللغة العربية ويقول فى ذلك : **"ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا الى حكومة شورية دستورية فكان ذلك سببا لمطالعتى كثيرا من التواريخ العربية"** . والغريب فى ذلك أن نابليون كان حاكما أوتوقراطيا يميل إلى المشورة دون أن يلتزم بآراء الآخرين ، ومن ثم فليس صحيحا ما يرويه الكتاب من أن بدايات الحكم النيابى فى مصر ترتبط بالمجالس والدواوين التى أنشأها نابليون فى مصر وكان يستهدف منها إيجاد صلة ما بين الحاكم والمحكوم .

ويشير عرابى إلى أن إيمانه بالحكومة الشورية الدستورية ازداد فيه تأصلا بعد أن استمع الى خطبة القاها سعيد باشا وأثار فيها روح الوطنية المصرية وألمح إلى أنه يتجه الى تربية المصريين

لكى يستغنوا عن الأجانب .

وربما كان تبنى سعيد لعرابى وغيره من الضباط المصريين الذين رقاهم من تحت السلاح مرتبطا بطموحه إلى تحقيق استقلال مصر عن الدولة العثمانية بمساعدة الدول الأوروبية وبخاصة فرنسا . فرغم أن عدد سكان مصر كان لايتجاوز حينئذ الأربعة ملايين وأن عدد الأتراك فيها كان يتراوح مابين ثمانية وعشرة آلاف ، ورغم أن تسوية ١٨٤٠ ـ ٤١ نصت على ألّا يتعدى عدد الجيش المصرى ١٨,٠٠٠ مقاتل ، فقد تخطى سعيد هذا العدد إلى مايربو على الضعف وسعى إلى استمالة المصريين ذوى النفوذ بأن يخلع عليهم بعض المزايا التى كان يتمتع بها الأتراك والشراكسة وبخاصة بعد أن سرح القوات التى شكلها عباس الأول وتخلص من الضباط الذين عينهم سلفه وأنشأ قوة يأتمر عليها ضباط وتولى هو اختيارهم .

وفى عهد إسماعيل لم يحصل عرابى على أية ترقية وتعرض لعدة مضايقات ألحقها به الأتراك والشراكسة الذين كانوا لا يزالون يتمتعون بنفوذ كبير ولا ينفكون يتهمون عرابى بإثارة الشغب . لهذا نجده يندد بالظلم الذى تعرض له وسائر المصريين فى هذا العهد تنديده باستبداد الحاكم وفساده ، ويشير إلى الإهمال والمحسوبية اللذين لمسهما خلال الحملة التى وجهها إسماعيل فى عام ١٨٧٦ ضد الحبشة ومنيت بهزائم فادحة يستعرضها عرابى ويعزوها إلى وجود الأجانب (من أوروبيين وأمريكان) الذين شغلوا مراكز قياديه فى القوات المسلحة المصرية . ولا ينفك عرابى يسجل سخطه على استبداد إسماعيل وفساده وألوان الظلم التى تعرض لها المصريون فى عهده مشيرا إلى الأزمات التى تعرضت لها مصر فى أواخر عهده إلى أن خلع فى عام ١٨٧٩ ثم رحل عن البلاد فى يخته المحروسة الذى رحل فيه حفيده فاروق فى يولية ١٩٥٢ ، ثم يتطرق إلى أوائل عهد الخديو توفيق وإلى التطورات التى أدت إلى مظاهرة عابدين الأولى فى أوائل عام ١٨٨١ وهى المظاهرة التى يذكر أنها كانت تستهدف إقامة حكم نيابى وهو مالا تؤيده المصادر الأخرى التى رجعنا اليها والتى تجمع على أن مطالب الضباط الوطنيين فى أوائل عام ١٨٨١ لم

تتعد التخلص من وزير الحربية الشركسى عثمان رفقى وإصلاح أوضاع الجيش بما يحقق إنصاف المصريين من ضباط وجنود ،
وأطرف مافى الجزء الأول من المذكرات ما يرويه عرابى (ص ٥٧ ـ ٥٨) من أن الشراكسة الموجودين فى مصر حينئذ كانوا يسعون إلى إعادة الحكم المملوكى الذى كانت قد تقطعت به الأسباب وتخطاه الزمن . كما يشير إلى تآمر هؤلاء الشراكسة لاغتيال الضباط "الفلاحين" الذين نجوا من هذه المؤامرات ومدوا أيديهم إلى مختلف العناصر الساخطة على الاستبداد والتدخل الأجنبى مما مهد للمطالبة العامة باسقاط حكومة رياض باشا المستبدة وإقامة حياة نيابية .

وفى سبتمبر ١٨٨١ جرت مظاهرة عابدين الثانية التى قامت بها وحدات الجيش المصرى الموجودة فى القاهرة أو بالقرب منها وظهر فيها عرابى بمظهر الزعيم الشعبى . واضطر الخديو توفيق الذى لم يكن له سند فى الجيش إلى قبول المطالب الوطنية وبذلك تمهد السبيل لفترة جديدة فى تاريخ مصر الحديث ، ويشير عرابى إلى أن توفيق الذى أرغم على تقديم التنازلات للمطالب الوطنية أرسل فى نوفمبر ١٨٨١ مندوبا إلى استانبول لكى يبلغ السلطات العثمانية بأن الحركة الوطنية المصرية كانت تستهدف إقامة خلافة عربية تضم كل الناطقين بالضاد فتشمل الحجاز واليمن والعراق ومصر والشام وطرابلس الغرب وغيرها ـ ويصف ذلك الزعيم بأنه "بهتان عظيم" .

أما الحزب الوطنى المصرى الذى تأسس فى أواخر عهد إسماعيل وظهر إلى العيان فى أوائل عهد الثورة فقد نشرت جريدة التايمز اللندنية كتابا ادعت أنه مرسل اليها من عرابى متضمنا برنامج هذا الحزب ومطالبه وأمانيه ومساعيه وتناقلته بعض الصحف ووكالات الأبناء ولكن كذبته جريدة الوقائع المصرية التى سيطر عليها الثوار كما كذبه صديق العرابيين المستشرق ولفرد بلنت بقوله إنه هو الذى كتبها ووافق الوطنيون عليها وقام هو بإرسالها إلى جريدة التايمز باسمه وبإمضائه . ولا يزال الدور الذى قام به بلغت خلال الثورة بحاجة إلى مزيد من الدراسة خاصة وقد اتهمته الدوائر الفرنسية خلال الثورة بأنه

كان مدسوسا عليها من قبل الأجهزة البريطانية وأنه رغم ماذهب إليه في كتابه .التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر من .مساعدته للثورة بإخلاص فإنه فى بعض مراحلها قدم نصائح للثوار ساعدت على احتدام الموقف . وله أوراق خاصة محفوظة فى بريطانيا نرجو أن يطلع عليها الباحثون الذين ربما يجد فيها بعضهم مايلقى الأضواء على دوره الحقيقى .

أما الجزء الثانى من المذكرات فإنه يتناول معارك القتال داخل مصر ، كما تشغل محاكمة العرابيين حيزاً كبيرا فيه ، وفى نهايته يستعرض عرابى حياته فى المنفى .

وكان قد نشر من هذه المذكرات قبل عام ١٩٥٢ قبل أن يسقط النظام الملكى . وسعى العهد الجديد إلى إنصاف عرابى والثورة التى تزعمها ، وبادرت "دار الهلال" إلى نشرها كاملة وقدم اللواء محمد نجيب للجزء الأول من هذه المذكرات . والقارىء للجزئين يحس بأن من نشروهما عمدوا إلى اختصار بعض التفاصيل التى ربما رؤى أنها قد لا تهم القارىء العادى . كما أن بعض المعلومات التى تناولها الجزءان بحاجة إلى تحقيق وإيضاح ولو أن بإمكان القارىء المدقق أن يستكمل الصورة من المؤلفات العربية والإفرنجية التى ألفت فى تاريخ مصر الحديث بوجه عام وفى تاريخ الثورة العرابية بوجه خاص ، خاصة وأن بعضها يعتمد على الوثائق التى تكشفت بمرور الزمن ـ على المذكرات التى نشرت تباعا ومنها مذكرات بعض زعماء الثورة أو بعض خصومها .

وأخيرا يسعدنى أن أقدم للطبعة الثانية من مذكرات عرابى التى أرجو أن تطلع الناشئة على وجهات نظر هذا الزعيم الوطنى الذى غمط حقه إلى وقت قريب ووجهت إليه سهام النقد والتجريح نتيجة إما لتملق الحكام من أسرة محمد على أو لتحميله مسئولية الاحتلال البريطانى للبلاد ، وهو الاحتلال الذى رزح على مصر والمصريين مدة تزيد على السبعين عاما .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة صاحب المذكرات

الحمد لله الناشر فى الخلق فضله . الباسط فيهم بالجود يده . نحمــده فى جميع أموره . ونستعين به على رعاية حقوقه . ونشهد أن لا اله غيره . وأن محمدا عبده ورسوله . أرسله بأمره صادعا . وبذكره ناطقا . فأدى أمينا . ومضى رشيدا . وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق . ومن تخلف عنها زهق . ومن لزمها لحق

أحمده تعالى الذى جعل الحمد ثمنا لنعمائه . ومعاذا من بلائه . وسبيلا الى جنانه . وسببا لزيادة احسانه . والصلاة على رسوله نبى الرحمة وسراج الأمة . وامام الأئمة . المنتخب من طينة الكرم . وسلالة المجد الأقدم . وعلى آل بيته مصابيح الظلم . وعصم الأمم . ومنائر الدين الواضحة . ومثاقيل الفضــل الراجحــة . صلاة تكون أداء لفضلهم . ومكافأة لعملهم . وجزاء لطيب فرعهم وأصلهم . ما أنار فجر . وهدى نجم

أما بعد ، فانى قد اطلعت على كثير من الجرائد والتواريخ العربية والافرنجية الموضوعة فى النهضة المصرية المشهورة

بالثورة العرابية . فلم أجد فيها ما يقرب من الحقيقة ، أو يشفي غليل روادها من أبناء الأمة .

لذلك رأيت أن أكتب للناس كتابا يهتدون به الى تلك الحقيقة الموموقة ، تمحيصا للتاريخ من درن الأهواء الفاسدة والمفتريات الباطلة . وسميته « كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ و١٢٩٩ الهجريتين وفى ١٨٨١ و١٨٨٢ الميلاديتين » قياما بالواجب على لأبناء وطنى الأعزاء ، وتصحيحا للتاريخ ، وخدمة عامة للانسانية وبنيها . وصدرته بنسبى وبتاريخ حياتى ليعلم أنى عربى شريف الأرومة ، مصرى الوطن والنشأة والتربية . وهاك نشأتى ونسبى الشريف المتصل بسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم .

أحمد عرابى المصرى



نشأتى

نسبى الشريف

انا السيد احمد عرابى بن السيد محمد عرابى بن السيد محمد وافى بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله بن السيد حسن بن السيد على بن السيد سليم بن السيد ابراهيم بن السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد على بن السيد حسن بن السيد ابراهيم مقلد بن السيد محمود بن السيد أحمد بن السيد حسن السجاعى ابن السيد صالح بن السيد صالح البلاسي (نسبة الى بلاس وهى قرية صغيرة ببطائح العراق وهو أول من هبط مصر من اجدادنا وتزوج من السيدة صفية شقيقة السيد احمد الرفاعى الصيادى) بن السيد على بن السيد عبد الرحمن ابن السيد عمر بن السيد عبد الرحمن بن السيد على بن السيد صالح الأكبر بن السيد محمد بن السيد على الحافظ ابن السيد قاسم بن السيد عبد السميع بن السيد عبد الفتاح بن السيد حسين الأصغر بن الامام على الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام على الزاهر زين العابدين بن الامام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه . وامى السيدة فاطمة بنت السيد سليمان بن السيد زيد تلتقى مع والدى عند السيد ابراهيم مقلد :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

نشاتى الأولى

كان والدى السيد محمد عرابي شيخا جليلا رئيسا على عشيرته عالما ورعا موصوفا بالعفة والأمانة ٠ وكانت ولادتى فى ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ ببلدتنا التى تدعى « هرية رزنة » بمديرية الشرقية بضواحى مدينة « بو بسط » المشهورة الآن بتل بسطة وهى بلدة قديمة موجودة قبل زمن تغلب الملك شيشاق بن نمرود الأشورى (رأس العائلة الثانية والعشرين) على مصر . لا كما يهرف البعض بما لا يعرف ويدعى أنها من منشآت محمد على باشا ٠ وما يزال فيها كثير من ذرية الفرس كعائلة كيوان وعائلة الدويتدار (دراز) وعائلة (تمراز) مما يدل على قدمها . وهى واقعة فى شرقى مدينة الزقازيق على بعد ميلين . وأما الزقازيق ، فهى منشأة فى زمن محمد على (باشا) بعد انشاء قناطر التقسيم على بحر مويس (أو المعز لدين الله الفاطمى) وواقعة على مقربة من تل « بسطة » . وتعلمت القرآن الشريف وبعض العلوم الدينية فى المكتب الذى انشأه والدى وفى الجامع الأزهر ، وقد تعلم فى ذلك المكتب كثير من أبناء بلدتنا ، حتى بلغ عدد المتعلمين فيها نحو نصفها ٠ ومنهم العالم الأزهرى واللغوى الشهير الشيخ محمد حسين الهراوى والطبيب النطاسى عبد الرحمن (بك) الهراوى والكيمياوى الشهير عبد العزيز (باشا) الهراوى ٠ وكان والدى قد أمر بترتيب درس فقه فى المسجد الذى جدده للعامة بعد عصر كل يوم ، وبعد صلاة العشاء ، فتفقه عامة أهل البلد فى دينهم وصحت عبادتهم ، وحسن حالهم بفضل قيام المرحوم والدى على تعليم قومه وأهل بلده ، ثم توفى رحمه الله تعالى واجزل ثوابه فى ٢١ شعبان سنة ١٢٦٤ (بالكولره) أى الهواء الأصفر بالغا من العمر ٦٣ سنة . فغدوت يتيما فى الثامنة من عمرى .

وكانت تربيتى فى حجر والدتى وتحت رعاية أخى الأكبر السيد محمد عرابى الى أن تولى المرحوم سعيد باشا ولاية مصر فى ١٤ شوال سنة ١٢٧٠ هجرية حيث أصدر امره بانتظام أولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك العسكرية حيث كان طلبى والحاقى بالعسكرية فى١٥ربيع أول سنة١٢٧١ هـ

دخولى العسكرية وأسفارى

فى التاريخ المذكور آنفا دخلت العسكرية وكان ذلك فى عهد محمد سعيد باشا الذى كان محبا لتقدم المصريين . فترقيت بالامتحانات أمام رجال العسكرية الى رتبة ملازم ثانى فى ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧٥ والى رتبة ملازم أول فى ١٧ جماد الثانى سنة ١٢٧٥ والى رتبه يوزباشى فى ١٣شعبان من السنة المذكورة والى رتبة ضاغقولغاسى فى ٢٣ ربيع آخر سنة ١٢٧٦ والى رتبة بكباشى فى ١٥ شعبان من السنة المذكورة والى رتبة قائمقام بك فى ٢٤ صفر سنة ١٢٧٧ وهى الرتبة التى لم يصل اليها أحد قبلى من العنصر المصرى . ثم ترقيت بعد ذلك فى عهد محمد توفيق باشا الى رتبة أميرالاى فى رجب سنة ١٢٩٦ والى رتبة اللواء فى ربيع آخر سنة ١٢٩٩

وكانت مدة الأمير سعيد باشا كلهـا أسفار وتمرينات حربية من الاسكندرية الى مريوط ، ومنها الى دمنهور ، ثم الى القاهرة ، ثم الخندقاه فالعباسـية ، فطره ، ثم الى بنى سويف ، فجبل الطير بمديرية المنيا ، الى قنا ، فسهل باب الملوك الى اسنا ، وكنت يومئذ عاملا فى الجيش فسعدت بالتوجه بمعيته رحمه الله الى المدينة المنورة لزيارة النبى صلى الله عليه وعلى آله

وفى مدة الخديو اسماعيل انتدبت لترتيب عساكر من اهالى القلاع الحجازية المحالة ادارتها على الحكومة المصرية

للمحافظة عليها بالنيابة عن الدولة العلية ، فسافرت في ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ هـ من القاهرة الى بندر السويس ، وفي أول رمضان من السنة المذكورة توجهت خلى ظهر الجمال الى قلعة (نخل) بكسر النون والخاء وليس معي مساعد ولا كاتب ولا أجر لي على ذلك العمل الشاق بل كانت جميع المصاريف اللازمة لي ولخدمي وللحمالة الذين رافقونا من مالي الخاص لأن الحكومة كانت لا تعطى رجال العسكرية أجر سفريات كرجال الملكية

فلما وصلت الى (نخل) رتبت العساكر اللازمة لها من أهلها وأرسلت العساكر المصرية التي كانت فيها الى القاهرة بطريق البحر الأحمر وأنشأت في قلعة (نخل) مكتبا لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وشيئا من القرآن الكريم وعهدت بمباشرة تعليمهم الى وكيل القلعة وفقيه البلد . ثم توجهت الى قلعة العقبة فوصلتها بعد ثلاثة أيام . ثم الى قلعة (المويلح) ثم الى قلعة (ظبا) ثم الى قلعة (الوجه) ورتبت في كل من هذه القلاع ما يلزمه من العساكر من أبنائه للمحافظة عليه وأنشأت فيه كذلك مكتبا لتعليم الأولاد تحت مراقبة وكلاء القلاع المذكورة ثم أرسلت جميع العساكر القديمة إلى مصر بطريق البحر الأحمر كذلك

وبعد اتمام تلك المأمورية على الوجه الأكمل قفلت عائدا الى مصر بحرا الى مدينة (القصير) ثم برا الى مدينة قنا ثم بحرا الى مدينة أسيوط ثم بطريق السكة الحديدية الى الجيزة فالقاهرة . وكان انجاز هذه المأمورية في مدة خمسة وأربعين يوما

وبعد وصولى الى القاهرة بعشرة أيام توجهت الى مصوع حيث كنت مأمورا للحملة الحبشية مكلفا بايصال الذخيرة والميرة الى الجيش أينما كان . فمكثت هناك الى انتهاء تلك الحركة المشؤومة التي بسببها بيعت حصص الحكومة في

قنال السويس (سرا بدون اشهار مزاد عنهـا) للحكومة الانجليزية بمبلغ زهيد قدره أربعـــة ملايين من الليرات الانجليزية • ولو انها عرض بيعها على الدول الأوربيـــة لبلغ ثمنها ما ينيف على خمسين مليونا من غير مبالغـة • على أنه لم يصرف من قيمة تلك الحصص درهم على الحمـلة الحبشية بل استأثر بها الخديو اسماعيل لنفســـه سلبا ونهبا ! !

أسعد أيامي

مما تقدم يعلم اني دخلت العسكرية نفرا بسيطا في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧١ هـ وترقيت بسرعة غريبـــة جزاء ما بذلت من جهد عنيف ، حتى نلت رتبة قائمقام الآلاى في ٢٤ صفر الخير سنة ١٢٧٧ وكانت تلك المدة عبارة عن ستة أعوام الا عشرين يوما هي أيام سعودي وخلو فكرى من الأكدار الدنيوية ، فقد كنت فيهـــا عزيزا مكرما عند حضرة محمد سعيد باشا وكثيرا ما كان يشركني معه في ترتيب المناورات الحربية وينيبني عنه في تلقينها الى أكابر الضباط بحضرته ، وعلى مسمع منه رحمه الله تعالى •ولشدة اعجابه بي أهداني (تاريخ نابليون بونابرت باللغة العربية طبع بيروت) وهو بادى الغيظ على أن تمكن الفرنساويون من التغلب على البلاد المصرية، والتحريض على وجوب حفظ الوطن من طمع الأجانب

ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا الى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك ســـببا لمطالعتي كثيرا من التواريخ العربية • وازداد هذا الشعور في تأصلا عندما سمعت خطبة ألقاها المرحوم سعيد باشا في مأدبة أدبهـــا بقصر النيل للعلماء والرؤساء الروحانيين وأعضاء العـــائلة الحاكمة وأعاظم رجال الحكومة ملكيين وعسكريين بعدتناول الطعام في سرادق كبير

خطبة سعيد باشا

قال مرتجلا : « أيها الاخوان .. اني نظرت فى أحوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مستعبدا لغيره من أمم الأرض . فقد توالت عليه دول ظالمة كثيرة كالعرب الرعاة (الهكسوس) والأشوريين والفرس حتى أهل ليبيا والسودان واليونان والرومان ، هذا قبل الاسلام. وبعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول الفاتحة كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب ، ومن الترك، والأكراد والشركس . وكثيرا ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها فى أوائل هذا القرن فى زمن (بونابرت)

« وحيث انى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الأجانب . وقد وطدت نفسى على ابراز هذا الرأى من الفكر الى العمل »

فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا . وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحا واستبشارا . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر فى أساس نظام « مصر للمصريين »

وفي سنة ١٢٧٨ هـ رأى الأمير محمد سعيد (باشا) أن الحكومة مدينة لمعامل ألمانيا وفرنسا بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ثمن بناء حوض للسفن بالسويس ومدافع كروب من ألمانيا ، وملابس ومهمات حربية وأسلحة جديدة من فرنسا . فاستعظم هذا الدين وأمر بصرف عساكر الجيش الى بلادهم وبيع ما فى الخزائن الأميرية من الأمتعة الثمينة. وبيع جميع المعامل والورش القديمة الكائنة بالعاصمة والمحافظات والمديريات . وبيع الأطيان المتروكة ، وغير

ذلك للوصول الى سداد هذا الدين ٠ كما أمر باعطاء من يرغب فى الخروج من خدمة الحكومة أرضا معاشا له ولأولاده من بعده وباحالة الضباط الى المديريات والمحافظات مستودعين بنصف مرتباتهم ٠ وأمر بتخصيص ما يلزم لهم من الرواتب على الأراضى الزراعية ، فخص كل فدان قرش واحد وربع القرش علاوة على المال لحين تسديد الدين المطلوب من الحكومة ٠ ثم تجمع العساكر والضباط ثانية وتلغى الضريبة المؤقتة ٠ وقد استمر الأمر على ذلك الى أن توفى رحمه الله

وفى أوائل سنة ١٢٧٩ هـ سافر سعيد (باشا) الى أوربا لمعالجة نفسه من داء السرطان ٠ وهناك كتب وصيته الى قائمقامه فى مصر (وهو اسماعيل (باشا) الذى جلس على الأريكة الخديوية من بعده) قال فيها :

« بما ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم ، وتركوا دروسهم العسكرية، ولو تركناهم على هذه الحال التى لا تعود عليهم الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر ٠ وصاروا عبرة لمن اعتبر ، وبما اننا نحن الذين ربيناهم وأظهرناهم ، فلا يصح لنا تركهم فى هذه الحال التى ذكرناها لذلك اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن والتشديد عليهم بمداومة تدريس القوانين ليلا ونهارا فى قصر النيل »

ثم توفى المرحوم محمد سعيد (باشا) فى ليلة ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩هـ وتولى اسماعيل (باشا) ولاية مصر فى التاريخ المذكور وعزل فى ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ بناء على طلب دول أوربا عزله من الحضرة السلطانية لما تحقق لديهم من سوء الادارة والتبذير فى عهده وشدة الطمع والجشع اللذين لا حد لهما ولا نهاية ٠ فكان عزله رحمة من الله بالمصريين

النشأة الثانية

ما تحملته من المظالم

تولى اسماعيل (باشا) ولاية مصر فأمر بجمع العساكر وترتيب الآلايات وكان ترتيبي قائمقاما على الآلاى البيادة السادس مع أميرالاى بكرى (بك) ولم يكن بهذه الرتبة من العنصر الوطنى بالآلايات غيرى ، ولسوء حظى ترقى أمير الألاى الثانى المدعو خسرو (بك) الى رتبة اللواء (باشا) لا بعلمه ومعارفه ، بل لكونه جركسيا ومن الخارجين على الدولة العلية مع ابراهيم باشا بن محمد على باشا فى تلك الفتنة الدهماء التى دكدكت سياج الاسلام، وفضحت عورة المسلمين ، وكسرت شوكة الدولة العلية (الحامية لجميع الموحدين) . وقد تعين المذكور أميرا على اللواء الثالث المكون من الآلاى الخامس والسادس . وعندما تكامل حشد العساكر اجتمعت الآلايات البيادة والسوارى فى ميدان (طره) بسفح جبل المقطم وأقيمت تمرينات حربية حضرها الخديو اسماعيل وجميع رؤساء العسكرية . ولشد ما أدخلت السرور على الخديو حتى دعا جميع الضباط العظام من رتبة البكباشي فما فوقها الى مأدبة فخمة فوق ظهر سفينته البخارية . ولم يكد يأخذ القوم مجلسهم حتى وجدوا على المائدة عدة زجاجات مملوءة بأنواع المشروبات الخمرية المحرمة والكؤوس المختلفة !

وتلك حالة لم يسبق لنا رؤيتها لأنها غير المألوف والمعروف عندنا : ثم تقدمت الأطعمة فأكل المدعوون طعاما شهيا لذيذا وشرب من أراد الشرب منهم من تلك الخمور وتعفف من كره . وبعد الفراغ من تناول الطعام أعلن الخديو سروره وشكره لضباط الجيش على ما أبدوه من النشاط وحسن الترتيب فى أثناء التمرينات الحربية . وأمر لكل واحد من الباشوات بخمسمائة فدان ، ولكل من امراء

الآلايات بمائتى فدان ، ولكل واحد من القائم مقامات بمائة وخمسين فدانا من زيادة المســـــاحة التى توجد فى بلاد مديريتى الغربية والمنوفية

خرجت الأوامر من المعية الخديوية الى المديريتـــــين المذكورتين بتسليم الأراضى المذكورة الى أصحاب الرتب المختلفة ، ولكن عند الشروع فى استلام تلك الأطيان ظهر الظلم وتجسم بأكمل معانيه • فقد كان يتوجه كل واحد من المندوبين من طرف المنعم عليهم بأمر من المديرية الى بلد يختارها من أحسن البلاد تربة • ويطلب تحديد المقـــدار المعين قطعة واحدة فى أخصب حوض من الأراضى المملوكة لأربابها فيجاب الى طلبه ، ثم يحال المالكون الضعفاء عـلى الحيضان الأخرى التى توجد بها زيادة المســـــاحة وقد لا توجد • حيث يخصص مقدار الأرض المأخوذة منهم على جميع الأفدنة الموجودة فى البلد ، فيخص الفدان الواحد قيراطان أو ثلاثة أو أربعة • فتؤخذ من الكل وتجمـــع فى جهة وتعطى لأولئك المساكين بدلا من أراضيهم التى كانوا يملـكونهـا . وقد تكون هـــذه الأراضى من أردأ أنواع الأرض

وتلك أول مظلمة من المظالم الكثيرة التى وقعت فى عهد اسماعيل باشا •••!

وقد حمانى الله من الوقوع فى شرك هذه المآثم على غير ارادة منى وذلك أن خسرو باشا أمير اللواء الآنف الذكر كان رجلا جاهلا متعصبا لجنسه تعصـــــبا زائدا عن حد المعقول • وكان قد أخبر ناظر الجهادية اســـماعيل باشا سليم (الرومى الأصل) بأنى صلب الرأى شرس الأخلاق لا أنقاد لأوامره ولا أحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية (الحربية) • (وما بى والله من شراسة ، ولكنى جبلت على حب العدل والانصاف وبغض الظلم والاجحاف) . وطلب

منه وقف تسليمي الأطيان المنعم بها على لحين تحقيق ما افتراه من الكذب • فعرض ناظر الجهادية الأمر على الخديو مشافهة ، وصدر بناء على ذلك أمر المعية لمديرية الغربية بعدم تسليمي تلك الأطيان حتى يصدر لها أمر آخر

ثم أمر ناظر الجهادية بتحقيق ما نسب الى ، فألف لذلك مجلس عسكرى برئاسة حسنين باشا الطوبجى وعضوية محمد بك أمين أمير الآلاى الخامس وقائمقام الآلاى المذكور رشيد بك راقب وغيرهم من الجركس والترك

وحقيقة هذه المسألة أن هذا اللواء المتعصب لجنسه المتفانى فى الحقد على العنصر الوطنى كان يكره أن يكون تحت أمرته رجل شريف مثلى يتفانى فى نصرة الحق على الباطل • فعمل على اقصائى من مركزى ليتسنى له ترقية المدعو مصطفى سليم أحد بكباشية الأورطة التى تحت ادارتى — الى رتبة القائمقام وترتيبه بدلا منى لكونه من أبناء الجركس ، ولكونه صهر جاهين كنج باشا قومندان اللواء الأول • واتفق فى ذلك الوقت امتحان الضباط الأصاغر لترقيتهم ، فى مجلس برئاسة خسرو باشا هذا وبحضورى كعضو فيه أيضا • وبعد ظهور نتيجة الامتحان والاقرار على ترقية المستحقين كتبت العرائض عند الباشا المذكور ، وختمت من أرباب الامتحان • ولما عرضت على ختمت على عرائض من تقرر ترقيتهم،وأبيت الختم والتصديق على ترقية ملازم ثانى يدعى حسين أفندى لانه لم يجب فى الامتحان باجابة حسنة ، بينما كان آخر يدعى حسين أفندى أيضا أجاب فى الامتحان جوابا حسنا وتقرر فعلا ترقيته بمجلس الامتحان ، ولكن تأخر هذا وتقدم ذاك بدلا منه بسبب المحسوبية ، ولكونه كان ملازما لخدمة البكباشى مصطفى أفندى سليم

فلما أبيت التوقيع على العريضـــة المذكورة طلب الى
الباشا المشار اليه الموافقة على ختم العريضة لأجل خاطر
البكباشي المذكور • فرفضـــت ذلك كل الرفض وطلبت
ترقية المستحق ، فأبى ذلك وتأخر الاثنان عن الترقى بعد
جدال عنيف

وكانت هذه الحادثة سبب الوشاية بى عند ناظر الجهادية •
وقد أوعز الباشا الى البكباشي المذكور بأن يختلق مكيـدة
يوقعنى فيها لأحال الى المحاكمة العسكرية ، ومع أنه ثبتت
براءتى من هذه المكيدة فقد حكم المجلس المذكور بحبسى ٢١
يوما محاباة لخسرو باشا وناظر الجهادية • فاستأنفت الحكم
وطلبت احالتي الى المجلس العسكرى الأعلى الذى تقرر فيه
الغاء هذا الحكم وحفظ الأوراق لفساد التهمة وثبـــوت
تزويرها

وهنا وقع الخلاف بين ناظر الجهادية اســـماعيل باشا
سليم ، وكان « مملوكا روميـــا » وبين رئيس المجلس
العسكرى الأعلى على باشا سرى ، وكان أرنؤوديا ، بسبب
حكم هذا المجلس بالغاء حكم المجلس الابتدائى • وكان ناظر
الجهادية يريد تأييد الحكم الابتدائى تصـــديقا لما أخبر به
الخديو سابقا فى المأدبة • فسعى لدى الخديو فى رفتـنة
ورفتى من الآلاى وتم له ما أراد • ولكن الله ليس بغافل
عما يعمل الظالمون • ففى الاســـبوع الذى رفتت فيه من
الآلاى صدر أمر الخديو بالغاء أورطة اللواء الثالث الذى
كان تحت أمرة خسرو باشا وتفرقت تلك الفـــرقة على
الآلايات الأخرى • ورفت البكباشي مصطفى سليم رفتـا
شنيعا مدة عشر سنين • ثم أصيب حسين باشا الطوبجى
بفالج أودى بحياته • وكذلك أصاب محمد بك أمين الذى
وافق على المحاباة فالج كصاحبه . أما أمين بك القبرصلى
ناظر قلم تركى بديوان الجهادية وهو رجل رومى • فقـد

أصابه الله بقارعة قبل موته لميله مع الظالمين حيث زور أمرا خديويا ماليا فضبط وسجن ثم ضرب نفسه بمدية طالبا للانتحار • فعولج وأرسل الى السودان ومات قبل وصوله• وأما ناظر الجهادية فقد هلك فى حرب كريد ، ولكن ليس شهيدا ، بل أكل فريكا من قمح فانعقدت أمعاؤه ، وقضى نحبه وأرسل الى مصر ودفن فى قرافة الامام الشافعى • وأرسل خسرو باشا الى السودان • وهكذا كل من اشترك فى تلك الظلامة أصيب بمصيبة عظيمة

عودتى الى الخدمة بعد انقضاء المحنة

ولما كان رفتى من الآلاى بأمر ناظر الجهادية وبطريقة استبدادية ظالمة شكوت أمرى الى الخديو اسماعيل باشا والتمست طلب أوراق القضية وفحصها بديوان المعية والصافى بوجه العدل لأن (العدل ان دام عمر ، والظلم ان دام دمر) وطلبت من راغب باشا النظر فى ظلامتى، وكان حينذاك باشمعاونا للخديو ، وله نفوذ تام فىجميع المصالح الأميرية • فوعدنى خيرا • وفى الحال كتب لديوان الجهادية يطلب جميع الأوراق المتعلقة بالدعوى المذكورة ، وبناء على ذلك أرسلت جميع الأوراق الخاصة بمسألتى الى ديوان المعية،ففحصها ابراهيم باشا خليل رئيس قلمالعرضحالات، وعمل عنها نتيجة أوضح فيها تلفيق القضية وفسادها •ثم عرضت النتيجة على الخديو ، ولكنه لم يبد رأيه فيها • فمكثت على هذه الحالة مدة ثلاث سنوات ، وأنا أتردد على المعية بلا فائدة • وفي ربيع أول سنة ١٢٨٣ هـ كتبت عريضة استرحام ثانية للخديو، فصدرت ارادة سنيةمآلها ان العرضحال المقدم منى عرض على الخديو وانه عفا عنى• وبناء على ذلك صدر أمره باستخدامى عند ظهور خدمة مناسبة

مما تقدم يعلم انه لم يقع منى خطأ يصح صـــدور عفو عنه ، وانما كان الغرض من ذكر العفو التمهيـــد لاضاعة مرتباتى مدة رفتى والتخلص من مظنة الظلم وضـــياع الحقوق ، فكانت هذه المرحمة خالية من العـدل الحقيقى •

وعلى ذكر العدل أذكر ما وقع ليعقوب سامى باشا فى عهد سعيد باشا ، وذلك انه كان معاونا بضبطية مصر بعـــد حضوره من حرب القـــرم فى سنة ١٢٧١ هـ برتبـــة صاغقولغاسى ، فوقع بينه وبين الضابط عبده باشا خلاف لعدم موافقته على أغراضه الدنيئة انتهى برفته من غير ذنب وكان عبده باشا رجلا شريرا لا يعبأ بفضيحة الجرائر • فرفع سامى باشا شكواه الى سعيد باشا فصدر أمره رحمه الله بتحقيق تلك الشكوى فى ديوان الداخلية ، ولما ظهـر من النتيجة أنه رفت ظلما أمر سعيد باشا برفت عبده باشا من الخدمات الأميرية لظلمه والزامه بمرتبات يعقوب باشا سامى من تاريخ رفته واعادة المظلوم الى وظيفته كما كان• فأين هذا العدل المحض من تلك المرحمة الخالية من العدالة!

احالتى الى الوظائف الملكية

لما أخذت أمر الخديو الســـابق ذكره توجهت الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم وناولته اياه فقرأه ، وقال : « الحمد لله على ذلك ، فقد كنت خدعت ، وصـــدقت قول خسرو باشا ، وتسرعت فى الأمر وعرضته على الخديو ، ولم أستطع بعد ذلك تكذيب نفسى عنده ، وأنا آسف عـــلى ما حصـــل مع علمى بما انت عليه من الذكاء والفطنـــة والاستقامة ، فأرجو منك يا ولدى قبول اعتذارى » فقلت : « عفا الله عما سلف والذى أرجـــوه الآن هو احالتى على مفتش الأقاليم » وكان ذلك اتقاء لشر أعدائى الســـالف ذكرهم • فأجابنى الى طلبى • ولما عرضت أمر الاحالة على

المرحوم اسماعيل صديق باشا رحب بى وأكرمنى وأمر فى الحال بتعيينى فى مأمورية مؤقتة هى المحافظة على النيل بمديرية الشرقية • وبلغ نيل ذلك العام ٢٧ ذراعا فبذلت جهدى فى أخذ الاحتياطات اللازمة لرد طغيان الماء وحفظ البلاد من الغرق ، وبعد انقضاء زمن النيل أحيل على عهدتى انجاز بناء قنطرة فمالاسماعيلية بحرى قصر النيلوالقنطرة البولاقية ثم انجاز سد فم رياح الترعة الاسماعيلية بالقرب من شبرا وانجاز قطع الاحجار بجهات العباسية والبساتين وطره والمعصرة وشحن الاحجار اللازمة لذلك وللقناطر الخيرية ولجميع مديريات الوجه البحرى

وفى سنة ١٢٨٤ هـ أحيل على عهدتى انجاز بناء كوبرى قشيشمه العظيم على خط السكة الحديدية قبلى الواسطى وطوله ٥١٤ متر • وكوبرى الرقة بحرى الواسطة وكوبرى أطواب على فرع الفيوم ثم السكة الحديدية من المنيا الىبندر ملوى • وبعد اتمام تلك الاعمال المهمة على أكمل وجه مع مراعاة الاقتصاد فى النفقات أقمت وليمة من مالى الخاص دعوتاليها رؤساء مصلحة السكةالحديدية ورؤساء الهندسة والعمال ورجال مديرية بنى سويف احتفالا بأول قطار يمر على الكوبرى المذكور وكان يوما مشهودا • وبمراجعة الحساب كان الوفر فى المال ٢٥٠٠٠ جنيه مصرى عن طلب المقاولين الأجانب الذين حاولوا أخذ تلك الاشغال • وبسبب توفير هذا المبلغ وسرعة انجاز البناء والتركيب واحكام الأعمال على أحسن ما يرام كوفىء ناظر الدائرة الخاصة قاسم باشا رسمى بخمسة آلاف جنيه م • ولميكن سوى واسطة للمخاطبات بينى وبين مصلحة السكة الحديدية • وكوفئت أنا على تلك الأعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى

فيا لله ما أمر وأصعب تلك المكافآت المقلوبة على النفوس

الحساسة الشريفة . وما أكثر العجائب فى الحكومات المطلقة المستبدة الظالمة ..!

عودتى الى الخدمة العسكرية

وفى أوائل سنة ١٢٨٧ عين قاسم باشا المذكور ناظرا للجهادية وهو رجل رومى بارع فى الاشغال الحربية والملكية نشيط فى كل أعماله . وكان يعرف قدر أعمالى واقتدارى مدة انشاء الكبارى الســـابق ذكرها . فطلبنى وكلفنى بالرجوع الى خدمة الجهادية، فأجبته الى ذلك وترتبت قائمقاما فى ٣ جى ألاى بالاسكندرية . وفى سنة ١٢٨٨ هـ انتقلت الى رئاسة الآلاى الثانى البيـاده ، ولكن برتبتى من غير ترق . وفى أواخر سنة ١٢٩٠ هـ توجهت بالآلاى المذكور الى رشيدبطريق البر على شاطىء البحر الأبيض المتوسط. وفى أوائل السنة المذكورة أحيل ديوان نظارة الحربية الى عهدة الأمير حسين كامل باشا بن اسماعيل باشا الخديوى. وصار فتح فرقة ثانية وثالثة فى الجيش مكملة من الاسلحة الثلاثة أعنى بياده وسوارى وطوبجية وصار ترقى الضباط اللازمين لذلك استعدادا للحملة الحبشية المشؤومة . وبعد اختيار المختارين للفرقة الثانيـــة من الذين ترقوا بحضرة الأمير حسين قال للذين تأخروا عن التــرقى : « اجتهدوا أيها الضباط فى التعليم والتمرين حتى تدركوا ما وصـل اليه اخوانكم الذين ترقوا »

والله يشهد وفطاحل الجهادية ان المتأخرين فى التـــرقى هم أساتذة الذين ترقوا فى العلوم الحربية . وهم أرقى أخلاقا وأدبا كحسين مظهر أفندى البكباشى الذى ترقى فى عهد توفيق باشا الى رتبة باشا وقتل فى حمـــلة (هكس الانجليزى) عند محاربة المهدى السودانى . وعلى فهيـــم البكباشى . ومتولى حافظ البكباشى . ومحمد على أفنـدى البكباشى. ومحمد الدرى أفندى البكباشى . وسعيدناصف

أفندى البكباشى ، (وقد قتلوا فى الحملات الحبشية والسودانية) . ولكن الغرض يعمى ويصم .. ثم التفت الأمير الىّ وقال بلهجة الآسف :

« انى طلبت من أفندينا ترقيتك الى رتبة الميرالاى فقال انك من بتوع سعيد باشا » . فقاطعته الكلام وقلت : «انى لست بتاع أحد بل خادم الحكومة والوطن وبلدى هرية رزنة بمديرية الشرقية . ولكن بتاع سعيد باشا هو راتب باشا لأنه ملكه » فقال لا تفتر همتك فى تأدية واجباتك ، وانى سأبذل جهدى فى ترقيتك عند ترتيب الفرقة الثالثة . فشكرت له وخرجت وأنا شاعر بأنى لن أنال خيرا فى عهد والده لأنى متحقق من أن خسرو باشا وراتب باشا ورؤساء الجراكسة يعارضون فى ترقيتى بكل ما فى قدرتهم . وقد سمعت من أحد أمرائهم (وهو رجل معتدل غير متعصب لبنى جنسه على ما فيه من غلظة) أنه حضر مجلسا لأولئك الجراكسة حيث تذاكروا فى اختيار الذين يريدون ترقيتهم الى الفرقة الثالثة . فعرض عليهم ترقيتى الى رتبة الأميرالاى مراعاة للحق والانصاف فأبوا عليه ذلك فقال لهم : « ربما ترقى قهرا عنكم يوما ما اذا لم يرتق برضائكم واختياركم . وأنتم تعلمون أنه أقدم القائمقات وأعلمهم . وفيكم من كان تحت أمرته . فالأولى بكم أن لا تعرضوا أنفسكم للانتقاد» . ولكنهم لم يزدادوا الا عتوا ونفورا

ولما ترتبت الفرقة الثانية والثالثة وتم ترقى الضبّاط ، لم يقدر ناظر الجهادية الأمير حسين كامل باشا على الوفاء بوعده لاصرار السردار راتب باشا على رفض ترقيتى . ومن الغريب أن الآلاى الذى تحت ادارتى ظل خاليا من ضابط من رتبة الأميرالاى مدة ثمانية أعوام . وكنت أنا القائم بوظيفة الأميرالاى بأحسن نظام وأكمل تربية وأدق تعليم وأحسن هيئة عسكرية : فما أوضح هذا الظلم المبين

فى الحملة الحبشية

بدء الحملة

فى سنة ١٢٩٢ هـ بدأت الحملة الحبشية بالسفر الى مصوع بعد قتل الثلاث أورط التى قام بهـا أراكيل بك الأرمنى محافظ مصوع . وكان معه يومئـذ البكباشي على رائف والبكباشي احمد فوزى والبكباشي احمد سعيد قومندان الطوبجية والبكباشي عمر رشدى أركان حرب ٠ فأغار على حدود الحبشة من جهـــــة ستهيت وفرق العساكر فرقا صغيرة وسار بهم الى اقليم أسمره ٠ فأحاط بهم الاحباش وأفنوهم عن آخرهم ومثلوا بالقتلى . وجبوا مذاكير من سلموا من القتل من العساكر المصرية . وكذلك ذبحت الفرقة التى أرسلت مع مسنجر بك الانجليزى الى تجـــره ومنها الى الملك منليـــــك ملك (شوا) بطريق قبيـــلة الحنفلى بقصد الهجوم على الأحبـاش والتغلب على بلاد يوحنـا بمساعدة منليك الذى صار أمبراطورا بعد قتل يوحنا بيد الدراويش السودانيين : فلما قرب مسنجر بك من حدود (شوا) قام شيخ قبائل الحنافل برجاله وباغت العساكر المصرية ليلا وهم نيام فذبحهم عن آخرهم وأخذ أسلحتهم وذخائرهم وجميع ما معهم من الهدايا الثمينة المرسلة الى منليك . فلما جاءت هـذه الأخبـار الى مصر عظم الأمر واشتد غضب الخديوى اسماعيل باشا ٠ فأمر بارســـال الجيش المصرى المركب من ثلاثة فرق الى الحبشة بطريق البحر الاحمر الى مصوع وعهد بقيادة الجيش الى راتب باشا سردار العساكر المصرية ، وأمر هذا القائد العام أن يكون مقيدا برأى أركان حربه الجنـــرال لورنيج وهو أميريكانى .

لا يعرف الفنون العسكرية ؛ وانما كان رئيس فرقه فى الحرب الامريكيــة من ضــمن الفرق الغــير المنتظمــة اى (المتطوعين) . وكان اكثر رجال اركان الحرب الذين معه من بنى جنسه ، فكان هذا الترتيب سبب الفشل الذى حاق بالمصريين فى تلك الحملة . وقد عسكرت العساكر المصرية بقرية حرفيقوا فى جنوب مصوع على بعد خمسة أميــال وقرية أم كللو غربى مصوع على بعد ســـتة أميال وقرية حطملوا فيما بين مصوع وأم كللو . ولعـــدم وجود ماء لهذا الجيش العرمرم اشتغل كل فريق بحفــر الآبار فلم يجدوا ماء الا ما يكفيه ثلاثة أيام ثم يصير الماء ملحا

ولما كنت مأمور الحملة وفى عهدتى عشرة آلاف حيوان من الجمال والخيل والبغال . (وأغلبها اخذ من المصريين غصبا بلا (ثمن) وكذلك العلف من الشعير والفول والذرة والتبن (الذى أخذ من المصريين بلا عوض غير الوعود الكاذبة بخصم الأثمان من الضرائب المطلوبة منهم . وتلك الضرائب لا نهاية لها ولا يمكن لأى حاسب أن يعرف ما له وما عليه لـكثرة الضرائب غير القانونية) ولعدم وجود الماء الـكافى لهــذه الحيوانات ، أمرت بحفر بئر فى قرية أم كلو لبعدها عن البحر . وبعد حفرها ظهر ينبوع ماء عذب سائغ شرابه وماؤه كثير لا ينقطع ولا يتغير . فأمرت ببنائها بالحجر بناء قويا . وبناء حوض بجانبها امتداده ثلاثون مترا وعرضه متران لشرب البهائم المذكورة . وأقمنــا على البئر ساقيــة حديدية استحضرت من مصر وأجرينا الماء فى مواسير استحضرت لهذا الغرض من مصر أيضا الى جزيرة مصوع حيث عمــل فيها حوض كبير مستدير لسقيا أهل البلد ومســتخدمى المحافظة ولا ريب فى أنها باقية أثرا عظيما يعرفه سكان تلك البلاد الذين أصبحوا فى راحة عظيمة من عنــاء طلب الماء من الخيران البعيدة ، أى مجارى السيل

مكث الجيش مقيما فى مضاربه مدة ثلاثة اشهر بغير عمل ولا تدريب . وفى تلك المدة كان الخديو يرسل كثيرا من الطرشى (أى المخلل) والفجل والبصل والكوات خشيه حدوث داء (الاسكربوط) وكان جميع الرؤساء من امراء الآلايات والبشوات من العنصر الجركسى الا واحدا يدعى محمد بك جبر وكان مصريا . وهذا لا راى له فى الأمر . وقد كانوا يحسبون للحبش ألف حساب ويتهيبون من لقائهم . ويظنون أن طول المكث فى مصوع وما حولها يحمل الحكومة المصرية مصاريف باهظة تعجزها عن القيام بنفقات الجيش اللازمة له الى النهاية فترجعهم الى مصر بلا قتال . وهذا الفكر الضئيل سمعته من أحد الأمراء المشار اليهم وهو ناقم مشفق من النتيجة

الزحف على بلاد الحبشة

قلق الخديو اسماعيل من طول المكث فى مصوع ونواحيها وشدد على القائد العام راتب باشا ورئيس أركان حربه بسرعة الزحف على البلاد الحبشية والانتقام منها لما وقع منهم من الأعمال الوحشية والتمثيل بالقتلى والأسرى كما ذكر . وقد أرسل ابنه حسن باشا ليشهد الحركات الحربية ويتدرب فيها ولا وظيفة له فى الجيش غير ذلك . فانقطعت وتيرة كل تقاعس ، وصدرت الأوامر بالشروع فى الزحف وأمرني رئيس الجيش راتب باشا بأن أسلم كل آلاى خمسين جملا لحمل ذخيرتهم الحربية وخيامهم ومؤونتهم . فقلت له: « انه من الضرورى أن يكون مع كل آلاى عشرة جمال خالية من الحمل حتى اذا ضعف بعض البهائم عن السير استبدل بغيره » : فقال لى : « لا تفعل ذلك ودع كل دابة تتأخر بحملها لا ترجع » . فتعجبت لذلك الأمر ، ولكن لم أراجعه . ولكى يتحقق من نفاذ أمره أمر اثنين من معاونيه

ـ أحدهما يدعى عبد الله الكردى البكباشى ، والآخر يدعى رجب صديق البكباشى الجركسى ـ بأن يقفا فى باب الممر عند الشروع فى السير ولا يتركا دابة تمر بدون حمل

سافرت الفرقة الأولى بقيادة أمير اللواء عثمان رفقى باشا وسافر معها راتب باشا القائد العام وأركان حربه ليلا فى أول يوم من شهر أغسطس سنة ١٨٧٦ . وفى ضحوة ذلك اليوم سرت على آثارهم بحملة قدرها خمسمائة دابة محملة مؤونة وعلفا ، وأورطة من العساكر بقيادة البكباشى فرج عبد العال المشهور (بالدكر) . فلما بعدنا عن مركز أم كلو بنحو ستة أميال وجدت الجمال والخيل والبغال السابق ارسالها مع الفرقة الأولى منتشرة على رؤوس الجبال وبطون الأودية بأحمالها . بعضها يرتع ويرعى وبعضها مشتبك فى شجر السلم وشجر الأبنوس وشجر أم غيلان . وبعضها خلع أحماله من الجبخانة والبقسماط والتبن والشعير والفول . فلما رأيت ذلك هالنى الأمر وقلت فى نفسى هذا ما خشيت وقوعه ، وهذا ما أراده القائد العام برفضه ما عرضته عليه من قبل . فأمرت الحملة بالوقوف عن التقدم وأمرت قائد الأورطة الحامية للحملة بسرعة جمع الدواب المنتشرة بأحمالها . وفى أثناء ذلك مر علينا الأمير حسن باشا بن الخديو بمن معه من معاونيه وخدمه ، وشاهد ذلك بنفسه . فلما سألنى عن تلك الحالة أخبرته بحقيقتها . فتركنى وسار ليلحق بالفرقة الأولى . وعند جمع البهائم المنتشرة بأحمالها وجدنا نحن خمسين حملا من البقسماط مبعثرا هنا وهناك ، وتبين أن فرقة الجمالة التى أتت من سواكن هى التى ألقت أحمالها وفرت بجمالها . ومن حسن الحظ أن كان بالحملة خمسون جملا خاليا من الأحمال كاحتياطى . فحملناها الميرة ، ثم واصلنا السير الى الأمام . وكنا نجد بين فترة وأخرى بغلا محملا

جبخانة أو جملا متروكا بحمله فنأخذه معنا ، حتى انتهينا الى أرض مسبعة بعد اجتيازنا عقبة (نيقوص) حيث وجدنا في مجرى السيل منها حفائر ماء فبتنا فيها وسقينا الدواب . وهى على بعد ثلاثين ميلا من أم كلو . وماؤها عذب وهواؤها لطيف وفيها ينبت شجر (القفل) ولأوراقه رائحة زكية · وفي اليوم الثاني توجهنا الى خور (بعرظا) فوصلناها بعد العصر · وقد استقبلنا كثير من عساكر الفرقة الأولى التي كانت قد عسكرت على شاطىء هذا الخور ، وشكوا الينا الجوع لعدم اعطائهم القوت الكافى حيث كان لا يصرف للنفر أكثر من مائة درهم من البقسماط ، ومائة درهم من اللحم البقرى فى اليوم الواحد

فصرحت لهم بالأكل حتى يشبعوا على أن لا يأخذوا معهم شيئا وأقمنا هناك حتى أتت الفرقة الثانية بعد ثلاثة أيام، وقامت الفرقة الأولى الى (قياخور) ثم قامت الفرقة الثانية بعد ذلك الى قياخور أيضا ، ومنها الى (قرع) بفتح الراء وصدر لنا الأمر باتخاذ (بعرظا) مركزا متوسطا للحملة والمؤن والذخائر الحربية بين مصوع وقرع · وعسكر القائد العام بالفرقة الأولى وقائدها راشد باشا راقب فى قرع واختط فيها قلعة خفيفة · وكذلك فعل عثمان رفقى باشا بفرقته فى قياخور · وأقاموا على ذلك أربعين يوما ويوما بلا عمل · فلم يستكشفوا ما حولهم من الأودية والخيران والجبال المنقطعة ، حتى ولم يضع رئيس أركان الحرب رسما لذلك لمعرفة أبعاد المواقع المناسبة لاتخاذها ميدانا حربيا ، وفي تلك المدة كانت الذخيرة ترسل يوميا الى قرع لاتخاذها مركزا عاما استعدادا لامداد الجيش اذا تقدم الى مدينة (عدوى) عاصمة مملكة الملك يوحنا حتى صارت زكائب البقسماط فى داخل الاستحكام كالبروج المشيدة العظيمة، ومع ذلك كان القائد العام يأمر بمشترى كثير من الدقيق

والشعير من سوق الأحباش . كل هذا والعساكر لا يعطى لهم الا نصف المرتب من البقسماط مع أن النفر كان يعطى بأمر أركان الحرب مائة درهم من اللحم البقــرى أى ثلاثة أمثال المقرر له من اللحم ، حتى فشـــــا فى الجيش داء (الدوسنتاريا) أى الاسهال الشــديد مع الزحير المؤلم . ولولا جودة الهواء لهلكت العساكر من الجوع والاسهال

وكان أحد القسس الفرنســـــاويين المبشرين فى بلاد الأحباش يتردد كل يوم على رئيس أركان الحرب الجنـرال لورنج الأمريكى مستطلعا أحوال الجيش المصرى حتى علم بمقداره واتفق معه على الحركة الحربية التى تكون ســببا لهلاك الفرقة المصرية عند الصـــدمة الأولى ، وكان يبلغ معلوماته فى كل يوم الى الملك ، فحشد هذا الملك جيشه وكان عدده ينيف على الثلاثمائة ألف من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال على حسب عادتهم فى الدفاع عن كيان بلادهم . وأتى على مقربة من الجيش المصرى المعسكر فى قرع ، وفى ١٢ سبتمبر من السنة المذكورة قمت بآخــر حملة من مركز بعرظا وكان معنا ثلاث أورط بقيـــادة أمير الاواء راشد باشا كمال حتى وصلنا الى عقبة (بمبا) وهى عقبة صعبة الرقى مرتفعة عن سطح البحر بمقـــدار ثلاثة آلاف قدم لا يمكن للراكب أن يجتازها على ظهر جواده أو مطيته بل لا مناص له من أن يتـــرجل ويمشى على قدميه لصعوبة الرقى والهبوط، ولا تمر الدواب فيها الا الواحدة بعد الأخرى . فاجتزناها بكل صعوبة بعد أن سقط بعض الجمال بأحماله من أعلى العقبـــة الى حضيض الوادى . ثم تابعنا السير حتى وصلنا الى خور عدرسا (والخور عبارة عن مجرى السيل فى منخفض من الوادى) ، فبتنا هناك حيث وجدنا على شاطئه غابات من نخل البلح قيل انها من آثار عساكرالسلطان سليم الذين أكلوا التمر وألقوا بنواته

فى شاطىء الخور المذكور : وفى يوم ١٣ منه قمنا من تلك المحطة وسرنا الى الأمام حتى وصلنا الى (سهل عالا.) وهو سهل واسع كثير الأشجار وهناك سمعنا دوى المدافع المتتابع وعلمنا بوقوع الحرب • فأسرعنا فى السير حتى وصلنا الى قلعة السلطان سليم الكائنة على سفح جبل قياخور بعد غروب الشمس بساعتين • وكانت قد انقطعت أصوات المدافع • فحططنا الرحال وهيأنا الطعام للعساكر والعلف للدواب وبعد الاستراحة استأنفنا السير ليلا ، فارتقينا عقبة قياخور فى ساعتين ووصلنا الى فرقة قياخور التى كان رئيسها أمير اللواء عثمان باشا رفقى • فتقدمنا منه وهو جالس يصطلى النار الموقدة أمامه من شدة البرد• وسألناه عن الحالة فأجابنا وهو فى حيرة واندهاش عظيمين بأن فرقة قرع هلكت عن آخرها (وكانت مركبة من سبع أورط بيادة وبطاريتين طوبجية) فأحزننا هذا الخبر المفجع وجلسنا معه الى نصف الليل حيث جاءت اشارة ضوئية بأن راتب باشا وحسن باشا ابن الخديو وجميع رجال أركان الحرب الأمريكيين وصلوا الى مركز الفرقة سالمين ، وأما راشد باشا راقب والأميرالاى محمد جبر وبقية الضباط والعساكر فقد استشهدوا فى المعركة ومن سلم منهم أخذ أسيرا ، ولم يبق فى المركز الا أورطة واحدة من العساكر المستجدة كان لا يزيد سن أحدهم عن خمس عشرة سنة • وفى يوم ١٤ من الشهر المذكور أطلق الأحباش قنابل المدافع المصرية التى اغتنموها بالأمس على مركز العساكر المصرية ، ثم هجموا هجوما شديدا على القلعة المذكورة وتسلقوا جدرانها بشجاعة عظيمة وكانوا يدوسون قتلاهم وجرحاهم ولا يبالون بالموت ، الا أن عساكر الأورطة المستجدة وضباطهم وراتب باشا ومن معه من المعاونين أبلوا بلاء حسنا فى ذلك اليوم وردوا الأحباش

على أعقابهم خاسئين مدحورين • وقد شوهد راتب باشا وهو يصب نارا حامية بيده على الأحباش الذين حاولوا الصعود الى قمة القلعة • وكان على الروبى اليكباشي السواري يطوف القلعة مرارا يحثهم ويشجعهم على المقاومة والمدافعة عن الشرف والنفس حتى ملئت الخنادق وما حولها بجثث الأحباش ، وكان عدد القتلى منهم يزيد عن عشرين ألفا ، ولما رأى الأحباش من هذه الورطة ما رأوا مما لم يكن لهم في حساب ضعفت نفوسهم وندموا على هجومهم وتحولوا بعددهم وعديدهم ومن معهم من الأسرى المصريين من قرع الى مركز آخر داخل بلادهم

خيانة أركان الحرب الأمريكيين
الموظفين فى الجيش المصرى

يذكر المطلع على ما سبق أن أحد المبشرين الفرنساويين كان يتردد فى كل يوم على الجنرال لورنج رئيس أركان الحرب ، الذى وضع الخديو اسماعيل ثقته فيه • وكان القسيس المشار اليه ينقل أخبار الجيش الى الملك يوحنا ، ويعرفه بما دار بينه وبين الجنرال المذكور من الاتفاق • فلما علم الجنرال بأن الملك يوحنا فرغ من ترتيب جيشه على مقربة من قياخور طلب من القائد العام الخروج من قلعة قرع في صباح يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م فخرجت سبعة أورط بيادة وبطاريتان طوبجية الى النقطة التى اتخذت ميدانا للقتال ، وهى على بعد ميلين من قياخور • وكان ترتيب الأورطة البيادة على شكل طابور والطوبجية على اليمين • ووراءهم جبل وأمامهم خور عميق لا ماء فيه كأنه خندق طبيعى • وكان هذا الخور ملتفا حول الجبل من الميمنة والميسرة • فظنوا أنهم بهذا الخور فى حرز منيع من هجوم العدو عليهم • وكان (مكلس بك الطليانى) من أركان

الحرب قد توجه من قبل بالأورطة الأولى من آلاى عثمان بك غالب وبكباشيها أحمد أفندى شعبان وعسكر خلف الجبل المذكور بحيث لا يرى ميدان القتال ولا يعلم سبب وضع أورطته خلف ذلك الجبل.

واستعد جميع أركان الحرب الأوربيين والأمريكيين للملحمة فألقوا جانبا طرابيشهم الرسمية ولبسوا قبعاتهم ثم ربطوا في أعناقهم مناديل بيضاء اشارة الى أنهم مسيحيون ليأمنوا على أنفسهم الخطر عند اختلاط الجيشين على حسب الاتفاق مع القسيس السابق ذكره

وبعد أن أخذ كل من الجيشين مكانه ورتب رجاله . ابتدأ جيش الحبش باطلاق المدافع . وكان معه ثمانية مدافع كانت أهديت الى الملك يوحنا من رئيس الحملة الانجليزية مكافأة له على مساعدته الانجليز فى محاربة الأحباش فى عهد الملك (تيودور) الذى انتحر فى قلعة (مجدلة) بعد انخذال جيشه . وخلفه يوحنا فى ملك الحبش مع انه لم يكن من بيت الملك بل كان رئيسا للاشقياء وقطاع الطرق. وكان معه كذلك ستة مدافع مصرية غنمها فى هجومه على اراكيل بك كما سبق بيانه . فأخذت الطوبجية المصرية فى قذف الأحباش بنار حامية . وعندئذ قسم الملك يوحنا جيشه الى ثلاثة أقسام فذهب قسم الى خور يخفيه عن عدوه ثم دار على يمين المصريين بالأسلحة البيضاء . وقسم ذهب الى شمال المصريين فى خور أيضا ومعه الحراب والسيوف . وقسم مسلح بالبنادق قصد القلب مستترا بالاشجار الملتفة والخيران المتشعبة . جرى كل هذا تحت نيران المدافع . ولم تكد تقرب الأحباش من العساكر المصرية حتى أطلقوا عليهم نارا شديدة . ثم اشتبك الجيشان فى قتال عنيف هجمت فيه ميسرة الحبش على ميمنة المصريين بالسلاح الأبيض من خلفهم بقوة عظيمة فأفنوا رجال الطوبجية فى

طرفة عين،واختلطوا بالآلاى الأول اختلاطا هائلا فانهزمت العساكر المصرية وسلموا ظهورهم لحراب العدو واندفعوا الى الشمال بدون انتظام

وأحاطت الأحباش بأورطة أحمد أفندى شعبان التى خلف الجبل على حين غرة • فقاتل برجال أورطته قتال الأبطال حتى فرغت ذخيرتهم الحربية • ثم قاتلوا بالسونكى (أى حراب البنادق) حتى ضعفت قواهم وخارت عزائمهم واشتد بهم العطش فأفناهم العدو عن آخرهم • وكان رصاص بنادق الأورطة المذكورة يصل الى خط القتال فأصاب كثيرا من المصريين من بينهم المرحوم راشد باشا راقب رحمه الله تعالى • أما محمد جبر حكمدار الآلاى الأول ، فقد انضم إلى أورطة البكباشى محمد أفندى على الذى ثبت فى مكانه ، ورتب أورطته على شكل قلعة وقاتل الحبش بشجاعة مدهشة حتى فرغت ذخيرتهم الحربية فاستعملوا حراب بنادقهم حتى خارت قواهم واختلط بهم الأحباش حتى أفنوهم جميعهم رحمهم الله تعالى

وأما باقى الأورط فكانت مندفعة فى هزيمتها كالسيل الجارف والسيف يعمل فى أعناق رجالها من خلفهم • ومن ألقى بنفسه فى الخور المذكور قتله الحبش من القسم المعيز للميسرة • وما زالوا كذلك حتى أفنوهم عن آخرهم الا من كان على رأسه قبعة أو فى عنقه منديل من أركان الحرب أو من أسرع به جواده كراتب باشا وحسن باشا بن الخديو

واغتنم الأحباش الاسلحة والذخائر الحربية والأموال وملابس العساكر وما معهم من حلى وساعات ونقود ، بعد أن قتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا

ومما يحمر له الوجه خجلا مرور الأحباش فى أثناء

هجومهم أمام فرقة قياخور بحيث تصل اليهم مقذوفات المدافع المصرية وتمنعهم من التقدم ومع ذلك لم تطلق عليهم مقذوفة واحدة ولم تخرج البيادة الى الميدان لتساعد اخوانهم وتنقذهم من الفناء المحدق بهم

وأدهي من ذلك أن البكباشي خسرَو أفندى كان طليعة بأورطة خارج القلعة ، فلما رأى تقدم الأحباش أراد أن يعترضهم فمنعه عثمان باشا رفقى قومندان نقطة قياخور من ذلك وأمر برجوعه ودخوله القلعة وهم ينظرون الى اخوانهم حتى تم فناؤهم . مع أنه كان فى امكان عساكر قياخور الهجوم على ميسرة الأحباش وتبديد شملهم لو أدوا واجباتهم الحربية

لقد كان ترتيب الأحباش على هيئة مقعر حربى لا يتأتى لأعظم قائد حربى أن يأتي بأحسن منه . وكان وضع العساكر المصرية على الهيئة المذكورة من غير وضع حاميات للأجنحة لصد العدو عن الميمنة والميسرة ، فكانوا كمن أوقع نفسه فى مضيق لا مخرج له منه الا بالقتل أو الاسر . وتلك نتيجة مخالفة أمر الله تعالى حيث يقول : « ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم » وانتهت تلك الحملة التى سببها الطمع بالخيبة والفشل . ثم العودة الى مصر بعد عقد الصلح مع الملك يوحنا بمعرفة البكباشى على أفندى الروبى الذى رجع الى مصر وترقي الى رتبة أميرالاى

ثم أوفده الخديو بعد ذلك الى يوحنا ملك الأحباش بهدايا ثمينة . وفي مدة اقامته عند الملك المذكور كان الأحباش يشترون منه الريال (أبو طيره) بجنيه ذهب من النقود المسلوبة من القتلى والأسرى وحصل منهم بهذه الطريقة على مبلغ وافر لأنهم لم يكونوا يعرفون العملة الذهبية ولا قيمتها .

ولماتم خذلان الحملة المصرية رجعت الى مصوع وتركت

البلاد الحبشية التى كانت احتلتها ، ثم عادت الى مصر فلم تلق فيها غير وجوه عابسة • وكان الخديو قد عزم على محاكمة القائد العام والباشوات وأمراء الآلايات ، ولكن اتفق اذ ذاك أن هجم حسن شركس مملوك المرحوم السلطان عبد العزيز على مجلس الوزراء فى الآستانة العلية وأطلق عليهم الرصاص من مسدسه فقتل أحمد باشا القيصرلى وغيره ثم قبض عليه وحوكم وقتل

فخشى الخديو أن يصيبه مثل ما أصاب القيصرلى اذا أصر على محاكمة قادة جيشه الجراكسة ، فغير عزمه وبش فى وجوههم ووضع بيده النياشين فوق صدورهم • ثم كانت الحرب البلقانية بين الدولة العلية وبين الصرب والبلغار ورومانيا وروسيا • فأمدت مصر الدولة العلية بعساكرها تحت قيادة حسن باشا بن الخديو وراشد باشا حسنى وانتهت تلك الحرب بمعاهدة (استفانوس) ثم بمعاهدة برلين المشهورة • ثم رجعت العساكر المصرية الى مصر

مكيدة اسماعيل وعزل الوزارة المختلطة

فى أوائل سنة ١٢٩٦ الهجرية صدر لنا أمر بالحضور من رشيد الى العاصمة وتسليم الاسلحة والمهمات وصرف العساكر الى بلادهم ، فحضرنا وكنا ثلاثة آلايات بيادة ، فسلمنا المهمات فى يوم وصولنا ، وفى صباح اليوم الثانى ذهبت الى منزل محمد بك النادى الذى كان قد حضر بآلايه من رشيد معنا • فما استقر بنا الجلوس حتى جاء أحد ضباط آلايه برتبة يوزباشى يدعى أحمد أفندى نجم ، وأخبرنا بأن تلاميذ الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية، فجاءت عساكر برنجى آلاى وأطلقت النار عليهم فشغلنا ذلك وأرسلنا أحد الضباط ليأتينا بحقيقة الأمر • ولما عاد أخبرنا بحقيقة تلك الحركة وهى ان الخديو اسماعيل باشا

اضطرب وقلق قلقا شديدا من ضغط الوزارة المختلطة التى كانت برئاسة نوبار باشا وعضوية رياض وعلى مبـــارك والسير ولسن الانجليزى ودى بولونيير الفرنساوى وأراد أن يتخلص منها ويسقطها فأوعز الى جاهين باشا كنـج (صنيعته المشهور) بخلق تلك الحركة الصبيانية ، وهذا حمل صهره لطيف بك سليم الضابط بالمدرســة الحربية على أخذ التلاميذ والذهاب الى المالية بمن ينضم اليهم من الغوغاء فيصيحوا متظاهرين بالتظلم من عدم صرف مرتباتهم المتأخرة من مدة عشرة أشهر ، وينســبوا ذلك التأخير الى الوزارة المذكورة ويطالبوا بسقوطها تخلصا من الأوربيين الذين كثر استخدامهم فى مصالح الحكومة المهمة ذات الايراد العظيم كالجمارك وميناء الاسكندرية والســكة الحديدية والتلغرافات والدائرة السنية ومصلحة الدومين وصـندوق الدين ومصلحة المساحة وما شاكل ذلك . (وكانت كل مصلحة من هذه المصالح تعتبر نفسها كأنها حكومة مستقلة) فذهب لطيف بك ومن معه من الضـــباط الذين أضاع صوابهم الفقر والجوع الى المالية وصـاحوا قائلين اصرفوا لنا حقوقنا من هذه الأموال المتراكمة فى خزينة المالية . وقد صفع بعضهم ولسن ونوبار وحقر رياض باشا وعلى مبارك . وعندما خرجت تلك الألعوبة من مركزها وتعاظم خطرها جاء الخديو بنفسه الى المالية ومعه أميرالاى الحـرس الخديو على بك فهمى المشهور (بالذئب المصرى) بأورطة من آلايه وحال بين المالية وبين أولئك المتجمهرين من التلاميذ والغوغاء . وأمر الخديو بضرب الرصاص على المتجمهـرين حين رأى عبد القادر باشا حلمى رئيس معاونيـــه مضروبا بسيف على يده من أحد الضباط الذين تطاول عليهـــم ، وضربهم وكزا ببندقية أحد العســاكر . الا أن الأميرالاى المذكور أظهر حزما ونظر فى عواقب الأمور فأمر العساكر

باطلاق أسلحتهم فى الفضاء . ولولا ذلك لكانت النتيجة وبالا على الخديو ، ومن معه لأنه أمر بقتـــل أناس كثيرة يطلبون حقا لهم مهضوما . ثم انصرف المتجمهرون حانقـين وهاج الضباط فى جميع الآلايات ، واتفقوا على وجـوب عزل هذا الخديو ، واعتلاء ولى عهده توفيق باشا مسـند الخديوية المصرية . فلما علم الخديو بذلك ذهب الى مركز كل آلاى على حدته وطيب خواطر الضباط ووعدهم بصرف حقوقهم المتأخرة وعزل الوزارة المذكورة ، ثم عزلها فعلا وعهد بالرئاسة الى اسماعيل باشا راغب

من ظلم الخديو اسماعيل

لما تخلص الخديو اسماعيل من ضغط الوزارة المختلطة خشى تعصـــب أوربا عليه وانتقامهـــا منه ، فأسند تلك الألعوبة الصبيانية الى والى محمد بك النـــادى وعلى بك الروبى من أمراء الجيش . وقد طلبنا رئيس التشريفـــات عبد القادر باشا حلمى وأخبرنا بأن الخديو علم بأننا هيجنا التلاميذ والضباط وأغويناهم على الاحاطة بالماليـــة ، وانه سيجرى تحقيق ذلك ، فان ثبتت ادانتنا عوقبنا بالعقاب الواجب . ثم صار يهددنا تارة ويعدنا بالســـــلامة تارة أخرى . فأجبناه بأننا حضرنا أمس من رشيده وكنا مشغولين بتسليم الاسلحة والمهمات الى مخـــــازن الحربية وصرف العساكر الى بلادها حسب الأمر الصادر الينا . ولا علم لنا بتدبير تلك الحركة أصلا فكيف يتصور منصف اننـــا نستطيع اهاجة تلاميذ الحربية وغيرهم على ذلك العمـــل الخارج عن حدود الحكمة والروية فى ليلة واحدة .. فتبسم ضاحكا لأنه يعلم ان الحركة كانت بارادة الخـــديو وتدبير جاهين باشا كما ذكر آنفا .. وكذلك طلبنا مأمور الضبطية محمود سامى باشا البارودى وأخبرنا بما أخبرنا به عبـد

القادر باشا حلمي فأجبناه بمثل ما أجبنا به من قبـــله وانصرفنا ، وقد آنست فيه تأففا من الظلم والاســـتبداد وميلا مع العدل والدستور • ثم عقد مجلس عسكري فوق العادة تحت رئاسة الجنرال ستون الأمريكي رئيس أركان حرب وعضوية حسن أفلاطون باشا ومحمد باشا المرعشلي رئيس هندسة الاستحكامات ، وكانوا كلهـــم يعرفون الحقيقة • فلما سئلت بالمجلس المذكور أجبت بنفي التهمة عنا ، وأبنت أن ترتيب حركة الاحاطة بالمالية يقتضي لهمدة لا تقل عن شهر • وفي تلك المدة كنا في رشيد • والمدارس الحربية ليست تابعة لنا ، ولا هي مقيمة معنا ولا كان أحد من ضباط آلاينا موجودا في تلك الحركة ، على انه لو فرض وجود أحد منهم فيها فهو غير ملوم لأن نساء الضـــباط وأولادهم في العباسية بلا مأوى ولا دراهم في أيديهـــم ينفقون منها على عائلاتهم • ولا خبز ولا تعيين يصرف لهم • ثم انتهى التحقيق وأسدل عليه الستار

وكنت طلبت من السردار راتب باشا صرف جراية وتعيين لتلك العائلات التي أحضرت من رشيد فلم يصغ الى ولم يهتم بطلبي ولكن طلب بعد ذلك جميع ضباط الآلايات من رتبة البكباشي فصـــاعدا الى سراي عابدين ، وكان الاجتماع عظيما في القـاعة الكبرى بالدور الأعلى ، وجاء الخديو يتلطف بكل واحد منهم ويعـــده خيرا • وفي ذلك الاجتماع كان ترتيبي وترتيب النـــادي بك والروبي بك بمعية الخديو بوظيفة ياوران • فتكلفنـــا ما يلزم لزي الياوران من النفقات الطائلة على غير جدوى

أمور يضحك السفهاء منهـا ويبكي من عواقبهـا اللبيب

ثم بعد أسبوع تعـــين علي الروبي بك رئيسا لمجلس مديرية الدقهلية وتعين محمد النـــادي بك قائدا للآلاي الثاني البيادة المستجد وأرسل الى الاسكندرية بآلايه •

وتعينت قائدا للآلاى الرابع المستجد أيضا ولكن برتبة القائمقام • ولما تم حشد عساكر الآلاى المذكور طلبني ناظر الجهادية وأمرني بالذهاب الى راغب باشا • فلما توجهت اليه قال لى : « ان أهالى مديرية جرجا واسيوط انتخبوك نائبا عنهم فى تسليم سبعمائة ألف أردب قمح وفول وشعير الى بنك (منشا وقطاوى وبنك ايجيون وابراهيم بيجه) بالاسكندرية » فقلت له : « ولم انتخبونى لذلك ؟» • قال : « لأمانتك » فقلت : « وكيف ذلك وهم لا يعرفوننى ؟ » فقال : « انهم سألوا عنك وعرفوك ».

والحقيقة هى أن الحكومة كانت تداينت من البنكين المذكورين بنصف مليون جنيه مصرى لسداد بعض أقساط دين بنك (رتشلد) على أن يتسلما سبعمائة ألف أردب من غلال جميع مديريات الوجه القبلى من الفيوم الى قنا واسنا • (بدعوى ان هذا الدين على الأهالى بضمانة الحكومة) وما كان انتخابى لتأدية تلك المهمة من الأهالى حقيقة بل كانت رغبة من الخديو لابعادى عن مركز الآلاى كما صار ابعاد الروبى الى المنصورة والنادى الى الاسكندرية فتوجهت الى الاسكندرية وأنجزت المطلوب بكل أمانة واستقامة حتى أعجب مديرا المصرفين المذكورين بشدة تمسكى بالعدل والانصاف وارتاحا الى ماقمت به من الاستلام والتسليم • وقد توفر للحكومة نحو ٢٠٠٠٠ر٢٠ أردب فرق كيل وفرق معدلات ولو شئت لأغمضت عينى وسلمت الرسائل كما وردت لمخازن التجار وربحت ما يساوى قيمة الوفر أو ما يقرب من ذلك ، ولكن هو الشرف لا يعادل بمال

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سمعنا ضرب المدافع بالاسكندرية اعلانا بعزل اسماعيل وولاية توفيق باشا الأريكة الخديوية • وقد شاهدت خروج الخديو المعزول من

مصر منفيا ونزوله من منزل الفحومات وأدوات السكة الحديدية الذى نزل منه من قبل حليم باشا منفيا (وهو ابن محمد على رأس العائلة الحاكمة) فانظر الى آثار قدرة الله سبحانه وتعالى ، واعلم انه يكال لك بالكيل الذى تكيل به ، ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها ...

سافر اسماعيل الى نابولى (وهى ثغر من ثغور ايطاليا) مطرودا ، كما سافر حليم باشا الى دار السعادة مطرودا ، ولكن شتان بين من طرد ظلماً ومن طرد عدلا

عهد استبداد وفساد

انتهت مدة اسماعيل باشا الخديو وهى سبع عشرة سنة كانت وبالا على المصريين لشدة نزقه وطمعه وسوء تصرفه وعدم انصافه . لم أر فيها خيرا ولا ترقيت رتبة فى عهده، كما قال بعض الخراصين ولا أقسمت على الدفاع عنه . ولا صحت حول قصره ولا انتهرنى أصلا . ولا هو قال أن صوتى أكثر قرقعة من الطبل ، وأقل نفعا منه ،. فليتق الله المتبجحون الكذابون الذين تقولوا ما تقولوه .وافتروا ما افتروه فألزموا صاحب تاريخ « مصر للمصريين » سليم النقاش بأن يخلط مفترياتهم وبهتانهم بحقائق كتابه على غير ارادة منه ، فجاء كتابه مشوها فيه الغث والثمين والصدق والكذب . ولكن الحق ظاهر وله أعلام . والباطل بين وله أعلام

ويستطيع كل عاقل منصف أن يفهم من عباراته الحقائق ولا يعبأ بما يجده فيها من الأكاذيب والاباطيل ، فانها ما وضعت الا ارضاء لذوى النفوذ من خصومى ، حلفاء الظلم والجور ، ونصراء الاستبداد والاستعباد . وهو أقرب التواريخ لمعرفة حقائق النهضة القومية المصرية ، وأقرب منه وأصح رواية تاريخ المستر ولفرد بلنت الذى ظهر حديثا

باللغة الانجليزية • وكذلك تاريخ المستر (برودلى) المحامى عنا فى سنة ١٨٨٢ م الذى ألفه مدة وجوده فى القاهرة (وهى ثلاثة أشهر لغاية انتهاء المحاكمة)

ولكن هناك أسرارا لا يعرفها أحد من الناس غيرى ، فأحببت أن أظهرها للناس قبل موتى قياما بالواجب على لأبناء وطنى المحبوبين : ولقد تحملت مدة ولاية اسماعيل الجائرة بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ، ومكثت برتبة القائمقام مدة تسع عشرة سنة أنظر الى صغار الضباط الذين كانوا تحت ادارتى فى عهدى سعيد باشا واسماعيل باشا وهم يترقون دونى ، فترقى بعضهم الى رتبة الأميرالاى وبعضهم الى رتبة أمير اللواء ، وبعضهم الى رتبة الفريق ، لا بعلم علموه من دونى ولا بفهم خارق للعادة ولا بشجاعة أبرزوها فى ميادين القتال ، ولكن لكونهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، فاصطفاهم الخديو بالرتب والنياشين والجوارى الحسان والأراضى الواسعة الخصبة والبيوت الرحبة وحباهم بالأموال الكثيرة والحلى الثمينة من دم المصريين المساكين وعرق جبينهم ••! !

فى تولية توفيق باشا

تولية الخديو توفيق

فى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ ه الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ م تولى محمد توفيق باشا الخديوية المصرية ، واعتلى أريكتها فى ظروف صعبة وأحوال مرتبكة بسبب سوء الادارة الماضية والمصاعب التى طرأت على أحوال الديار المصرية قبل توجيه الولاية اليه :

وكان من أهم أسباب الاختلال إذ ذاك عسر المالية وتداخل الأجانب فى أمور البلاد واستئثارهم بها على عهد الوزارة المختلطة (من الأوربيين والمصريين) فى آخر مدة اسماعيل باشا • واشتداد وطأتهم وطموح أبصارهم الى ما أوجب استحكام الضغائن فى صدور رجال الجيش واستياءهم من الأجانب بسبب قطع مرتباتهم • ومن أهمها أيضا ما كان من بعض الأجانب أو أكثرهم من استخفافهم بالأهالى والاعراض عن مصالحهم وتدخلهم فى الادارات وأمور البلاد اجحافا بحقوق الأمة • فكان ذلك سببا فى اتفاق نبهاء الأمة ورجال الجيش المصريين على انقاذ البلاد من تداخل الأوربيين خوفا من زيادة الاستئثار ولجأوا الى ما اصطلحوا عليه كوسيلة لحفظ حقوقهم ، واتخذوه كواسطة للحصول على استقلالهم فى العمل ، وادارة أمور بلادهم بأنفسهم

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ ه وصل الى مصر تلغراف الباب العالى مشعرا بتولية محمد توفيق باشا

وقد أرسل الخديو تلغرافا الى الباب العالى جوابا على التلغراف المؤذن بارتقائه الى عرش الخديوية ، وختمه بقوله : « بدأت بظليل ظل الحضرة السنية

الملوكانية بمباشرة أمور الخديوية عالما علم اليقين أن سلامة الخديوية المصرية وسعادتها وموفقية عبدكم الكاملة يحصلان بالثبات على قدم العبودية والتابعية للسلطنة السنية »

وورد من بيت « روتشلد » تلغراف تهنئة للخديو الجديد بارتقائه الى كرسى الخديوية ، متضمنا أن هذا التغيير قد أزال الكثير من المصاعب التى حالت دون نفـــاذ شروط الميثاق المبـــرم بين الحكومة المصرية ، وبين البيت المذكور متعلقا بقرض الأملاك الموهوبة

الخديو اسماعيل يسرق

وفى ١١ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سافر الخديو الســـابق اسماعيل باشا من القاهرة الى الاسكندرية حيث أقلتـــه الباخرة « المحروسة » الى « نابولى » بايطاليا وكانت معــه أوراق مالية « بون » بمبلغ ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات، كما صرح بذلك ابنه الخديو توفيق بحضورى وحضــور خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى والشيخ عبد الرحمن الابيارى امام المعية فى أثناء تناول طعام الافطار على المائدة الخديوية فى شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ، اذ قال :

« يا ليته ترك للحكومة ولو ستة ملايين لاصلاح شأنها »

ولما وصل الخديو اسماعيل المعزول الى محطة مصر وقف الخديو توفيق مودعا والده وعيناه مغرورقتان بالدموع . فعانقـــه والده ثم قال له : « لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديو مصر . فأوصـــيك باخوتك وسائر الآل برا . واعلم أنى مسافر وبودى لو استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن توجب لك الارتباك . على انى واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأى ذوى شوراك وكن أسعد حالا من أبيك »

ثم سار القطار الخصوصى حتى وصـــل الى الاسكندرية

ثم ركب الزورق المعد له وتبعته زوارق المشـــيعين الى أن صعد فوق السفينة المحروسة ، وهنا نظر الى الثغر نظـرة المودع الآسف فغلبه الدمع فبكي وأبكى كل من كان معه من أنجاله وآل بيته

موعظة وتذكرة

من غريب التقادير الالهية أن مصطفى فهمى باشا كان قد انتدبه الخديو اسماعيل لمرافقة اسماعيل باشا صديق حين سفره الى دنقلة فى سفينة بخارية بطريق النيـــل • فاستصحب معه رفاصا بخاريا آخر وعند وصوله الى المعصرة ودعه ورجع الى القاهرة متأثرا مدهوشـــا من ذلك الظلم العظيم الذى تم بقتل الرجل خنقا فى دنقلا بلا تحقيق ولا بحث ••• ولما آذنت ساعة رحيل الخديو اسماعيل باشـا من مصر شـــيعه مصطفى باشـا فهمى كذلك فى رفاص بخارى حتى وصل باب البوغاز ثم رجع بعد تأدية واجب الوداع لمولاه ، فانظر الى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى

وزارة شريف باشا

قدمت وزارة راغب باشا اســـتعفاءها فقبـــلة الخديو وتشكلت الوزارة الجديدة على الوجه الآتى :

محمـــد شريف باشا : للرئاسة والداخلية والخارجية
اسماعيل أيوب باشا : للمالية
عثمـــان رفقى باشا : للجهادية
مصطفى فهمى باشـا : للاشغال
محمـــود سامى باشا : للمعارف
مراد حلمى باشـــا : للحقانية

المرتبات السنوية للبيت الخديوى

وأول عمل اهتم به مجلس النظار هو تعيـــين رواتب الخديو وأهل بيته على ما يأتى بيانه :

جنيه مصرى	
١٠٠,٠٠٠	للخديو توفيق
٣٥,٠٠٠	لوالدته
٢٠,٠٠٠	لزوجته
٣٠,٠٠٠	للخديو السابق
٢٥,٠٠٠	لزوجته
٣٦,٠٠٠	لزوجاته الباقيات بمصر
١٨,٠٠٠	لتوحيده هانم
١٨,٠٠٠	لحسين باشا كامل
١٨,٠٠٠	لحسن باشا
٣٠٠,٠٠٠	المجموع ثلثمائة ألف جنيه

السم في الدسم

الفرمان الشاهاني وتدخل أوربا

وفي يونيو سنة ١٨٧٩ م ورد تلغراف من باريس ينبىء بأن الباب العالى أرسل الى دول أوربا منشورا يبين فيه كيفية تنازل اسماعيل باشا والغاء الفرمان الصادر سنة ١٨٧٣ م . ويؤكد مع ذلك انه عازم أن يحفظ لمصر مالها من امتيازات الاستقلال الإدارى . فأوجس أولياء مصر من هذا الأمر خيفة، واختلفت فيه أقوالهم حتى ورد بالتلغراف ثانيا أن الدول اتفقت على معارضة منشور الباب العالى باثبات ذلك الفرمان وتأييد ما منح به من الحقوق والامتيازات للحكومة المصرية . فانتفت الأوجال بذلك ، وأيقن الناس أن الدولة العلية ستعدل عن هذا القصد . ثم ورد تلغراف آخر ينبىء بأن الباب العالى أصدر منشورا ثانيا يتعلق بفرمان سنة ٧٣ حاصله أن السلطان رأى أن يثبت لخديو مصر الحقوق والامتيازات الممنوحة في ذلك الفرمان

لا بوساطة الدول ولكن من تلقاء نفسه • وأعقبه تلغراف آخر من الآستانة يقول انه اذا لم يقرر السـلطان أحكام الفرمان الصادر فى سنة ١٨٧٣ م فى الفرمان الذى سيبعث به الى الخديو الجديد يتعين على فرنسا وانجلترا اذ ذاك أن تطلبا الاستقلال التام للحكومة المصرية • وجاء فى تلغراف من باريس أيضا أن انجلترا وفرنسا تمهلان الباب العالى فى ابلاغ صورة الفرمان لهما الى يوم الاثنين وهو الفرمان المثبت لخديوية توفيق باشا ، فاذا مضت هذه المهـلة ولم يبلغهما الفرمان فانهما تعزمان على المناداة باستقلال مصر

وفى أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد تلغراف من لندره بأن السير لايارد والمسيو افرين سفيرى انجلترا وفرنسـا فى الآستانة طلبا من الباب العالى أن يعرض تولية توفيق باشا على الدول لكى يكون بمثابة معاهدة دولية • وانه فى عزم انجلترا وفرنسا أن تضعا قضايا الفرمان المتعلقة بتحديد حقوق الباب العالى موضع البحث وأن ترفضا كل ما من شأنه أن يخالف سلطة السلطان أو يناقض المعـاهدات السالفة

وفى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد تلغراف من لنـدن ينبىء بأنه قد كتب من الآستانة أن فؤاد بك مسافر منها الى القاهرة غداة غد ليسلم فرمان التثبيت الى توفيق باشا

وفى صبيحة يوم الاثنين ٢٣ شـعبان سنة ١٢٩٦ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٨٧٩ حضر الخديو الى القاهرة ومعه وزراؤه (ما عدا شريف باشـا الذى تخلف فى الاسكندرية لاستقبال الفرمان وحامله) ليشهدوا جميعا تلاوة الفرمان السلطانى فى سراى القلعة

وفى الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ انتظم موكب الفـرمان • وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة

أطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الفرمان يحمله على بك فؤاد ، فاستقبله النظار حتى دخل القاعة ثم لبس طلعت باشا كركا وتناول الفرمان فصعد به على كرسي وتلاه • ولما فرغ من تلاوته دخل الخديو قاعة التشريفات فوفد عليه المهنئون

وفى الساعة الرابعة قام الخديو وتبعه النظار فصدحت الموسيقى بالأنغام المألوفة وأطلقت المدافع تعظيما له واجلالا

استعفاء وزارة شريف باشا

بعد أن استقرت وزارة شريف باشا فى الأحكام شرعت فى توجيه عنايتها الى تسوية الدين السائر وغيره على وجه يضمن للدائنين حقوقهم ويحفظ للحكومة مصلحتها فوالت انعقاد جلساتها لهذه الغاية • وقد تقرر فى احدى جلساتها رفع مشروع تاسيس حكومة دستورية شورية الى الخديو تنفيذا لأمره الصادر فى ١٤ رجب سنة ١٢٩٦ كما تقرر انه اذا أبى الخديو عليهم تنفيذ ذلك المشروع استعفوا من مناصبهم جميعا على أن لا يقبل أحد منهم الانتظام فى وزارة أخرى تفضل الحكومة المطلقة على الحكومة الدستورية • ولما رفع المشروع المذكور الى الخديو رفض قبوله متعللا بعدم موافقة قنصلى انجلترا وفرنسا ، فاستعفت الوزارة وقبل استعفاؤها •• ثم تشكلت الوزارة الجديدة على الوجه الآتى:

ذو الفقار باشا : للحقانية والداخلية
مصطفى فهمى باشا : للخارجية
عثمان رفقى باشا : للجهادية
حيدر باشا : للمالية
على ابراهيم باشا : للمعارف
محمد مرعشلى باشا : للاوقاف
محمود سامى باشا : للاشغال

أما رئاسة هذه الوزارة فكانت للخديو • ولقد كان فراغ نظارة الداخلية على أهميتها موجبا للظنون المختلفة والآراء المتنوعة • ثم صدر أمر الخديو تلغرافيا الى رياض باشا بأن يعود الى القطر المصرى على أول* باخرة ترد اليه

وزارة رياض باشا

وفى ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ و ٣ سبتمبر سنة١٨٧٩ وصل رياض باشا الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة ، ثم توجه لمقابلة الخديو توا • وفى ٥ شوالسنة ١٢٩٦ و ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ صدر أمر الخديو الى رياض باشا بتأليف وزارة جديدة بعد أن قدم الوزراء استعفاءهم

تسوية مسالة الدين المصرى والمالية

وفى يوم الخميس ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩م • الموافق ١٨ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ • أصدر الخديو أمرا باعادة تعيين المستر بارنج والمسيو دى بلنيير بصفة مفتشين

ولما عين رياض باشا رئيسا لمجلس النظار أصدر اليهما اعلانات على صورة ترجمة الخطاب الصادر من الخديو اسماعيل للمستر ولسن حينكان نائب رئيس لجنةالتفتيش باستحسان التقرير المقدم من تلك اللجنة

وقد رفعت الوزارة الى الخديو لائحة منطوية على بيان تدبير جديد لتسوية مشكلة الدين السائر

وفي ١٥ابريل سنة ١٨٨٠ صدر قانون التصفية الدولية المصرية وهو يتناول تنظيم الديون وكيفية سدادها • وهي الدين الممتاز والموحد كدين الدائرة السنية والدين السائر وهي معروفة للجميع

حادثة قصر النيل

المطالبة بمجلس النواب

لما ارتقى توفيق باشا الى الأريكة الخديوية المصرية ، وسافر الى الاسكندرية ،ظفرت برتبة أميرالاى وعينت ياورا خديويا من ضمن ياورانه ، وأميرا على الآلاى البيادة الرابع الكائن مركزه بالعباسية بمدينة القاهرة

وكان عثمان باشا رفقى وقتئذ ناظرا للجهادية ، وهو رجل جاهل متعصب لجنسه ، غافل عما ينتج من سياسة التفريق والاستخفاف بالعنصر الوطنى من احراج الصدور، فسولت له نفسه أن يمنع ترقى المصريين العاملين فى الآلايات تحت السلاح • ثم شرع فعلا فى سن قانون فحواه الحكم بعدم الترقى من تحت السلاح • وصدرت أوامره بذلك ليتمكن من النكاية بأبناء الوطن وحرمانهم من الرتب وجعلهم أنفارا تحت تسلط الترك والجركس • ويكون لهؤلاء الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من الارتقاء الى الدرجات السامية والرتب الشريفة

ثم أصدر أمرا ثانيا باحالة عبد العال بك حلمى أميرالاى الآلاى السودانى الى ديوان الجهادية ليكون معاونا فيه ، وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة • وعين خورشيد بك نعمان بدلا منه لكونه من جنسه الجركسى وكان يبلغ الخامسة والستين من عمره ، وهو ضعيف لا قدرة له على الحركات العسكرية • وأصدر أمرا آخر برفت أحمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى ، وكان فى الأربعين من سنه أيضا • وأقام فى مكانه ضابطا آخر جركسيا

وفى ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ هـ دعيت الى وليمة بمنزل

نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج . فلما وصلت الى منزل الداعى وجدته غاصا بأمراء الجيش وغيرهم، فجلست بجوار محمد بك نجيب الجريدلى وكان بجانبه اسماعيل باشا كامل الفريق (وهو جركسى الأصل ولكنه كان يتظاهر بحب العدل والانصاف) فأفضى الباشا الى نجيب بك بما صار من طيش ناظر الجهادية . وأنه نصح له بأن يعرض عن ذلك الاجحاف الظاهر ، فلم يصغ اليه . فأخبرنى محمد بك نجيب بما سنمع همسا فى أذنى ، وكنت أجهل قبل ذلك تلك الأوامر الظالمة . فقلت لاسماعيل باشا كامل : « أحق هذا ؟ » فقال : « نعم وقد تسلمت الأوامر الى الكتاب للاجراء بمقتضاها » فقلت له : « ان هذه لقمة كبيرة لا يقوى عثمان رفقى على هضمها »

وبعد تناول الطعام جاءنى ضابط وأخبرنى بأن كثيرا من الضباط ينتظروننى بمنزلى فتوجهت اليهم فى الحال ، فوجدت من ضمنهم الأميرالاى عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى بمركزه فى طره ، والبكباشى خضر أفندى من الآلاى المذكور أيضا ، وعلى بك فهمى أميرالاى الحرس الخديوى بقشلاق عابدين ، والبكباشى محمد أفندى عبيد من الآلاى المذكور كذلك . والبكباشى ألفى أفندى يوسف من الآلاى الرابع البيادة حكمداريتى . والقائمقام أحمد بك عبد الغفار من الآلاى السوارى وغيرهم . وكانوا جميعا فى هياج عظيم ، اذ بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم . فلما رأونى أفضوا الى بما سمعته من نجيب بك واسماعيل باشا كامل من قبل . فقلت لهم : « قد سمعت هذا من غيركم فماذا تريدون؟ » قالوا : « وليس الأمر كذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع العنصر الجركسى فى منزل خسرو باشا الفريق وهم يتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك فى كل ليلة بحضور عثمان باشا رفقى

ويلعنون خيري بك لتسليمه واذعانه للسلطان سليم . ويقولون انه قد حان الوقت لرد بضاعتهم اليهم . وأنهم لا يغلبون من قلة . وظنوا أنهم يملكون مصر ويستبدون بها كما فعل أولئك المماليك من قبلهم » . ثم عقب الضباط بأنهم قد تحققوا صدق تلك الأنباء ممن يوثق بخبره . فقلت : « وماذا تريدون اذن ؟! » فقالوا : «انما جئناك لنرى رأيك » . فقلت : « رأيي أن تتريثوا وتهدئوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا اليهم النظر في مصالحكم . وهم يتخذون من بينهم رئيسا لهم يثقون به كل الوثوق ويسمعون قوله ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم اذا أرادت الحكومة به شرا » .

فقالوا : « انا فوضنا اليك هذا الأمر ، فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك. » . فقلت : « كلا بل انظروا غيري وانا اسمع له واطيع وانصح له جهدى » فقالوا : « انا لا نبغي غيرك ولا نثق الا بك » فأبنت لهم ان الأمر عصيب ولا يسع الحكومة الا قتل من يتصدى له فقالوا : « نحن نفديك ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا » . فقلت لهم: « اقسموا لى اذا على ذلك » فاقسموا . وفي الحال كتبت عريضة الى رئيس النظار مصطفى رياض باشا مقتضاها الشكوى من تعصب عثمان رفقي باشا لجنسه واجحافه بحقوق الوطنيين . وطلبت فيها :

أولا ـ عزل ناظر الجهادية المذكور . وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا بالقوانين التى بأيدينا

ثانيا ـ تأليف مجلس نواب من نبهاء الأمة تنفيذا للأمر الخديوى الصادر عقيب ارتقائه الأريكة الخديوية

ثالثا ـ ابلاغ الجيش العامل الى ١٨٠٠٠ تطبيقا للفرمان السلطاني

رابعا ـ تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة

للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب

ثم تلوت العريضة المذكورة على مسامع الحاضرين فوافقوا عليها • وأمضيتها بختمي وختم على بك فهمي وعبد العال بك حلمي • وبعد ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الخديو والعائلة الخديوية والوزراء اذا حدث أي حادث من الضباط الجراكسة • مع ترتيب ما يلزم لحفظ البنوك وبيوت التجار الأجانب والوطنيين من مطامع الرعاع • وكذلك ما يلزم لحفظنا من بطش الحكومة اذا أرادت الايقاع بنا ، وارفض الاجتماع على ذلك • وما دفعنا الى طلب انشاء مجلس النواب الا تبرم الأمة بأمثال ما حصل للمرحوم اسماعيل صديق باشا في عهد الخديو اسماعيل • مع أنه كان حائزا لرتبة المشير التي من مزاياها حفظ حائزها ولو باستعمال السلاح • وما حصل للسيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها مساواة الأهالي الذين دفعوا للحكومة ١٧ر٠٠٠ر٠٠٠ من الجنيهات باسم المقابلة و ٥ر٠٠٠ر٠٠٠ باسم الاسهم بالاجانب أصحاب الديون • وما حصل لغيرهما من القتل والخنق والتعذيب من غير حق ولا محاكمة ، بل لمحض الظلم والاستبداد ، وكذلك لعلمنا أن ذلك المجلس سوف يكون لسان الأمة لدى الحكومة فيرشدها الى سبل حفظ الأرواح الطاهرة والأعراض الكريمة والأموال العزيزة من العبث بها

مقابلتي لرياض باشا

وفي غد ذلك اليوم ذهبت الى ديوان الداخليــــة ومعي رفيقاي على بك فهمي وعبد العال بك حلمي ، وقدمنــــا العريضة المذكورة الى وكيل الداخلية خليـــــل باشا يكن وطلبنا اليه عرضها على رئيس النظار رياض باشا • فذهب إليه ثم عاد وأخبرنا بأن الرئيس يريد أن يرانا فلما قابلناه

طيب خاطرنا وقال سأنظر فى الأمر • وبعد أسبوع ذهبت مع الأميرين المذكورين الى بيت الرئيس ، وسألناه عما تم فى أمر عريضتنا • فأجابنا بقوله :

« ان أمر هذه العريضة مهلك • وهى أشد خطرا من عريضة أحمد فنى الذى أرسل الى السودان (وأحمد فنى هذا كان كاتبا بديوان المالية طلب المساواة مع غيره من خدم الديوان المذكور ، فعوقب بارساله الى السودان حيث توفى) فأجبته : « بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس فى طلب الحق من خطر • وأنا لنعتبرك أبا للمصريين ، فما هذا التلويح والتخويف ؟ » فقال : « ليس فى البلاد من هو أهل لأن يكون عضوا فى مجلس النواب » • فقلت له : « أنك مصرى وباقى النظار مصريون والخديو أيضا مصرى • أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت ؟ كلا فان فيها العلماء والحكماء والنبهاء • وعلى فرض أن ليس فيها من يليق لأن يكون عضوا فى مجلس النواب أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد من معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية تخرج لنا بعد خمسة أعوام رجالا يخدمون الوطن بصائب فكرهم ، ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية ؟ » فدهش ، وكأنما كبر لديه ما سمعه منا • ثم قال : « سننظر بدقة فى طلباتكم هذه » فانصرفنا على ذلك ...

وقفى أنا وزملائى

وفى غرة ربيع أول سنة ١٢٩٨ هـ انعقد بعابدين مجلس تحت رئاسة الخديو حضره جميع الباشوات المستخدمون والمتقاعدون من الترك والجركس • وقرروا فيه ايقافنا نحن أمراء الآلايات الثلاثة الذين وقعوا على العريضة الآنفة الذكر • ومحاكمتنا أمام مجلس فوق العادة • فلاحظ رئيس النظار رياض باشا انه اذا صار ايقافنا وجب ايقاف ناظر الجهادية أيضا ، والا تفاقم الخطر وخيفت نتائج جرأتنا • فلم

يوافق الخديو على ذلك ، وقال : « ان ناظر الجهادية يضمن حفظ النظام » ، فأكد ناظر الجهادية استعداده لحفظ النظام والقبض علينا بسهولة • ثم دعى أحمد خيرى باشا رئيس الديوان الخديو وتلا بالمجلس أمرا عاليا مآله :

« ان الأمراء الثلاثة أحمد عرابى ، وعلى فهمى ، وعبد العال حلمى مفسدون • وانه لذلك يقتضى ايقافهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم ومجازاتهم بالعقاب الصارم فى مجلس عسكرى فوق العادة ، تحت رئاسة ناظر الجهادية • ويكون من أعضائه استون باشا رئيس أركان حرب (وهو أمريكانى) ولارمى باشا ناظر المدارس الحربية (وهو فرنساوى) وغيرهما من البشاوات الجركس » فوقع عليه الخديو وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان باشا رفقى ثم ارفض المجلس

وفى مساء ذلك اليوم أرسل ناظر الجهادية المذكور تذاكر يدعونا بها للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى صباح يوم ٢ ربيع أول سنة ١٢٩٨ هـ للاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الحضرة الخديوية • فأدركنا انه يريد أن يخدعنا ، ويبطش بنا كما فعل محمد على باشا بأمراء المماليك ، حينما دعاهم الى وليمة بالقلعة وبطش بهم كما هو واضح بالتاريخ • اذ لم يكن زمن الزفاف المحكى عنه قد حان بعد • فكانت تلك الحيلة سابقة لأوانها ، ولذلك أخذنا حذرنا وهيأنا ما يلزم لنجاتنا ، ثم ذهبنا فى الوقت المعين الى ديوان الجهادية بقصر النيل ووجدناه غاصا بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها الى رتبة الفريق • وكانت فى أيدى شبانهم الطبنجات وكلهم فى فرح ومرح

فانعقد المجلس المؤلف من البشاوات السابق ذكرهم • وتلى علينا الأمر الخديوى المؤذن بايقافنا ومحاكمتنا . ثم نزعت عنا سيوفنا وساقونا الى السجن فى قاعة بقصر

النيل .. وكان مرورنا بين صفين من الضـــباط الجركس المسلحين بالطبنجات

ومر خسرو باشا كبير الجراكسة بباب السجن وصار يهزأ بنا ويسخر منا بقوله (أيه زمبللى هرف لر) يعنى فلاحين شغالين بالمقاطف احتقارا للمصريين . ولما أقفـل علينا باب الغرفة تأوه رفيقى على بك فهمى وقال : « لانجاة لنا من الموت وأولادنا صغار » . ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمى بنفسه فى النيل من نافذة الغرفة ، فشجعته متمثـلا بقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخـرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فلا والله ما كانت الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاى الحرس الخديوى وأحدق رجالهما بديوان الجهـادية وأسرع بعض الضباط والعساكر فأخرجونا من السجن . ففر ناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين ، وقصدوا جميعا الى سراى عابدين

ولما أفرج الله عنا أسرعت الى العساكر فحذرتهم وتوسلت اليهم بأن لا يمدوا أيديهم بسوء الى أحد من الجراكسة ولا الى غيرهم من الضباط لأنهم اخواننا . ولئن آثروا أنفسهم علينا ، فاننا لا نريد الا النصفة والمساواة . ونظرت فاذا بجانبى اسماعيل باشا كامل فعانقته أمام العساكر . وقلت ان هذا الباشا جركسى ، ولكنه أخى حرام علينا دمه وماله وعرضه ، وكذلك غيره من الجراكسة . فانصرفوا على بركة الله تعالى الى مراكزهم ، فانصرفوا طائعين

كيف خرجنا من السجن

لما صار سجننا عين ناظر الجهـادية ثلاثة من أمـراء الآلايات بدلا منا وأرسل معهم ثلاثة من اللواءات (باشاوات)

لتسليمهم الآلايات التي كانت تحت امرتنا • فعين الاميرالاى محمود بك طاهر للآلاى الرابع بدلا منى ، وكان معه اللواء طه باشا لطفى لأجل تسـليمه الآلاى المذكور على مقتضى أحوال الجيش • وعين الأميرالاى خورشيد بك نعمان أميرا للآلاى السوداني بدلا من عبد العال بك حلمي ، وكان معه خورشيد باشا طاهر لتسليم الآلاى المذكور • وعين الفريق راشد باشا حسنى لتسليم آلاى الحرس الخديوى الى القائمقام خورشيد بك بدلا من على بك فهمى .

وعندما علم ضباط آلاى الحرس الخديوى بما لحقنا من الاهانة والسجن وتعيين غيرنا بدلا منا هاجوا وماجوا وثارت الحمية في رؤوسهم وفي الحال امر محمد أفندى عبيـد البكباشى بضرب نوبة طابور للعساكر • فاعترضه خورشيد بك بسمى القائمقام المعين حديثا وهدده بقطع رأسه وقال له أنا أمير الآلاى • فلم يلتفت اليه وأمر بعض العساكر بوضعه تحت الحفظ • وكانت الجنود قد اصـطفت تحت السلاح فأخذهم وقصد قصر النيل لانقاذنا من السجن • فاعترضه أيضا راشد باشا حسنى الفريق ولكن لم يجـد ذلك نفعا • وكان الخديو مشرفا على العسـاكر من شرفة (السلاملك) فأمر (بروجى قره قول السراى) بأن يضرب (نوبة) حضور الضباط عند الخديو • فلم يذهب اليه أحد ووقفت الأورطة الأولى حكمدارية البكباشى أحمد أفندى فرج في ساحة عابدين ومعها بيرق الآلاى • وكان وقوفها في هيئة طابور لاجل حفظ الخديو مما عسى أن يطـرأ من الامور • واستمرت الأورطتان الأخريان في سيرهما الى أن وصلتا الى قصر النيل • فأصدر البكباشى محمد عبيد أمره الى حكمدار الأورطة الثالثة على افندى عيسى البكباشى بأن يذهب بأورطته الى الجهة الخلفية من قصر النيل وذهب هو بأورطته الى الجهة الأمامية • ثم عين فرقة من العسـاكر

لاقتحام الديوان الذى أوصدت أبوابه ومنافذه للبحث عنا واخراجنا من السجن • فوقع الرعب فى قلوب أمراء الجهادية الموجودين بالديوان وأعضاء المجلس المعينين لمحاكمتنا من الاوربيين والجركس • وطلب كل منهم النجاة لنفسه ، وفى جملتهم عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية

وهكذا كان الشكر والفخر للبطل المقدام والشجاع الهمام محمد أفندى عبيد الذى كان انقاذنا من الهلاك على يديه • وللبطل المقدام على أفندى عيسى البكباشى • وللوطنى الغيور أحمد أفندى فرج البكباشى • ولجميع ضباط آلاى الحرس الخديوى وعساكره الذين يخلدوا لهم ذكرا جميلا

وكذلك الشـــهم الهمام والبطل المقدام البكباشى خضر أفندى خضر فانه ما كاد يعلم بأمر سجننا ، عند حضـــور خورشيد باشا طاهر والاميرالاى الجديد خورشيد بك نعمان وأحمد بك حمدى الياور الخديوى لاجـــل تسليم الآلاى السودانى الى خورشيد نعمان بدلا من عبد العال بك حلمى حتى انتظر جلوسهم فى المحـل المخصص لاقامة القائمقام فرج بك (الذكر) ثم قام من المجلس وأحضر بلـــوكا من العساكر وجعلهم خفراء على الامراء المذكورين • وأمر بأن لا يسمح لاحد منهم بالخروج من مكانه مطلقا • ثم أمر بعد ذلك بضرب نوبة طابور فخرج الآلاى الى الميدان • ولما تم انتظامه أخبر الضباط والصف ضباط والعساكر بما صار من سجننا واهانتنا • فأججت نيران الغيرة فى صدورهم وطلبوا أن يسرع بهم لانقاذنا من السجن قبل فوات الوقت وتفاقم الامر • فأسرع بهم وهو فى مقدمتهم من (طره) قاصدين ديوان قصر النيل

وأما البكباشى ألفى أفندى يوسف فانه نكث بعهده الذى عاهدنا عليه من أول يوم فلم يعد الى بيته الا بعد أن ذهب الى خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وأخبره بما تقـرر

بيننا فى اجتماعنا الأول • وكذلك أخبر على باشا مبارك بكل ما تم الاتفاق عليه بيننا

وعندما توجه طه باشا لطفى ومحمـــــود بك طاهر الى العباسية لاستلام الآلاى الرابع حكمداريتنا لم يقم الالفى يوسف هذا بما أقسم عليه بل نكص على عقبيه وحنث فى يمينه جبنا وخيانة وغدرا ونذالة ، كمـا غدر وحنث فى يمينه محمود بك طاهر المذكور حين عاهدنا عـــلى طلب الاصلاح قبل حادثة قصر النيل

بعد خروجنا من سجن قصر النيل

فر ناظر الجهادية عثمان رفقى وجميع أمراء الجراكســـة وأعضاء المجلس السابق ذكره الى سراى عابدين ليحتموا بالخديو بعد أن أحبطت وطنية الجند مكرهم • ولما استقر بهم المقام تشاوروا فى الأمر فقال استون باشا الأمريكى: « ان ما حصل من آلاى الحرس يعتبر تمردا عسكريا • ومن الواجب حصره بالطوبجية والبيادة • وأمر ضباطه بتسليم الأمراء الثلاثة • فان أبوا تطلق عليهم المدافع والبنادق حتى يضطروا الى التسليم » فاستحسن الجميـع ذلك الرأى الا اسماعيل باشا كامل الفريق فانه عارضـــه وقال : « انى أعتقد أن جميع الآلايات البيادة والطوبجية والسوارى على رأى واحد فلن يجدى هذا الكلام نفعا » • فقال الجنـــرال استون : « اذا كان الأمر كذلك فالآلاى السودانى يكفى لاكراه آلاى الحرس على التسليم » فعارضه اسماعيل باشا كامل ثانية بقوله : « ان آلاى السودان أشد تحمسا من باقى الآلايات » • فلما سمع الخديو معارضة الباشـــا المذكور غضب غضبا شديدا وأمر خورشـــيد باشا طاهر تلغرافيا باحضار الآلاى السودانى من (طره) بغاية السرعة وتكون معه الجبهخانه اللازمة • فجاءه الرد من ناظر محطة

طره بأن البكباشي خضر أفندى خضر ألقى فى السجن كلا من خورشيد باشا طاهر والأميرالاى خورشيد بك نعمان. وأحمد بك حمدى الياور الخديوى والقائمقام فرج الذكر . وصرف الجبخانة اللازمة للعساكر ، ثم قام بهم من مدة ساعة بخطوة سريعة بطريق البحر قاصدا قصر النيل لاخراج الأمراء الثلاثة المسجونين ...

وهنا تحقق الخديو من صدق اسماعيل باشا كامل ووجاهة اعتراضه وعمت الدهشة جميع الحاضرين . ثم أمر الخديو بارسال بعض الياوران لمقابلة البكباشي خضر أفندى خضر واخباره بأن الأمراء الثلاثة خرجوا من السجن . وابلاغه أمر الخديو القاضي برجوعه بالآلاى من حيث أتى ..وضرورة اخلاء سبيل الأمراء الذين سجنهم بطره . ولما قابله رسل الخديو قال لهم : «انى لا أعود الا بعد أن أراهم بعينى رأسى». فعرضوا عليه أن الخديو يكافئه بالمال والرتب العالية اذا هو سمع ورجع . وأنذروه بكل عقاب اذا هو أبى . فلم يصغ اليهم واستمر فى سيره حتى وصل الى ساحة عابدين . فاستقبله آلاى الحرس المذكور بالتعظيم العسكرى وهو حامل السلاح . وأما نحن فلما خرجنا من السجن تقدم الهمام يوسف أفندى فهمى الملازم وغيره وذهبوا مع عساكر آلاى الحرس الخديوى الى قشلاق عابدين . وتوجهت أنا العاجز الى مركز الآلاى المذكور . وجمعت الضباط والصف ضباط وألقيت عليهم كلمة أوصيتهم فيها بملازمة الهدوء والسكينة وقلت لهم : « اننا لا نطلب الا العدل والمساواة مع اخواننا الجراكسة والأتراك ، وأن لا يكون المصرى محتقرا فى نظر الأجناس الأخرى . ونريد كذلك مجلسا نيابيا لحفظ حقوق آبائنا واخواننا وأبنائنا من ظلم المستبدين الظالمين . وأن تنقح القوانين العسكرية حتى تكون كافلة للمساواة فى الترقيات والمكافآت ، وزيادة

المرتبات والماهيات التي مضى عليهـــا ثمانون عاما ومرتب النفر العسكري فيها لا يزيد على ٤/١ ١٩ قرش وفيهم من له زوجة وأولاد ووالدة يتضورون جوعا لسوء حظ عائلهم»

ثم كتبت الى وكيل دولة فرنسا السياسي البـــارون (دورنج) وكنت لا أعرف اسمه ولا اســـم غيره من وكلاء الدول الأوربية راجيا أن يخبر عني جميـــع وكلاء الدول المتحابة وخصوصا قنصل جنرال دولة انجلتـــرا بأنه قد حصل خلاف بيننا وبين حكومتنا، وأننا نؤمل منهم التوسط في اصلاح ذات البين

وأمضينا بعد ذلك ليلتنا في القشلاق على أتم ما نكون من التيقظ والاحتراس • وأما القناصل فقد ذهبـــوا الى عابدين وأشاروا على الخديو باجابة طلباتنا حسما للنـزاع ومنعا من الخطر • بناء على ان الحكومة عاجزة عن تنفيـــذ أغراضها فينا

وفي صباح ٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ • الموافق ٢ فبراير ١٨٨١ م • ذهب جميـــــع الباشوات الى الخديو وتشاوروا في أمر تلك الأزمة • فقال ناظر الأوقاف محمود باشا سامي المشهور (بالبارودي) : « اني أرى العساكر على الطاعة بدليل هتافهم باسم الخديو • وأن الموســـيقى تعزف بالسلام الخديو ، فلو أجيبت طلباتهم لانحســـمت المسألة بسلام »

وبناء على ذلك تقرر تعيين محمود سامي باشـــا وخيري باشا رئيس الديوان الخديوي لمفاوضـــتنا فيما يلزم من الاصلاح • فحضرا وسألانا عما نريده • فأجبناهما بأننـــا على الطاعة ولا نريد الا الاصلاح • فقـــال خيري باشا : « وما هو الاصلاح ؟ » فقلنا : « هو ما أوضحناه بعريضتنا. ورغبتنا هي أن يبدأ بعزل ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا ثم يشرع في تنفيذ باقي الطلبات »

فذهبا وأخبرا الخديو ثم عادا وأخبرانا بأن الخديو ، قبل طلباتكم وعزل ناظر الجهادية • فاختاروا ناظرا غيره • فقلنا « لا خيرة لنا • وانما نريد ناظرا وطنيا يعينه الخديو » • فقال خيرى باشا : « ان الخديو فوض اليكم اختياز الناظر حتى لا تشكوا فيما بعد »

فقلنا : « انا نرضى بتعيين محمود سامى باشا هذا ناظرا للجهادية » • فذهبا وبلغا الخديو ذلك • وبناء عليه صدرت الأوامر بتعيين محمود سامى باشا البارودى ناظرا للجهادية مع بقاء نظارة الأوقاف فى عهدته كما كانت ، واعادة كل منا الى آلايه ، للعمل على نبذ الفوارق العصبية والجنسية • والتمسك بعروة الاخاء والمساواة ، ثم أخذ بعد ذلك فى سن القوانين العسكرية وتعديلها وتنقيحها

دسائس الخديو ورجاله

حدثت عقيب حادثة قصر النيل فى أوائل فبراير سنة ١٨٨١ الى وقت سقوط وزارة رياض فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ عدة دسائس أوعز بها الخديو ورجاله أدت الى توتر الحالة واشتداد الأزمة بين الخديو وحكومته وزعماء الجيش • أذكر منها (١) :

الدسيسة الأولى :

أوعز يوسف باشا كمال وكيل الدائرة الخديوية ـ وهو رجل جركسى الأصل ـ الى باشجاويش جركسى أيضـــا متزوج من جارية من السراى وملتحق بالآلاى السودانى ، بأن يستميل أفراد الآلاى المذكور الى التمرد على ضباطهم • ثم يجيء اليه بمن يقبل الاشتراك فى ذلك التمـــرد من

(١) ـ اكتفينا هنا باربع دسائس من ثلاث عشرة دسيسة ذكرها أحمد عرابى فى هذه المذكرات كأمثلة لما كان يحاك لزعماء الجيش والوطن من دسائس فى ذلك العهد .

الصف ضباط والعساكر ليصرف له مبلغ ثمانية جنيهات ويزوجه من جارية من جوارى السراى • فقام الباشجاويش المذكور بما عهد اليه وتيسر له أن يستميل ثمانية أشخاص من السودانيين • وبينما هم ينشرون الفتنة بين جنــود الآلاى اذ اتصل خبرهم ببعض الضباط فتداركوا الأمـر بضبطهم • وقد اتضح من التحقيق أن الباشجاويش هو الذى أغرى الجنود السودانية • وانه ذهب بهم الى وكيـل الدائرة الخديوية الذى صرف لكل منهم ثمانية جنيهـات وشجعهم على القيام بتلك الدسيسة ، وبناء على ذلك حكم مجلس الآلاى بسجن الباشجاويش الجركسى مدة ستة أشهر مكبلا بالحديد وأعفى الصف ضباط السودانيين • فوافق عليه الأميرالاى عبد العال بك حلمى وأرسله الى الجهـادية حيث صادقت عليه أيضا

- الدسيسة الثانية :

أغرى أحد غلمان الخديو (جركسى) غلاما آخر (جركسيا) كان فى وصاية عبد العال بك حلمى (لأنه ابن زوج حرمه المتوفى) بقتله فدس له السم فى اللبـــن ، ولولا أن رأت خادمته (تشريف) ذلك العمل الجنائى الفظيع ، ونبهت اليه فى حينه ، لكانت النتيجة شرا ووبالا على الجميع • وقد عوقب المجرم بالسجن .

الدسيسة الثالثة :

لما رأى الخديوى أن محمود باشا سامى لا يوافق نظـار الحكومة على دس الدسائس والمكائد التى كانوا يحاربوننا بها أمر بعـــزله واســـتبدل به صهره داود باشا يكن • وكذلك أمر بعزل مأمور ضبطية المحروســـة أحمد باشا الدرمللى لموافقته على طلباتنا الوطنية • وتعيين عبد القادر باشا حلمى بدلا منه • ولما استقر داود باشا فى نظــارة الجهادية توجهنا اليه وهنأناه بما ناله من الالتفات الخديوى •

وطلبنا اليه أن يجعل فاتحة أعماله السعى فى تصديق الخديو على قوانين الاصلاحات العسكرية التى تمت بالقومسيون ، فوعدنا بذلك ولكن ما عتم أن نشر على جميع الآلايات منشورا أمر فيه ألا يجتمع الضباط مع بعضهم فى المنازل أو فى أحياء المدينة • وألا يتركوا مراكز الآلايات ليلا ولا نهارا ، وأنه اذا وجد اثنان منهم فأكثر مع بعضهم فى المدينة فسيجرى ضبطهم بمعرفة رجال الضبطية وسجنهم فيها • ثم أخذ يذهب بنفسه ليلا الى مراكز الآلايات ليرى هل تنفذ أوامره أم لا

ولما كانت تلك الأوامر مخالفة للقوانين العسكرية ومهينة للشرف العسكرى فقد ردت اليه تلك الأوامر من أمراء الآلايات

أما مأمور الضبطية عبد القادر باشا حلمى فانه أرخى عنان الجواسيس حول منازلنا وفى الطرقات ليفتكوا بنا غيلة وغدرا • ففكرنا فى وضع حد لتلك الدسائس الدنيئة التى اشتغل بها وزراء الحكومة ومأموروها • وذهبنا الى راغب باشا الذى عرف بحسن السياسة ، وكمال الاقتدار على تذليل المصاعب ، لنستنير برأيه وأوضحنا له الموقف بحذافيره • فسألنا عمن يمكن جمعه من العساكر وعن مقدار الاسلحة والذخائر الحربية الموجودة بالمخازن والآلايات • ثم أشار علينا بارسال بلوك من العساكر لقتل الخديو • وأظهر استعداده لأن يقودنا بعد ذلك بما أوتيه من الحكمة واصالة الرأى ! !

فعلمنا مبلغ حكمته واستعذنا بالله من شر رأيه ، لأننا لم نرد الا الاصلاح بالتى هى أحسن • ولأن ذلك العمل الفظيع كان ضد مبادئنا على خط مستقيم

الدسيسة الرابعة :

أمر كومحلى ابراهيم أغا توتنجى الخديو أحد الشوبكجية

المدعو محمد حسن الحبشي باخفاء تراكيب الشـــــوبكات المجوهرة التي كانت معدة للضيوف في التشريفات ليظهر لأوربا أن أمـــــوال الخديو في خطر الضـــــياع • وليلصق عار ذلك العبث بعســـــاكر الحرس • ولما بلغ الأميرالاي علي بك فهمي ذلك الأمر توجه بنفســـــه الى السراى ، وأخذ في التحقيق الى أن اعترف له محمد حسن المذكور بكل ما كان من أمر المكيدة • وأرشــده الى محل وجود تلك الشوبكات فاستخرجت من (مجرور المراحيض) ولما أردنا اجراء تحقيق رسمي لاظهار براءة رجال الحرس أسرع الخديو بارسال ابراهيم أغا الشوبكجي المذكور الى الآستانة خفية • كما أمر بارسال محمد حسن الىسواكن حيث لقى المسكين حتفه جزاء صدقه وأمانته

وكذلك نفيت الست عائشة (الكوديا) التي كانت تبخر الخديو وملابسه وتتلو عليه (العزائم والتمائم) الى جدة جزاء نصحها له بالكف عن الدسائس ، والتماسها موافقته ومساعدته في اجراء الاصلاحات الوطنية بصفاء نيةوخلوص طوية • ثم أمر برفت زوج ابنتها من خدمته،ولما طلقالرجل زوجه أعيد الى خدمته كما كان

ولما كثرت دسائس الخديو توفيق وبان ختله وعزمهعلى اغتيالنا أخذنا حذرنا منهوسهرنا على احباط تلكالدسائس المنكرة • وكان السير مالت (قنصل انجلترا بمصر) كثير التردد على الخديو ليلا ونهـــارا دون غيره من وكلاء الدول الأوربية • فأوجسنا من ذلك خيفة على مصـــــير بلادنا وخشينا من مطامع انجلترا التي كانت ترمي الى التهـــام وادى النيل أسوة بما فعلته فرنسا بتونس الخضراء حتى يتم التوازن الذى تدعيه أوربا ، فعرضنا تفاصيل مخاوفنا على جلالة أمير المؤمنين ليحيط علما بما كان جاريا فيمصر• ولكي لا يتورط في تصديق ما قد يصل اليه من دسائس

أعداء البلاد • وذيلنا العريضـــة المذكورة بامضــــائى وامضاءات اخوانى على بك فهمى وعبد العـــال بك حلمى وأحمد بك عبد الغفار بالنيابة عن الجيش • وأحمـــد بك أبو مصطفى وأحمد بك الصباحى وعثمــــان باشا فوزى وغيرهم من وجوه الأمة بالنيابة عن جميع المصريين

بعد حادث قصر النيل

وبعد حادثة قصر النيل طلبنا الخديو قبل ســـفره الى مصيفه بالاسكندرية وأمرنا بالمحافظة على الأمن العام فى البلاد • كما أمرنا بالذهاب الى جميع قناصــــل الدول لتأمينهم على رعاياهم واعطائهم كلمة الشرف بحفظ أرواحهم وأموالهم . فصدعنا بأمره وأبلغنا القناصل بأننا قد كفلنا استتباب الأمن والراحة فى البلاد • وطمأنا خواطرهم على رعاياهم • ثم بعثنا بناء على ذلك التعهد الرسمى الى جميع الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية وفروع الجهــادية والبحرية بأن يخلدوا الى الهدوء والسكينة

حادثة عابدين

مماطلة

لما رجع الخديو الى المحروسة من مصيفه صدر أمر من ناظر الجهادية الجديد داود باشا يكن الى الآلاى الثالث البيادة حكمدارية ابراهيم بك حيدر بالتوجه الى الاسكندرية • والى آلاى الاسكندرية حكمدارية حسين بك مظهر بالحضور الى المحروسة • فاضطرب ضباط الآلاى الثالث وذهبت بهم الظنون والشكوك كل المذاهب وقالوا ان الحكومة لم تقصد من ذلك الاجراء سوى الانتقام منهم • وكان قد تردد على الألسنة ان فى النية اغراقهم فى كوبرى كفر الزيات كما حصل للأمير حليم باشا والأمير أحمد باشا بن ابراهيم باشا فى عهد سعيد باشا • ولما جمع ابراهيم بك حيدر حكمدار الآلاى ضباطه وأخبرهم بأمر الجهادية رفضوا جميعا الاذعان له • فكتب الى الجهادية يحيطها علما بذلك

ولما رأينا كثرة الدسائس وشدة الضغط من الحكومة وعدم التصديق على القوانين العسكرية التى تم تنظيمها ، وعدم الشروع فى تأليف مجلس النواب الذى وعدنا الخديو بانشائه أيقنا ان الحكومة تماطلنا فى تنفيذ الطلبات الوطنية وصممنا على تجديدها فى صورة مظاهرة وطنية شاملة للعسكرية والأهالى الذين أنابونا عنهم فى المجادلة عن حقوقهم وتأمينهم على الأنفس والأموال والاعراض • وعند ذلك قمت بمخاطبة جميع الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية الموجودة فى القاهرة بواسطة فن الاشارة العسكرية للاستعداد للحضور الى ميدان عابدين فى الساعة

العاشرة عربى من يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لعرض طلباتنا العادلة على الحضرة الخديوية

وكتبت الى ناظر الجهادية ليخبر الخديو بأن جميع الآلايات ستحضر الى ساحة عابدين فى الساعة المذكورة لعرض طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وضمان مستقبلها. ثم كتبت الى قناصل الدول مؤكدا لهم ان لا خوف البتة من تلك المظاهرة على رعاياهم لانها متصلة الغاية بأحوال البلاد الداخلية .

ولما وصل كتابى الى ناظر الجهادية أسرع بعرضه على الخديو الذى استدعى رياض باشا رئيس النظار فى الحال وفاوضه فى الأمر . ثم بعث الينا بطه باشا لطفى لنعدل عن القيام بالمظاهرة . وذهب الخديو بعد ذلك ومعه رياض باشا وخيرى باشا رئيس ديوانه الى مركز آلاى الحرس بقشلاق عابدين وجمع الضباط والعساكر وأخذ ينصح لهم بقوله: « أنتم أولادى وحرسى الخصوصى فلا تتبعوا التعصب الذميم ولا تقتدوا بأعمال الآلايات الأخرى » فأجابوه بالسمع والطاعة . ثم أمر على بك فهمى حكمدار آلاى الحرس بأن يوزع عساكره على نوافذ السراى وأبوابها من الداخل ليتخذوها متاريس لهم عند الاقتضاء ، ففعل . أما طه باشا فانه قابلنا وسألنا عن قصدنا فأخبرناه بما عزمنا عليه من عرض طلبات عادلة لا بد منها لضمان حرية الأمة وسعادتها. فرجع ليخبر مولاه بما رأى وسمع . وبعد توزيع عساكر آلاى الحرس على السراى كما أسلفنا توجه الخديو الى القلعة وبمعيته رياض باشا وخيرى باشا ليحاول منع الآلاى الثالث من الذهاب الى ساحة عابدين . وعند وصوله وجد الآلاى المذكور واقفا تحت السلاح ينتظر الأمر بالسير . فطلب الضباط ووبخهم . ثم أمسك بتلابيب البكباشى فوده أفندى حسن وقال له : « أمثلك يعارض أوامر الحكومة

ويسعى فى وقف اجراءاتها ؟ » وهنا هاج العساكر وماجوا وأمر اليوزباشى محمد أفندى السيد البروجية بضرب نوبة « سونكى ديك » فأسرع العساكر الى تركيب السونك فى رؤوس البنادق وأحاطوا بالخديو ومن معه صارخين بقولهم (أترك البكباشى) • فتركه وقال : « مر العساكر بأن ينفرجوا عنا يا بكباشى » فأمرهم بالرجوع الى حالتهم الأولى • ثم تركهم الخديو وسار بمن معه من طريق الجبل قاصدا العباسية ليمنعنى من القيام بما عزمت عليه • فلما وصل الى مركز الآلاى طلبنى فلم يجدنى • وأخبره اليوزباشى حكمدار الخفر بأنى توجهت بالآلاى حكمداريتى وآلاى الطوبجية حكمدارية اسماعيل بك صبرى بمدافعه وجباخانته الى عابدين منذ ساعة • فقفل راجعا الى السراى

وكان عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى قد قام مع آلايه • ولما وصل الى ساحة المنشية أمر العساكر بالاستراحة وتنظيف ملابسهم من الأتربة • وهناك بلغه خبر ذهاب الخديو الى القلعة فأخذ بلوكين من العساكر وصعد الى القلعة ليستكشف الأمر الذى أوجب الخديو أن يترك مركزه فى الوقت المعين لاستعراض الآلايات عليه والمطالبة بالاصلاحات اللازمة للجهادية وللأمة جميعا

فلما وصل الى مركز الآلاى الثالث واستعلم عن سبب مجىء الخديو أحيط علما بما حصل • وكان الوقت قد حان فنزل من القلعة وخلفه الآلاى الثالث يقوده البكباشى فوده حسن لأن الأميرالاى ابراهيم بك حيدر قد ترك الآلاى وذهب الى بيته حتى لا يشترك فى تلك المظاهرة هلعا وجبنا ونذالة

الجيش فى ساحة عابدين

كان أول من حضر الى ميدان عابدين الآلاى السوارى بقيادة أحمد بك عبد الغفار • ثم حضرت بآلاى العباسية

ومعي آلاى الطوبجية يقوده اسماعيل بك صبرى • وكانت بطاريات المدافع تتخلل أورطة البيادة أثناء المسير • وكان ذلك في يوم الجمعة الواقع فى ١٥ شوال سنة ١٢٩٨ هـ و ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م • وهناك أخبرني بعض الضباط ان آلاى الحرس الخديوى (حكمدارية على بك فهمى) وزع داخل السراى وهو على استعداد للدفاع عنها اذا مست الحاجة ومعه كمية وافرة من الجباخانة • فبعثت بالملازم محمد أفندى على الى الحكمدار المذكور ليستدعيه الى • فلما حضر سألته عن سبب وضع العساكر في أبواب السراى ومنافذها من الداخل وما هو القصد من ذلك ؟ فقال : « ان السياسة خداع » فطلبت منه أن يجمع آلايه ويأخذ محله في الميدان • فأمر بخروج الآلاى جميعه وأخذ المحل المعين له في الدائرة • ثم صار ترتيب آلاى الطوبجية والسوارى والبيادة على شكل مربع • وحضر بعد ذلك الآلاى الثاني من قصر النيل يقوده أحمد أفندى صادق اليوزباشي ومعه أحمد أفندى عبد السلام ورسول أفندي اليوزباشى لامتناع الأميرالاى محمد بك شوقي والبكباشية عن مرافقتهم • ثم جاء الآلاى الثالث من القلعة بقيادة فوده أفندى حسن والآلاى السوداني بقيادة عبد العال بك حلمى • وأورطة المستحفظين يقودها القائمقام ابراهيم بك فوزى

حديثي مع الخديو

فلما كمل اجتماع الجيش فى عابدين كان الميدان غاصا بجماهير المتفرجين من الوطنيين والأجانب ونوافذ البيوت المجاورة للسراى وأسطحتها ملأى بالمتفرجين والمتفرجات

وأما الخديو فانه لما عاد من العباسية دخل السراى من الباب الشرقى المسمى (بباب باريز) وصعد الى الايوان ثم نزل منه ومشى فى الميدان وحواليه المستر كوكسن

(قنصل انجلترا في الاسكندرية) والجنرال جولد سميث (مراقب الدائرة السـنية) ونفر من جاوشية المزاملة الخديوية • حتى اذا ما توسط الساحة طلبني فتوجهت اليه لأعرض مطالب الأمة وكنت راكبا جوادي وسيفي في يدي ومن خلفي نحو ثلاثين ضابطا • فلما دنوت منه صاح بي أن ترجل وأغمد سيفك • ففعلت • ثم أقبلت عليه وفي تلك اللحظة أشار عليه المستر كوكسن بأن يطلق غدارته علي فالتفت اليه، وقال : « أفلا تنظر الى من حولنا من العساكر» ثم صاح بمن خلفي من الضباط أن اغمدوا سيوفكم وعودوا الى بلكاتكم • فلم يفعلوا وظلوا وقوفا خلفي ودم الوطنية يغلي في مراجل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم • ولما وقفت بين يديه مشيرا بالسلام خاطبني بقوله : « ما هي أسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟ » فأجبته بقولي : « جئنا يا مولاي لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة ، وكلها طلبات عادلة» فقال : « وما هي هذه الطلبات ؟ » فقلت : « هي اسقاط الوزارة المستبدة ، وتأليف مجلس نواب على النسـق الأوربي ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين في الفـرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التي أمرتم بوضعها » • فقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا » • فقلت : « لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذي لا اله الا هو اننا سـوف لا نورث ، ولا نستعبد بعد اليوم ! »

وكنت أرى الجنرال جولد سميث كلما سمع جملة من كلامي رجع القهقرى خطوات ، ثم يعود الى محله في الدائرة المحاطة بالضباط والجاويشية • فأشار المستر كوكسن على الخديو بالرجوع الى السراي زاعما أنه يخشى عليه سوء اذا زادت المخاطبة عن ذلك الحد

كدنا نعزل الخديو

وبعد رجوع الخديو الى داخل السراى عاد المستركوكسن ومعه المستر كلفن المراقب المالى الانجليـــزى ، وخاطبنى بالنيابة عن الخديو كرسول من طرفه . قال :

« ان طلب اسقاط الوزارة وطلب تأليف مجلس النواب من حقوق الأمة لا من حقوق الجيش ، ولا لزوم لطلب زيادة الجيش لأن المالية لا تساعد على ذلك »

فقلت :

« اعلم ياحضرة القنصل ان طلباتى المتعلقة بالأهالى لم أعمد اليها الا لأنهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بوساطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم وأولادهم . فهم القـوة التى ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة . وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر فهـم الأهالى الذين أنابونا عنهم فى طلب حقوقهم . واعلم علم اليقين اننـا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ »

فقال القنصل : « علمت من كلامك انك ترغب فى تنفيذ اقتراحاتك بالقوة وهذا أمر ينشأ عنه ضـــياع بلادكم وتلاشيها »

فقلت :

« كيف يكون ذلك ومن ذا الذى يعارضنا فى أحـوال داخليتنا . فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا »

فقال القنصل : « وأين هى قوتكم التى ستدافع بها ؟ »

فقلت : « عند الاقتضاء يمكن أن يحشد مليـــون من العساكر يدافعون عن بلادهم يسمعون قولى ويلبون اشارتى »

فقال القنصل :

« وماذا تفعل اذا لم تجب الى ما تطلب ؟ »

فقلت : « أقول كلمة أخرى »

فقال : « وما هى ؟ »

فقلت : « لا أقولها الا عند اليأس والقنوط » ..!

اجابة مطالبنا

ثم انقطعت المخابرات ساعة تقرر فى غضـــونها اجابة مطالبنا وتنفيذها بالتدريج . ثم اسقطت الوزارة وطلب الى الخديو قبول تعيين حيدر يكن رئيسا للوزارة الجديدة . فلم أوافق على ذلك لانه من أقربائه وعرضت تعيين محمدشريف باشا . وبناء على ذلك استدعى شريف باشا من الاسكندرية بالتلغراف

وبعد صدور أمر الخديو باجابة مطالبنا توجهت اليـــه وشكرت له ارضاءه ضمير الأمة ، فاقسم بأنه مرتاح لما فعل ، وانه وافق على تلك الطلبات بنية صافية . فكررت له الشـــكر والدعاء . ثم أمرت فانصرفت الآلايات الى مراكزها ما عدا آلاى السودان فانه قضى ليلته فى ضيافة آلاى الحرس بقشلاق عابدين

وفى يوم ١٠ سبتمبر ســـنة ١٨٨١ توجهت الى سراى شريف باشا وهنأته برياسة الوزارة الجديدة ، وطلبت منه أن يعنى بانتخاب من يؤازرونه فى سرعة تاليـف مجلس النواب . ونشر الحرية فى البلاد . ورغبت اليه فى تعيين محمود سامى باشا ناظرا للجهادية . ومصطفى فهمى باشا ناظرا للخارجية لما أعلمه من ميلهما الى العدل والحرية . فأبى وقال : « انى لا أقبل أن يكون فى وزارتى محمـود سامى ولا مصطفى فهمى لانهما لم يوفيا بالعهـــد الذى تعاهدنا عليه من قبل . فقد اتفقنا على انه اذا رفض الخديو الموافقة على تاليف مجلس نواب استقالت وزارتنـــا ولا يشترك أحد منا بعد ذلك فى الوزارة الجديدة ولكنهمـــا

نكثنا بالعهد وقبلا الدخول فى وزارة رياض باشا التىقامت بعد وزارتنا والتى سقطت بالأمس • لذلك لا أستطيع أن أشتغل معهما » • فقلت له : « ان لكل وقت حكما وانى أثق بحبهما للحرية والعدل والمساواة • وفضلا عن ذلك فان الجيش لا يطمئن لغير محمود سامي باشا » • فقال : « أفلا ترضون أن أكون ناظرا للجهادية ، فانى قد تربيت معكم فى العسكرية » • فقلت : « لقد اخترناك رئيسا للوزارة ولا بد من مراعاة ميول رجال الجيش » فلما أصر على عدم قبولهما فى وزارته تركته ، ورجعت الى أشغالى من غير أن يتم شيء فى أمر الوزارة

وزارة شريف باشا

وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى ، وقلت أنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض• فقلت له : « ان لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك • ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك • ففيها بحمد الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير » فاغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جوابا • ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدراوى عاشور (وكيل زراعته الذى نال رتبة باشا فى زمن الاحتلال حين كان شريف باشا رئيسا للنظار أيضا) وقال ان الباشا قبل ما عرضته عليه وأنه يريد مقابلتى • فذهبت اليه مع محمود سامي باشا حيث أعلن لنا تأليف الوزارة على الوجه الآتى :

شريف باشا : رئيسا للنظار وناظرا للداخلية ــ محمود سامي باشا : ناظرا للجهادية والبحرية ــ حيدر باشا : ناظرا للمالية ــ اسماعيل أيوب باشا : ناظرا للاشغال ــ مصطفى فهمى باشا : للخارجية ــ زكى باشا : ناظرا

للاوقاف والمعارف ـ قدري باشا : ناظرا للحقانية

ثم رفع الى الخديو تقريرا ضمنه الكلام على السياسة التي ستجرى عليها وزارته والاعمال التى ستباشرها ٠ فأجاب عليه الخديو بالموافقة

□

وفى يوم الأحد الواقع فى ١٤ شوال سنة ١٢٩٨ وفد على شريف باشا كثير من وجوه البلاد وأعيانها نذكر منهم سليمان باشا أباظه وشريعي باشا وسلطان باشا وأمين بك الشمسي ومنشاوى بك والشيخ على الليثى وعبد السلام بك المويلحى والشيخ أحمد محمد والشيخ الصباحى وابراهيم أفندي الوكيل وقدموا لدولته تقريرين أولهما كضمانة وكفالة لتعهداتنا ودليل على اشتراكهم معنا فى الطلبات الوطنية التى نحن متضامنون عليها وهذه صورته:

« نحن الواضعون أسماءنا أدناه علماء ومشايخ وأعيان وعمد مصر واسكندرية والثغور والوجهين البحرى والقبلى لاعتقادنا التام بحسن صفات وغيرة أعضاء مجلس النظار الذين صار انتخابهم بمعرفة دولتكم بالحكومة المصرية ٠ واظهارا لصداقتنا التامة ولخلوص نية الجيش نحن ضامنون ومتكفلون بصدق وصحة التعهدات التى من مقتضاها تمام الانقياد لأوامر دولتلو شريف باشا » اه

أما الثاني وعليه ١٦٠٠ توقيع فهو يتضمن طلب تأليف المجلس النيابى وفقا للارادة الخديوية وهذه صورته :

« لما كان لا ينتظم نظام العالم ولا يقوم قوام الهيئة الاجتماعية الا بالعدل والحرية حتى يكون كل انسان آمنا على نفسه وماله حرا فى أفكاره وأعماله مما فيه سعادته وحسن حاله ٠ وهذا لا يتأتى الا بايجاد حكومة شورية

عادلة لا تشوبها شوائب الاستبداد ولا تتطرق اليها طوارق الفساد • اتخذت الممالك المتمدنة العادلة مجالس ملية من نبهاء أممها ينوبون عنها فى حفظ حقوقها تجاه هيئـــة حكوماتها ويكون الواسطة الحقيقية فى تنفيـــذ ما تصدره الحكومات من الأحكام العادلة • وعلى هذه القواعد ولأجل هذه المقاصد كان قد اتخذ لحكومتنا مجلس نواب فى العهد السابق • وبما أن مقاصد خديوينا المعظم جميعهـــا خيرية ونياته سليمة فطلبا لحفظ بلادنا من بوائق الدهر تجاسرنا بعرض هذا راجين من المراحم الداورية صدور الأمرالكريم بتشكيل مجلس نواب لأمتنا المصرية يكون له ما لمجالس الأمم الأوربية المتمدنة من الحقوق الشرعية ازاء هيئـــة الحكومة • وبذلك تكون الحضرة الفخيمة الخديوية قد خولتنا نعمة لا تعادلها نعم وتصير حكومتها العادلة أنموذجا شريفا يبرهن على حسن نتائج العدل والحرية أمام العالم • واننا على يقين من قبول التماسنا هذا وفقا لارادة ولى النعم أدام الله اجلاله »

الجيش هو القوة المنفذة

وفى يوم الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٢٩٨ توجهت مع بعض الضباط لمقابلة شريف باشا وتهنئته بریاســـة الوزراء بالنيابة عن الجيش فقلت له : « أعرض لدولتكم اننا جميعا واثقون بصداقتكم وخلوص طويتكم لمحبـــة الوطن وأهله وجازمون بأن الصفات التى تحليتم بها ستكون سببا فى وقاية بلادنا واستتباب الراحة العمومية فيها • واننا لنعلم واجباتنا والفروض التى توجبها علينا وظائفنا العسكرية وأعظمها حفظ البلاد ومن فيها • ولذلك فاننا نعترف بأننا القوة المنفذة لما يصدر من الأوامر التى تكون ان شاء الله فى خير البلاد وصلاح العباد • الا أن لنا حقـــوقا معلومة يمنحها لنا القانون فنرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحسن

الينا بنوالها بمساعدتكم • ونسأله سبحانه أن يوافقنا جميعاً لما فيه الخير والصلاح آمين » ثم أمن الحاضرون فرد علينا بقوله :

« في علمكم ما قال الأقدمون : آفة الرياسة ضعف السياسة • ولا حكومة الا بقوة ولا قوة الا بانقياد الجنود انقيادا تاما وامتثالهم امتثالا مطلقا

« كل حكومة عليها فرائض وواجبات من أهمها صيانة الوطن وحفظ الأمن العمومي فيه وهذا وذاك لا يتأتيان الا بطاعة رجال الجيش•فترددى أولا فى قبول الرياسة ما كان الا تجافيا عن تأسيس حكومة غير قوية تخيب بها الآمال ويزيد معها الاشكال فأكون عرضة للملامة بين اخوانى في الوطن وبين الأجانب • وحيث أغاثتنا الالطاف الالهية وحصل عندى اليقين بانقيادكم ، فقد زال الاضطراب من القلوب ورتبت الهيئةالجديدة من رجال ذوى عفةواستقامة• فأوصيكم بملاحظة الدقة في الضبط والربط لأنهما من أخص شؤون العسكرية وأساس قواها • واعرفوا انكم مقلدون أشرف وظيفة وطنية فقوموا بأداء واجباتها الشريفة وعلى القيام بأداء كل ما يزيدكم فخرا وسؤددا وفقنا الله واياكم »

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ قدم شريف باشا الى الخديو تقريرا بقوانين الاصلاحات العسكرية التى كانت من ضمن طلباتنا فى يوم حادثة عابدين المشهورة

الوفد العثمانى

في ٣ اكتوبر سنة ١٨٨١ ورد تلغراف من الآستانة ينبىء بأن جلالة السلطان عقد عزمه على ارسال وفد الى القطر المصرى من غير أن يشاور الوزراء في الأمر • وأنه

عين علي نظامي باشا رئيسا للوفد المذكور • وعلى فؤاد بك معتمدا ثانيا • وأحمد راتب باشا وصفر أفندى وهما من ياوران الحضرة السلطانية • وأنهم قد سافروا جميعا فى يوم ٢ اكتوبر قاصـــدين الإسكندرية • فوقع ذلك النبأ موقع الدهشة والاستغراب لدى جميع الدول الأوربية • لأنه لم تسبقه مقدمات ولا مخابرات مع تلك الدول • وقد توجه كل من قنصل فرنسا الجنرال وقنصل انجلتـــــرا (السير مالت) الى الخديو وأخبراه بأنهما لا يعلمان شيئا عن أسباب قدوم الوفد العثماني • وأكدوا له بأن الوفد المذكور لا يمكنه أن يعبث بشيء من حقوقه

وفى يوم الخميس ١٣ ذى القعده سنة ١٢٩٨ وصـــل الوابور الهمايونى (طليعت) الى مينـــاء الاسكندرية فى منتصف الساعة السادسة مقلا حضرة صاحب الدولة عـلى نظامى باشا وحضرة صاحب العطوفة على فؤاد بك وقدرى بك وصفر أفندى وسيف الله أفنـــدى من ياوران الحضرة الشاهانية • فأطلقت مدافع السلام من وابور محمد عـلى وطابية رأس التين • كما أديت التحيـــة من بقية المراكب المصرية الراسية فى الميناء • وتوجه ذو الفقـــار باشا سر تشريفاتى خديوى ومعه المحافظ ومأمور الضـبطية وفريق آلايات الاسكندرية ووكيل البحرية الى الوابور (طليعت) وبلغوا حضرات القادمين سلام الخديو • ثم نزلوا الى البر وذهبوا الى سراى رأس التين للاستراحة من متاعب السفر

وبعد أن ارتاحوا ركبوا إلى محطة السكة الحديدية ، حيث شيعهم فيها حضرات الذين استقبلوهم من قبل • وكان فى انتظارهم قطار خاص أقلهم فى منتصف الســاعة الرابعة بعد الظهر الى القاهرة فوصلوها فى الساعة الثامنة مساء• وكان فى استقبالهم فى محطة مصر سعادة طلعت باشـا باشكاتب الديوان الخديوى وغيره من المأمورين • فبلغهـم

طلعت باشا سلام الخديو ثم ركبوا الى قصر النزهة بجهة شبرا وكان قد أعد لنزولهم فيه مدة اقامتهم فى مصر

وفى الساعة الرابعة العربية من صبيحة يوم الجمعة توجهوا الى سراى الاسماعيلية لزيارة الجناب الخديو ، فقوبلوا عند وصولهم بغاية التعظيم • وكان على سلم السلاملك سعادة طلعت باشا وسعادة خيرى باشا والتشريفاتية وياوران الحضرة الخديوية • فساروا بهم الى حيث الجناب العالى الذى حياهم وأكرم مثواهم

وفى منتصف الساعة العاشرة ركب الخديو عربته وتوجه الىقصر النزهة ليرد لهم الزيارة ثم عاد الى سراىالاسماعيلية

زيارة على نظامى باشا للآلاى الثانى بقصر النيل

توجه على نظامى باشا المندوب السلطانى لزيارة الآلاى الثانى بقصر النيل ، فلما وصل اليه استقبله حكمدار الآلاى طلبه عصمت بك بعساكره حاملى السلاح • وبعد آداء التعظيم اللازم دخل ديوان الجهادية مع ناظرها محمود باشا سامى والأميرالاى طلبه بك عصمت ثم خاطب طلبه بك بقوله : « أخبر حضرات الضباط الكرام-انى عسكرى دخلت العسكرية وتربيت فيها الى أن نلت الرتب البيبامية• فقد كنت قائد جيش عظيم ثم تفضل على مولانا وسيدنا السلطان الأعظم بترقيتى الى وظيفة سر ياورانه بمعنى انى نائب عن مقامه السامى فى تنفيذ أحكامه العالية • فانكم تعلمون أن الجندحامية الملك وعونالخليفة على تنفيذ أوامره• وقد قضيت فى العسكرية اثنين واربعين عاما وهذا هو الشرف الذى اعتز به فانه لا شرف للانسان الا خدمة الملة بنفسه وروحه • وبصفة كونى سر ياورا شاهانيا أخبر حضرتكم أن مصر قلب الدولة العلية وهى بين أعين مولانا وسلطاننا المعظم نخشى عليها ما نخشاه على أنفسنا وديارنا

فانها من الأراضى السلطانية ، والجناب الخديو العالى هو نائب السلطان فالناظر اليه ناظر للسلطان »

فأجابه طلبه بك عصمت بقوله :

« أقدم لدولة السر ياور الأعظم احتراما يليق بمقامه السامى وأعرض على مسامعه ان الجيش المصرى الشاهانى يعترف لمولانا وامامنا سلطان الملة الاسلامية بالسلطة والسيادة على مصر ، وانى بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن اخوانى الأمراء واخوتى العساكر المصرية أقدم لمولانا السلطان الأعظم خضوعنا واعترافنا بسيادة جلالته ، كما انى أعترف مع جميع اخوانى بحفظ ناموس مولانا الخديوى وامتيازاته السلطانية ونخضع له خضوع الأبناء لآبائهم ونقر بسيادته علينا ونيابته عن المقام الشاهانى ، وليس بيننا وبين مقامه السامى ما يوجب اضطرابا أو يحدث قلقا أو يحرك ذكرا فى السياسة وغيرها ، وانى أقدم لدولتكم العلية هذا الخطاب ، وأنا معتقد بأنى أخاطب وكيل الحضرة السلطانية ، وانا نشكر عنايتها وسعيها واجتهادها فى دفع أفكار السياسيين عنا بما ألفناه من رحمتها وحنوها ورأفتها بنا »

فرد عليه على نظامى باشا بقوله :

« كذا تكون أمراء الجيوش ، وانى قد سررت بما علمته من حسن نيتكم وطهارة بواطنكم وحبكم للجناب الخديو السامى ، وقد تأكد عندى أن تظاهركم العسكرى لم يكن لاضرار ولا افساد »

فقال طلبه بك :

« سيدى ‥ ان تظاهرنا كان لحفظ البلاد ووقاية شرف أميرنا ومولانا الخديو ، ومع النوازل التى رأيناها قد أحاطت بأوطاننا فاننا رأينا رئيس النظار السابق يبذل جهده فى تقليل الجند وتبديده ، فعلمنا أنه يريد بالبلاد شرا ، إذ

لا يخفى على فطنة دولتكم أن الملك لا يحفظ الا بحامية الجند والجند ان لم يكن كافيا لحفظ الحدود ورد العدو كان كعدمه. وبلادنا مع كثرة الأجانب فيها واحتياجهـــا لحفظ الأمن ومراقبة الأعداء لا يقوم بحفظها الا قوة عظيمة من الجند . وقد عارضنا فيتقليل القوة العسكرية فاستبد علينا رئيس النظار وأبى الا تنفيذ أغراضه ؛ فضلا عن أننا رأيناه يمشى في غير طريق الوطنية ولا يفعل الا ما يشاء . وهذا ما يضر بالوطن وصالح الدولة العلية ويمس شرف مولانا الخديو

« وقد كررنا طلب حقوقنا وحقوق الأمة ، فلم نجد غير أذن صماء وعين عمياء ، فاضطرنا الخوف على بلادنا وأميرنا للقيام بالجند ووقوفنا في ساحة عابدين . وقدمنا طلبنـــا للجناب الخديو بوساطة أخينا الأكبر ونائبنا جميعا (أحمد بك عرابى) . فتفضل علينـــا بالاجابة وسلم الرئاسة العظمى لصاحب الدولة والهمة العلية دولتلو محمد شريف باشا وهو خير كفؤ لذلك . ونحن الآن راضون عن الهيئة الحاضرة معترفون بسيادة مولانا السلطان الأعظم خاضعون لأميرنا الخديو . ولم يبق عندنا شيء سوى خدمة الوطن العزيز بحياتنا

« وكما أن الدولة العلية ترى مصر قلب الدولة فكذلك نحن نرى الدولة محل سطوتنا ومركز آمالنا ودار الخلافة الاسلامية . واننا نرجو أن تجتمع كلمة المسلمين فى سائر الأقطار وتتحد قلوب المؤمنين لتكون يدا واحدة فى وقاية دولتنا من جميع النوازل أعاذها الله منها . ولا نشك فى أن اخواننا المسلمين يجدون فى بث الاتحاد بينهم وجمـع الكلمة على تأييد ملكنا وسلطاننا المعظم خلد الله سلطانه »

ولما أتم كلامه وقف على نظامى باشا وصافح طلبه بك ومن معه من الضباط وأثنى عليهم ثناء جميلا . ثم جلس مع ناظر الجهادية محمود سامى باشا نحو نصـــف ساعة

وذهب بعد ذلك فزار شيخ الجامع الأزهر ونقيب الاشراف والشيخ عليش شيخ السادة المالكية • وكانوا يبـــاهون جميعا بما فعلته الجهادية وما وصلت اليه الحالة بفضـــــل رجالها

وقد مكث رجال الوفد فى مصر بضعة عشر يوما أقيمت لهم فى خلالها المآدب الفاخرة • أما الخديو فقد أكد لهم بأن الجيش على طاعته ، وان ليس فى مصر ما يوجب الاضطراب

وفى ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨١ سافر الوفد الشاهانى الى الاسكندرية مقتنعا بما رأى وسمع • وفى صباح اليـوم التالى أقلته البارجة (طليعت) الى الآستانة • وقد أطلقت المدافع ايذانا بسفرهم واجلالا

سفر الآلاى السودانى الى دمياط
وسفرى بالآلاى الرابع الى رأس الوادى

لما ورد من الآستانة تلغراف ٣ اكتوبر سنة ١٨٨١ المار ذكره علم الجميع أن مجيء الوفد الشـــاهانى هو لتحقيق التمردالعسكرى الذى أشاعته أوربا لتجعلهوسيلة لتتداخل فى افساد ما تم من الاصلاحات فى القطر المصرى • ولقد هاجت الأفكار واضطربت خواطر رجال الاستبداد وأوجس الخديو من جراء ذلك شرا • فاتفق مع الوزارة الجديدة على أن لا يسمح لرجال الوفد المذكور بمقابلتنا ، وأن يعترف الخديو بأن لا تمرد ولا عصيان فى الجيش ، وأن الجيش على طاعته ولا موجب للاضطراب • وانه يلزم ارسال الآلاى السودانى الى دمياط ، والآلاى الرابع حكمداريتى الى رأس الوادى

هذا ما تم الاتفاق عليـــه بين الخديو والوزارة • وقد أخبرنا ناظر الجهادية محمود سامى باشا بكل ذلك فوافقنا عليه مبدئيا تطمينا للنفوس وتسكينا للقلوب ، ولكن عـلى

شرط صدور أمر الخديو بانتخاب النواب قبل سفرنا .

ثم نبهنا على عبد العال بك بالتأهب للسفر الى دمياط وأن يأخذ معه موسيقى الآلاى الثاني البيادة

سفر الآلاى السوداني

سافر عبد العال بك حلمي بالآلاى السوداني الى محطة السكة الحديدية مارا وسط المدينة ، وكان قد سبقه اليها معظم ضباط الجيش وضباط البوليس للقيـــام بواجب التوديع . وكان عدد الحضور غير قابل للعد والاحصاء . ولما وصل الآلاى المذكور الى المحطة أخذ عنـــاني بك من أعيان القاهرة ينثر الورد والرياحين على رؤوس العساكر . وقد سقى الناس شرابا ســـكريا فى ذلك اليوم اكراما للجيش المنقذ للبلاد من هاوية الاستبداد ، وكنت حينئذ مع ناظر الجهادية محمود سامى باشا فى جملة المودعين .

وتلا كل من محررى جريدتى الطائف والمفيد (السيد عبد الله نديم والسيد حسن الشمسى) خطابا تضمن المدح والثناء علينا وعلى هيئة الجيش .

وهذا هو خطاب السيد عبد الله نديم :

« حماة البلاد وفرسانها

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم اليه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات . فقد ارتقيتم ذروة ما سبقكم اليها سابق ولا يلحقكم فى ادراكها لاحق الا من تولى حماية البلاد وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنهما . فلكم الذكر الجميل والمجد المخلد يباهى بكم الحاضر من أهلينا ويفاخر بما آثركم الآتى من أبنائنا . فقد حيى الوطن بحياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقى . فان الامة جسد والجند

روحه ولا حياة للجسم بلا روح : وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم ويقول :

اليكم يرد الأمر وهو عظيم ... فانى بكم طول الزمان رحيم
اذا لم تكونوا للخطوب وللردى ... فمن أين يأتى للديار نعيم
وان الفتى ان لم ينازل زمانه ... تأخر عنه صاحب وحميم
فردوا عنان الخيل نحو مخيم ... تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة ... فمشدود أطراف الجهات قويم
اذا لم تكن سيفا فكن أرض وطأة ... فليس لمغلول اليدين حريم
وان لم تكن للعائذين حماية ... فأنت ومخضوب البنان قسيم

« ولقد ذكرت باتحادكم وحسن تعاهدكم ما كان من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم عند تغيب سيدنا عثمان فى أهل مكة من مبايعة أهل الشجرة على حفظه وصيانته صلى الله عليه وسلم . فصاروا يعنونون بالعشرة المبشرين بالجنة . وأنتم قد تعاهدتم على حفظ الاوطان وبقاء سطوة مولانا الخديو وتأييد ملكه . وتبايعتم على الدفاع ووقاية أهليكم من كل ما يذهب بالثروة أو يضعف القوة أو يخدش الشرف فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم »

سفر الآلاى الرابع

وفى ٨ اكتوبر سنة ١٨٨١ تأهبت للسفر الى رأس الوادى . وكان قد صدر الأمر العالى بانتخاب النواب قبل ذلك بأربعة أيام . فمررت بالآلاى المذكور فى وسط مدينة القاهرة المحروسة من باب النصر والموسيقى العسكرية تعزف فى مقدمة الآلاى على حسب العادة الى أن بلغنا مسجد سيدنا وولى نعمتنا الامام الحسين . فوقف الآلاى مقابلا للمسجد تعظيما واجلالا لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم دخلت الى المقام الحسينى مع بعض الضباط

وأمرنا ببرق الآلاى على الضريح الشريف • وسألنا الله جل شأنه أن يوفقنا لما فيه خير البلاد ونفع العباد • ثم خرجنا وسرنا بالآلاى على الهيئة السالف ذكرها وكانت الشوارع ممتلئة بالمودعين والمتفرجين الى أن بلغنا محطة السكة الحديدية • وكان قد سبق اليها جميع ضباط الجيش المصرى ورؤسائه وكثير من الذوات والتجار وعامة الناس وبالجملة فان هذا الاحتفال كان فى ذلك اليوم مما لم يسبق له مثيل في مصر ، فقمت فى الحاضرين خطيبا قبل سفرنا وقلت ما يأتى :

« سادتى واخوانى

« بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا غرس الاستبداد ولا ننثنى عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها • وما قصدنا بسعينا افسادا ولا تدميرا ، ولكن لما رأينا أننا بتنا فى اذلال واستعباد ولا يتمتع فى بلادنا الا الغرباء • حركتنا الغيرة والوطنية والحمية العربية الى حفظ البلاد وتحريرها ، والمطالبة بحقوق الأمة • وقد ساعدتنا العناية الالهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديو ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية • وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شئونها وتعرف حقوقها كباقى الأمم المتمدنة فى العالم • ومن قرأ التواريخ يعلم أن الدول الأوربية ما حصلت على الحرية الا بالتهور واراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ونحن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نخيف قلبا أو نضيع حقا أو نخدش شرفا ، وما أوصلنا الى هذه الدرجة القصوى الا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد • فالآن ننادى بصوت واحد « فليعش الخديو واهب الحرية • فليعش الجيش المصرى طالب الحرية • فلتعش الحرية فى مصر خالدة مؤبدة

« نحن الآن فى نعمة جليلة وعزة جميلة • وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من اخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة • ويجانب حدوث ما يكدر صفو الراحة • ولقد ألقينا مقاليـدنا الى وزرائنا الكرام ورئيسهم الشهم الهمام شريف النفس عظيم القدر وبين أيديهم عقبات ومصاعب فلا نزدهم ارتبـاكا بتخاذلنا • بل نلزم وحدة الإتحاد ونحافظ على البلادونسير معهم فى طريق الاصلاح أينما ساروا ؛ وانا قائمـون الى رأس الوادى إمتثالا لأمر رئيسنا الوطنى الحر القائم بخدمة الوطن وأهله سعادة محمود باشا سامى ناظر جهاديتنا • ليعلم الجميع ان قيامنا كان لطلب الحقوق لا للعقوق • وان الطمأنينة عادت كما كانت وعدنا الى ما نشأنا عليه من طاعة مولانا الخديو وخضوعنا له ولوزرائه الفخام • فلا تأخذكم الأراجيف واشاعات أعداء الوطن وثقوا بسعى أميرنا ورجاله

« وأخص اخوانى رجال الجيش بحفظ وحدة الاتحادوعدم الإصغاء الى الوشاة والحساد • فانكم تعلمون أننا جاهدنا فى هذا الأمر أعواما طوالا حتى ربطنا القلوب والفنـا النفوس • وبيننا من الأعداء من يسعى فى تفريق كلمتنا واضرام نار الفتنة بيننا • فاردعوهم بلسـان التقريع واحفظوا لنا ما عاهدناكم عليه • فالبلاد محتاجة الينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات والا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه .

« تعلمون أنكم كما قمتم وأنقذتم أمراءكم الثـلاثة بل اخوانكم من السجن ، بل من القتل • كذلك قمنا لكم وبكم فانقذنا الوطن من الاستبداد ورفعناه الى عرش الحرية

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

« ونحن نفتخر بالأبناء • فقد فتح لنا الآباء الفتوح ونحن حفظناها • فاجعلوا عروة الاتحاد بينكم وثيقة • وانى سائر

باخوانكم الى رأس الوادى فالمستودعكم الله جميعا وأقبل أخى على بك فهمي بالنيابة عن الجيش كله وأخى محمد أفندى عبيد بالنيابة عن جميع المودعين من أمتنا الشريفة المحبوبة»

فقام السيد عبد الله نديم . وكان قد عاد من دمياط فخطب الحاضرين بمعنى ما خطبت . وكان مصطفى بك عنانى وبعض الأهالى ينثرون الزهور والرياحين على رؤوس العساكر ويقدمون لهم الحلوى ويسقون الناس شرابا سكريا لذيذا

ولما قرب وقت مسير القطار صحت مودعا جميع المشيعين . ثم سار بنا القطار قاصدا مدينة الزقازيق يصحبنا السيد عبد الله نديم

وكنا فى أثناء المسير كلما وقفنا فى محطة يستقبلنا الأهالى بالفرح والسرور ومزيد الاحتفاء والاجلال ، فيخطب السيد عبد الله نديم فيهم بمثل ما سلف ذكره . واستمرت مظاهر الاحتفالات على هذا المنوال الى أن دخل القطار محطة الزقازيق (مركز مديرية الشرقية) فاستقبلنا فيها جمهور الأهالى والتجار يتقدمهم أمين بك الشمسى وهتفوا لنا وللجيش بالدعاء وعلى وجوههم علامة الفرح والسرور . ولما وقف القطار نثروا على العساكر الورد والأزهار العطرية وسقوهم الأشربة السكرية

ثم خرجت من القطار وسلمت على جموع المستقبلين وألقيت عليهم الخطاب الآتى :

« سادتى واخوانى

« أنا أخوكم في الوطنية واسمي أحمد عرابى ولدت فى بلدة (هرية رزنة) من بلاد الشرقية هذه . فمن عرفنى منكم فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فقد عرفته بنفسى . وها أنذا واقف بين أيدى الأهل والخلان . وقد بلغكم

ما تطلبناه من قطع عرق الاستبداد وتحرير البلاد وأهلها، وبعناية الله سبحانه منحنا مولانا الخديو هذه الأمنية فنحن لم نخرج من العاصمة عصيانا ولا تظاهرا بعدوان • وانما سرت بالجيش ووقفت بين يدى الخديو وقفة الطالب الراجي كرم مولاه • فلا تعولوا على الأراجيف واشاعات أهل الفساد • واعلموا أن البلاد محتاجة الى الخدمة بالقوة والفكر والعمل • أما القوة فنحن رجالها ولا ننثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس • وأما الفكر فهو منوط بأميرنا الأعظم ووزرائه الكرام وهم لا يهنأ لهم عيش الا اذا طاب لنا ولا يدركون الراحة الا بأمننا • فهم يسهرون الليل ويقضون النهار فى سلوك السبل المؤدية الى حفظ الأمة وسلامتها من العوارض • وأما العمل فهو منوط بكم فان القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة • وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها والحقوق محفوظة لذويها • وهذه نعمة كبرى نشكر الله عليها كما نشكره على نجاة الوطن وأهله من رق العبودية واستنشاق نسيم الحرية • ونحمده على سلامة باطن أميرنا المعظم وخديوينا الأفخم أيده الله »

ثم قام بنا القطار قاصدا رأس الوادى • وبعد استقرارنا فيه بيومين دعانا الفاضل أمين بك الشمسى رئيس تجار الزقازيق الى وليمة شائقة اكراما لنا واحتفالا بنا وبضباطنا ورجالنا • فالقيت على جماهير المودعين من أعيان المديرية المذكورة خطابا هذا نصه :

« سادتى واخوانى الأعزاء

« أحيى أسماعكم باسم مولانا وأميرنا الخديو الساعى فى عمران الوطن وقطع عروق الاستبداد منه • وأذكركم بمدة حجبت عنا فيها أنوار الحرية واستعبدتنا فيها الظلمة حتى صرنا نتألم ولا يرحمنا أحد • وأصبحت أموالنا وأرزاقنا

معرضة للنهب والسلب تتخطفها أيدي المستبدين الذين تمكنت القسوة من قلوبهم والفوا الظلم وكرهوا العدل والانصاف حتى كانت عاقبة أمرهم أن أصبح الناس في قيد الفقر وذل الفاقة • والقطر معرضا للاخطار مهيأ لامتداد أيدي الطامعين اليه• فعز ذلك على اخوانكم وأولادكم في الجهادية حماة البلاد • وتحركت فينا الحمية العربية والغيرة الوطنية فتعاهدنا على حفظ البلاد ووقاية أميرنا من كل سوء • وسرت بهذا الجيش ووقفت بساحة عابدين أمام مولانا الخديو حفظه الله • وقد اشتدت شوكة جيش البغى وقويت معارضته ، « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »

ثم قام صديقي الأعز الهمام صاحب الغيرة والعزم القوى السيد عبد الله نديم بين الصفوف ينادي :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما • فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله » ، فكان معى ثاني اثنين فى حفظ قلوب الرجال من الروع والارتجاف • واخذ الكل يردد هذه الآية الكريمة كأنهم لم يسمعوها الا من فمه فى تلك الساعة

ثم قام والقى خطبة غراء كثر فى أثنائها هتاف الاستحسان من الحاضرين • وفى اليوم الثانى دعيت لوضع أساس المدرسة الأميرية بالزقازيق، فتوجهت ووضعت حجر الزاوية فيها باسم الحضرة الخديوية • وتلوت على الحاضرين خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه • وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى • وحرضتهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم فى المستقبل

وفى ٢٠ اكتوبر أرسل الينا نوبار باشا مندوبا من طرفه يدعى أحمد قبودان البكرى من موظفى بوغاز الاسكندرية،

ليشكرنا على انقاذ الوطن من ظلم الظالمين وجور المستبدين، ويعرض علينا أنه مستعد لأن يقود حركتنا الوطنية بصائب رأيه اذا دعوناه الى رياسة الحكومة واعتمدنا عليه وسلمنا أمورنا اليه . فعجبنا لذلك وأجبناه بأن مبدأنا هو أن تكون « مصر للمصريين » . وللنزلاء عندنا حسن الضيافة ومزيد الاكرام . واننا لا نجهل الأدوار التى لعبها نوبار باشا فى مسألة تغيير قواعد فرمان الوراثة الخديوية . وفى مسألة تأليف المجالس المختلطة فى مصر ، تلك المجالس التى صرف عليها ١٢ مليونا من الجنيهات من أموال المصريين المساكين على يده وبسعيه ، وكان هو أكبر مساعد للمستبدين وله الحظ الأوفر من تلك الغنائم

عودتى الى القاهرة

بلغ الحكومة من جواسيسها أنى أتجول فى أنحاء مديرية الشرقية لبث مبادئى وأفكارى فى نفوس عمد البلاد ومشايخ العربان ، حاضا على وجوب مؤازرتى فى مشروعاتى الوطنية . وان كثيرا من المظلومين يأتون لى شاكين من ظلم الظالمين . فأوجست خيفة من ذلك وقررت طلبى الى العاصمة فأجبت طلبها . ثم عرضت على وظيفة وكيل نظارة الجهادية ورتبة اللواء (باشا) فقبلت وكالة الجهادية مع بقاء الآلاى فى عهدتى ورفضت رتبة الباشا حتى لا أدنس سمعتى ولكى لا يقال بأنى انما أشتغل لمصلحتى الخصوصية لا للمصلحة العمومية

ولما استلمت منصبى الجديد كثر وفود المتظلمين على من أرجاء البلاد وأكنافها حتى كانت ساحة منزلى لا تسع الزائرين والمتظلمين وكان كثير من الأوربيين ومكاتبى الجرائد الافرنكية والوطنية يحضرون الى منزلى لاستطلاع سياستى . والوقوف على مكنونات أفكارى بحيث كنت فى

تعب دائم ليلا ونهارا • وفى تلك المدة حضر الى منـــزلى الرجل الكريم المتفانى فى حب الحق والعدل والحرية ، محب الشرقيين عموما والمصريين خصوصا (المستر ولفرنسكاون بلانت) • وكان معه صاحبه العلامة القس لويس الصابونجى (صاحب جرنال النحلة) وعرض على قبول صداقتــه لى فقبلت منه ذلك • فمد يده الى ومددت يدى اليه • وتصافحنا وتعاقدنا على الصداقة والاخلاص وكنت أظن أننا بواسطته وبفخامة مركزه فى قومه وشدة غيرته على الحرية ، نتمكن من تذليل الصعوبات التى يلقيها قناصل الانجليز هنا فى طريق حريتنا ونجاح بلادنا ، بدعوى الانسانية والعـــدل والانصاف بين الأمم والشعوب وهذا ما يدعى الغربيــون زورا وتضليلا دائما وهى كلمات محبوبة يدسون بها السم فى الدسم ليتمكنوا بها من الاستيلاء على مشارق الأرض ومغاربها طمعا وجشعا

وكذلك حضر لزيارتنا كاتم أسرار ملكة الانجليز محب الحرية (السير وليم جريجورى) • الرجل الأرلندى الذى كان قد تولى حكومة جزيرة سيلان مرتين اجابة لرغبة أهل تلك البلاد • وسألنا عن مقاصدنا فأكدنا له أن لا خوف على رعايا الدول المتحابة ، فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم بضماننا وكفالتنا • وأنا لا نريد الا الحرية وقطع عروق الاستبداد • وقد تم لنا ذلك بتأليف مجلس نيابى، وبرضاء واستحسان الخديو • وقد التمست من الخديو فى تلك المدة بواسطة ومساعدة ناظر الجهادية ورئيس النظار الافراج عن المسجونين ظلما فى مدة الاستبداد فأجيب التماسى • وكان من ضمن أولئك المسجونين أحمد بك أبو ستيت من مديرية سوهاج • والسيد حسن موسى العقاد من أعيان العاصمة • وكانا منفيين الى السودان ظلما وعدوانا • ولما قدم السيد حسن موسى العقاد أقام الافراح وأولم ولائم كثيرة لضباط

الجيش وأعيان العاصمة تعد من ليالى مصر المشهورة

وفى تلك المدة أيضا أنشئت جرائد وطنية صادقة منها جريدة الحجاز ومحررها السيد ابراهيم سراج المدنى • وجريدة المفيد ومحررها السيد حسن الشمسى • ولسان الأمة ومحررها السيد عبد الله نديم • وكان موضوعها سياسيا تهذيبيا للذب عن حقوق الأمة

وفى أوائل شهر يناير سنة ١٨٨٢ خلوت بالمغفور له محمود باشا سامى ناظر الجهادية فأطنب فى الثناء على لقيامى بنشر راية الحرية فى مصر وملحقاتها من بعد مضى خمسة آلاف سنة على المصريين وهم يرسفون فى قيود الاستبداد • ثم أقسم أنه مستعد لأن يضحى حياته ويجود بآخر نقطة من دمه فى تنفيذ رغبتى • ويجرد حسامه وينادى باسمى خديويا لمصر اذا رغبت فى ذلك

فقلت له : « مه يا محمود باشا • فانى لا أريد الا تحرير بلادى ولا أرى سبيلا لنوالنا ذلك الا بالمحافظة على الخديو كما صرحت بذلك مرارا وتكرارا • وليس بى طمع أصلا فى الاستئثار بالمنافع الشخصية • ولا أريد انتقال الأريكة الخديوية الى عائلة أخرى لما فى ذلك من الضرر ، مع علمى بأنك تنتسب الى الملك الأشرف (سبرباى) • فقال : «وأنا لا أقول لك الا حقا ، وأنت أحق بهذا الأمر منى ومن غيرى» فشكرته على ثقته بى وتم الحديث

مجلس النواب

الأمر العالى بتأليف المجلس

رفع رئيس النظار شريف باشا فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ الموافق ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الى الجناب الخديوى تقريرا بشأن انشاء مجلس نواب وانتخاب أعضائه . وذلك بناء على الطلب المقدم منا والمذيل بامضاءات ألف وستمائة مصرى لتأليف مجلس نيابى ، فصدر الأمر العالى الآتية صورته:

« نحن خديو مصر

« بناء على التقرير المرفوع الينا من رئيس مجلس نظار حكومتنا بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ المرفوق صورته بأمرنا هذا . وبعد الاطلاع على لائحة مجلس شورى النواب الصادرة بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٨٣ وبناء على موافقة رأى مجلس نظارنا نأمر بما هو آت :

المادة الأولى : يصير انتخاب النواب بالصفة والشروط الموضحة بتلك اللائحة ، وافتتاح مجلس الشورى يكون فى ١٥ كيهك سنة ١٥٩٨ غرة صفر سنة ١٢٩٩ اتباعا للمادة ١٦ من اللائحة المذكورة

المادة الثانية : ناظر داخلية حكومتنا مكلف بتنفيذ أمرنا هذا

ـ صدر بسراى الجزيرة فى ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١

الامضاء : محمد توفيق

بأمر الحضرة الفخيمة الخديوية رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية .

الامضاء : محمد شريف

ولقد صادف المشروع بعد صدور التقرير والأمر العالى السابقين استحسانا يجل عن الحصر والوصف في البلاد • فلم يكن المرء يلقى الا وجوها طلقة وثغورا باسمة • وكان أهم ما استوجب الاستحسان قول رئيس الوزراء : « ان مشاورة أهل الرأى والسداد من وجوه البلاد فيما تحتاج اليه من الاصلاح هو الواسطة الوحيدة للحصول على الفائدة المقصودة • وان هذا المأخذ مطابق لرأى عمد الأهالى بالنيابة عن عمومهم » • وكان ذلك عند الأمة دليلا على قرب الصلة وارتفاع الحجاب بينها وبين الحكومة

أما اللائحة التي ورد عنها الكلام فى تقرير شريف باشا وجاء فى شأنها : أن مجلس النواب سيجتمع بمقتضاها ولكن هيئة النظار ستتحد معه فى البحث فيما يجب تعديله وتنقيحه منها مع مراعاة حقوق الحضرة الخديوية وحالة القطر ، فقد كان فى الكلام عنها فى ذلك التقرير موضعان للاستحسان • الأول : تعديل اللائحة بمعنى تقريبها من جانب الحرية بقدر تبعيدها من حد التقييد • والثانى : مراعاة الحقوق الخديوية وحالة القطر بمعنى احترام تلك الحقوق وحفظ المناسبة بين أحوال البلاد وأحكامها

ولما كان قد ورد فى التقرير المذكور أن الانتخاب الجديد سيكون بمقتضى اللائحة الاساسية الصادرة عام ١٢٨٣ هـ • وكان قد تقادم العهد على تلك اللائحة وعلى نظام مجلس النواب المسنون فى ذلك العام ، فقد تاق الناس أثر صدور الأمر الخديوى بتأليف المجلس النيابى الى الوقوف على ذلك النظام ليعلموا منه مجرى الانتخاب ، وماهية مجلس النواب

في دوره الأول . فنشرته جريدة المحروسة حينذاك . وكان في اليقين أن الحضرة الخديوية توافق عليه بعد أن يرفع اليها وتضعه موضع الاجزاء . على انه بالنظر لما ورد في تقرير الوزير بصراحة لا تحتمل التأويل ، أن المجلس الجديد وان جرى تأليفه بمقتضى اللائحة القديمة الا أنه سينظر في أحكام تلك اللائحة ليعدلها من طريق توسيع الحقوق ومنح الحرية لنواب الأمة ، كان المجلس الجديد بهذا الاعتبار مجلس تنظيم وتشريع يضع لنفسه قانونا جلى الأحكام

انتخاب النواب

وفى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ صدر منشور نظارة الداخلية الى جميع المديريات والمحافظات بانتخاب النواب وهذه صورته :

« انه اجابة لاستدعاء أهالى القطر وبناء على التماس مجلس النظار قد أصدرت الحضرة الخديوية أمرها السامى بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ بافتتاح مجلس شورى النواب فى ١٥ كيهك سنة ١٥٩٨ وبتكليف ناظر الداخلية باتخاذ كافة الوسائل اللازمة ليكون انتخاب حضرات النواب على حسب النصوص والشروط المدونة فى لائحة مجلس شورى النواب . فعملا بالأمر المشار اليه السابق نشره مع صورة التقرير المقدم منا للاعتاب السنية قد عينا يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ لاجتماع المنتخبين (بكسر الخاء) أى الذين ينتخبون النواب . واجتماعهم يكون بالمديريات والمحافظات

« وليكن معلوما لحضرتكم أن الواجب عليكم انما هو تسهيل انتخاب النواب المومأ اليهم . ومراعاة نصوص اللائحة بحيث يكون ذلك على حسب آراء أهالى القطر ورغبتهم . وبدون أن تتدخلوا فى الانتخاب لمساعدة أى

شخص كان . اذ أن المشايخ هم نائبو الأهالى ولهم دون غيرهم أن ينتخبوا من يعتمدون عليه ويثقون به ليكون نائبا عنهم بالمجلس المذكور . ا هـ

وبعد أن صدر هذا المنشور توجهت الأنظار الى ماسيكون من أمر الانتخاب لمجلس النواب . وأخذت النصائح تبذل لأرباب الانتخاب بأن ينتخبوا نوابا يكونون وكلاء عنهم فى كل ما يقولون وما يفعلون . وينتقوا حكاما مصلحين يضعون لبلادهم نظامات وقوانين تكون بعد التقرير مرعية الاجراء . ويختاروا من يضرب عليهم الضرائب ويعدل لهم الرسوم وينظر فى أمر الودائع . ويعينوا من أنفسهم جماعة تدل آثارهم على مكانتهم من المدنية ومقامهم فى الوجود السياسى . وأن ينظروا الى المنتخب من حيث ما يترتب على انتخابه من الأثر فى خير البلاد ، لا من حيث ما يرى منه أول النظر . وغير ذلك من النصائح والارشادات . ثم شرع عمد البلاد ومشايخها فى انتخاب النواب على مقتضى القانون وبذل الجهد فى انجاز الأعمال الانتخابية

ومرت أيام الانتخاب بما كانت فيه من الأعمال الانتخابية العظيمة، فكانت موضوعا للاهتمام والمذاكرة فى كل مجمع وطنى . ولقد أشرنا بتعيين محمد سلطان باشا رئيسا لمجلس النواب لما نعهده فيه من صحة الوطنية . وبتعيين عبد الله باشا فكرى رئيسا لمكتب المجلس مع بقائه وكيلا لنظارة المعارف . وبتعيين أديب أفندى اسحق (اللبناني) كاتبا ثانيا له مع بقائه ناظرا لقلم الانشاء والترجمة . وكان مكان انعقاد المجلس فى ديوان الاشغال

افتتاح مجلس النواب

لما تم انتخاب النواب فى الوجهين القبلى والبحرى عين يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٢٩٩ و ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١

لافتتاح هذا المجلس • ولم تطلع شمس ذلك اليوم حتى ازدحم مكان الاجتماع بكثير من الناس ووقفت أورطة من الآلاى الأول على جانبى الطريق من سلم القاعة الى الباب تحت حكمدارية البطل المغوار محمد أفندى عبيد • وعند حضور الجناب الخديوى صدحت الموسيقى بالسلام ونادى الجند (أفندى مزجوق يشا) وبعد أن تبوأ مقعده تمثل بين يديه محمد باشا سلطان رئيس المجلس وأبلغه استعداد النواب لسماع مقاله الافتتاحى فقام على قدميه وقال :

« أبدى لحضرات النواب مسروريتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع • وفى علم الجميع انى من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة • فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ، ومن تخفيف أحمال الاهالى على قدر الامكان فلم يبق مانع من المبادرة الى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم • وأنتم تحيطون علما ان جل مقاصدى ومساعى حكومتى هو راحة الأهالى ورفاهيتهم وانتظام أمورهم بتعميم العدالة بينهم وتأمين سكان القطر على اختلاف أجناسهم • وهذا منهجي واضحا مستقيما وعليه سيرى منذ توليت أمركم محبا للتربية ونشر العلوم والمعارف • فعلى المجلس أن يكون مساعدا للحكومة فى هذه الأمور كلها خالصا مخلصا فى خدمة الوطن منحصرة أفكاره ومذاكراته فى المنافع العمومية مع مراعاة قرار لجنة التصفية وسائر تعهدات الحكومة مع الدول • سالكا المسلك المعتدل والمنهج القويم الذى هو أهم شىء فى هذا الوقت الذى هو عصر الترقى والتمدن • فالواجب علينا الاعتدال والتأنى وحسن التبصر •

وأن نكون يدا واحدة فى اتمام الأعمال النافعة متوسلين بعناية الله تعالى وامداد رسوله الكريم ومتمسكين بقوة ارتباطنا بالحضرة الشاهانية والدولة العلية أدامهما الله . ونسأل الله النجاح انه ولى التوفيق » ا هـ

شريف باشا فى المجلس

عكف مجلس الشورى بعد ذلك على الاهتمام بشؤونه الداخلية ورتب أقلامه وانتخب رؤساءها . ثم توجهت الأنظار الى اللائحة الأساسية الجديدة التى عزم مجلس النظار على ارسالها اليه ليضعها موضع النظر

وفى عصر يوم الاثنين الواقع فى ١١ صفر سنة ١٢٩٩ و ٢ يناير سنة ١٨٨٢ توجه محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار الى مجلس النواب لتقديم اللائحة الاساسية التى أعدها له مع سائر النظار ، فقدمها وخطب فى ذلك خطابا أثر فى أذهان النواب . وقد جاءت هذه اللائحة مشتملة على أحكام حرة وحدود مطلقة يكون بمقتضاها للنواب حق النظر فى القوانين والمصروفات العمومية . وأن لا ينفذ قانون ولا يعتبر نظام ما لم يقرر فى مجلسهم مع تخويلهم الحرية التامة فى ابداء آرائهم وقراراتهم . وقد تألفت لجنة من أعضاء المجلس للنظر فى اللائحة وانصرفت آمال الناس الى أن هذه اللجنة تسارع الى النظر فيها ليتم للمجلس فى وقت قصير تقريرها . ويؤخذ بعد ذلك فى الاهتمام بالمصالح العمومية والمنافع الوطنية

وها نحن ننشر فقرات من الخطاب التاريخى الذى ألقاه شريف باشا فى مجلس النواب :

« أيها السادة النواب

« انى لا أقدر أن أعبر لحضراتكم عن سرورى بالحضور

بينكم في هذا اليوم الذي أعده مبدأ لعصر جديد ان شاء الله يعود على القطر بالتقدم والنجاح

« حضراتكم تعلمون انه منذ ثلاث سنوات تراءى لي ان الطريقة الوحيدة لخلاص البـــلاد من الورطات التي كانت محيطة بها هي توسيع نطاق الشورى واشتراك رأي نواب الأهالي مع الحكومة في نظر كل أمر مهم تعود منه المنفعـة وكنت قدمت مشروعا لمجلس النواب الذي كان موجـــودا وقتئذ ، وهو أجرى فيه تغييرات لم يتيسر للحكومة النظر فيها ، ثم طرأت حوادث سياسية ومالية ليست خافية عليكم ترتب عليها تعويق اتمام المشروع والحمد لله قد زالت العوائق واني لأعد نفسي سعيدا حيث ان أفكاري في هذا الخصوص ما كانت الا نتيجة مقاصد الحضرة الخديوية ، وهذه الأفكار قد طابق عليها عموم الأهالي ولهذا حصل انتخاب حضراتكم واجتمعتم فلنهنيء القطر على ذلك ونهنيء أنفســنا وندع للذات الشاهانية وللحضرة الخديوية ببقائهما مصدرا لكل خير

« ولما كانت لائحة النواب التي اجتمعتـم على مقتضاها لا تلائم أفكارنا جميعا كما أوضــــحت ذلك من منذ ثلاث سنوات وكررته بالمعروض الذي رفعته أخيرا للســـدة الخديوية عن طلب اجتماع مجلسكم هذا فقد اشتغلت مع رفقائي بتحضير لائحة موافقة لمقاصد العمـوم ، وقد تمت وها أنا الآن أقدمها لحضراتكم للنظر فيها

« ومع كون هذه أول مرة اجتمع فيها مجلس نواب حر كان يلزم ان السلطة التي تعطى له لا تكون مطلقة بالكلية حتى يحكم المستقبل باطلاقها بالتدريج شيئا فشيئا لكن حيث ان مقصدنا جميعا واحد وهو خير البـــلاد والحكومة معتقدة بكفاءة النواب وعلمهم بحقوقهم وواجباتهم ومحبتهم

للوطن فقد أعطت لكم الحرية التامة في ابداء آرائكم وحق المراقبة على أفعال ماموري الحكومة من أى درجة وأى صنف كانوا وتصرح لكم بنظر الموازين العمومية وابداء رأيكم فيها ونظر كافة القوانين واللوائح ، وقد التزمت الحكومة بعدم وضع أى ضريبة ولا نشر أى قانون أو لائحة ما لم يكن بتصديق واقرار منكم وكذلك تعهدت بأن تجعل النظار مسئولين لديكم عن كل أمر يترتب عليه اخلال بحقوقهم والغاية ، فانه لم يحجز عليكم فى شىء ما ولم يخرج أمر مهم عن نظركم ومراقبتكم ... » (١)

وتوالى بعد ذلك انعقاد اللجنة المتشكلة للبحث في اللائحة المذكورة وتعديل بعض أحكامها فقررت أكثر بنودها ثم وقع خلاف بين النواب والنظار فى شأن ما يتعلق بالميزانية من بنود هذه اللائحة ومضت على ذلك بضعة أيام تنوعت فى خلالها الآراء والأقوال حتى كان يوم الأربعاء الواقع فى ٢٧ صفر سنة ١٢٩٩ و ١٨ يناير سنة ١٨٨٢ فقدمت اللجنة اللائحة الأساسية لرئيس مجلس النظار على يد رئيس مجلس النواب فأمر باستنساخها وتوزيعها على النظار لتكون موضوع مذاكراتهم فى الجلسة الآتية ، وكانت اللجنة قد حفظت العدد الكثير من بنودها وعدلت ما رأت لزوم تعديله

وبعد مذاكرة النظار فيها رأوا أن يعدلوا بنودها المتعلقة بالميزانية فأصر النواب على ألا يقبلوا البتة تعديلا فى لائحتهم الأساسية التى وضعتها لجنتهم المؤلفة لذلك ، واشتد الخلاف بين مجلس النظار ومجلس النواب ، حتى أدى ذلك الى استقالة وزارة محمد شريف باشا

---

(١) ملاحظة : جاء بالمذكرات بيان واف بعد هذا الخطاب عن اللائحة الاساسية لمجلس النواب في ذلك الحين ، وهي لا تختلف كثيرا عن لائحة مجلس النواب في العهد الأخير

عبث انجلترا وفرنسا

فى خلال هذه الأحداث ورد على لسان البرق أن الدولتين انجلترا وفرنسا متفقتان على أن تبعثا الى الحكومة الخديوية كتابا تعلنان فيه انهما تساعدانها بالفعل اذا استمر الاضطراب فى القطر المصرى أو مس السلطة الخديوية شىء

وقد تحقق ذلك فان وكيلى الدولتين السياسيين توجها الى سراى عابدين فى ١٩ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ١٠ يناير سنة ١٨٨٢ وقدما للخديو مذكرة مشتركة وردت اليهما بصفة خطاب من وزارة الخارجية الى القنصل الجنرال بمصر وهذه ترجمتها :

« حضرة القنصل الجنرال

« كلفناكم غير مرة أن تخبروا الجناب الخديوى وحكومته عن رغبة حكومتى فرنسا وانجلترا فى مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التى تزيد الارتباك والقلق فى القطر المصرى ، فان الدولتين على وفاق وطيد واتحاد تام فيما يتعلق بمصر ، لا سيما بعد حدوث الحوادث الأخيرة أخصها صدور الأمر الخديوى بجمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخابرة بين الدولتين واعادة النظر فى شؤون اتفاقهما المذكور

« وبناء على ذلك نرجوكم أن تصرحوا الآن للجناب الخديوى ان حكومتى فرنسا وانجلترا تريان وجوب تأييد جنابه فى الخديوية وفقا للاحكام المقررة للفرمانات السلطانية التى قبلتها الدولتان قبولا رسميا ، باعتبار انها وحدها تكفل الآن وبعد الآن استمرار السلم والسكون ، وتوجب توسيع نطاق الثروة والعمارة فى البلاد المصرية مما فيه مصلحة الحكومتين المذكورتين المتفقتين على الاشتراك فى

السعي الى دفع كل ما من شأنه أن يحدث في مصر ارتباكا أو يخل بنظاماتها وأحوالها ، سواء كان هذا الخلل وهـذا الارتباك ناشئين عن أسباب خارجية أم داخلية.

« ولا ريب عندنا ان هذا التصريح العلني المبين لمقاصد الحكومتين يمنع حدوث ما عساه أن يطرأ على حكومة الجناب الخديوى من الاخطار ، وان حدث فالحكومتان لا تترددان في دفعه ولا تحجمان عن صده

« وفي أمل الدولتين ان الجناب الخديوى يعرف كنه المعرفة ما في هذا التصريح ، فتحقق له الثقة والقوة اللتين لا بد له منهما لادارة أمور القطر المصري »

فأثرت هذه المذكرة في النفوس تأثيرا عظيما واضطرب منها الجند وأعضاء مجلس النواب ومأمورو الحكومة، ورابهم منها أمور كثيرة وأيقنوا ان المراد منها مزيد التدخل وجعل البلاد تحت حماية انجلترا وفرنسا ثم توجه ناظر الجهادية محمود باشا سامي الى النظار وفاوضهم في الأمر وأبلغهم انفعال الضباط والعساكر من هذه المذكرة . ثم سار واياهم الى الخديو ، فبسطوا لديه الأمر والرأى والتمسوا المداركة بما يذهب الآثار التى نشأت عنها فاستقر الرأى على اشعار الباب العالى به

وقد اعترض الباب العالى على هذه المذكرة بمذكرة مثلها بعثت بها وزارة الخارجية العثمانية الى الدولتين المتفقتين على يد سفيرى الدولة العلية لديهما وهذه صورتها :

« يا حضرة السفير

« تعلمون ان قنصلى دولتى انجلترا وفرنسـا الجنرالين قدما للجناب الخديوى المذكرة المتفق عليها بين الدولتين بناء على الافادات الواردة لهما من جانب دولتيهما ، وقد أثبت لنا هذا العمل بالنظر الى الفرمان الذى أصدره الباب العالى

متعلقا بولاية مصر وبالنظر الى اجراءات الوفد العثمـــانى الملوكى الذى أرسل الى مصر من عهد قريب ان التأكيدات التى كررت حكومة الباب العالى اصدارها لم ينظر اليهـــا بالعين التى تستحق أن ينظر اليها بها ، ومن أجل هـــذا لا نتمالك من اخفاء سوء الأثر الذى حصل لنا من جـراء هذا العمل ونرى بعد ذلك من واجب الضرورة أن نصرح للحكومة التى تنوبون عنا لديها ببعض ملاحظاتنـــــا فى معارضة هذه المذكرة لتنظر فيها بعين العدل والانصاف

« ان الحكومة السلطانية موجهة عنايتها أبدا الى المحافظة على الامتيازات الممنوحة لمصر حرصا على الراحة العمومية وجلبا للسعادة والرفاهية فى الولاية المذكورة ، وذلك جل ما نرغب فيه ونرى فيه مصلحة لها . وفى ظننا انه يستحيل ابداء أقل الأدلة على ما ينافى ذلك والاستشهاد بأى حادث داخلى متعلق بمصر يكون داعيا لاصدار مثل تلك المذكرة

« بناء على ذلك لا نرى شيئا مما يقضى باســـتصواب ما أجرته الدولتان من تقديم تلك المذكرة لسمو توفيـــق باشا ، وفضلا عن ذلك فان مصر جزء ملازم من ممالك الحضرة السلطانية والسلطة المعطاة للخديو لحفظ الراحة العمومية عند اللزوم والمحافظة على سعادة حال البلاد ولادارة القطر على محور حسن وتأييد هذه السلطة هى من حقوق الباب العالى وحده ومن اختصاصاته دون سواه فكان من اللازم طبعا عندما اتضح وجوب اجراء مثل هذه الاجـــراءات أن يؤخذ بادى بدء رأى الدولة المتبـــوعة وبواسطتها وحدها ترسل التصريحات اللازمة وبواسطتها أيضا دون سواها ينتظر الحصول على التأكيدات المأمولة

« ومما تقدم يعلم انه يحق لنا أن نرى مخابرة الدولتين مع الخديو غير حقة ولا عادلة وقد صار الباب العالى مضطرا

أن يحاول الوقوف على الأسباب التى لجأت حكومة فرنسا للاشتراك مع حكومة بريطانيا فى مسألة مجحفة بحقوق سلطته على مصر وقد أرسلت هذه الملاحظات الى سفارة الباب العالى بلندره وسفارته بباريس

« والآن أفوض سعادتكم يا حضرة السفير أن تخابروا فى هذا المعنى حضرة وزير الخارجية وتشرحوا له الشرح الذى ترونه موافقا فى هذا الشأن وذلك لكى تظهروا لحضرته شدة اضطرارنا الى الحصول على هذا التصريح الشافى الكافى لأن يخرج الحكومة السلطانية من ضنك المقام الذى وجدت فيه الآن أثر ما حدث بمصر

التوقيع : عاصم باشا »

تحسين حالة الموظفين

فى ٢٤ ذى القعدة التمسنا من رئيس النظار شريف باشا امعان النظر فى تحسين حالة موظفى المصالح الملكية ومستخدميها وترقيتهم ورفتهم أسوة برجال الجيش ، فرفع الرئيس المشار اليه الى الخديو تقريرا جاء فيه :

« مولاى .. أعرض لسدتكم العلية انه قد تشكل بمقتضى أمركم العالى الصادر بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ قومسيون كلف بتحضير القوانين المتعلقة بتسوية حالة الضباط الجهادية البرية والبحرية وترقيهم فنظمها وعرضها لمقامكم السامى فحفت بالقبول لديكم وفازت بالتصديق عليها من فخامتكم

« هذا وحالة المستخدمين الملكية تستحق أيضا التفات الحكومة اليها فانه ينبغى أن توضع قوانين بعد مطالعة أحكامها وامعان النظر فيها بغاية الدقة ومزيد الاعتناء تتبين فيها الشروط التى يلزم مراعاتها فى قبول المستخدمين من

أى رتبة كانوا بالمصالح الملكية وترقيهم ورفتهم ليكونوا آمنين مما عسى أن يحصل فى أى وقت من الاجراءات الاستبدادية التى يترتب عليها منع تقدمهم وتعويق ترقيهم فانها تلغى الحقوق المكتسبة بمزيد الشرف وتمام الفخار . وان الحكومة بواسطة تأييدها حالتهم يحق لها أن تعتمد تمام الاعتماد على ما يأتون به من المساعدة والمعاونة فى أمر ترتيب المصالح وتنظيمها الموجهة عنان اجتهادها نحوه الآن

« فلهذه الأوجه قد تراءى لمجلس نظار حكومتكم السنية لزوم احالة تحضير القوانين السابقة الذكر على عهدة قومسيون يتعين لهذا الشأن ... »

وقد أصدر الخديو أمرا بتأليف لجنة لهذا الغرض كان من أعضائها محمد زكى باشا ناظر المعارف ، ومحمد سلطان باشا ، وبطرس باشا غالى ، وأحمد بك نشأت ، ويعقوب بك أرتين

ولما وافق الخديو على سن قوانين عادلة تضمن حقوق الموظفين الملكية وتسوية حالتهم ارتاحت الخواطر الى هذا الترتيب وطابت به النفوس ولهجت الألسنة بذكر فوائد القانون ، وقالت انه ما دام وافيا وكافلا لأن يعين للرؤساء حدودهم ويبين للعمال حقوقهم ، ويكف يد المظالم عن جميع الداخلين فى خدمة الحكومة كبارا وصغارا ، فلا خوف من اختلال الاشغال وفساد الأعمال وانصراف النفوس الى الشهوات واتباع الأغراض فان القانون بمنزلة أصبع يفقأ عيون الرقباء ، ويد قوية تكره أهل العسف على عدم الخروج من الدائرة التى خطت ويمنع صنيعة الأمير ومحسوب الخطير من الدخول فى خدمة الحكومة ما لم تتوفر فيه اللياقة المطلوبة والعفة المرغوبة

وانصرفت الأفكار كذلك الى لزوم تنظيم المحاكم الاهلية فتوجهت عناية الوزراء الى ترتيب مشروعها لما له من العلاقة باستقامة سائر الأمـــور ، ولأنه هو الموجب لثقة الأمة بالحكومة

ففى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ الموافق ٢٥ ذى الحجـــة سنة ١٢٩٨ صدر الأمر الخديوى بلائحة ترتيب المحـــاكم المذكورة

الفرية الكبرى

الوفد المصرى فى الآستانة

وفى أواسط شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ أرســـل ثابت باشا الى الآستانة مندوبا من قبل الخديو . وكان ذلك على أثر عودة الوفد العثمانى الى الآستانة وكانت مهمـــة ثابت باشا تفهيم رجال الدولة العلية بأن القصد من الحركة المصرية الوطنية هو انشاء خلافة عربية تضم تحت لوائها كل ناطق بالضاد ، فتشمل بلاد الحجاز واليمن والعراق ومصر والشام وطرابلس الغرب وغيرها .. سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .!

صندوق ادخار لضباط الجيش

وتقرر فى ديوان الجهادية (وزارة الحربية) انشـــاء صندوق ادخار للضباط جميعا على اختلاف رتبهم يجعل فيه من ماهياتهم ٥ فى المائة يشترى بمجموعها سندات ماليـــة مصرية ثم تضم الفائدة الى الأصل فى عام ويشترى بالكل سندات ، وهكذا فى كل سنة ويبلغ ما يجتمع من ذلك فى العام ٢٥٠٠٠ جنيه ما عدا الفائدة . وقصد بذلك الشروع فى استهلاك الدين المصرى ، وكذلك أنشىء صندوق للادخار

فى الدائرة السنية لمستخدميها • وعمل لذلك قانون تم تنظيمه فى ١٤ يناير سنة ١٨٨٢ وجميع مصالح الحكومة حذت حذو الجهادية فى الادخار لمشترى سندات الدين المصرى

الورق الموحد

وتقرر فى مجلس النظار فى أواخر شهر يناير بناء على ما رئى من هبوط أسعار الورق الموحد أن تغتنم نظارة المالية هذه الفرصة وتشترى من أوراق الدين المذكور جانبا للاستهلاك بقيمة ٤٠٠ ألف جنيه وصدرت الأوامر اللازمة لذلك ، وعدل الربح الذى تناله المالية من هذا الأمر بنحو ١٢٠ ألف جنيه • وكانت النقود متوافرة فى خزائن المالية فرئى أن يصير استخدامها فى ما يعود على الحكومة بالفائدة

الحزب الوطنى

نشرت جريدة التيمس كتابا ادعت انه مرسل اليها من أحمدعرابى باشا وانهيتضمن برنامج الحزب الوطنىالمصرى ومطالبهوأمانيه ومساعيه الىغير ذلك، فتناقلت بعضالجرائد وشركات التلغراف خبر هذا الكتاب ، فكذبته جريدة الوقائع المصرية ثم كذبه المستر « ولفرد بلنت » بقوله : « ان اللائحة المشتملة على أفكار الحزب الوطنى التىنشرتها جريدة التيمس لم ترسل اليها من أحمد عرابى باشا بصفة رسالة بقلمه وامضائه ، كما زعم تلغراف روتر والتيمس ؛ بل باجتماعى معه ومع زملائه من رجال الجيش المصرى وبعض علماء الأمة المصرية • وقد رأيت أن أفكارهم لاتخرج عن هذه اللائحة ، وبعد أن كتبتها عرضتها عليهم فقالوا هذه هى أفكار الحزب الوطنى بالجيش ، فلما وافقوا عليها

أرسلتها الى جريدة التيمس باسمى وامضـــائى لا باسم عرابى باشا »

وقد جاء فى هذه اللائحة : (١)

أولا : يرى الحزب الوطنى محافظته على العلاقات الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ ذاك الباب ركنا يستند عليه في أعماله ويعتقد أن جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله فى أرضه وامام المسلمين، ولا يريد قطع هذه الصلات والعلاقات ما دامت الدولة العليـــة فى الوجود ، ثم يعترف باستحقاق الباب العالى لما يأخذه من الخراج وما يلزمه من المساعدة العسكرية اذا طرأت عليــه حرب أجنبية وهذا بمقتضي القوانين والفرمانات الشاهانية كما يعتقد هذا الحزب انه يحافظ على امتيـــازاته الوطنية بكل ما في وسعه ويقاوم من يحاول اخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية

ثانيا : هذا الحزب يخضع للجناب الخديوى الحـالى وهو مصمم على تأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية على قانون العدل والشريعة حسب ما وعد به المصريين فى شهر سبتمبر سنة ١٨٨١ وقد قرن هذا الخضوع بالعزم الأكيد على عدم عودة الاستبداد والاحكام الظالمة التى أورثت مصر الذل ، وبالالحاح على الحضرة الخديوية بتنفيذ ما وعدت به من الحكم الشورى واطلاق عنان الحرية للمصريين ويطلبون منهـــا الاستقامة وحسن السلوك في جميع الأمور وهم يساعدونه قلبا وقالبا كما انهم يحذرونه من الاصغاء الى الذين يحسنون اليه الاستبداد والاجحاف بحقوق الأمة

ثالثا : رجال هذا الحزب يعلمون ان استمرار المراقبـة الأوربية هى الكفالة العظمى لنجاح أعمالهم مع قبولهم تلك الديون الأجنبية حرصا على شرف الأمة ، وان كانت تلك

(١) نشرنا مقتبســات مهمة من هذه اللائحة لطولها

الأموال لم تصرف في مصلحة مصر ، بل صرفت في مصلحة حاكم ظالم كان لا يسأل عما يفعل

ثم انهم يرون ان النظام الحالى لم يكن الا وقتيا والا فانهم يؤملون أن يستخلصوا ماليتهم من أيدى أرباب الديون شيئا فشيئا حتى يأتي يوم تكون مصر فيه بيد المصريين وهم لا يخفى عليهم شيء من الخلل الحاصل فى المراقبة ومستعدون لاذاعته فانهم يعلمون ان كثيرا من المستخدمين في قلم المراقبة لا يقدرون على القيام بوظائفهم ولا يراعون حق الشرف والاستقامة

رابعا : رجال الحزب الوطنى يبتعدون عن الاخلاط الذين شأنهم احداث القلاقل في البلاد ، اما لمصلحة شخصية تحسن بها أحوالهم أو خدمة للاجانب الذين يسوءهم استقلال مصروهؤلاء الاخلاط كثيرون في البلاد، والمصريون يعلمون ان الصمت على حقوقهم لا يخولهم الحرية فى بلاد ألف حكامها الاستبداد ، وكره الحرية ، فان اسماعيل باشا لم يمكنه من الظلم والاستبداد الا سكوت المصريين ، وقد عرفوا الآن معنى الحرية الحقيقية فى هذه السنين الأخيرة فعقدوا خناصرهم على توسيع نطاق التهذيب ورجوا أن يكون ذلك بوساطة مجلس الشورى (الذى انعقد حينذاك) وبوساطة حرية المطبوعات بطريقة ملائمة وتعميم التعليم ونمو المعارف بين أفراد الأمة

خامسا : الحزب الوطنى حزب سياسى لا دينى فانه مؤلف من رجال مختلفى الاعتقاد والمذاهب ، ومن يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم لهذا الحزب

سادسا : آمال هذا الحزب محصورة فى اصلاح البلاد ماديا وأدبيا ولا يكون ذلك الا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف واطلاق الحرية السياسية التى يعتبرونها حياة للأمة

وزارة محمود سامى البارودى

سقوط وزارة شريف باشا

مر بنا الكلام على ما كان من تفاقم الخلاف بين مجلس النواب ومجلسى النظار فيما يتعلق ببنـــود الميزانية من اللائحة الاساسية وقلنا ان اشتداد هذا الخلاف كان سببا فى استعفاء وزارة شريف ثم أرجأنا اتمام الكلام على سقوط هذه الوزارة الى أن نفرغ من ايراد أهم الأمور التى جرت فى عهدها مما جاء مثبتا فى الفصل السابق فهاك الآن بقية البيان

يوم الثلاثاء الواقع فى ١١ ربيع أول سنة ١٢٩٩ أعاد مجلس النظار اللائحة الأساسية بافادة مآلها ان وكيـلى الدولتين فرنسا وانجلترا يريان أن لا حق لمجلس النواب فى تقرير الميزانية ، ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة فى هذا الشأن بشرط أن يستقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود اللائحة

وبناء على ذلك طلبت الحكومة من النواب أن يصدقوا على اللائحة، كما عدلها مجلس النظار ، وأن يترك البند المتعلق بالميزانية ، وأن يبدى النواب رأيهم النهائى فى أمرالميزانية لتجعله الحكومة أساسا للمخابرة مع الدولتين

فلما وصلت هذه الافادة مع اللائحة الى النواب اجتمعوا فى منزل محمد سلطان باشا رئيس المجلس المذكور فقضوا عدة ساعات فى التداول والتشاور وقرروا فيها عدم قبول افادة الحكومة المذكورة.

وفى ١٢ ربيع أول سنة ١٢٩٩ عقدوا مجلسا غير عادى تقرر فيه احالة اللائحة والافادة المذكورتين الى اللجنة التى

كانت مكلفة بتنقيح اللائحة وأن يشترط على هذه اللجنة اعادة النظر فى اللائحة وتعديلها وتقديم الجواب على الافادة قبل ظهر يوم -١٣- منه فاستمرت اللجنة الى ما بعد الغروب تقرأ التغييرات وتطالع التعديلات التى أدخلها مجلس النظار على اللائحة فصدقت على بعضها وأبت الموافقة على البعض الآخر

وفى صباح يوم الخميس عين النواب لجنة منهم مؤلفة من خمسة عشر عضوا لتتوجه الى الخديوى طالبة انفاذ ما قرروا واستعفاء الوزارة فمرت فى طريقها على منزل شريف باشا ، وطلبت منه جوابا نهائيا ، فأبى فذهبت الى الخديوى ، وسألته اما قبول اللائحة أو تغيير الوزارة ، فأمهلها الى صباح السبت وانصرفت

ثم ذهب شريف باشا وقنصلا الدولتين الى الخديو وكان شريف باشا مصرا على موافقة رأى القنصلين المذكورين ، ولم يوافق على لائحة النواب ، فاستعفى فى الحال

وزارة محمود سامى

فاستدعى الخديو لجنة النواب وكلفها أن تختار رئيسا للوزارة فامتنع أعضاؤها وقالوا ان هذا من حقوق الجناب الخديوى ، فألح عليهم كثيرا ، ولكنهم ثبتوا على الامتناع وانصرفوا

وفى صباح يوم الجمعة الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٩ طلبهم الخديوى اليه وكلمهم مكررا عليهم تعيين من يختارونه لرئاسة النظار ، فلم يعدلوا عن المسلك الذى سلكوه بالأمس ، وأخيرا قالوا اننا نريد وزارة تنفذ لائحة النواب ، فعين محمود سامى باشا وأظهروا الرضاء والاستحسان فاستدعاه الخديوى اليه وقلده الرئاسة وكلفه أن يؤلف الوزارة فجاء منزله وعقد مجلسا مؤلفا من لجنة

النواب وجرت المذاكرة بينه وبينهم فوقع الاختيـــار على الأشخاص الآتية أسماؤهم :

محمود سامي باشا : للرئاسة والداخلية ـ أحمد عرابي بك : للجهادية والبحرية ـ علي صادق باشا : للماليـة : مصطفى فهمي باشا : للخارجية ـ عبد الله باشا فكري : للمعارف ـ سليمان باشا أباظه : للحقانية ـ حسن باشا الشريعي : للاوقاف ـ محمود فهمي بك : للاشغال

وقد أعلن ذلك للقناصل رسميا (١)

وقد اجتمع عقب ذلك ضـــباط الجيش في سراى قصر النيل، وأظهروا الفرح والسرور بالوزارة الجديدة، وشكروا الخديو على ذلك ، وهنأوا محمـــــود سامي باشا برئاسة النظار ، واطمأنت قلوبهم بتقليدنا وزارة الجهادية والبحرية

ثم قام السيد عبدالله نديم وخطب خطبة في ثمرة الاتحاد ونتيجة التحالف والتعاون والحرية المعتـــدلة وحب الوطن وكان لذلك احتفالات عظيمة • ووفد على الخديو وفد من أهل الاسكندرية فرفعوا اليه شكرهم وأعربوا عن سرورهم بما حدث من تأليف وزارة وطنية حرة ثم ورد من وجوه دمياط وأعيانها جميعا عريضة للخديو ومحضر لرئاســـة النظار وآخر لرئيس النواب يظهرون فيها انهم ونوابهم يد واحدة وفكر واحد ويشكرون للخديو انفـــاذه لرأى النواب وقد استنابوا عنهم في تقديم تلك المحـــــاضر الشيخ أمين أبو يوسف ، وبعد أن استقر محمود باشا سامي في منصب رئاسة النظار أرسل منشورا الى جميع المديرين والمحافظين في الديار المصرية للسهر على الأمن والنظام وسياسة البلاد بالعدالة والمصلحة

وفي يوم الاثنين الواقع في ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ عقـد

(١) يلي ذلك الخطابات الرسمية لتـأليف الوزارة بين الخديو ورئيس الوزراء ، وهي موجودة في مصادرها فلا حاجة لذكرها هنا

مجلس النظار جلسة دارت المذاكرة فيها على لائحة النواب وفي يوم الثلاثاء ٧ منه وفد على مجلس النواب ناظر المعارف وناظر الاوقاف وقدما اللائحة كما استقر عليها رأى مجلس النظار فقبلها النواب قبولا اجماعيا وصدر قرارهم بذلك ·

وفي يوم الأربعاء ٨ فبراير حضر رئيس النظار محمود سامي باشا الى مجلس النواب ومعه اللائحة مقررة فقوبل فيه بالتعظيم ، وسر النواب بنفوذ رأيهم فشكروا الوزارة الجديدة على ذلك ثم وقف محمود سامي باشا وألقى خطابا جامعا قوبل بالموافقة والتأييد

فقام سلطان باشا رئيس المجلس وأجاب على خطـــاب رئيس الوزراء سامي باشا فبين فوائد الاتحاد والألفـــة والغيرة والهمة وشكر للوزارة تلبيتهـــا لمجلس الأمة فى تقرير لائحته الاساسية

وبعد ذلك انطلق النواب الى الخديو فشكروه على تشكيل الوزارة التي لبت الأمة الى ما طلبت ثم آبوا الى رئاســـة النظار فشكروا أيضا للوزارة اهتمامها بأمر مجلسهم ثم زاروا كل ناظر فى نظارته وبعد ذلك انصرفوا مستبشرين

وبعد التصديق على لائحة مجلس النــــواب أقيمت الاحتفالات العديدة سرورا بالتصديق عليها فاحتفلت جمعية المقاصد الخيرية احتفالا اجتمع فيه النظار والأمراء والعلماء وضباط الجهادية وأعيان مصر وشبانها حتى ضاقت قاعة الحفلة بالحضور فقام السيد عبد الله أفندى نديم وافتتـــح الخطابة فاقتدى به كل من أديب أفندى اسحاق اللبنـــانى وابراهيم أفندى اللقانى ومصطفى أفندى ماهر (مصطفى ماهر باشا) والشيخ محمد عبده والسيد حسن أفنـــدى الشمسي وفتح الله أفندى صبرى واستمرت الخطب تتلى فى تلك الحفلة الى الساعة الثالثة بعد نصف الليل · وأقيمت عدة حفلات أخرى فى مدن القطر

انصاف ضحايا الحرب

بعد أن أسند الى مسند نظارتي الجهادية والبحرية شرعت في تنفيذ القوانين والاصلاحات العسكرية الجـــديدة التي صدر الأمر الخديوى باعتمادها واعتبارها قانونا فابتدى بصرف استحقاق ورثة المتوفين في الحروب وغيرها الذين لم يلتفت الى شكواهم من أمد بعيد تنفيذا لقانون المعاشات الجديد ، وبذلك فتحت بيوتا كثيرة بعد أن أخنى على أهلها الدهر ، ووقعوا في الفقر المدقع والاحتياج الشديد

ولما كانت القوانين واللوائح المصرية حبـــرا على ورق لا حياة لها ، بل هي تموت بمجرد جفـــاف مدادها شأن الحكومات المستبدة فقد أصدرنا أمرنا بتأليف لجنة عسكرية من أعضائها قاسم بك فتحى حكيمباشى الجهادية وغيره من الأطباء لفرز الضباط العاملين والمستودعين لمعاملتهم بحسب ما نص بقانون المعاشات فأتمت اللجنة عملها وقدمت كشفا لديوان الجهادية بشأن نحو ثلثمائة ضابط تجاوزوا السن المحدد لكل رتبة في القانون المذكور ، وفيهـــم كثير من شيوخ الترك والجركس فأحيلوا جميعا على المعاش

مؤامرة الضباط الجراكسة

في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ أخبرني طلبه باشا عصمت حكمدار اللواء الأول بأن راشد أفندى أنور أخبره بأن بعض ضباط الجراكسة تحالفوا على إغتيال حياة ناظر الجهادية ورؤساء الضباط الوطنيين وجميع النظار ، ثم ذكر أسماء بعض المتآمرين ، وحيث ان راشد أفندى هذا ثقة فيما يرويه، وانه مشهور بالصلاح والتقوى، عرضت الأمر على هيئة النظار ، ثم على الخديو ، فتقرر لزوم تحقيق هذه المؤامرة في مجلس حربى

وبناء على ذلك تألف مجلس حربى من عشرين عضـــوا

منهم : مرعشلي باشا ومحمد رضا باشا وخورشيد طاهر باشا تحت رئاسة الفريق راشد باشا حسني الجركسي وقد اخترته رئيسا لهذا المجلس لاعتداله ونزاهته وصلاحه وتقواه ، حتى يكون التحقيق خاليا من الأغراض وتكون الأحكام عادلة لا يشوبها شيء من الظلم.

ثم شرع المجلس في التحقيق بسؤال من علمت أسماؤهم فدلوا على ١٨ ضابطا مشتركين معهم في المؤامرة ، فأمر المجلس بالقبض عليهم ، لاستنطاقهم ، وفي خلال القبض عليهم وجد مع بعضهم آلات نارية غير الاسلحة الأميرية ، وهؤلاء اعترفوا باشتراك غيرهم معهم في تلك المكيدة ، وعرفوا عنهم وفي جملة الذين عرفوا عنهم عثمان باشارفقي الذي كان سببا في كل هذا الشقاء ، ويوسف بك نجاتي، ومحمود بك فؤاد

وفي ٢٠ من الشهر المذكور بلغ عدد الذين قبض عليهم بارشاد بعضهم أربعين رجلا ونيفا وبسؤال يوسف بك نجاتي وغيره اعترفوا بأن راتب باشا هو المؤسس لتلك المؤامرة في بيت أحمد أفندي راشد الملازم أول بحارة الروزنامجه القديمة بحضور كل من محمود أفندي طلعت الملازم ، ويوسف بك نجاتي أميرالاي سواري ، ومحمد أفندي نيازي وأمين أفندي شكري ، وسليم أفندي شوقي اليوزباشي ، وعمر أفندي رحمي المعاون بضبطية مصر ، ومحمد افندي شفيق الملازم ، ومحمد أفندي فؤاد الملازم بالمخالفات ، وأحمد أفندي فهيم الملازم ، وخليل أفندي حسني الملازم ، ورشوان أفندي نجيب الملازم أول ، وأحمد أفندي وصفي الملازم بالمخالفات . وانهم تحالفوا على المصحف الشريف وجعلوا مقصد الجمعية سرا لا يطلعون عليه الأصاغر في أول الأمر

ثم اجتمع محمود أفندي طلعت البكباشي (شقيق راتب

باشا) وأفهموا الاصاغر من الضباط الجركس انهم سيقدمون تقريرا الى الخديو يطلبون به بعض حقوق ليس الا وأخفوا عنهم المقصد الاعدامي ، وعلى هذا تناقلوا الكلام فيما بينهم حتى بلغت الجمعية مائة وخمسين رجلا جمعت أسماؤهم بقائمة سلمت لاحمد أفندى راشد صاحب المنزل الذى تجتمع فيه الجمعية وهو الذى كان يختم عليها ، غير ان السر الحقيقى كان خفيا ، حتى توجه خليل أفندى حسنى من الاسكندرية الى العاصمة فجمع جملة من الضباط وقال لهم انى كنت عند على باشا شريف ، وقال لى اهتموا ونحن نساعدكم (كذا) ثم صاروا يجتمعون بمنزل عبد الله أفندى الكردى البكباشي ورجب أفندى ناشد البكباشي وقد انضم اليهم حسن أفندى حلمى الكردى البكباشي وعلى أفندى ناصف الصاغ المصرى وسليم أفندى صائب اليوزباشي المصرى الذى كان من ضمن التسعة عشر ضابطا المتآمرين من ضباط الآلاى السودانى . وتكلموا فى تأسيس الجمعية وانتشارها ثم اتفقوا على اجتماعهم ليلة جمعة يعينون فيها رجب أفندى ناشد البكباشى الجركسى وحسن أفندى حلمى البكباشي الكردى وعبد الله الكردى البكباشي رؤساء منوطين برأس كل واحد منهم خمسين رجلا يحلفهم على انهم يكونون روحا واحدة وجسدا واحدا ، اذا قتل أحدهم قاتل الجميع على دمه ، حتى يموتوا ، فاذا اتسع نطاق الجمعية ونجحت أعمالها، عينت الرؤساء من ذوى الرتب السامية مثل محمود بك طاهر ومحمد بك نجيب ومحمد بك شوقى . وهكذا كلما عظمت ، فوضت الرئاسة الى عظيم من الذوات . ثم قالوا ان على باشا شريف معضد لهذا الحزب ومؤيد له ، وتكلموا مع كثير من الضباط بهذا السر ثم اتفقوا جميعا على الاجتماع فى مقام السيدة زينب رضى الله عنها ليتحالفوا هناك على اجراء أعمالهم واظهار السر الخفى ، وهو اعدام

من يعارضهم أو يوقف حركتهم ، خصوصا ناظر الجهادية (أحمد عرابى) اذا عارضهم فى مقصدهم . ثم قالوا ان عبد الله أفندى الكردى عرضت عليه رئاسة الجمعية ، فقال ان قلبه يرتجف من هذا الاجتماع ، ويخشى أن يكون كاجتماع التسعة عشر ضابطا اذ كان واحدا منهم ، فأبى لذلك قبول الرئاسة الا اذا تمكنت الجمعية من انفاذ أغراضها وعظم شأنها ، فانه يمكن اذ ذاك أن يستحضر لهم قدر اربعمائة أو خمسمائة من الباشبوزق بواسطة حسين بك القرهشوللى ، وبعد ذلك تداولوا فى أخبار بعض الذوات بمقصدهم ، ليكونوا معهم ، فتوجه عبد الله أفندى الكردى، وبعد أن زار كثيرين فى بيوتهم حضر وقال ان الذوات لم يستحسنوا هذا العمل ، ثم انفصل عن الجمعية وكادت تنحل عروتها لولا حضور رجب أفندى ناشد ، وحسن أفندى حلمى المذكورين ، وجمعهما أعضاء الجمعية ، الذين عقدوا الجلسة فى منزل أحمد أفندى فهيم حيث اتفق الجميع على انهم يأخذون من تكلموا معهم الى مقام السيدة زينب ليطلعوهم على السر الاعدامى ويتحالفوا على ابرازه .

هذا ملخص ما ذكر عن اعتراف الجميع بالجلسة العلنية التى عقدت بحضورهم جميعا بعد أن سئل كل منهم على انفراده .

ثم صدر حكم المجلس الحربى فى ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٢ على الضباط وعددهم ٤٠ ضابطا فى جملتهم عثمان باشا رفقى بالنفى المؤبد الى أقاصى السودان مع التجريد من الرتب العسكرية والامتيازات ونياشين الافتخار على شرط أن يكونوا متفرقين فى الجهات التى ينفون اليها ولا يجوز أن يكونوا فى مركز الحكمدارية وصدر الحكم كذلك على اثنين من الملكية بالنفى على الصورة التى تقدم بيانها مع التجريد من الحقوق المدنية .

وحكم على راتب باشا الذى عد محركا لهذه القضية بالتجريد من الرتب العسكرية والامتيازات والنياشين وعدم العود الى مصر واذا عاد فينفى على مقتضى الصورة السالفة

وقد اعتبر ان الخديو السابق (اسماعيل) هو الباعث على هذه الحركة مستعينا فى بثها بالمرتبات التى تصرف له من خزينة الحكومة ، فلذلك تقرر أن يكون للخديو ولمجلس النظار النظر فى أمر قطع مرتباته أو تقليلها ثم رفع هذا الحكم لمجلس النظار ثم للخديو للتصديق عليه

وحيث أنى أرى تأليف القلوب خيرا من التفريق بين أعضاء الأمة والانتفاع بأولئك الضباط اذا ثابوا لعقولهم خيرا من فقدهم فى فيافى السودان المحرقة ، فقد توسلت لدى الخديو أن يبدل هذه الأحكام بأن يرسلوا الى الآستانة العلية ثم بعد مدة وجيزة يصدر عفو الخديو عنهم ، ويعودوا الى أولادهم ووطنهم الذى اتخذوه وطنا لهم ، فعجب الخديو والنظار لتلك الشفقة المتناهية،وصدر الأمر الخديوى بنفى المحكوم عليهم من القطر المصرى مع الترخيص لهم بالتوجه انى يشاءون برتبهم ونياشينهم ، فشكرت الخديو على قبول التماسى فى تلطيف الحكم عليهم ، ولم يذكر فى هذا الأمر شىء عن راتب الخديو السابق

وبناء على الأمر الخديوى صار ارسالهم جميعا الى الآستانة العلية برتبهم وامتيازاتهم ونياشينهم • وهناك شملتهم العناية السلطانية وأسكنتهم فى سراية ملوكية وأغدقت عليهم بالنعم الشاهانية والمرتبات الواسعة على نفقة الجيب السلطانى من وقت وصولهم الى أن صدر أمر الخديو بعودتهم الى مصر بعد تغلب الانجليز على المصريين

وبسبب هذه الحادثة حملت علينا الجرائد الانجليزية وخصوصا جريدة التيمس حملة منكرة ونسبت الينا اننا

كنا نعذب اخواننا بلا رحمة ولا شـــفقة فأرسلت الى بلاد الانجليز رسالة عن يد صديقنا المســتر بلانت لنشرها في بلادهم اظهارا للحقيقة وازهاقا للباطل وســـــميتها اماطة الباطل عن وجه الحق المبين وهاك صورة الرسالة المذكورة محررة فى جزيرة سيلان بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٨٤ :ـ

« قد بلغنى ممن أثق بقوله ان أحد مخبرى الجرائد الانجليزية بمصر قد أعماه الذهب المصرى ، وأضله عن طـريق الحق ، ولا ريب فى أن الذهب المصرى يعمى ويصم ، فبعد أن أفعم جيوبه من الذهب الوهاج ، وأفاض منه على أخيه وعائلته (بلوندرا) أوعز الى أخيه بأن يؤلف من الأباطيل كتابا يكون موضوعه تحسين أعمال الخديوى وتقبيح أعمالنا الوطنية الحقة، وينشر ذلك الكتاب المفترى ، ليستر بأباطيله وجه الحق عن بصائر نصراء الانسانية ، فالف أخوه كتابا وعنونه بعنوان (الخديو والباشوات) ، ولم يجد من المفتريات شيئا يذكره أكبر من كونه ينسب لنا أننا كنا نعـذب الجراكسة فى مدة تحقيق قضية المؤامرة الجركسية بأنواع العذاب

« وبناء على ذلك رأيت من الواجب الضرورى أن أمزق ذاك الحجاب المظلم الذى كاد أن يكون مانعا بين نور الحق ونور البصائر ، فحررت رسـالتى هذه رجاء عدم الاغترار بخزعبلات من لا حظ لهم فى الانسانيـــة وسميتها « اماطة الباطل عن وجه الحق المبين »

الجراكسة

« الجراكس طائفة من الناس يعيشون بجبال القوقاز بآسيا بين بحر الخزر والبحر الاسود ، وهم موصوفون بالتوحش والخشـــونة ، وديانتهم الاسلام ، فهم بحكم الشرع اخواننا فى الدين . وبحكم الانسانية اخواننا فى الانسانية .. والشرع الشريف الاسلامى يحرم بيعهم واسترقاقهم ، ويدخل فى ذلك التحريم وطء نسائهم بطريق الاستعباد،لكن أمراء المسلمين الذين تغلبوا على البلاد كانوا جهلاء بأحكام الشرع فاسـتهانوا باحكامه ، ولزيادة ثروتهم ونفوذ كلمتهم اتبعوا الشهوات وتجرأو على اباحة ما حرم الله تعالى ، وأدتهم شراهتهم الحيوانية الى مشترى أولاد الجراكس ، وبناتهم ممن يسرقونهم من بلادهم . ولما كانت بنات الجراكس موصوفات بالجمال الفائق ورقة الطبع فقد وجدوا حظوة فى أعين أولئك الامراء، الذين استحلوا عفتهن المحرمة عليهم شرعا بدعوى أنهن ملك ايمانهم . ثم بعـد ذلك دعوهن سيدات أسلموا اليهن قيادة أنفسهم . وأما الذكور فقـد اتخذوهم غلمانا أرقاء وعلموهم قليلا من القراءة والكتابة التركية والعربية فلما كبروا وشاخوا فى خدمة الممتلكين لهم أدخلوهم فى خدمة الحكومة بدون استعداد ولا معرفة ثم رقوهم الى الدرجات العالية والمناصب الرفيعـــة

بطريق الاحسان لا بطريق الاستحقاق ثم زوجوهم بنساء من فتياتهم (المملوكات) واحسنوا عليهم بالسرايات الرحبة العالية والاراضي الواسعة الخصبة ولا زالوا كذلك حتى تولوا اكبر وظائف الحكومة وصاروا ذوي ثروة عظيمة واشتروا الجواري الحسان والغلمان من بني جنسهم الجركس وفعلوا بهم كفعل ساداتهم الاول بهم ، فما تسمع باسم وزير الا وتجده مملوك الاصل وما ترى باشا او بك او رئيسا أو مديرا الا وهو مملوك جركسي أو رومي ، وما ترى قصورا مرتفعة الا وهي للمماليك ، ولا أرضا خصبة واسعة الا وهي للمماليك . كل ذلك ليستعين أولئك الامراء المتغلبين بهم على قهر أهل البلاد الخاضعة لهم واذلالهم ، حتى يتمكنوا من سلب أموالهم ونزف ثروتهم . فلما علمت الجراكسة الذين بجبال قافقاسيا أن أبناءهم صاروا رؤساء تلك الممالك ، فرحوا بذلك وأتوا بأولادهم وبناتهم يلتمسون بيعهم رجاء الانتفاع بهم اذا بلغوا الى ماتقدم من الثروة والنفوذ. وهذا أمر مشاهد لا ينكره الا مكابر

« وعلى مقتضى ماذكر يكون المماليك هم الاحرار المالكين ، بل المستعمرين لاهل البلاد ، وأهل البلاد الذين يقال عنهم أنهم أحرار هم العبيد الارقاء لأولئك المماليك ، فانعكست المرئيات حتى صار يتخيل أن الخير شر وأن الشر خير ، ولا حول ولا قوة الا بالله . ومن الغريب أن عقلاء الناس ونصراء الانسانية ينكرون بيع الفريق المتوحش من الانسان واسترقاقه ، ولا ينكرون استرقاق الاحرار للمتغلبين عليهم من الامراء والمماليك

امراء الحكومة المصرية

« امراء الحكومة المصرية هم عنـــوان تلك المنكرات ، وبجهلهم بأحكام الشرع الشريف وميلهم للشهوات النفســانية وشــدة طمعهم تأنقوا في سلب ما في أيدي الناس ، واقتنوا المماليك وملكوهم زمام المصالح المصرية والسودانية ، وبهم استعبدوا أهل البلاد وسلبوا أموالهم ونزفوا مادة ثروتهم وقتلوا كثيرا من أعيانهم وخربوا كثيرا من بيـــوتهم حتى تحملت الخزينة المصرية من سوء ادارة أولئك الجهلاء الظالمين مائة مليـــون من الجنيهات الاسترلينية دينا للاوربيين واثنين وعشرين مليونا دينا للاهالي الوطنيين (المقابلة ١٧ والاسهم ٥ ملايين) . فما كان منها للاوربيين فهي مأخوذة به ومحاسبة عليه ، وما كان للوطنيين لقد ذهب هباء منثورا . يعلم ذلك كل من أطلع على قانون التصفية المصري . فلما اشتد الخطب على الناس أخذوا يلتمسون لهم طريقة توصلهم الى الخلاص من أيدي أولئك الظالمين

وما زالت أفكار نبهاء الامة تنبعث في صدور العامة ، حتى تألفت القلوب و[illegible] كلمتهم الوطنية على خلاص أنفسهم وبلادهم بتعديل القوانين لحفظ الارواح والاعراض والحقوق المدنية . وكنت انا القائد لتلك الامة

العظيمة فى الافكار والاعمال فسرت بهم سيرة مرضية قصدت بها رفع الامة المصرية من هاوية الذل والهوان الى أوج السعادة والرفاهية بدون سفك قطرة دم مع المحافظة على مسند الخديو وسن بعض القوانين الجديدة التي من أحكامها وجوب المساواة بين العموم بدون مراعاة الجنسية ولا الفرق بين المصرى والتركي والجركسى بصرف النظر عن اختلاف المذاهب والنحل الدينية . يشهد بذلك ما حصل من الترقي لبعض المستحقين من الاقباط المصريين ، ومنهم من ترقي الى رتبة الباشا فى تلك المدة واسمه بطرس باشا غالي ، على أن الاقباط فى مصر كانوا مهانين مثل المسلمين ولم يبلغ أحـد منهم رتبة الباشا الى ذلك التاريخ أصلا . وكذلك ما حصل من الترقى للمستحقين من الترك والجركس وغيرهم بدون فرق ولا تفاوت . واجتهدت فى رد المظالم الى أهلها ونشر راية الحرية على أطلال الاقطـار المصرية والسودانية مع المحافظة على المعاهدات الدولية . .واقمت نفسى حافظا عموميا لجميع الاجانب الاوربيين حتى يكونوا آمنين على أرواحهم واموالهم يشهد بذلك ما حررته لوكلاء الدول الاوربية وما تعهدت لهم به بحضور الخديو ودرويش باشا المندوب العثمانى (١) »

٢٦ مايو ١٨٨٢ احمد عرابي المصرى

مؤامرة انجلترا وفرنسا

لما رأت دولة انجلترا نجـاح الحزب الوطنى فى أعماله وعلمت بتأليف وزارة وطنية حرة وان تلك الوزارة صادقت على قانون مجلس النواب الأساسى ولائحة انتخاب أعضائه وصدر الأمر الخديوى بالتصديق عليهما ، كبر عليها هذا الأمر واستمالت اليها دولة فرنسا للاستعانة بها على اطفاء نور الحرية وطمس آيات العدالة التى ظهرت فى وادى النيل الذى هو مطمح أنظار الدولتين المذكورتين منذ القدم

وبما ان الخديوى رمى بنفسه فى أحضان الانجليز سرا قبيل عزل اسماعيل باشا لأنه كان متخـوفا من والده واخوته ، وذلك بمقتضى عهد أخذ عليه مقتضاه أن يكون

---

(١) ذكر عرابى باشا فى هذه الرسالة تفصيل المؤامرة الجركسية . وقد سبق ذكرها . ولهذا آثرنا حذفها

لانجلترا النفوذ الأول فى الحكومة المصرية ، وان الخديوى لا يخالف لها أمرا • وعلى الحكومة الانجليزية أن تحفـــظ حياته وبلاده من الداخل والخارج • أوعز اليه السير «مالت» قنصل جنرال انجلترا أن يستنجد بالانجليز ليعيـــدوا له سلطته الاستبدادية ففعل •

وحينذاك اتفق اللورد «جرانفيل» ناظر خارجية الإنجليز مع المسيو « جمبتا » ناظر خارجية فرنسا على أن فرنســا تطلب من الانجليز التداخل فى المسألة المصرية بارســـال أسطول مؤلف من سفن انجليزية وأفرنسية فطلبت ذلك ووافقت انجلترا على طلب فرنسا المخدوعة بسياسة «جمبتا» الذى باع مركز فرنسا فى مصر بثمن زهيد جدا مهما عظم

وبناء على ذلك ورد من باريس ان المسيو «دى فريسينيه» رئيس وزراء فرنسا اذ ذاك صرح فى جواب ألقاه على سؤال ان فرنسا تود حفظ استقلال القطر المصرى على الصــورة المؤيدة بالفرمانات العديدة بحيث لا يطرأ عليه أقل تغيير وان اتحاد فرنسا وانجلترا يؤيد هذا الاستقلال • ثم قال ان الحوادث ربما تستلزم اتفاق جميـــــع الدول الأوربية لتسوية المسائل المصرية ، ولكن بما أن الدول تعتـــرف لفرنسا وانجلترا بأفضلية المصالح فى ذلك القطر فسيكون من الواجب عليهما أن يديرا سياستهما بحزم وثبات

وعلى أثر ذلك شاع ان سيأتى الى الاسكندرية أســطول فرنساوى وآخر انجليزى وان الباب العالى سيرسل الى مصر وفدا مؤلفا من بعض رجال الدولة وان الدول وفى مقدمتها الدولة العلية ستتداخل بالفعل فى أحوال مصر فأوجس الناس من هذه الأخبار خيفة ، وأيقنوا بقرب تعـــاظم المشاكل ودخول مصر فى طور جديد

ثم ورد تلغراف من باريس ينبىء ان الأسطول الفرنسوى الذى سافر من بيره على مقربة من جزيرة كريد سيجتمع

بالاسطول الانجليزى الآتى من كورفو ثم يسير الاثنان الى القطر المصرى ، فكان ذلك مثبتا للأنباء السابقة .

ثم ورد تلغراف من الآستانة يعلن ان الباب العالى أرسل الى الدول منشورا يعترض فيه على ارسال الدوارع الأجنبية الى القطر المصرى استنادا الى أن الأحوال الجارية اذ ذاك فيه لا تدعو الى مثل هذا التدخل ، فضلا عن انه يجب أن يعهد فى ذلك الى الدولة العثمانية

وفى ١٥ مايو سنة ١٨٨٢ وفد السير ادوارد مالت والمسيو سنكوفيش قنصلا فرنسا وانجلترا على الخديو لإخبراه بصفة رسمية عن قدوم الاسطول وانه يصل الاسكندرية فى صباح ١٧ منه . ثم نشر السير مالت منشورا بعث به الى قناصل حكومته فى القطر المصرى يخبرهم فيه بما كان ويبين لهم السياسة التى يجب أن يتبعوها ويعلمهم ان وصول السفن ليس فيه ما يوجب تكدير العلائق ، فان قدومها انما هو بطريق المسالمة وبصفة ودية

وفى ١٩ مايو وفدت على ميناء الاسكندرية دارعة انجليزية . وفى ٢٠ منه دخلها دارعتان انجليزيتان وفى ٢١ منه دخلها سفينتان حربيتان ، وعلم فى ذلك اليوم ان كلا من الدول الأوربية (ما عدا انجلترا وفرنسا) سترسل سفينة أو اثنتين الى المياه المصرية على غير اشتراك مع الاسطولين الفرنسوى والانجليزى

سقوط وزارة محمود سامي

وبعد قدوم الاسطولين جاء قنصل فرنسا الجنرال منزل رئيس النظار وأعلن له طلب الدولتين فاستدعى الرئيس زملاءه النظار وتشاوروا فى الأمر وبعد المداولة اتفق رأيهم على أخذ رأى الخديوى فى هذا الحادث الجلل فتوجه اليه رئيس النظار محمود باشا سامى وناظر الخارجية مصطفى

باشا فهمي وأخبراه بما حدث ، فأجاب انه ينتظر فى هذا الشأن تعليمات ترد اليه بعد يوم أو يومين ، وأخـــذت المخابرات بعد ذلك تجرى بين القنصلين والوزارة

وورد فى جريدة التيمس حينذاك ان ارســال الدوارع إلى مياه مصر لم يقصد به الا تعزيز الخديوى وتأييدسلطته، فأول شيء يجب اجراؤه هو حمل عرابى باشا على التنحى عن الادارة والسياسة وقلب الوزارة ، واذا لم يكف ارسال الدوارع لبلوغ الغاية ترتب على ذلك استخدام القوة لاكراه عرابى باشا وأعوانه على تنفيذ مطالب الدولتين • ويتمذلك بارسال بعض الجنود الىالقطر المصرى ومجانبة لمساستقلال مصر يجب أن تكون تلك الجنود جنودا عثمانية ، واذا تمرد المصريون عليها عدت مصر عاصية على الدولة ، فيتـــرتب اذ ذاك على الدول أن تنظر فى هذا الأمر وهو :

« الى أى حد يقضى بقاء استقلال السلطنة العثمانية على الدول الأوربية بعدم التدخل فى المسألة المصرية بالنفوذ والقوة ؟ »

وقد تناقلت الجرائد هـذا المقال وعلقت عليه بالشروح والملاحظات فكان له ولها وقع شديد التأثير فى النفوس • وفى خلال ذلك طلب الباب العالى من فرنسا وانجلترا أن تستردا أسطوليهما فأجابتاه انهما لا تسترجعانهما الا بعد أن تعود الى مصر راحتها ويستقر فيها النظام

وفى ٢٥ مايو تقدمت الدولتان الانجليـزية والفرنسية بالانذار الأخير للوزارة المصرية بطريقة رســمية ومضمون هذا الانذار طلب سقوط الوزارة وخروج عرابى باشا من القطر المصرى ، فتضـــمن له الدولتان حفظ رتبه ومرتباته ونياشينه واقامة عبد العال باشا حلمى وعلى باشا فهمىفى الأرياف بجهات لا يخرجان منها فتضمن الدولتان رتبهما ونياشينهما ورواتبهما • وطلبت الدولتان تسريح صفوف

العساكر ، فلا يبقى منها الا القدر اللازم لحفظ الحدود القبلية

فلما تلقى النظار هذا الانذار اجتمعوا في منزل رئيس النظار محمود باشا سامي وقرروا بالاتحاد ان هذا الانذار يعتبر تدخلا مغايرا للمحالفات الدولية والحقوق الوطنية ، بل يعد اعتداء محضا ، اذ لا علاقة للدول الأجنبية معنا • ومن الواجب رفضها • ثم رأوا عرض الأمر على الخديو لأخذ رأيه فتوجه اليه رئيس النظار وناظر الخارجية وعرضا عليه قرار النظار برفض الانذار المذكور رفضا باتا ، فأجابهما الخديو بأنه تقدم له نسخة من هذا الانذار وقبله ، فعرضا عليه بأن هذا خلاف عظيم بين الوزارة والخديو يستلزم استدعاء مجلس النواب للنظر في مصلحة بلادهم ، وطلبا من الخديو صدور أمره بجمع مجلس النواب فأبى عليهما ذلك • ثم رجعا وأخبرا زملاءهما بما صمم عليه الخديو ، فقرروا بالاجماع استدعاء مجلس النواب أولا وعرض الخلاف عليه .

وقد عقد مجلس النواب وعرض عليه هذا الخلاف ، ثم قدم النظار استعفاءهم في يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ محتجين على انذار الدولتين فرنسا وانجلترا فقبل الخديو استعفاءهم بفرح وسرور •!!

لا نرضى بغير عرابى

وبعد استعفاء الوزارة أصدر الخديو منشورا الى جميع الجهات وهذه صورته :

« بما ان هيئة النظار الحاضرة استعفت وصار قبول استعفائها ، فليكن معلوما ذلك لديكم لتصرفوا جهدكم واقتداركم فى المحافظة التامة منكم ومن مأمورى المديرية الموكلة لادارتهم وتلزموا الدقة والانتباه لحسن سير الاشغال

والمصالح المتعلقة بكم ، كما انه من حيث ان المراكب الحربية الأجنبية التى حضرت الى الاسكندرية لم يكن حضورها الا بوجه سلمى فقط • ولم يكن هناك شيء آخر خلاف ذلك فليس هناك لزوم لارسال أحد من عساكر الامدادية الذين صار طلبهم أخيرا بمعرفة الجهادية • بل ان الموجود منهم تحت الحضور من البلاد يتنبه بصرف النظر عن حضوره واعلان المراكز والأقسام بالتنبيه على مشايخ وعمد البلاد بهذا المضمون للعلم بعدم الاقتضاء لجمع عساكر ، وانتباه كل لاشغاله وزراعته بدون اشتغال فى غير ذلك • هذا واز الأمور المهمة التى كان قد جرى العرض عنها لنظارة الداخلية يجب أن يعرض عنها من الآن لمعيتنا الى أن تتشكل هيئة نظارة جديدة كما هو مطلوبنا

محمد توفيق »

وفى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ عقد عند الخديو احتفال عظيم حضره النواب والأعيان والعلماء

وقد خاطب الخديو هذا الجمع العظيم بقوله :

« ان السياسة اقتضت استعفاء الوزارة وقبول انذار الدولتين فرنسا وانجلترا • وانى حفظت لنفسى رئاسة الجهادية وادارة المصالح الادارية لحين تشكيل وزارة جديدة»

وبعد خروجهم جاء للمعية تلغراف من ضباط الايات اسكندرية بأنهم لا يرضون البتة غير عرابى باشا ناظرا للجهادية ، وان مضت ١٢ ساعة ولم يرجع الى منصبه كانوا غير مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه

حوادث الثورة

خضوع الخديو لانجلترا وفرنسا

انتهى بنا الكلام فى الصفحات السابقة الى قبول الخديو توفيق انذار فرنسا وانجلترا العدائى ، واستعفاء الوزارة محتجة على قبول ذلك الانذار بعد رفضها له ، وبعد استدعائها لأعضاء مجلس النواب ، واستقلال الخديو بادارة البلاد ورئاسة الجهادية ، ومعارضة طلبة باشا عصمت وكبار العلماء ومن حضر من مجلس النواب للخديو ، فلنات الآن على سرد الحوادث التى أعقبت ذلك الخلاف :

ما طير البرق خبر استعفاء الوزارة واحتجاجها على قبول الخديو لانذار انجلترا وفرنسا حتى بلغ الاضطراب فى جميع بلاد القطر مبلغا عظيما وأخذ القلق من النفوس مأخذا جسيما فكثر اللغط وزادت بواعث الخوف ثم حضر الى العاصمة جميع أعيان البلاد ومستخدمى الحكومة وقدموا لنا مئات من العرائض بواسطة مديريهم محتجين فيها على عمل الخديوى هذا ومتطلبين أحد امرين : اما رفض اللائحة المذكورة ، واما عزل الخديوى الذى قبل تداخل الاجانب فى أحوال البلاد الداخلية

فلما احس الخديو بذلك بعث الى الحضرة السلطانية بالتلغراف يخبرها أن الوزراء استعفوا محتجين على قبول لائحة الدولتين وان الجند غير راض بما حصل . فورد تلغراف من الباب العالى حاصله ان الحضرة السلطانية أمرت بتاليف لجنة عثمانية تأتى الى مصر بعد ثلاثة أيام للنظر فى الحالة

ولما تعاظم الخوف حضر لمنزلى جميع قناصل الدول ما عدا قنصلى انجلترا وفرنسا يطلبون مني التامين على رعاياهم ، فأجبتهم بأنى قد استعفيت ولا صفة لى تخولنى تحمل هذه المسئولية العظيمة فقالوا ان الجيش لا يخالف ارادتك وانت رئيس الحركة الوطنية ، فلا نأمن على رعايانا وانفسنا الا باعطائك لنا كلمة شرف بحفظ رعايانا ، فلأجل طمانينتهم وتسكين روعهم ، كتبت تلغرافا الى جميع مراكز العسكرية بصفة انى رئيس الجزب الوطنى ، ارغب اليهم فيه أن يلازموا الهدوء والسكينة وأن يحافظوا على راحة الجميع ، وخصوصا رعايا الدول الاجنبية ، وأن يعاملوهم بحسن المعاملة وكمال المجاملة

المطالبة بعزل الخديو

وفى ليلة السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ دعيت الى منزل محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب فذهبت اليه ومعى اخوانى على باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى ومحمد عبيد بك وغيرهم من الضباط . فلما وصلنا الى المنزل المذكور وجدناه غاصا بأعضاء مجلس النواب ، ومعهم قاضى قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن افندى نافذ والشيخ عبد الهادى الابيارى امام المعية ، وتم الاتفاق على ملازمة الراحة والسكون ، وأن يطلب من الخديو أن يرفض الانذار الثنائى ويأمر برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ، أو يعزل عزلا . وفى اثناء ذلك حضر بحديقة المنزل جماعة من الضباط والنبهاء من الملكية وغيرهم ، وصاحوا بقولهم : « اعزلوا الخديو الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرنا وتهديدنا بأساطيلهم » !

ثم خرجت بمن معى من الضباط وتوجهنا الى منزل محمود باشا سامى فوجدنا كثيرا من الذوات هناك ينتظرون

ما عسى أن يحدث من مخبآت الدهر ، فقابلنا عبد الله باشا فكرى الذى كان استاذا ومربيا للخديو فى صغره ، وقال لنا :

ـ هل قتلتموه ؟ !

فقلت له : « من تعنى ؟ » . فقال : « أعنى الخديو .. الم يقتل ؟ » . فقلت له : « اننا لا نقتل احدا بغير حكم شرعى ، فلا يليق بك أن تتكلم بهذا الكلام » . ثم توجه كل منا الى منزله

وفى صباح يوم السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ حضر لى رئيس مجلس النواب سلطان باشا وحسن باشا الشريعى وسليمان باشا اباظة وسلمونى امر الخديو القاضى برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ، واخبرونى بانهم لما وفدوا على الخديو وجدوا جميع القناصل فى حضرته ما عدا قنصلى فرنسا وانجلترا ، وانهم طلبوا من الخديو صدور امره برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية لاجل اطمئنان الجميع، فكان القناصل مع النواب على راى واحد ، وحينذاك فرح الضباط والجنود وجميع الوطنيين

وبعد ذلك توالى اجتماع قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرالين بالخديو ليلا ونهارا . ثم انى اصدرت منشورا الى قناصل الدول تكفلت لهم فيه بتأييد الأمن والراحة لجميع سكان القطر المصرى وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين ، وطلبت من الخديو لزوم جمع العساكر لاستكمال الالايات على مقتضى القدر المقرر فى الفرمانات السلطانية ، فاجابنى بالموافقة على ذلك وصدر أمر الجهادية بجمع عساكر الامدادية نمرة ٢ ونمرة ٣ استعدادا لما عسى أن يطرأ من الحوادث

وقد جاء فى الأمر الخديوى الذى صدر برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ما يأتى :

« ولو انكم استعفيتم ضمن هيئة النظار التى استعفت لكن مراعاة لحفظ الأمن والراحة استصوبنا بقاءكم فى نظارة الجهادية والبحرية ، واصدرنا أمرنا هذا لكم لتعلموه وتبادروا باجراء ما فيه انتظام احوال العسكرية الكافلة لحفظ الأمن العمومى على الوجه المرغوب كما هو مقتضى ارادتنا »

تدخل انجلترا وفرنسا

وردت الى سفيرى فرنسا وانجلترا فى الاستانة أوامر من حكومتيهما بأن يعرضا على الباب العالى أن يتداخل باسم اوربا فى القطر المصري تداخلا غير مطلق بل معين الحدود وان يكون ابتداء هذا التداخل بارسال مأمور على سفينة واحدة حربية يحض الضباط المصريين على امتثال امر الخديو والخضوع لارادته ويصدق على تصرفه فى أعماله

فاجتمع الوزراء فى الاستانة ، وتذاكروا فى تدخل الباب العالى فى القطر المصرى وقرروا انه اذا دعت الحاجة الى ذلك فلا يكون التداخل الا بمقتضى سيادة الحضرة السلطانية على القطر المصرى التى تعترف بها اوربا وليس على الوجه المقيد كما عرض السفيران

وثبت أن فرنسا وانجلترا ارسلتا الى الباب العالى مذكرة مشتركة تطلبان بها ان يؤمر عرابى باشا وسائر زعماء الحزب العسكرى أمرا قطعيا بالذهاب الى الاستانة وعرضت فرنسا ان يعقد مؤتمر فى الاستانة يكون أساس أعماله تأييد الحالة المقررة للقطر المصرى فوافقتها انجلترا على ذلك . وطلبت المانيا وأوستريا والروسيا وايتاليا من الباب العالى أن يوافق على لائحة فرنسا وانجلترا . وبلغت حكومة انجلترا الباب العالى أن ما تريده هو نشر العلم العثمانى فى القطر المصرى وارسال المعتمد السلطانى على مدرعة حربية

عثمانية . وأثبت المسيو فريسينيه رئيس وزارة فرنسا فى مجلس النواب الفرنسى أن لا شيء يدعو الى تدخل الجنود الفرنسية فى القطر المصري لأن اتفاق الدول الأوربية وحده يتكفل بحل المشاكل المصرية على وجه سلمى بدون أن تنشأ المصاعب فى مصر وأوضح المستر جلادستون رئيس وزراء انجلترا فى مجلس العموم أن انجلترا ترى من الواجب عليها أن تؤيد الخديوى توفيق باشا فى منصبه على حسب تعهدها له وتعهده لها ، لما أظهره من أدلة الصداقة والاخلاص الجامعة اليها مظاهر الأمانة ..!

الوفد العثمانى الثانى

فى ٢ يونيو سنة ١٨٨٢ عين درويش باشا معتمدا عثمانيا ليأتي الى القطر المصرى ويحقق تلك التهويلات الانجليزية الفرنسية فسافر من الاستانة ووصل ثغر الاسكندرية فى سابع الشهر المذكور على السفينة الشاهانية (عز الدين) ومنها حضر الى العاصمة للنظر فى الخلاف الواقع بين الخديو والأمة المصرية

وكان قد اكتمل فى مياه الاسكندرية الى ذلك التاريخ عدد من السفن الحربية التي ارسلتها انجلترا وفرنسا وقدمت لها أيضا سفن أخرى مختلطة من سفن الدول لحماية رعاياهم

وكانت مدينة الاسكندرية مكتظة بالناس من الواردين اليها من الأجانب والوطنيين ، فتعاظمت المخاوف وازداد ارتعاد الفرائص بحيث كان الناظر لا يرى الا وجوها علتها صفرة الخوف وقلوبا واجفة تملكها الرعب

طمع الانجليز فى وادى النيل

ولما رأينا كثرة تردد السير مالت قنصل انجلترا الجنرال

على الخديو ليلا ونهارا واستسلام الخديو بما يوحى به اليه علمنا أن انجلترا طامحة للاستيلاء على وادى النيل الخصيب عملا بقاعدة التوازن الدولى لتضارع بعملها هذا عمل فرنسا فى استيلائها على ولاية تونس الخضراء ، كتبنا بذلك للحضرة السلطانية وحيث لم يكن لنا واسطة فى الاستانة تبلغ عنا مقاصدنا للسدة الشاهانية اتخذنا الشهم المقدام على راغب قبودان أحد شبان البحرية المصرية رسولا وكلفناه بابلاغ عريضتنا الى الحضرة السلطانية بواسطة الشيخ محمد ظافر شيخ السادة الشاذلية وشيخ الحضرة السلطانية فصدع بالأمر وأوصل الرسالة الى الشيخ المذكور . وكذلك بلغ احمد راتب باشا ما أوصيناه به بعد عودته من مأموريته الحجازية الى دار السعادة

فكتب لنا الشيخ ظافر بما صدر به النطق الشريف وكذلك فعل احمد راتب باشا وكان الحامل لهذين الخطابين السيد احمد أسعد افندى وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانية الذى حضر أخيرا بمعية درويش باشا

الانجليز يوقدون الفتنة

لما كبر على الانجليز نجاح المصريين فى أعمالهم الوطنية ارادوا أن يشوهوا أعمالنا فى نظر أوربا فأخذوا يفكرون فى احداث أمر يوجب التدخل الاجنبى بالقوة الحربية فدعا المستر كوكسن قنصل انجلترا فى الاسكندرية جميع قناصل الدول واظهر لهم أن المصريين فى هياج شديد من وجود الأساطيل الحربية فى الثغر ويخشى من هجوم الرعاع على الأوربيين واخذهم على غرة ، وان الحزم يقضى عليهم بالمداولة فيما يجب اتخاذه من التدابير والوسائل الآيلة الى حفظ ارواحهم ووقاية اموالهم فعقدوا لذلك عدة اجتماعات وأخيرا قرروا باجماع الرأى أن يحشدوا عددا عظيما من

الافرنج وان يهيئوا له الأسلحة اللازمة ويجعلوه قائما على قدم الاستعداد لدفع الشر عند حدوثه واستشاروا فى ذلك اميرى الأسطولين الفرنسي والانجليزى ، فوافقاهم على ذلك ثم ورد الى دار القنصليــة الانجليزية كميــة وافرة من الأسلحة والجبه خان ، وعلمت الضابطة بذلك فهاجت الأفكار وتوجس الناس شرا

ثم كتب قناصل الاسكندرية الى القناصل الجنرالية بمصر بما عزم الأوربيون عليه وانفذوا اليهم (بودنكى) قنصــل أسوج ونروج الجنرال معتمدا من قبلهم ليعقدوا معهم مخابرة فى هذا الشأن . فلم يفز عملهم هذا بالرضى والاستصواب ولم يحز قبولا بل انكره عليهم اكثر القناصل الجنرالية كما استدل على ذلك من تلغراف بعث به المستر مالت وكيل انجلترا السياسى فى القاهرة الى المستر كوكسن قنصلها بالاسكندرية

وما زال الاجانب يتأهبون ويستعدون لايقاد نار الفتنة والناس فى هرج ومرج وخوف شديد من حادث يطرأ حتى كان اليوم الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٨٨٢

مذبحة الاسكندرية

كانت النكبة مهياة على نحو ما ذكرنا . وحدث أن رجلا مالطيا من رعية الحكومة الانجليزية ركب حمارا ونزل بجهة قسم اللبان وترك صاحب الحمار من غير أن يوفيه أجره فتعلق به الحمار وطلب حقه فطعنه المالطى بسكين والقــاه صريعا يتخبط فى دمه ، ثم دخل الى منزل هناك ، فاجتمع كثير من الحمارة يريدون ضبط القاتل ، فاطلق عليهم الرصاص من منافذ البيت الذى لجأ اليه ، ثم جاء مالطى آخر واراد تفريق الحاضرين بضربهــم بالعصى فضربوه ، والقوه على الارض صريعا . ثم تكاثر رعاع الأوربيين ، وضربوا الوطنيين

بمسدساتهم ولما كان الوطنيون عزلا من السلاح دافعوا عن أنفسهم بالعصى ، وكان فيهم الحمارة والحمالون واجتمع عليهم العرب والسودانيون والصعايدة فكثرت الغوغاء واشتد اللجب وعلت الضوضاء وسلت الخناجر وأطلق الرصاص واختلط الوطنيون بالأوربيين ، ولما كثر القتل فى الوطنيين انهالوا على الاوربيين من كل جهة وصوب يضربونهم بالعصى والنبابيت حتى قتلوا منهم نحو مائة نفس وكذلك قتل من الوطنيين بالسلاح نحو هذا العدد . وامتدت الفتنة الى الشارع المعروف بشارع السبع بنات وشارع المحمودية وغيرهما من شوارع المدينة

وكان اكثر الأوربيين متفرقين فى جهات الرمل قصد التنزه واستنشاق النسيم اللطيف هربا من حر المدينة ولم يكن فى المدينة منهم آلا رعاع القوم من المالطيين وغيرهم المهياون لايقاد نار الفتنة بمعرفة السير مالت والمستر كوكسن من جهة ، والخديوى وعمر باشا لطفى محافظ الثغر من جهة اخرى بدليل تلغرافات الجفرة المتبادلة بين الخديوى وعمر لطفى فى ذلك اليوم كما ثبت ذلك لدى اللورد شرشهيل حين طلب من مجلس البرلمان الانجليزى محاكمة الخديوى ومعاقبته على ذلك ـ وبدليل تأخر المحافظ عمر لطفى ومأمور الضبطية السيد بك قنديل عن تدارك اطفاء تلك الفتنة حتى تأججت نيرانها

وقد تمارض مأمور الضبطية المذكور ، وادعى انه حدث له شلل فى ذراعه الأيسر ولزم فراشه ليتخلص من المسئولية وليرضى عمر لطفى والخديوى بعدم اجراء ما يلزم اتخاذه من التحوطات لمنع حدوث تلك الفتنة قبل انتشارها

وفى الساعة الخامسة بلغ خبر تلك الحادثة اسماعيل باشا كامل قومندان الايات الاسكندرية ، فأسرع بارسال الالاى الخامس والالاى السادس الى ساحة المنشية وهو فى مقدمتهم ،

ثم وزع البلوكات فى جميع شوارع الثغر وامرهم بتفريق الجموع وعند ذلك حضر المحافظ عمر لطفى ووكيل الضبطية حسن صادق وساعدا قومنـدان الآلايات فى تعيين النقط والمراكز التى يلزم حفظها بالعساكر

وعند غروب الشمس هدأت الفتنة وسكن الاضطراب وتوجه كل من الثائرين الى محله . وانقضى الليل ولم يحدث فيه شىء يذكر غير أن الخوف كان ملء القلوب

ولما بلغت مصر اخبار تلك الحادثة اضطرب لهـا أهل العاصمة ونزلت على أسماعهم نزول الصاعقـة ، فبادرنا بارسال وكيل الجهادية يعقوب باشا سامى ومعـه الآلاى البيادة الثانى بأمرة خليل بك كامل والآلاى الرابع بأمرة عيد بك محمد وبطاريتين طوبجية والاى سوارى حكمدارية احمد بك عبد الغفار ليلا الى الاسكندرية تحت قيادة طلبة باشا عصمت وأمرنا وكيل الجهـادية باعادة الأمن الى نصـابه باشتراكه مع المحافظ فى ذلك

وعلى أثر ذلك تألفت لجنة لتحقيق هذه الحادثة من وكيل نظارة الجهادية يعقوب باشا سامى وبطرس باشا غالى ويأور الجناب الخديوى وياور درويش باشا ومندوب قناصل الدول الاجنبية تحت رئاسة محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى فالتأمت بالاسكندرية وشرعت فى أعمالها وقررت فى الحال التدابير التى تعود بها الطمأنينة وتعم السكينة . ولكن القلق كان قد استولى على قلوب الجميع وصار سكان المدينة فى اضطراب مستمر حتى بات الناس لا يعلمون اى الاخبـار صحيح وأيها مكذوب . وفى جملة ما تناقلته الرواة يومئذ أن الأوربيين يتأهبون للهجوم على المسلمين وانهم يعدون العدد والسلاح فاجتمع رؤساء الجند بالاسكندرية ، وقرروا أن يخبروا قناصل الدول بما رأوه ملطفا للهياج فكتبوا اليهم بما يأتى :

« اذا لم يعن القناصل جميعا بتسكين الهياج وابعاد أسباب الاضطراب والتنبيه على رعاياهم بعدم اجراء ما يوجب حصول المكاره فلا يكون من السهل تأييد الراحة العمومية والمحافظة على النظام والامن فى البلاد »

ولما وصل هذا القرار الى قناصل الدول تشاوروا فى الامر ثم اتفقوا على نشر الاعلان الآتى تعريبه :

« يا ابناء جلدتنا الاعزاء

«وقع امس بالاسكندرية وقائع مهمة ولكن الجهادية المصرية أعادت الراحة وتعهد رؤساؤها بالمحافظة عليها ، ونحن بهم واثقون فضلا عن كوننا متوافقين مع المأمورين الملكيين والجهاديين على ما يجب اجراؤه من التدابير اللازمة المؤدية الى وقاية الراحة العمومية وصيانتها — فنتقدم اليكم أن تساعدونا بحكمتكم على القيام بهذا الواجب العمومى فلا تتقلدوا اسلحة نارية ، والزموا منازلكم ما استطعتم واجتنبوا أسباب المشاجرات والمنازعات

وحرصا على المصلحة العمومية قد حصل التوافق بين جميع القناصل الموقعين على ذيل هذا الاعلان — على أن يكون لقواصة القنصليات جميعا من أية تابعية كانوا الاختصاصات المعروفة للبوليس ، وسائر رجال الشرطة فنكلفكم ان تمتثلوا لهم

« كتب بالاسكندرية فى ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢ » التوقيعات

سفر الخديو للاصطياف

وفى يوم الثلاثاء ١٣ يونيو سنة ١٨٨٢ بارح الخديو مصر متوجها الى الاسكندرية للاصطياف فيها على حسب العادة وقد ركبت على يساره من سراى الاسماعيلية الى محطة مصر . وفى الساعة الثانية بعد الظهر وصل الخديوى الى الاسكندرية

وفى حال وصول الخديو الى الاسكندرية زاره قناصل الدول ما عدا قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرالين فانهما بقيا فى مصر خلافا لسائر القناصل ، فأبدى الخديو أسفه

الشديد على ما حدث بالاسكندرية ووعدهم أن يصرف عنايته بالا تحدث فى المستقبل حادثة مثلها وخاطبهم ايضا درويش باشا بمثل هذا الكلام وزاد عليه قوله انه يثق وثوقا تاما بحسن نية الجهادية ورجالها ونبالة مقاصدهم وانه على يقين من أنهم يحافظون على الراحة العمومية ما استطاعوا الى المحافظة والوقاية سبيلا

دسائس الخديو توفيق

وكانت الأفكار قد هدأت والقلوب اطمأنت بفضل سهر العسكرية على اعادة الأمن والراحة فى أرجاء الاسكندرية غير ان الخديوى أسر الى السير أوكلان كولفن المراقب العمومى الانجليزى أنه غير واثق باستمرار الأمن والراحة وانه يعتبر مهمة درويش باشا كأنها قد انتهت ولم تفلح ، وانه لا يرى بدا من وجوب مجىء جنود « انجليزية » لاعادة الراحة والطمأنينة لا جنود عثمانية كما ذكر فى تاريخ مصر «للنقاش» لأنه لا يصح ان يطلب جنودا عثمانية من عامل انجليزى مثل كولفن . وما شاع هذا التصريح الصادر من الخديوي حتى اشتد قلق الناس وعظم خوفهم وعلموا من بعض قناصل الدول الكبيرة ان الخطر قريب قائم عند الأبواب وانه لا بد من حدوث وقائع تنخلع لها القلوب الثابتة فزاد الخوف وكثر عدد المهاجرين النازحين . ثم كتب بعض القناصل كتابات رسمية يحضون بها رعاياهم على المهاجرة

ولما شاعت هذه الأخبار وعرف الناس أنها صادرة من وكلاء الدول السياسيين ايقنوا انه لا بد من وقوع أمرهائل وحدوث شىء مهم فركن الأجانب الى الفرار مسارعين ينزحون من كل جهة وصوب ، ثم تجدد القال والقيل واستؤنف اشتداد الخوف فى مصر واسكندرية وسائر مدن :

القطر المصرى وضاقت قطرات السكك الحديدية عن المسافرين والمهاجرين .

ولما رأينا ذلك نشرنا منشورا فى يوم الخميس الموافق ١٥ يونيو سنة ١٨٨٢ الصق فى شوارع العاصمة والاسكندرية والمحافظات والمديريات قصد استمالة الخواطر الى الهدوء والسكينة والاعتقاد باستتباب الراحة وهذا نص المنشور المذكور حرفيا :ــ

« ناظر الجهادية احمد باشا عرابى يعلن كل سكان القطر المصرى من المصريين والاوربيين رسميا أن الحضرة الخديوية الفخيمة كفلت الامن والراحة فى جميع جهات القطر أمام حضرات قناصل الدول المتحابة وتكفل ناظر الجهادية أيضا بصيانة الارواح والاموال وحفظ سكان البلاد على اختلاف طبقاتهم ومعتقداتهم وتابعيتهم وقد انتقل الجناب الخديوى الى اسكندرية بعائلته لدفع الاوهام من الافكار واطمئنان القلوب . وبقى ناظر الجهادية بمصر لمراقبة الاحوال وصيانة البلد وكتب لامراء العسكرية فى سائر الجهات ببث الراحة والسهر على حفظ الامن وصيانة النفوس . وعلى هذا فديوان الجهادية يعلن الجميع بهذا حفظا للافكار من الاراجيف والاشاعات الكاذبة »

ووفد من مصر الى الاسكندرية أكثر قناصل الدول كما سبق بيانه وبقى السير مالت وكيل انجلترا والمسيو سنكوفتش وكيل فرنسا فى العاصمة حتى ورد الى الاول منهما تلغراف من لندرة يأمره بالمجىء الى الثغر وأن يرافق الخديو أينما ذهب وحيثما توجه ، فأتى الى الاسكندرية صادعا بأمر حكومته وتبعه أيضا المسيو سنكوفتش قنصل فرنسا الجنرال

وزارة راغب باشا

وفى ذلك الوقت بدت علائم الشقاق بين الدول الأوربية ، فانحازت دولة المانيا وأوستريا وايتاليا وروسيا الى الباب العالى وانفردت الدولتان الغربيتان (فرنسا وانجلترا) فى سياستهما ثم حصل بعض الفتور فى صلات هاتين الدولتين

حتى توهم الناس ان انجلترا ستنفرد وحدها فى المسألة المصرية وتكون سائر الدول الباقيات معارضات لها . وأيد هذا الوهم ما كان فى تلك الأنباء من تدخل قنصلى ألمانيا وأوستريا بمساعدة درويش باشا وسعيهما لدى الخديوى فى تأليف وزارة جديدة يكون عرابى باشا من أعضائها ويبقى فيها ناظرا للجهادية والبحرية ونصحهما له بأن حال البلاد لا تصلح والقلاقل لا تحسم والطمأنينة لا تحصل الا بتأليف وزارة على الصفة التى تقدم ذكرها وألحا عليه بذلك

وأذعن الخديو واستدعى شريف باشا ثم مصطفى باشا ثم غيرهما وكلف كلا منهم بتأليف الوزارة فأبوا جميعا لما علموه من مقاصد الحكومة الانجليزية ، ثم استدعى اسماعيل راغب باشا ، وكلفه تأليف وزارة تحت رئاسته وأن يكون ناظرا للخارجية أيضا

وفى ١٦ يونيو سنة ١٨٨٢ صدر أمر الخديو بذلك وتم تأليفها فى ٢٠ يونيه على هذه الصورة :

اسماعيل راغب باشا	ناظر الخارجية ورئيس النظار
احمد رشيد باشا	« الداخلية
عبد الرحمن بك رشيد	« المالية
احمد عرابى باشا	« الجهادية والبحرية
على ابراهيم باشا	« الحقانية
سليمان أباظة باشا	« المعارف
محمود الفلكى باشا	« الأشغال
حسن الشريعى باشا	« الأوقاف

وفى ٢١ من الشهر السالف المذكور شرعت الوزارة الجديدة فى الأشغال ثم عقدت جلستها ونظمت لائحتها وفيها بيان المنهج الذى يجب ان تسير على مقتضاه وقد عنيت

باعادة الأمن الى نصابه بين المصريين والأجانب

وفى ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٢ كتب راغب باشا رئيس الوزارة الى قناصل الدول ينبئهم ببرنامج الوزارة الذى رفعه الى الخديوى بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٩٩ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٨٨٢ فأجابوا كلهم (ما عدا وكيلى فرنسا وانجلترا) على كتابه بما أوضحوا فيه أنهم راضون عما كان مسرورون بانحسام المشاكل وانهم قائمون على قدم الاستعداد لمساعدة الوزارة الجديدة على تذليل المصاعب وحسم الفتن وازالة العراقيل السياسية والادارية الى غير ذلك مما دل على رضائهم ورضاء دولهم عن تشكيل الوزارة على تلك الهيئة .. وأما وكيلا فرنسا وانجلترا فقد أجابا بما توجبه عليهما الاصطلاحات الرسمية فى مثل هذه الحال كأنهما قالا فى جوابهما للوزارة وصلنا كتابكم واحطنا علما بما فيه

مؤتمر الدول بالاستانة

عقدت الدول مؤتمرها فى الاستانة فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٨٢ من غير أن يكون للدولة العلية معتمد فيه . وفى جلسته الاولى وقع المعتمدون على البروتكول الآتى تعريبه :

« ان الحكومات التى وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتكول ، تتعهد أنها لا تعضد البتة اغتنام أرض ما ، ولا الحصول على امتياز ما ، ولا أن يكون لرعاياها من الامتيازات المتجرية ما لا يستطيع أن يناله غيرهم من رعايا أى الدول فى مصر . وذلك فى اية مسألة حصل التوافق عليها بسعيها واشتراكها فى المخابرات لتنظيم أمور تلك البلاد »

التوقيع

الروسيا	فرنسا	أوستريا	المانيا	انجلترا
أونو	دى نوايل	كايس	هرشفلا	دوفرين

وبعد التوقيع على هذا البروتكول أخذ المؤتمرون يتداولون في المسألة وقد ذكر في الكتاب الأزرق صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير انجلترا بالاستانة الى اللورد غرنفيل وزيرخارجيتها يشتمل على بيان ماجرى في المؤتمر حتى يوم ٢٦ يونيو وقد حشي هذا البيان بالأكاذيب (١)

مراوغة ساسة الانجليز

وفي أثناء المخابرات التي كانت جارية بين الدول لعقد المؤتمر على النحو الذي تقدم بيانه كانت انجلترا تتأهب للحرب بحشد الجنود واعداد المهمات وكان أكثر الناس يتوهمون أن ذلك انما صدر منها على سبيل التهديد والارهاب للمصريين ولتنال أغراضها بدهائها فأحست الدول الأوربية بما وراء الأكمة ولكنها لم تجسرعلى مقاومة الانجليز ومعارضتهم علنا ، لا سيما بعد أن صرح اللورد سالسبري فيمجلس نوابالانجليز أن الانجليز وحدهم قادرون علىنوال مآربهم وتحصيل ما يطلبون رضيت الدول أم لم ترض ، وكانت الدول تحاول اقناع الانجليز بأن لا يستبدوا في الأمر وحدهم وأن يستشيروا غيرهم ويشركوهم معهم في العمل فكانوا ينفرون من ذلك ولا يعترفون لغير الفرنسيس بحجة التدخل في المسألة المصرية اذا اشتعلت نار الحرب واشتد أوارها وهم وان كانوا قد عرضوا على الدول أن تشترك معهم في المؤتمر الا أن سياستهم كانت في الباطن على غير ذلك المنهاج

وقد عرضوا على الباب العالي أن يرسل جنوده الى مصر ولكنهم اشترطوا عليه شروطا لا يمكن الرضى بها ، منها أن

---

(١) نصت المذكرات على هذا البيان المملوء بالاكاذيب وتحريض الدول على الثورة العرابية ، وقد نشر في صحف ذلك الحين

تكون رئاسة الجيش العثمانى لقمنـدان الجيش الانجليزى وتحت تصرفه

وكانت انجلترا على وفاق تام مع الفرنسيس فيمـا اذا وقعت الحرب فانها كانت موقنة ان فرنسا تنسحب من الاشتراك فيخلو لها الجو

وكانت فى كل يوم تعرض على الدول الأوربية أن تشترك معها فى ارسال جنودها الى مصر ، وما كان ذلك الا تظاهرا بما كان مخالفا لمساعيها الخفية ، وشاهدنا على ذلك قول المستر باجت سفير انجلترا بايطاليا فى الكتاب الذى بعث به الى اللورد غرنفيل وزير الخارجية الانجليزية بتاريخ ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٢

ويتضح من هذا الكتاب أن الدول الأوربية كانت شديدة الحذر من انفراد انجلترا فى المسألة المصرية تحاول اقناعها بلزوم اشتراك الدول معها ولا تستطيع معارضتها بالعنف ، ويتبين ايضا أن أهم مسائل ذلك الوقت كانت مسألة برزخ السويس وصيانتـه واستبقاء الخديوى توفيق باشا أو استبداله

وكانت هذه المخابرات جارية بين وزارات اوربا والناس فى مصر لا يعلمون بما سيتم عليـه الراى ولا يعرفون أى الأخبار يصدقون . وكان اختلاف الروايات موجبا لزيادة تشويش الأذهان وعلى الأخص ما شاع فى ذلك الحين من وقوع الخلاف الشديد بين الدولتين الغربيتين فرنسا وانجلترا ، فذهب الناس حينئذ الى أن فرنسا لا توافق انجلترا على نيتها الا على شريطة أن يخلع الخديو توفيق باشا ويستبدل به عمه حليم باشا ، وايدوا هذا القول بما شاع حينئذ من أن الحضرة السلطانية راغبة فى ذلك الاستبدال ، وانها تظهر كل يوم ميلها الى حليم باشا وتقربه منها وهو يعدها بالخضوع والانقياد لأوامرها ونواهيها . بخلاف توفيق باشا الذى

وافق انجلترا على سياستها وتخلف عن تنفيذ الأوامر السلطانية ، والعمل بها ، وخالفها بعدم ذهابه الى الاستانة غب ورود الفرمان العالى المؤذن بتعيينه خديويا لمصر ، فقد كان عليه أن يتوجه الى دار السعادة تبعا للرسوم المألوفة ليتقلد من يد الحضرة الشاهانية وظيفته السامية الى غير ذلك مما رجح فى عقول كثيرين من المصريين صحة وقوع الخلاف بين انجلترا من جهة وفرنسا والباب العالى من جهة اخرى حتى صار فى معتقدهم أن انجلترا لا تستطيع مقاومة الدولتين المشار اليهما متحالفتين فلا بد لها اذاً من الرجوع بخفى حنين ، فتخسر مقامها فى مصر وتعود من حيث أتت

وكان الجميع فى ذلك الحين يترقبون ورود الاخبار من الاستانة ليقفوا على ما كان من أعمال المؤتمرين وما سيقر عليه رأى الدولة العثمانية . وكانت انجلترا أثناء هذه الأحوال تسعى بدسائسها ودهائها فى الانفراد بمصر وبحشد الجند وتعد ما يلزم للقتال والناس فى غفلة يتوهمون أنها انما تفعل ذلك من قبيل التهديد ليس الا

□

وفى يوم ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ وفد على راغب باشا رئيس مجلس النظار المستر كارتريت وخابره فى أمر مياه الاسكندرية وطلب اليه أن يعتني بوقاية المستر كورتس وجماعته عمال شركة المياه وصيانتهم وأن يتخذ الوسائل الفعالة الآيلة لحمايتهم ودفع كل مضرة عنهم ، والا فانهم يهاجرون فيمن هاجر تاركين المدينة من غير ماء ، فأجابه راغب باشا بانه لا يستطيع اتخاذ مثل هذه الوسائل الخصوصية لوقاية شخص واحد فى حالة كون الحكومة المصرية متعهدة بوقاية جميع الأوربيين وصيانتهم

وكان المستر كارترايت لا يرسل من الاسكندرية كتابا ولا يبعث برسالة برقية الى الاستانة أو الى لوندرة ، من غير أن يملأها بأخبار كاذبة ، مجسما حالتى الخوف والاضطراب فى البلاد المصرية وغيرها من الترهات التى يعلم الله مبلغ نصيبها من الصدق. وفى ٢٦ يونيو أرسل الى اللورد غرنفيل كتابا من نوع ما نوهنا عنه وهذا تعريبه :

« سيدى اللورد

« أرسلت اليوم تلغرافا ثانيا الى اللورد دوفرين بالاستانة ، بينت له فيه أحوال هذه البلاد فى وزارة راغب باشا الجديدة وأكدت له أن ما يذيعه البعض من تداعى نفوذ عرابى وأحزابه الى السقوط ان هو الا محض هذيان لا يلتفت اليـه ، فان نفوذهم فى ازدياد مستمر لا يماثله فى سرعة التقـدم غير تعاظم الخوف عند ذوى البصيرة والنقد من انتهاء الأمر الى حد يعسر معه اصلاح الخراب المـالى والمتجـرى الذى الم بالبلاد . فقد نقص دخل الحـكومة كثيرا ونقصت ايضـا واردات الجمارك والسكك الحديدية نقصـا فاحشا واشتد الخوف من ان الكوبون الذى سيستحق فى شهرى اكتوبر ونوفمبر لن يمكن صرفه فى وقته المعين . وقد أوجبت نفقات الجهادية منذ الآن استقراض مبالغ تعتبر دينـا سائرا جديدا على الحكومة . كل هذا مع نقص الدخل ووقوف حركة الاعمال وتعطل التجارة ، ويضاف الى ذلك ايضا ما استولى على قلوب الموظفين الاجانب من الخوف والقلق حتى ان ادارة السكة الحديدية ومكاتب البريد الأميرية والتلغراف أمست لا تستطيع الاستمرار فى أعمالها الا بشق الأنفس ، وفوق هذا وذاك نرى الفعلة وسفلة القوم من الأهالى فى فقر مدقع بسبب وقوف حركة الاعمال ، ولم يبق فيما اظن الا واسطة واحدة لمنع حدوث ما يخشى وقوعه فى داخلية البلاد . . ويجب الا يكتفى بانقاذ الخديو من عرابى وجماعته احزاب

بالجهادية بل يجب المبادرة فى انقاذ مالية مصر وتجارتها من خراب يتعذر اصلاحه اذا استمرت الاحوال سائرة على هذا المنوال» اهـ . وكل هذا كذب وبهتان لانصيب له من الحقيقة

وقد كتب المستر كارترايت الى اللورد غرنفيل عن النبأ البرقى الذى ورد الى الاسكندرية فى ٢٦ يونيو من بنها العسل المفيد بأن أحد اليونانيين قتل فيها وانه يقال أن قاتله أحد الفلاحين .



ضرب الاسكندرية

الانجليز يتأهبون للقتال

وفى تلك الأثناء كانت دولة الانجليز باذلة مجهوداتهـا فى استمالة الدول الى موافقتها على طلبهـا المتعلق بمسألة مصر والانفراد فيها صارفة عنايتها الى حملهن على تركها وشأنها فى مصر وكانت تتأهب للقتال بحشبد الرجال واعداد المدافع والميرة والذخائر وكان عمالهـا فى القطـر المصرى يرصدون حركات الجهادية وأعمالهم ويتجسسون أخبارهم ويستطلعون أسرارهم . وكان المستر جورج فيس قنصل انجلترا بمصر شديد الرغبة فى الوقوف على مقدار العساكر المصريين ومبلغ قوتهم وما عندهم من المهمات الحربية ، وقد كتب الى السير أدوارد مالت القنصل الجنرال بتاريخ ٢٥ يونيو بهذا الصدد ما تعريبه :

« سيدى

« لقد علمت من مصدر أركن اليه وأعول عليه أن الجهادية قررت أنه اذا نشبت الحرب وولج الانجليز أبواب القاهرة تنقل اذ ذاك عائلات الضباط منهم الى القلعة ويتحصنون فيها فيدافعون عن أنفســهم ، وقد شرعوا الآن فى اجراء التدابير اللازمة لذلك وصرفوا فى الأيام الثلاثة الأخيرة معظم عنايتهم الى هذا الأمر فملأوا الشون والمخازن ميرة وذخيرة ، واحضروا كميات وافرة من الدقيق ، وعددا عظيمـا من الثيران والبقر والغنم والخيل ، وهم فى كـل يوم يبتاعون ما يجدون من ماشية وعلف ، ولا يزال الماء المنصرف للقلعة من مستودعات شركة المياه بمصر جاريا اليها . وما عدا ذلك ، فقد اعتنوا باصـلاح آلات بئر يوسف ، ليجعـلوا ماءها

احتياطيا اذا حدث ما يبعث على انقطاع ماء الشركة عنهم ، وهم من اليوم يستقون منها ، وقد خزنوا كذلك فى شونة التعيينات ومخبز بولاق ۳۵۰٫۰۰۰ أقة من البقسماط ولا تزال أفران البقسماط تشتغل الليل والنهار . والمسموع انه يخرج منهـا فى كل يوم خمسة آلاف أقة . واذا قدرنا نصيب الشخص الواحد فى اليوم بنصف أقة من الخبز ، يكون مجموع ما عندهم من البقسماط كافيا لثلاثة عشر ألف جندى فى ستين يوما . (وهذا المستر يهرف بما لا يعرف)

« أما محصنات القلعة فهى عبارة عن ٤٢ مدفعا قديما من المدافع التى كانت تستعمل فى السفن المصرية فى عهد محمد على باشا ولهذه نحو ۲۱٫۰۰۰ حشوة ومع ذلك فان هدم القلعة سهل من جهة جبل المقطم حيث أنشئت فى أعاليه (من جهة القلعة) استحكامات متينة وضع فيها ستة مدافع من مثل المدافع التى تقدم ذكرها- ولهـذه المدافع الستة ۳۰۰۰ حشوة

« ولديهم أيضا من المدافع المعروفة بمدافع الجبال عدد ٤٩٧ مدفع ۸/۷ سنتيمترات و ۷/٥ سنتيمترات من صنع كروب ومن هذه المدافع ۱۲۰ مدفعا وضعت فى مراكزها ، ولكن ليس لديهم مما يلزم لها من الخيل والرجال الا مايكفى لخمسة وستين أو سبعين مدفعا فقط ، ومع ذلك لا أظنهم أهلا لادارة أعمالها اذا دهمهم خصومهم مفاجاة اذ ليس عندهم من جنود المدافع المدربين الذين يمكن الاتكال عليهم اكثر من العدد اللازم لخمسة بطاريات او ستة فقط

« وعلمت ان لديهم ٥٠٠ حشوة لـكل مدفع من مدافع الجبال وأن لهم فى العباسية مدفعا واحدا من طراز كروب مصنوعا من الفولاذ يبلغ محيط دائرته ١٤ ابهاما (بوصة) ومدفعا آخر من مدافع ارمسترنج زنته فيما اظن ٢٥ طنا

« أما الاسلحة الصغيرة فلديهم مما يصلح للعمل منهـا

۱۰۰٫۰۰۰ ۳۰۰ بندقية من بنادق ريمنكتون ونحو عشرين الفا من بنادق انفلد ، وعنـدهم من الفشنك نحو ۲۰ مليـونا لبنادق ريمنكتون و ۷ ملايين لبنادق انفلد ومن الفشنك المعد لبنادق ريمنكتون ونحو ۱۳ مليونا من صنع معامل هوخام ولودلوف وهى صالحة للاستخدام . اما البـاقى وقدره ۷ ملايين فمن صنع المصريين ومعاملهم الوطنية وقد علاه الصدأ حتى اكله او كاد فهى لذلك غير صالحة للاستعمال ولا فائدة منها »

التوقيع : يورج

الدول تقرر تدخل تركيا وهى ترفض !

تقرر فى المؤتمر الدولى المنعقد بالاستانة ما ياتى : ـ .

« بعد أن اعترفت الدول الأوربية بوجوب المسارعة الى معالجة حالة مصر الحاضرة بالدواء الناجع قررت فى المؤتمر الذى عقده وكلاؤها ان يلجأ الى سيادة الجناب السلطانى ويطلب منه ان يتـدخل فى امر مصر وان يساعد الخـديو بارسال قوة بالبر كافية من الجند لاعادة الأمن والنظام الى البلاد وانقاذ مصر من الفوضى التى تمكنت منها ونشأ عنها اهدار الدماء وخراب الوف من بيوت الاجانب والمسلمين (كذب واختـلاق) وتضرر كثـير من مصـالح الاجانب والوطنيين

« وسيكون من شان الجنود العثمانيـة بمصر ان تؤيد وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للخديو سلطته ويكون من شانها ايضا الشروع فى اصـلاح حال العسكرية بمصر وفقا لأصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عموميا ، على شريطة ان لا يكون هذا التدخل موجبا لمس الترقيات النافعة التى نفذت فى نظام مصر المدنى والادارى والقضائى على غير مخالفة ما تقضى به الفرمانات السلطانية

« والدول الأوربية واثقة كل الوثوق بالتجائها الى الجناب السلطانى ببقاء ما هو مقرر لمصر على حاله فى مدة وجود الجنود العثمانية ومعتقـدة ان حقوق مصر والامتيـازات الممنوحة لها بمقتضى الفرمانات السابقة لا تمس البتة ولا يمس ايضا شىء من الأصول المقررة لادارة الأحكام فيها ولا من العهود والمواثيق الدولية » ولا من أعمال التسوية التى نجمت عنها وتقررت فى شأنها

« أما مدة استقرار الجيش العثمانى فتكون ثلاثة أشهر فى مصر ما عدا اذا طلب الخديو تمديدها الى اجل تتفق على تحـديده الدولة العليـة مع الدول الأوربية وحكومة مصر وتعين قيادة هذا الجيش بالاتفاق فى الراى مع الجنـاب الخديو أما مصاريف هذه التجريدة فتكون على نفقة مصر وستعين مقاديرها باتفاق يحصل بين الدولة العلية والدول الست الأوربية وحكومة مصر

« واذا اجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كمـا هو المأمول فكيفية تنفيذ الأحكام السابقـة الذكر تتم بتوافق يحصل عليه بعد الآن بين الدولة العثمانيةوالدول الست الأوربية »

وقد كتب كل من السفراء الى حكومته يسألها ابداء رأيها فى هذا القرار تلغرافيا فى ٦ يوليو وزادوا على ذلك بأن قالوا :

« ومن رأينا (أى السفراء المؤتمرين) أن يكون تقديم هذا القرار للحكومة العثمانية بصفة رسمية اذا وافقت عليـه حكوماتنا وان يقدمها كل منا باسم دولتـه » ، ثم زادوا بقولهم : « هذه نتيجة مخابراتنا نعرضـها على حكوماتنا ، ولا نجتمع بعد الآن حتى يرد الى كل منا افادات شـافية من حكومته مبينة رأيها فى هذه المسألة »

انجلترا تختلق اسبابا للتدخل

وقد وافقت الدول على تقديم هذا القرار ، ولكن الباب العالى رفضها لمخالفتها للحقوق الدولية ، فاتخذت انجلترا ذلك حجة وذريعـــة لأن تتدخل بالقوة فأوعزت سرا الى وكلائها ورجالها فى القطر المصرى ان ينزعوا الى وجود أسباب ولو طفيفة لمباشرة القتال ، وكان ذلك من أيسر الأمور لديهم ، فان الأميرال سيمور زعم يومئذ ان الجهادية تحصن القلاع فى الثغر ، وقال ان ذلك التحصين مناف لحقوقه

وجاء تلغراف من الصدر الأعظم الى الخديو توفيق باشا يذكر به أن « باشكاتب السفارة الانجليزية حضر الى الباب العالى ، وأخبر أن الجهادية المصرية تهدد الأساطيل الانجليزية فى ثغر الاسكندرية بتحصين القلاع واقامة الحصون وفى ذلك تهديد للدونتمة الانجليزية ، فان لم تكف الجهادية عن تقوية الاستحكامات وتمسك عن تعزيز حصونها من غير ابطاء ، اضطر الأميرال سيمور الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية فيدكها دكا ويهدمها عن آخرها »

وقد أرسل الخديو توفيق باشا هذا التلغراف الى لأجيب عليه ، فكتبت اليه « بأن مصر لم تعتـد على الانجليز ولم تهدد اساطيلها الحربية بل هى التى تهددنا بمراكبها الحربية وكل ما فى الأمر ان الجارى فى الاستحكامات انما هو ترميم المختل منها على حسب العادة السنوية، واذا كانت الدونتمة الانجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شرا بنا فلتقلع من ميناتنا وتعود الى بلادها بسلام، وانى ليدهشنى احجام الباب العالى عن اجابة السفارة الانجليزية بذلك »

ثم ان الأميرال سيمور كتب الى قومندان الاسكنـدرية يهدده باطلاق مدافعه على المدينة فيهدمها عن آخرها ان لم تكف الحكومة عن تقوية الاستحكامات وغيرها من التحفزات ، فأجابه القومندان المذكور طلبة باشا عصمت بقـوله « ان

لا صحة لما تقول وان الجهادية لم تهتم بتحصين الاستحكامات لأنها محصنة ، وانما جارى فيها بعض ترميمات عادية »

اتفاق الانجليز مع الخديو

ولما شاع هذا الخبر فى المدينة ايقن الناس بقرب وقوع القتال ، وأوعز كل من قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرال الى رعاياه أن اخرجوا من مصر ، وهاجروا منها سريعا فتسابق الاوربيون الى الرحيل ، ولم يبق منهم فى المدينة الا القليل ، حتى أن الخديو استدعى اليه المستر كولفن مراقب المالية الانجليزى ، واتفق معه على أن يبارح سراى راس التين ويتوجه بعائلته الى سراى الرمل فى يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ لأن ضرب الاسكندرية سيكون فى صباح يوم ١١ منه

هذا ما حصل الاتفاق عليه ، وطلب الخديو من المستر كولفن أن يبلغ ذلك الى اللورد غرنفيل ليخابر خارجية انجلترا . وقد تمارض المستر مالت قنصل انجلترا الجنرال وانتقل الى البحر فى٢٢يونيو ، واقام فى الباخرة (مونجوليا) من بواخر الشركة الشرقية ثم سافر الى برنديزى . وحذا حذوه وكيله المستر كالفر بالحجة عينها ، واقتفى اثرهما المستر بورج قنصل مصر

وقد أوعز المستر كولفن الى المستر كارترايت بأن يخبر اللورد غرنفيل بما جرى بينه وبين الخديو ففعل وأرسل فى اليوم نفسه رسالة برقية الى وزارة انجلترا الخارجية ضمنها ما دار بينه وبين الخديو ، وأردفه بقوله « واظن انه لا خوف على حياة الخديو ، ولاسيما اذا لم تطل مدة القتال ، ومن رأيى أن انذر درويش باشا بأن الحكومة الانجليزية تعده مسئولا عن حياة الخديو ، وأن التبعة تعود عليه اذا أصيب الخديو بسوء يوم اطلاق المدافع ، وقبل نزوله الى البحر » اه

وقد بلغ الاضطراب منتهاه وأيقن الناس بدنو الساعة آسفين على ما سيحل بالاسكندرية من هول الخطب متكدرين لما ستسفر عنه من الخراب والتدمير ، ورأى كل من قناصل الدول الاجنبية أن سيحيق برعاياهم خطب كبير ، فحاولوا ابعاد الخطر المحدق بالمدينة ، واجتمعوا فى ٧ يوليو للتداول فى الأمر ، وكلفوا المستر كارترايت بالحضور معهم فأبى ، فعقدوا عندئذ مجلسهم ، ولم يحضر فيه أحد من قبل انجلترا وبالتداول والتشاور قرروا أن يرسلوا الى الأميرال الرسالة الآتية :

من قناصل الدول الأوربية بالاسكندرية
الى الأميرال سيمور

« ان لرعايانا مصالح مهمة فى الاسكندرية ، ولهم فيها أملاك واسعة ، وعقارات كبيرة ، والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرون وهو ما دعانا الى أن نتقدم اليكم ونسألكم ان هل اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالكم المتعلق بتحصين القلاع أم لا ؟ فان كان الثانى فاننا نستطيع تعديل الجواب المذكور بما يرضيكم ويقنعكم ، واذا كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون أن تقتنعوا لأمر ما ، فنرجوكم أن تنبئونا عن المهلة التى تتركونها لرعايانا قبل الشروع فى القتال ليتمكنوا من الرحيل

« واننا نخطركم بأن اطلاق المدافع سينشأ عنه كيف كانت الحال ضرر عظيم ، يحيق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ، ولا بد أن تنهدم به أبنية عديدة للأوربيين ، وبودنا لو انكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل أن تنفذوا أوامرها » التوقيعات

فرد عليهم الأميرال سيمور بهذه الرسالة :

« تلقيت اليوم الكتاب الذى اتفقتم على ارساله الى ،

وتفضلتم فيه بالاستعلام مني وتكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا في الأمر بحيث أحصل بواسطتكم على جواب يرضيني فأشكر لكم كثيرا هذه العناية ، واجيب على خطابكم بقولي اني أنفذ ارادتكم اذا كان لدى الموما اليـــه من النفوذ والسلطـــة ما تستطيعون به أن تجعلوه صادقا فى اجراءاته ، وان يبطل عاجلا أشغال التحصين وتعزيز الاستحكامات التى شرع فيها ، ولا ارى جواب الموما اليه (بالكتابة) كافيا لحملى على الاقتناع بما يقول وعلى الوقوف بما اكد لى فى جوابه من انه يجيب طلبى ، ومهما كانت عبارة هذه الكتابة فانها لا تكفينى بالنظر الى المصالح المهمة التى عهد بها الى .

« واخبركم اني ما اعلنت قط بعزمى على رمى الاسكندرية بنار المدافع ، واذا اقتضت الحاجة ، فانى أوجه قوتى على القلاع والاستحكامات فقط ، وبذلك لا أرى موجبا لخوفكم من انهدام منازل الأوربيين وغيرهم ، وسأرفع الى حكومتى امر الملاحظة التى ابديتموها فى العبارة الأخيرة من خطابكم ونبهتمونى اليها

« واذا استمرت الجهـــادية فى أشغال تحصـــين القـــلاع والاستحكامات ، فانى انفذ فى الحال ما كتبت اليهم به محافظا على كل حرف من حروف تلك الكتابة ، وكيف كانت الحال فانى قبل الشروع فى العمل اعلن عنه ولا اباشر اطلاق المدافع الا بعد ٢٤ ساعة من تاريخ الاعلان

« كتب فى السفينة (انفسيبل) بمياه الاسكندرية فى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢

التوقيع : بوشان سيمور »

ولما وصل هذا الجواب الى قناصل الدول اجتمعوا ثانية واخذوا يحاولون ارضاء الأميرال سيمور ، ولـكن ذهبت اتعابهم ادراج الرياح .

عدوان الانجليز

لما تمكنت انجلترا من اقناع فرنسا وباقي الدول الأوربية بأنها تنفرد بالعمل فى قتال المصريين اختلقت لذلك أسبابا لا ظل لها من الحقيقة وذلك أن المستر كارترايت كتب الى ناظر خارجية انجلترا اللورد غرنفيل ما يأتى :

« سيدى اللورد

« أرفع الى حضرتكم أن الأميرال سيمور علم اليوم بأن قد وضع مدفعان فى القلعة المعروفة بقلعة (السلسلة) الكائنة تجاه الميناء الجديدة علاوة على المدافع الموجودة فيها (والله يشهد انهم لكاذبون فان قلعـة السلسلة لم يجر بهـا شىء من الترميمات فضلا عن وضع مدافع أخرى فيها) فلم يعد فى امكانه تحمل هذه الأمور والصبر عليها ، ولذلك عزم على اطلاق المدافع فى فجر الثلاثاء الآتى (١١ يوليه) . وسأخبر القناصل الجنرالية والخديو ودرويش باشا بهذا العزم فى هذا اليوم ، ثم أجرى من التدابير ما يلزم لكى يتمكن الباقون فى الاسكندرية من النزول الى السفن والالتجاء اليها

« كتب فى السفينة (هليكون) بميناء الاسكندرية فى ٩ يوليو سنة ١٨٨٢

التوقيع كارترايت »

وفى مساء اليوم المذكور أعلن المستر كارترايت القناصل جميعا عن عزم الأميرال فأوعزوا الى رعاياهم بالمهاجرة فى الحال ، وشاع الخبر بين السكان وطنيين واجانب وصاروا يتسابقون الى محطة السكة الحديد زرافات ووحـدانا الى داخل البـلاد منتشرين فى المدن والأرياف وهرول بعض الاجانب الى البحر لاجئين الى السفن الراسية فى المرافىء ولم ينقض اليوم العاشر من شهر يوليو حتى خلت المدينة

من السكان واقفرت من أهلها أو أوشكت ولم يبق فيها الا الجند والحامية ونفر قليل من الأجانب وبعض الأهالى

وفى مساء اليوم نفسه توجه المستر كارترايت الى سراى راس التين ، وأعلن للخديو بصفة رسمية عن عزم الأميرال على مباشرة القتال صباح الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ثم اشار عليه بأن يترك سراى رأس التين ويلجأ الى سراى الرمل ، وبعد ذلك قصد درويش باشا فلم يجده فكتب اليه بصفة رسمية ايضا يطلب اليه بأن يحافظ على حياة الخديو وانه مسئول ما عساه يصيب الخديو

وفى صباح اليوم العاشر أرسل الأميرال كتابة الى طلبة باشا قومندان موقع الاسكندرية مؤقتا ورئيس حاميتها ، طلب فيها انزال جميع المدافع المتسلحة بها طوابى استحكامات الاسكندرية من طابية المكس الى طابية برج السلسلة ، ويدعى زورا بأنه شاهد مراكب شراعية مشحونة بالاحجار تفرغ مشحوناتها فى بوغاز الميناء بقصد سد البوغاز وحبس المراكب الانجليزية . وانه ان مانع فى انزال المدافع امر باطلاق مدافع الأسطول على المدينة والإستحكامات صباح باكر فيدمرها تدميرا ، ويقول فيه أيضا : « أرسلنا كتابات رسمية الى كل من درويش باشا المندوب السلطانى العالى ، وراغب باشا رئيس الوزارة المصرية أعلن لهما فيها عن خروج رجال الوكالة الانجليزية من القطر المصرى اشارة الى قطع العلائق والصلات الودية »

فسرعان ما عم الخوف كل من بقى فى المدينة وأيقن الناس بحلول الدمار وصاروا فى انتظار النار والرعب ملء افئدتهم ، فاخذت السفن والمراكب الراسية فى الميناء فى الخروج منها وذهب الأسطول الفرنسى قاصدا بورت سعيد تاركا الأسطول الانجليزى وشأنه يتصرف فى الادعاء على المصريين

بما يوحيه اليه الأميرال سيمور ، وبما يروق فى أعين رجال الحكومة الانجليزية من الظلم والعدوان

وفى صباح يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ انعقد مجلس فوق العادة من النظار وغيرهم من الذوات الاختيارية تحت رئاسة توفيق باشا الخديو بحضرة المندوب السلطاني درويش باشا وقدرى بك سكرتيره والسيد احمد أسعد وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانيـــة المرسل مع درويش باشا للنظر فى المسألة المصرية التى ابتدعتها المطامع الانجليزية

ولما تلى كتاب الأميرال سيمور المرسل الى طلبـــة باشا قومندان المدينة تقرر بالمجلس المذكور بانه لا يمكن اجابة طلب الأميرال سيمور ، لما فى ذلك من الخزى والعار الذى يلحق بالمصريين إلى الأبد حيث ان الاستحكامات والطوابى المذكورة ما انشئت الا لحفظ الثغور ، والعساكر ما وجدت الا للدفاع عن الوطن العزيز والذود عن حياضه ، فلا يجوز لهم ان يخربوا معاقلهم بايديهم لمجرد طلب العدو الطامع فى بلادهم ، بل الواجب عليهم ان يدافعوا عن بلادهم ويقوموا بما تحتمه عليهم واجباتهم الحربية الى آخر رمق من حياتهم دفاعا عن شرف الوطن . ولـــكن قفلا لبـــاب الشر وقطعا لاحتجاجات الاميرال سيمور رئيس الدونتمة الانجليزية ، رؤى ان يرسل له وفد مؤلف من عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وقاسم باشا وكيل البحرية السابق ومحمد كامل باشا وكيـــل البحرية حينذاك وتكران بك باشكاتب مجلس النظار ويتلطفوا معه فى المقال ، ويوضحوا له بان المصريين ليسوا اعداء للانجليز ، وانه لا يمكن سد البوغاز بالاحجار كما قيل ، وانه يمكن ضبط المراكب المشحونة بالاحجار عند شروعها فى العمل ان وجدت -

واما انزال المدافع فهذا امر لا يمكن قبوله لمـــا فيـــه من مخالفة قوانين البحرية ولما يتبع ذلك من الاهانة والذلة .

وانما يمكن اجابة لطلبه وفضا للاشكال تنزيل ثلاثة مدافع من ثلاث طوابى احداها طابية المكس والثانية طابية صالح والثالثة طابية برج السلسلة وأن يكتفى بذلك ردا لشرف الدونننمة كما يزعم

فذهب الوفد وبلغ الرسالة ثم رجع واخبر بأن الأميرال المذكور لم يقبل بما عرض عليه ، وصمم على وجوب انزال جميع المدافع كما طلب ، وانما تكرم بان عافى عساكره البحرية من معاناة مشقة انزال المدافع وتخريب الطوابى وسمح للعساكر المصرية بأن يعانوا هذه الأعمال ، ويخربوا معاقلهم بايديهم . وزاد على ذلك بأنه يطلب من الحكومة المصرية أمرا صريحا باعطائه طابية المكس وما وراءها من الأراضى ، وطابية العجمى وطابية باب العرب لاتخاذها معسكرا للعساكر الانجليزية ، وانه اذا لم يجب الى طلباته المذكورة باشر القتال عند طلوع الشمس فى يوم غد . وحيث ان طلباته غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصا وان الفرمان السلطانى يحجر على الخديو التصرف فى اعطاء قيد شبر من الأراضى المصرية وملحقاتها الى دولة أجنبية . فلذا تقرر رفض طلبات الأميرال واعلان حكومة الباب العالى بذلك ، حيث أنها صاحبة البلاد المصرية . ويكون أخطارها تلغرافيا مع الاستعداد للحرب بشرط ان لا يبتدأ بها من جهتنا الا بعد اطلاق ثلاثة (جلل) من جهة العدو المعتدى . وفى حالة وقوع الحرب حقيقة تعلن الاحكام العرفية فى جميع البلاد المصرية . وبعد ذلك ارفض المجلس ثم انتقل الخديو ودرويش باشا ومن معهما من راس التين الى سراى الرمل فى اصيل اليوم المذكور عملا برأى المستر كارترايت كما سبق الذكر

وهاك أسماء أعضاء المجلس المنعقد تحت رئاسة الخديو :

محمد توفيق باشا (خديو مصر) ـ المشير درويش باشا (رئيس الوفد السلطانى) ـ قدرى بك (سكرتير الوفد المذكور) ـ السيد أحمد أسعد (عضو بالوفد المذكور) ـ اسماعيل راغب باشا (رئيس النظار وناظر

الخارجية) ــ أحمد رشيد باشا (ناظر الداخليـــة) ــ عبد الرحمن بك رشدى (وزير المالية) ــ أحمد عرابي باشا (وزير الجهادية والبحرية) ــ على ابراهيم باشا (وزير الحقانيـــة) ــ سليمان أباظة باشا (وزير المعارف) ــ محمود الفلكى باشا (وزير الاشـــغال) ــ حسين الشريعى باشا (وزير الاوقاف) ــ اسماعيل حقى أبو جبل باشا (من الشيوخ) ــ محمد سعيد باشا (من الشيوخ) ــ قاسم باشا وكيل الحقانية سابقا (من الشيوخ) ــ محمد كامل باشا (وكيل البحرية) ــ محمد سلطان باشا (رئيس مجلس النواب) ــ محمد المرعشلى باشا ــ محمود فهمى باشا

أكاذيب الانجليز

بعد امضاء القرار المذكور بوجوب الحرب صدرت أوامر الجهادية الى رؤساء الاستحكامات وأمراء الآلايات وفروع الجهادية بالاستعداد للحرب والمدافعة عن البلاد ، وسهرنا طول الليل فى ترتيب ما يلزم اجراؤه للقتال

وفى اليوم التالى انتشر الخبر فى عواصـــم أوربا ونقلتـــه الأسلاك التلغرافية بأسرع من لمح البصر ، فارتجت له أفكار العالم واهتزت له جوانب الارض ، فرات وزارة خارجية انجلترا ، أن تلطف الخبر للدول الأوربية مخافة معارضتها لها فيما تريد اجراءه ، فكتبت الى وكلائها الخطاب الآتى :

« من اللورد غرنفيل وزير خارجية جلالة ملكة انجلتـــرا

« الى وكلاء حكومة انجلترا لدى حكومات باريس وبرلين وفينا ورومة وبطرسبرج والاستانة

« تحرر فى النصف الثانى ، من اليوم العاشر لشهر يوليو سنة ١٨٨٢

« بناء على رسالتى التلغرافية المرسلة اليكم مساء أمس أخبروا الحكومات التى أنتم نائبون عن حكومتنا لديها بأن ما سيجريه الأميرال سيمور بالاسكندرية لا يكون الا من قبيل الدفاع والمحاماة عن الأسطول ، ولسوء الحظ لم نر بدأ من ذلك غير أننا مع ذلك نصرح ان ليس لنا أرب خفى أو نية غير بينة

« وقد اتضح لنا من تقرير الأميرال ان حكام الاسكندرية قد استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين العدوان والبغضاء نحونا بالرغم من نواهي الحضرة الشاهانية وأوامرها الصادرة لهم بالكف عن التظاهر بالأمور العدائية وخلافا لارادة الخديو ، بل ونقيضا لما أبدوه لنا مرارا من مسالمتهم ومصافاتهم لنا »

وفي الرسالة التلغرافية المرسلة بهذا الصدد الى اللورد دوفرين بالآستانة زيادة هذا تعريبها :

« وهذا حرص منا على مصلحة الجناب السلطاني ، الذي خالف الثائرون أوامره ، ونبذوا مشوراته ووصاياه نبذ النواة »

وقد قدم وكلاء انجلترا هذا الكتاب الى حكومات أوربا ، وفي جملتهم اللورد دوفرين وكيلها بالآستانة الذي بعد أن قدم للباب العالي الصورة التي أرسلت اليه كتب الى اللورد غرنفيل ناظر خارجية دولته ما يأتي :

« من الآستانة في ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢

« سيدي اللورد

« أرفع الى حضرتكم صورة الكتاب الذي عرضته على الباب العالي مبينا فيه عزم الأميرال سيمور على ضرب قلاع الاسكندرية اذا لم تستسلم له وهو :

« الى حكومة الباب العالي

« ان سفارة انجلترا تخبر الباب العالي انه بناء على استمرار حكام الاسكندرية في تحصين قلاعها وتقوية استحكاماتها يعلن الأميرال سيمور في صباح هذا اليوم بعزمه على رميها بنار المدافع بعد أربع وعشرين ساعة ، اذا لم تستسلم الحصون له وتكف عن التظاهر بالعدوان »

« كتب في ترابيا (مقر سفارة الانجليز بالآستانة) في ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ »

قال : « وبعد أن قدمت هذا الكتاب بصفة رسمية ذهبت الى المابين الهمايونى لأقف على أفكار الحضرة السلطانية ، وأرى اذا كان من الممكن العدول عن مباشرة القتال ، فأجابنى الجناب الشاهانى « ان حكومته تلقى الى فى بكرة الغد (أى عند الخامسة أفرنكية من الصباح) جوابا رسميا باتا على كتابى الذى تقدم ذكره » ثم طلب الى تأجيل اطلاق المدافع على الاسكندرية ، فأجبته : « انى أرفع هذا النبأ الى حضرتكم ، ولكنى لا أظن أن الأميرال سيمور يستطيع العدول عما صمم عليه اذا لم يمتثل رجال الحصون لاشارته وينفذوا طلبه »

التوقيع : **دوفرين**

وبعد ذلك أرسل اللورد دوفرين الى الأميرال سيمور تلغرافيا ما يأتى :

« لست أدرى ما هى الأوامر التى ألقيت اليك من حكومتنا ، وهل أنت مفوض بالتماهل عند اللزوم أم لا ؟ فاذا كان الأول فلا بأس من تأجيل العمل ثلاث ساعات أو أربعا ليتمكن اللورد غرنفيل فى خلالها من النظر فى جواب الحكومة العثمانية ، فربما كان كافيا لتعديل ما تقيد اجراؤه ، وذلك لأن هذا الجواب المنتظر لا يمكن وصوله الى قبل الساعة التى عينتموها لمباشرة القتال »

التوقيع : **دوفرين**

ضرب الاسكندرية

لا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخابرات فان نار المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين ، وبالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء الواقع فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم تجاوبها مدافع القلاع الا بعد أن أطلق الأسطول نحو ٢٠ طلقة من مدافعه ، ثم استمر القتال بين الأساطيل الانجليزية وقلاع الاسكندرية

بعد ذلك الى منتصف النهـــــار ، ومن ثم أخذت نيران الاستحكامات فى التناقص والاضـمحلال حتى تم تدميرها قبيل الغروب

وحيث كانت استحكامات الاسكندرية قديمة كما هـو معلوم وجميعها مبنية بالأحجـــار من مدة ٦٧ سنة أو ٧٠ سنة وقد باغتنا الانجليز بالعدوان على غير استعداد منـــا ولا تأهب ، فقد كان تأثير شظايا الأحجار المتناثرة وضررها أكثر من تأثير مقذوفات العدو نفسها

أعمال الدفاع فى الاسكندرية

من المعلوم أن للاسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ولكن أكثرهامسلحة بالأسلحة القديمة التى لا تصلح لمقاومة الدوارع الانجليـــــزية ، غير أن فى بعضها مدافع أرمسترونج وهى وحدها الأسلحة النـارية التى تصلح لخرق دروع السفن الانجليزية

بيان الحصون

كان فى الجبهة الغربية ازاء ممر مريوط حصن من أمنع الحصون بالاسكندرية وأهمها ، يسمى حصن مريوط وهو واقع فى الجزيرة المسماة بهذا الاسم ، فقد كان هذا الحصن مسلحا بأربعة مدافع ضخمة منها مدفعان من زنة (١٨ طنا وقطره ٨ أباهم) واثنان من زنة (١٢ طنا وقطره ٩ أباهم) وثلاثون مدفعا من المدافع الصغيرة وخمسة مدافع من مدافع الهاون

ووراء حصن مريوط ، أى فى الرأس الغربى من الفرضة حصن آخر يعرف بحصن (العجمى) وكان هذا الحصن مسلحا كحصن مريوط

وبعد هذا الحصن حصن المكس وهو على مرتفـــع من

الأرض ، وظيفته الدفاع عن مدخل الميناء ، وبين حصن مريوط وحصن المكس استحكامات معززة بالمدافع

وكان حصن المكس معززا باحدى وثلاثين قطعة من المدافع منها أربعة مدافع من ذوات العيار الأعظم (أرمسترونج)

وتمتد على طول خط المرفأ القديم الى الميناء عدة متاريس واستحكامات وهي : طابية (القمرية) ، وفيها خمسة مدافع ، وطابية (أم كبيبه) وفيها ١٨ مدفعا ، ثم برج مستدير وفيه مدفعان وحصن (صالح) المسمى بطابية صالح وفيه ٢٤ مدفعا

أما الجهة الأخرى من المرفأ القديم ففيها قلعة الفنار ، وهي قلعة مشرفة على المينا الداخلية معززة بأربعة وعشرين مدفعا ، منها ٥ من طراز أرمسترونج قطر أحدها عشرة أصابع وزنته ١٨ طنا ، وقطر كل من الأربعة الأخر تسعة أصابع وزنته ١٢ طنا

وفي رأس التين عدة بطاريات مسماة باسمها مسلحة بسبعة عشر مدفعا أرمسترونج ، منها بعض قطع من ذوات العيار الكبير ، ومدفعان عظيمان من نوع المونكريف يتحركان صعودا وهبوطا

وفي الجهة الشرقية يوجد الحصن المعروف بطابية (اطه) وفيه ١٢ مدفعا منها ٣ أرمسترونج زنة كل منها ١٢ طنا وقطره ١٠ أصابع

وعند منتهى خط شبه الجزيرة يقوم الحصن المعروف بحصن (قايدباى) وهو مبنى بالحجر ، وفيه ١٢ مدفعا وهذا الحصن يشرف على سطح البحر الواسع ووظيفته أن يكون متوليا حماية مدخل المينا الشرقية ، ويشترك معه فى هذه الحماية الحصن المعروف بحصن (نابليون) القائم على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الأخرى من المينا

المذكورة ، ممتدا الى داخل البحر يحميه حصن مهم يعرف بطابية السلسلة

ويكتنف الاسكندرية من جهة اليابسة سورها الغربى القديم الباقى منه فى جهة باب رشيد بعض آثار تدل على شهرته ومنفعته في الدفاع ، وتحتاط بها عدة متاريس واستحكامات قائمة على مرتفعات متوجة بها وهي مطلة على بحيرة مريوط ومياه ترعة المحمودية الجارية بين هذه المرتفعات والبحيرة المذكورة • وكل هذه الأبنية من بقايا الحصون التى أنشأها الفرنسيون حوالى المدينة أيام الحملة الفرنساوية ، حيث كانت معززة من الخارج بكل من حصون كافاريللى المعروف بحصن نابليون (أو كوم الناضورة) وحصن كريتين أو (كوم الدكه) ومتراس كيلوباترا ، والحصنان الأولان وهما حصن كوم الناضورة وحصن كوم الدكه مرتكزان فى قلب المدينة اليوم لقيام الأبنية من حولهما ، ولكن أهميتهما الحربية مفقودة ، لعدم وجود أسلحة من أسلحة الحصون العظيمة فيهما • والحصن الأول منهما مطل على داخلية المرفأ القديم ، وهو عظيم شاهق الارتفاع ، فقد كان لا يوجد فيه من مدافع أرمسترونج الا مدفع واحد زنته ١٢ طنا وقطره ١٠ أصابع • وعند باب العرب استحكامات تعادل حصن المكس علوا وارتفاعا تقفل لسان الأرض الواقع بين البحر وبحيرة مريوط • وهى واقعة الى ما وراء المقطع القديم الذى خرقه الانجليز عام ١٨٠١ قبل خروجهم من مصر ليدخلوا به مياه البحر الى البحيرة فأغرقت يومئذ قرى كثيرة وتحولت به صحراء واسعة يابسة نافعة الى مستنقع ردىء مضر

هذه كانت حالة الاسكندرية من الحصون والاستحكامات قبل أن ترميها الانجليز بنيران أساطيلها فى ١١ يوليوسنة ١٨٨٢

ايضاح وبيان

من المعلوم ان أساطيل الانجليز داهمتنـــا بالحرب ولم نأخذ لها أهبتها ، ولم يكن يوجد بالاسكندرية من حاميات الحصون المصرية غير ٧٠٠ رجل فقط من رجال المـدافع ، فلذلك وزعت عساكر الطوبجية البـــرية مع ما يلزم من عساكر البيادة (المشاة) على الحصـــون والقلاع الموجودة على خط النار ، وكذلك وزعت عساكر الأربع آلايات البيادة على خط الاستحكامات من حصن السلسلة الى طابية المكس . فكان الآلاى الثانى حكمدارية خليل بك كامل شاغلا خط النار الموجود بين طابية المكس وباب العرب وطابية العجمى والآلاى الخامس حكمدارية مصطفى بك عبد الرحيم مشتغلا بمساعدة استحكامات الفنار ورأس التين والآلاى السادس حكمدارية سليمان بك سامى منوطا بمساعدة طابية صالح الى الترسانة ، والآلاى الرابع حكمدارية عيد بك محمـد بجهة (أم كبيبة) الى باب العرب وأمامه قومندان برنجى آلاى سواحل محمد بك أمين كان قائما بتنظيم القتال فى طابية الفنار ، ومعهم الشهم الغيور ســـيف النصر بك وكذلك البطل المغوار الزبير باشا رحمت ، وقومندان ٢جى أورطة سواحل اسماعيل بك صبرى كان يدير مركز القتال فى طابية (اطه)

وكان كل آلاى من الآلايات البيادة (المشاة) مؤلفا من ثلاثة آلاف رجل فيكون مجموع العساكر البيـــادة الذين وجدوا فى ثغر الاسكندرية يوم قتال الانجليز اثنى عشر الفا وسبعمائة من رجال طوبجية السواحل .

◻

ومن المعلوم أن الجيش المصرى كان مؤلفا من ثمانيـــة آلايات من البيادة وثلاثة من الخيالة (الفرسان) وآلايين من

الطوبجية البحرية المخصصين بســـاحات القتال وثلاثة آلايات من الطوبجية السواحل المخصصين لحماية الثغر ، وفرقة من رجال الهندسة ومجموع ذلك فى حالة استكمال الفرق والآلايات يبلغ « ستة وثلاثين ألفا » وفى مدة الحرب يبلغ « اثنين وسبعين ألفا » وذلك عدا العربان والمتطوعين فكان جملة الجراية التى تصرف لجميع العساكر والمتطوعين والخدم المشتغلين بالتجهيزات الحربية والذخائر والمــؤونة ١٢٠ ألف جراية أو ٩٠ ألف أقة

أما نوع الأسلحة فللمشاة منها بنادق بحراب من نوع (رمينكتون) وللفرســـان سيوف وغدارات مسدسة وللطوبجية مدافع من الفولاذ مضلعة من طراز (كروب)

وفى القاهرة مسلحة كبيرة ومعمل للبنادق وآخر ببولاق لصب المدافع وفوريقة عظيمة لعمل البنادق والمدافع أنشئت فى طره ولكنها لم تكن قد كملت قبل نشوب الحرب وبناؤها باق للآن

نشوب القتال

أطلقت البارجة الكسندره مدفعها الأول فى الســاعة السابعة والدقيقة أربعة من صباح ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ وتلتها باقى المدرعات الانجليزية بطلقات عديدة ، وبعد ٥ دقائق أجابتها القلاع بنار شديدة حامية ، واستمر القتال على هذا الحال الى قبيل الغروب حتى تهدمت الاستحكامات وتعطلت المدافع من جراء مقذوفات المراكب الهائلة • ومن الأسف أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصـــل الى المراكب الانجليزية ومدافع الارمسترونج لم تكن لها مساطر تعرف بها المسافات ، وتحكم الاصابة بواسطتها ، اللهـم الا مسطرة واحدة ، كانت فى محـــل التعليم بالعباسية (بالبلجون) استحضرت ليلا ، وسلمت الى الشهم المقدام

سيف النصر بك قومندان طابية الفنار فكان يطلق المدافع بنفسه وينتقل من محل الى آخر ويحكم الاصابة بواسطة المسطرة المذكورة ، فكان معظـــم الدوارع التى تعطلت من جراء المقذوفات التى أحكم هو اطلاقها ، ولو كانت مدافع الارمسترونج كلها ذات مساطر لأمكنها تعطيل جميـــع الدوارع الانجليزية بما تقذفه من المقذوفات الصائبة

وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنســـاء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر واعطائهـم الماء وحمل الجرحى منهم وتضميد جراحهـــــم ونقلهم الى المستشفيات

وكنا مع جميع النظار فى طابية كوم الدماس للاشراف على مواقع القتال فكتب راغب باشا رئيس النظار الى جميع مصالح الحكومة والمديريات والمحافظات يعلنهـــا بانتشاب الحرب بين الانجليز والمصريين ظلما وعدوانا بلا سبب معقول وانّ البلاد جميعها صـــارت تحت الادارة العرفية والأحكام العسكرية

وحدث أن اشتعلت النار فى سراى رأس التين وكثير من بيوت الاسكندرية من تأثير مقذوفات العمـــارة الانجليزية نعرف منها بيت (اجيون) الكائن بجوار النبى دانيـــال وبيت الخواجه ابراهيم بيما وبيت الخواجه يوســـف نصر ومعمل الخواجه دهان وكثيرين غيرهم • فخصصت العساكر الطلمبات « آلات المطافىء » لاطفاء حريق سراى رأس التين وغيرها من المحلات التى شبت النار فيها

وقبيل غروب شــــمس ذلك اليوم حضر طه باشا لطفى وسليمان باشا أباظه وحســـين بك الترك من قبل الخديو ومحيى الدين بك ياور من قبـــل درويش باشا وهو ياور المندوب السلطانى المذكور ليبلغونا سلام الخديو ودرويش

باشا وثناءهما على صبر العساكر وثباتهم العجيب تجاه قوة الدوارع الهائلة

وقد استشهد فى ذلك اليوم من جميع الطوابى مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتى كن يضمدن جراح الجرحى ، وفى اليوم نفسه حضر محمود باشا سامى البارودى من القاهرة للاشتراك معنا فى الدفاع عن البلاد وبعد الغروب توجهنا مع النظار الى سراى الرمل وعرضنا على مسامع الخديو ودرويش باشا ما حصل فى ذلك اليوم وان الاستحكامات تخربت والمدافع تعطلت فحصلت المداولة فى هذا الشأن بالمجلس تحت رئاسة الخديو بحضور درويش باشا ورئيس مجلس النواب وتقرر فيه بأنه اذا عاودت المراكب الانجليزية الضرب فى صباح ١٢ يوليو فلا تجاوبها القلاع بل ترفع الراية البيضاء علامة للمخابرة مع الأميرال فى توقيف الحرب واعادة الصلات الودية حيث قد تحصل الأميرال سيمور على غرضه بتخريب القلاع وتعطيل المدافع ثم توجهت بعد ذلك مع راغب باشا رئيس النظار الى بيته الكائن على ترعة المحمودية وأرسلنا الأوامر اللازمة الى رؤساء القلاع والمعاقل وقضينا تلك الليلة فى المحل المذكور

وفى صباح يوم ١٢ يوليو جاءنا رسول من قبل الخديو يدعونا اليه فتوجهنا مع راغب باشا تلبية لدعوته . وكان فى الرمل فأخبرنا بأنه قد حضر قسم من العسكر الى السراى وسألنى عن سبب حضورهم فأجبته بأن لا علم لى بذلك ولعلهم حضروا لتقوية الحرس ، فقال لا لزوم لذلك ، فان فرقة الفرسان الموجودة هنا كافية ، فمرهم بالرجوع الى مكانهم ، فتوجهت الى القشلاق ووجدت أربعة بلوكات من آلاى سليمان بك سامى ومعهم الصاغ على أفندى أبو غنيمة (أوهشيمة) فسألته عن سبب حضوره بالعساكر الى سراى الخديو ، فقال ان حكمدار الآلاى سليمان بك أمره بذلك ،

فحضر لتقوية الحرس الخديوى ، فأمرته بالعودة الى آلايه مع عساكره لعدم الحاجة لتلك التقوية

سيمور يرفض الهدنة

وفى صباح اليوم المذكور أطلقت البوارج الانجليـزية مدافعها على القلاع فرفعت هذه الراية البيضاء علامة للمخابرة وتقرر ارسال طلبه باشا عصمت الى الأميرال سيمور لابلاغه ما تقرر من ايقاف الحرب واكتفاء بما حصل من التخـريب والدمار فذهب وقابل مندوب الأميرال فى الترسانة وأخبره بما ذكر ثم توجه المندوب المذكور برفاص صغير الى الأميرال المذكور وأخبره بما تلقاه من طلبه باشا فلم يقبل ولم يرجع بالجواب الا بعد العشاء فذهب طلبه باشا الى الخديو وأخبره بما كان من عدم قبول الأميرال واصراره على الرفض ٠ ثم عاد الينا وأخبرنا بما حصل ٠ وفى الساعة العاشرة من اليوم المذكور رجعت من سراى الرمل الى الاسكندرية مع راغب باشا ٠ فلما وصلنا الى قرب الباب الشرقى وجدنا المهاجرين من الأهالى رجالا ونساء وأطفالا مزدحمين ازدحاما شديدا ومختلطين بالعساكر الفارين الذين آل أمرهم الى الخذلان المعيب ، فتركوا ضباطهم ومواقعهم الحربية عندما رأوا رفع الراية البيضاء

ومن شدة الازدحام لم نتمكن من الوصول بواسـطة العربة فتركت راغب باشا فيها وسرت ماشيا على قدمى أتخلل الناس حتى وصلت الى ساحة الباب الشرقى فوجدت بعض الضباط هناك من آلاى عيد بك محمد ومعهم نصف أورطة من العسـاكر وباقى الآلاى ذهب الى حيث ذهب الفارون وأخبرت ان عساكر الطوبجية تركوا الاستحكامات وتوجهوا الى بلادهم مع أهالى الاسكندرية وقد اقتدى بهم عساكر البياده

وكذلك بلغنى ان سليمان بك سامى هائج هياجا شديدا

وانه قد حضر ومن معه من العساكر الى المنشية وانه يريد حرق الاسكندرية قبل تركها للعـدو وان عساكره كسرت بعض الدكاكين وأخذت منها بعض الأقمشة فأرسلت اليه ابراهيم بك فوزى وعمر بك رحمي وغيرهما من الضباط لمنعه عما عزم عليه واخطاره بسرعة الحضور الينا بمن معه من العســاكر • فحضر ولما سألته عما نسب اليه ، أنكره كل الانكار • ثم توجه الى عساكره وجمع ما وجده معهم من الأقمشة وأشعل فيها النار • ولما رأيت ذلك وبخته كثيرا وبرأت من عمله هذا الى الله وأشهدت عليه الأرض والسماء وجميع الحاضرين بأنه هو المسؤول عن عمله الفظيع دون غيره

وقع الرعب والفزع في قلوب العساكر ودب فيهم دبيب الفشل واستولى عليهم الخذلان فتشتت أكثرهم لهـــول ما رأوا من تخريب الطوابى ولما رأيت ذلك ، وعلمت انه لا يقدر على جمع الجيش بعد تفرقه وخذلانه الا القليل من القواد الموفقين حاولت أن أوفق الى جمـع شتاتهم فخرجت بمن أمكن جمعهم فى الغروب الى جهة حجر النواتية وهناك ضرب النفير نوبة جمع فتوارد بعض المنتشرين فى الفضاء

الخديو يلجأ للانجليز

وفى صباح ١٣ يوليو سنة ١٨٨٢ توجهت بمن اجتمع عندى من العساكر الى عزبة خورشـيد ثم الى كفر الدوار واتخذناها مركزا حربيا ثم كتبت الى محطات السكة الحديد والمديريات والمحافظات بسرعة ارجاع العساكر الى كفـر الدوار للمدافعة عن الوطن ومن ثم أخذنا فى انشـــــاء استحكامات خفيفة وتحصين التلال القديمة وجعلنا الخط الأول من الاستحكامات عند عزبة خورشيد خلف الملاحة

وفى يوم ١٥ يوليو أمرنا بارسال قطار الخديو بالسـكة الحديد لركوب الخديو وعائلته من سراى الرمل وحضوره

الى عاصمة بلاده ، وقطار آخر لركوب الذوات والعساكر الذين بمعية الخديو ، فلما رأى الخديو ذلك أسرع في التوجه الى سراى رأس التين ومعه عائلته والذوات والنظار والعساكر تحت رحمة الانجليز ورعايتهم ، وقد وضح انحيازه الى العدو المحارب لبلاده ، وتم له ما أراد ، مما غاب عنا علمه !

وقد رفض الخديو الرجوع الى عاصمة بلاده، ولما وصل ومن معه الى سراى رأس التين استقبلهم الأميرال والضباط الانجليز في ردهة السراى الكائنة على رأس السلالم ثم أمر باحاطة السراى بالبوليس الانجليزي وقرر الأميرال سيمور وقنصل انجلترا الجنرال والمستر كولفن تعيين المستر أورستستين ترجمانا بينهم وبين الخديو • وكان من واجباته أن لا يفارق السراى وأن يراقب كل ما يجرى فيها ويقدم به بيانا ضافيا فكان يتناول الطعام مع الخديو فى الصباح والمساء على مائدة واحدة • وهكذا صار الخديو تحت رحمة الانجليز بمحض ارادته يأتمر بأمرهم ، وينفذ ارادتهم والأمر لله من قبل ومن بعد.

تحصينات كفر الدوار

لما جمعنا العساكر في كفر الدوار أنشأنا الاستحكامات وعززناها بالمدافع الحربية الممتدة من عزبة خورشيد الى كفر الدوار ، ومن ترعة المحمودية الى أرض الملاحة وحفرنا خندقا عرضه أربعة أمتار

وقد جعلنا خط الدفاع فى المقدمة عن عزبة خورشيد على طول الخط من المحمودية الى الملاحة أيضا وجعلنا ما وراء هذا الخط من التلال والمرتفعات مواقع محصنة بمدافع (كزوب) وكذلك التلال الموجودة بين المحمودية وسد أبى قير ، وقد تم اجراء هذه الأعمال الدفاعية بمعرفة المهندس الحربى العظيم محمود باشا فهمي ورجال الهندسة

الحربيين ، ومساعدة خمسة آلاف رجل من أهالى مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة

وقد استحضرت الأخشاب اللازمة لسد ترعة المحمودية، وذلك لمضايقة الانجليز في الاسكندرية وحولت مياه النيل الى الأراضي المالحة الكائنة بين المحمودية وسد أبي قير ، الى الرمال أيضا لمنع العدو من الانتفاع بها أولا ، ثم لاحياء تلك الأراضى واصلاحها بماء النيل العذب

وقد سار اللواء خورشيد باشا طاهر من رشيد بالآلاى الرابع حكمدارية محمد بك أمين ، وتبوأ نقطة أبي قير لمنع هجوم الانجليز من تلك الجهة

هزيمة الانجليز فى أبى قير

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من خورشيد باشا طاهر قال فيه ما يأتى : ـ

« ظهر العدو من جهة الرمل بأورطتين مشاة وأورطتين سوارى ومعه مدفعان يحاول وضعهما على ربوة على بعد ١٥٠ متر من المستحكم الطبيعي الموجود أمام عساكرنا » ، فقابله كل من احمد أفندى البيار البكباشي ومصطفى أفندى حسان البكباشي بأورطتين بيادة وأورطتين سوارى ، وارسلا خبراً الى خورشيد باشا المشار اليه - فأسرع بثلاثة بلوكات من السوارى الى ميدان القتال فوجده كثير الرمال فأبطل ضرب نار البيادة وفتح السوارى فى هيئة (جرخاجية) وهجم على العدو وأصلاه ضربا مبرحا حتى الجاه الى التقهقر خلف الربوة التى كان يحاول وضع المدفعين عليها ، وهناك اختفى العدو فى النخيل وولى منهزما

« وقد أصيب حصان من خيلنا ، ولم يستشهد أحد من عساكرنا الأبطال ، وكان ابتداء القتال فى الساعة الاولى من النهار وانتهاؤه فى آخر الساعة الرابعة ، فمدة القتال ثلاث

ساعات ونصف أبلت فى خلالها رجالنا بلاء حسنا ولم تعرف خسائر العدو لرفعها من الميدان أولا فأولا »

هزيمة الانجليز
فى معركة عزبة خورشيد

وفى ٢٧ يوليو ظهر قطار مقل لعساكر انجليزية آتيا من سكة القبارى ، فلما قرب من المقدمة بمسافة (١٥٠٠ متر) أطلق عليه البكباشى محمد افندى حشمت مدفعا عظيما من نوع كروب ، فأصاب القطار وأوقف سيره ، فنزلت العساكر وتقدمت الى الأمام بقيادة الجنرال (اليزون) الذى رتب جيشه على أربع فرق تحت حكمدارية الميرالاى (طوسون) والماجور (سبترنج) والقبودان (أدج) فى صورة قلب وجناحين ، فلما قربوا على مسافة ٨٠٠ متر اشتبكوا فى القتال مع أورطة محروت افندى البكباشى وأورطة المستحفظين حكمدارية محمد افندى فودة الذى اظهر من الشجاعة ما يقصر اليراع عن وصفه . ولما اشتد القتال بين الطرفين تقدم الرجل الشجاع احمد بك عفت حكمدار المقدمة ومعه أورطة سليمان افندى تعيلب ، وأورطة رزق افندى حجازى البكباشى ، وأصلوا العدو نارا حامية ، ثم قام فى الحال طلبة باشا عصمت قومندان فرقة كفر الدوار ، ومعه الآلاى برنجى سوارى حكمدارية احمد بك عبد الغفار ، وحرك الأورط جهة المقدمة ، فتقارب الجيشان واختلط الفريقان وتقاتلوا بالسلاح الابيض وجها لوجه ، ولما اظلم الليل وضعفت قوة العدو قفل راجعا متقهقرا وعساكرنا فى أثره تأخذ عليه الطرق ، وتضيق عليه السبيل وتضربه حتى حال الظلام بين الفريقين . وكان ابتداء القتال فى الساعة التاسعة نهارا (على الحساب العربى) وانتهاؤه فى منتصف الساعة الثامنة . فمدة القتال ست ساعات

وعند تفقد عساكرنا وجد أن المستشهدين ٢٩ جنديا وصف ضباط واستشهد الملازم الشجاع احمد افندى على . وأما الجرحى فهم البكباشي محروت افندى الذى توفى بسبب جراحه ، واثنان من الملازمين و ٦٥ جنديا وصف ضباط

ولقد أبدي كل من الضباط والعساكر من الشهامة والثبات فى هذه الموقعة ما يستحقون من أجله الثناء الجميل فى الدنيا وعظيم الأجر فى الآخرة

أما خسائر العدو فكانت عظيمة وقد ترك عساكر الانجليز بميدان القتال ١٧ جثة منها الملازم (ديز) وصار دفنه فى جسر المحمودية وقد شوهد الكثير من عساكر الانجليز يحملون قتلاهم وجرحاهم ، وفى اليوم الثاني كانت ساحة القتال مشوهة بالدماء وآثار جر الموتى ظاهرة فيها

تلغراف الخديو بعد انحيازه الى الانجليز

فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من رأس التين الينا بكفر الدوار يقول فيه : « اعلموا ان ما حصل من ضرب المدافع من الدونمه الانجليزية على طوابى الاسكندرية وتخريبها ، انما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى ، وتركيب المدافع التى كلما كان يصير الاستفهام عنها ، كنتم تخفونها وتنكرونها . والآن قد حصلت المكالمة مع الأميرال فأفاد بأنه ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة الخديوية خصومة ولا عداء ، وان ما حصل انما هو فى مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدونمة ، وانه اذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منظم وممتثل ومؤتمن ، فهو مستعد لتسليم مدينة الاسكندرية اليها ، وكذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الانجليزية تحترمهم وتسلم المدينة اليهم ، فقد تحقق

من هذا ان الحكومة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية ، وانه تقرر من جميع الدول المعظمة فى المؤتمر بانه لا يصير مس امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس حقوق الدولة العلية ، بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت وأن يصير ارسال عساكر شاهانية لأجل استتباب الراحة فى مصر . فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جمع العساكر وكافة التجهيزات الحربية التى تجرونها بوصول أمرنا هذا وتحضروا حالا الى سراى رأس التين لأجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفهية على حسب أمرنا هذا ، وما استقر عليه رأى مجلس النظار »

جوابنا على ذلك

تلغرافيا فى ١٧ يوليو ١٨٨٢

« مولاى

« فى شريف علم مولاى المعظم ان المحاربة التى وقعت بيننا وبين الانجليز انما تسببت عن طلبات الأميرال الانجليزى وبلغت مسامع عظمتكم ، وعرضت على مجلس نظاركم « المنعقد تحت رياسة سموكم » بحضور كثير من ذوات البلاد المنتخبين ودرويش باشا نائب الحضرة السلطانية : ولما تحقق عند جميعهم أن هذه الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن البلاد ، قر رأيهم على معارضة طلب الأميرال ولو أدى ذلك الى الحرب

« وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة ٢٥ ألف عسكرى وصدرت الأوامر الى المديريات بطلبهم ، وقرر المجلس أيضا أن لا تطلق المدافع الا بعد اطلاق ٥ طلقات من السفن الانجليزية . ولما ابتدأت السفن باطلاق النار على مدينة الاسكندرية لم نقابله الا بعد ٢٠ طلقة ، ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب أدنى استعداد لاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد . ثم أعلن حضرة رئيس مجلس

النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهـــات الادارة بأنه قد اشتبكت البلاد فى حرب مع الانجليز وانها صارت تحت الاحكام العسكرية كما هو حكم القـــانون فى زمن الحرب

« فلهذه الأسباب يا مـــولاى تكون حكومتكم الخديوية المصرية محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع ، ولم يحصل من الحكومة ولا من عساكرها أدنى تحقير ولا ازدراء بالدونتمة كما هو معلوم لدى عظمتكم . وانما كان الحرب عدوانا من الانجليز على الحكومة التى لم يبد منها أدنى شىء يستوجب الحرب ، فان كان الأميرال أظهر فى مخابرته مع سموكم انه عدل عن المحاربة الى المسالمة ، فذلك بعد وقوع الحرب يعد طلبا للصلح وسعيا وراء تجديد العلاقات ؛ ولا يجوز أن يكون انكارا للحرب وتبرؤا من العـــدوان بعـــد وقوعهما ، ولا شك انى أوافق على أفكار سموكم فى الميل الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة، وان كان الأميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد أن تخربت بمدافع السفن الانجليـــزية هدما وحرقا ، فها هو جيشها المنظم الذى لم يقع منه أدنى أمر يخل بالنظام ، مســـتعد لأن يتسلمها بعد أن تبرح المراكب مياه الاسكندرية .ولو انها ضربت المدينة بمدافع سفنها . وللمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغى الاســـــتمرار على الاستعدادات العسكرية كما يوافق ذلك رأى سموكم أولا حتى تفـــارق المراكب السواحل المصرية خوفا مما عساه أن يحدث من قبيل ما سبق ، فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على أن المسالمة بالوعد من الانجليز لا يمكن كمال الثقة به ، وانما هو لأجل اشتغالنا عن الاستعدادات ، واقتـــــراح مطالب تضر بصالح البـــلاد . واننى كنت أتمنى أن أمثل بين يدى عظمتكم لابداء هذه الملاحظات لو كنتم فى عاصمة

بلادكم ، ولكن من الأسف أن تحقق عندنا تحيز سموكم الى العدو المحارب لبلادكم ، بدليل رفضكم العـــودة الى العاصمة وقت ارسال القطار الخديوى لسموكم، واختياركم الذهاب الى رأس التين ومعكم النظـــار وغيرهم من الذوات بعد علمكم بأن المدينة مشغولة بعساكر الانجليـــز اجابة لرأى المستر (كلفن)

« فان كنت يا مولاى حرا ، فيجب حضوركم الى عاصمة البلاد ، وان كنت أسيرا لدى الانجليز أو متحيزا اليهم ، فلا يمكن التسليم بقبول ما يكتبه العدو عن سموكم ، أو عن لسان رئيس النظار وزملائه والأمر لمن له الأمر

(الامضاء) ناظر الجهادية

أحمد عرابى

وارسلت كتابا الى وكيل الجهادية يعقوب سامى باشا فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ، هذا نصه :

« لا يخفى على سعادتكم ما حل بالديار المصرية الشاهانية من البلاء الذى كان نتيجة الدسائس ، التى كانت عاقبتها جلب المراكب الانجليزية بقصد العدوان على بلادنا الاسلامية وعند حضورهم واقامتهم بثغـــر الاسكندرية ، أخذوا فى اقتراح التكليفات الباهظة علينا ، مثل امرهم لنا بتنزيل المدافع من الاستحكامات وأعطائهم ما وراء طابية المكس من الأراضى ليتخذوها معسكرا لهم ، وغير ذلك ، ولذا اجتمع مجلس فوق العادة بأمر الخديو مؤلف من حضرات النظـار وعدد غفير من الذوات المدربين تحت رئاسة الخديو . وبعد التذاكر فى اقتراحات الانجليز ، قرر المجلس المشار اليه حفظ شرف الأمة وكرامتها بالمدافعة عن العرض والوطن ، وكان ذلك بحضور حضرة درويش باشا منـدوب الحضرة السلطانية

« وبعد أن تمت هذه المذاكرة فاجأتنا مراكب الانجليز

واخذتنا على غرة منا وضربت المدافع على مدينة الاسكندرية ، ولما تم عدد الطلقات ٢٠ طلقة وكانت المدافعة واجبة شرعيا، قابلناهم أيضا بالضرب واستمر الحرب بين الفريقين نحو ١٠ ساعات دمروا فى غضونها أغلب طوابى الثغر المذكور وأحرقوا مساكنه ففر جميع الأهالى من المدينة

« ولما حصلت المخابرة مع الأميرال فى الصلح والاكتفاء بما حصل ، أبى وتجبر وتوعدنا بحرق المدينة وتدميرها بعد ساعة ونصف ان لم تسلم اليه جميع الطوابى

« هذا وقد حصل الخذلان ودب الفشل بين قلوب العساكر، فتركوا مراكزهم وفروا الى مداخل البلاد ، ولذلك توجهنا بمن أمكن حجزهم من العساكر الى كفر الدوار واتخذناه مركزا للدفاع عن البلاد ، وأمرنا بسرعة جمع العساكر الفارين فحضروا عاجلا بواسطة السكة الحديد . ثم أرسلنا القطارات الخديوية لتقل الخديو ومن معه الى عاصمة البلاد فما كان منه الا أن التجأ بمن معه من الخدم والذوات وعساكر الحرس الى الاسكندرية وعند وصولهم الى رأس التين استقبلتهم الانجليز بالترحاب ، وفى الحال جردوا عساكرنا الذين كانوا حرسا على الخديو من السلاح وأخذوا خيولهم واستخدموهم خدما لهم مرشدين فى أنحاء المدينة التى خربوها وكانوا يقتلون كل ، قابلوه من الوطنيين ثم صدر أمر الخديو الى رئيس مخبز اسكندرية بارسال الخبز الى عساكر الانجليز ومنعه عن العساكر المصريين

« وقد تلقينا الآن التلغراف المرسل من الخديو وهو مرسل مع هذا لسعادتكم ومعه أيضا صورة الرد الذى أرسل منا اليه لكى تعقدوا مجلسا من الذوات والعلماء ومجلس النواب والأعيان وتطرحوا هذه الأحوال أمامهم للمذاكرة فيها ، والبت فى السير على خطة تقررونها ثم تحررون قرارا بما ترونه فى صالح البلاد وعما اذا كان

يجوز شرعا **وقوع ما حصل من الخديو من التحيز الى العدو المحارب لبلاده أم لا ؟**

« وبعد امضائه فيدونا للعمل بموجبــه ، وداوموا على اهتمامكم بالتجهيزات العسكرية أفندم »



المؤتمر الوطنى

اجتماع الداخلية

بناء على الـكتاب الذى أرسلناه الى وكيـل الجهـادية يعقوب باشا سامى ـ وهو المنشور فى الفصل السابق ـ دعا كثيرا من الذوات والأعيان وكان عدد الذين لبوا الدعوة نحو ٧٠ شخصا والاجتماع فى ديوان الداخلية ، وبعـد المداولة والمذاكرة قرر الحاضرون وجوب الاستمرار فى اعداد التجهيزات الحربية واستدعاء النظار من الاسكندرية وهذا نص القرار :

« فى بداية الحرب بيننا وبين الانجليز كتب عطـوفة رئيس النظار وناظر الخارجية الى جهات الادارة بأن الحرب انتشبت بيننا وبين الانجليز وصارت الاحكام عرفية ، وانه من اللازم الاستعداد للمقاومة، ثم وردت منه افادة تلغرافية بعد ذلك بأيام مقتضاها حصول الصلح والتنبيه على المصالح أن تسير سيرا مدنيا وانها خرجت من الأحكام العرفية . وبعد ذلك صدرت افادة من ناظر الجهادية الى جهات الحكومة يصرح ببقاء البلاد تحت الأحكام العرفية وان الحـرب لم تزل قائمة بيننا وبين الانجليز وبوجوب الاستمرار عـلى التجهيزات والاستعدادات الحربية ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

« وصدرت ارادة سنية من الجناب الخديو لناظر الجهادية مقتضاها أن لا حرب بيننا وبين الانجليز ، وان السبب فى الحرب هو مداومة الاستعداد فى الطوابى الذى يعد تحقـيرا لمراكب الانجليز . فضرب المراكب لاستحكاماتنا ولمدينـة الاسكندرية ليس حربا ضد الحكومة ، وانما هو من قبيـل

رد الشرف وليس هنالك حرب حقيقيـــة الى آخر ما جاء بالارادة •• فأجاب ناظر الجهادية بأن الحرب كانت بقرار من مجلس عام انعقد تحت رئاسة الحضرة الخديوية ، وأيد ذلك اعلان مجلس النظار الى آخر ما ذكر فى ذلك الجواب ثم وصل عرضحـال من مخبز حى القبـارى بالاسكندرية لسعادة ناظر الجهادية يشكو من صرف الخبز للعســاكر الانجليز ومنعه عن عساكرنا بأمر الخديو • وورد للنـاظر الموما اليه معلومات عن أعمال العساكر الانجليـــز فى الاسكندرية فدل على معاداتهم للمصريين وانهم محــاربون لهـم كمـا يؤخـذ من رسالاته . ثم أن ناظر الجهـــادية المشار اليه طلب فى احدى رسالاته لوكيل الجهـادية بأن يشكل مجلسا عاما من علماء البلاد وأمرائها وأعيانهـــا ونوابها للنظر فى هذه الأمور المهمة • وبناء على ذلك انعقد مجلس ليلة غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ فى نظارة الداخلية مؤلف من سعادة وكيل الجهادية وسعادة وكيل الداخليــة حسين باشا الدرمللى ووكيل الحقانية بطرس باشـا غالى وسعادة على باشا فهمى وناظر الدائرة السنية سعادة أحمد باشا نشأت • وكل من سعادة دانش باشا ومحمود سامى باشا ومحمد باشا رضا وحضرات باشكاتب المالية وأحمد بك رفعت رئيس المطبوعات ومأمور ضبطية مصر ابراهيم بك فوزى وعلى بك يوسف وأحمد بك فرج وحسين بك جاد

« وبعد المداولة قرر المجلس المذكور انعقـاد مجلس فى هيئة مؤتمر عام يشكل من أكابر العلمـــاء والرؤســاء الروحانيين من الطوائف المختلفة ومأمورى الحكومة الحائزين على الرتبة الثانية فما فوقها وأمراء العائلة الخديوية وأكابر الذوات المتقاعدين وأعيان التجار وأن يكون انعقـــاده فى نظارة الداخلية يوم الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ

« وفى الميعاد المذكور انعقد المجلس تحت رئاسة سعادة

وكيل الداخلية من عدد كثير من كل طبقة من الطبقات المذكورة ، وتليت عليهم الأوراق المتعلقة بالمسألة المتقدمة، وطلب منهم النظر فيها لكونهم أعيان البلاد وأصحاب المصالح المهم فيها ، فقرر رأى الجميع بعد المداولة على ما يأتى :

أولا ـ يلزم طلب حضور الخديو والنظار الى العاصمة ، ان كانوا أحرازا ولزوم الاستمرار على التجهيزات الحربية، ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

ثانيا ـ تعيين لجنة مؤلفة من مندوبين من طرف المجلس العام ليتوجهوا الى الاسكندرية ويبلغوا سمو الخديو وحضرات النظار قرار المجلس ثم يدعوهم الى العاصمة ، ان كانوا أحرارا ! ٠ »

وقد انتخب المجلس على باشا مبارك وزير الاشغال سابقا فى زمن الاستبداد رئيسا لهذه اللجنة وأعضاؤها رؤوف باشا حاكم السودان سابقا ، وأحمد بك السيوفى من الأعيان ، والشيخ سعيد الشماخى وكيل دولة مراكش فى مصر والشيخ على نايل والشيخ أحمد كبوه من العلماء

وقد انتهت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة بالتوقيت العربى من اليوم المذكور

الفصل الخامس

وفد المؤتمر الى الخديو

بناء على قرار المؤتمر السابق خرج الوفد المعين من الذوات الى معسكر كفر الدوار أولا ومنه توجهوا الى الاسكندرية على ظهور الخيل ومعهم الحرس اللازم ، وفى صباح ٢٣ يوليو اجتمعوا بالخديو والنظار وأخبروهم بمهمتهم • وعلى ذلك صار حجز على باشا مبارك وأحمد بك السيوفى بالاسكندرية ورجع محمد باشا رؤوف والشيخ

سعيد السماخي والشيخ نايل والشيخ احمد كبوه وكذلك اسماعيل باشا حقى أبو جبل لضعفه . وكان رجوعهم بمقتضى تصريح خصوصى من قائد الانجليز . وعند رجوعهم أخبرونا وبالتالى أخبروا المجلس بأن الخديو أسير عند الانجليز ولا يمكن رجوعه الى مصر

وبعد ذلك ورد الى أمر من الخديو توفيق بعزلى من نظارة الجهادية هذا نصه :

« الى أحمد عرابى باشا في ٤رمضان سنة ١٢٩٩ه و٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢

« ان سفرك الى كفر الدوار مصحوبا بالجند وخروجك من الاسكندرية بعد القتال ، وتعطيلك الخطوط الحديدية والبريد ، ومنعك لمهاجرى الاسكندرية من العودة الى أوطانهم واستمرارك على اعداد التجهيزات الحربية وعدم امتثالك لأوامرنا ، والقدوم الى الاسكندرية ، كل ذلك ألجأنا الى عزلك من وظيفتك فأنت بمقتضى هذا الأمر المرسل اليك معزول منذ الآن من نظارتى الجهادية والبحرية »

ثم أشفع هذا الاعلان بمنشور علق فى شوارع المدينة بين فيه الأسباب التي دعت الى عزلى وأوضح أن نزول العساكر الانجليزية الى المدينة ، لم يكن بقصد التبوؤ والاستيلاء ، فان المؤتمر القسطنطيني لا يوافق على ذلك ، بل سيعود الانجليز الى بلادهم بعد استتباب الأمن والراحة فى أنحاء البلاد المصرية واعادة سلطة الخديو المسلوبة

وقد أرسل هذا المنشور مع منشور آخر من الأميرال سيمور بالمضمون عينه يعترف فيه بأن العمارة الانجليزية تعود الى انجلترا بعد تأييد سلطة الخديو واعادته الى مركزه ، وان لا مطمع للانجليز فى الاستيلاء على البلاد المصرية ،

وأرسلت تلك المنشورات الى رؤساء المراكز العسكرية وعمد البلاد ومشايخ العربان

وفي اليوم المذكور حضرت سفينة الى أبي قير وسلمت أمر الخديو المؤذن لى بعزلى ومنشـــــور الخديو والأميرال الانجليزى الىخورشيد باشا طاهرحكمدار النقطة المذكورة، فأرسلها الينا بافادة من طرفه ، وعندما وصلتنا بعثنـاها برمتها الى رئيس المجلس بالقاهرة لفحصها واعطـاء القرار من المجلس بما يراه

المؤتمر يعزل الخديو

انعقد المؤتمر العام فى ديوان الداخلية فى ٢٢ يوليـــو سنة ١٨٨٢ و ٦ رمضان سنة ١٢٩٩ وبعد تلاوة الأوراق المعروضة للتذاكر فىشأنها صدرت فتوى شرعية منالشيخ العارف بالله شيخ الاسلام والمسلمين السيد محمد عليش وشيخ الاسلام الشيخ حسن العدوى والشيخ الخلفـــاوى وغيرهم من العلماء بمروق الخديو توفيـــق باشا من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده وقر قرار المجلس بما يأتى :

« بعد تلاوة الأوامر الصادرة من الخديو توفيق باشــا أولا وآخرا ، وفيها الأمر الصادر الى أحمد عرابى باشــا وتلاوة منشورات عرابى باشا ، وبعد سماعنا ما عرضـــه وكيل الجهادية بصفته بهذه الوظيفة وكونه رئيس المجلس المشكل لادارة أشغال الحكومة على المجلس ، وهو : « هـل وجود الخديو فى الاسكندرية هو ونظاره تحت محافظـــة عساكر الانجليز يقتضي عدم تنفيذ أوامــــره أم لا . واذا صدرت له أوامر من الخديو هل يعمل بها أم لا ؟ » . رأينا أن وجود العساكر الانجليزية فىالاسكندرية وبقاء مراكبهم الحربية فى السواحل المصرية ووقوف عرابى باشا لمدافعة

العدو يقضي وجوب بقاء الباشا المشار اليه فى نظـــارة الجهادية والبحرية مداوما على قيادة العسكر متبعا فيأوامره المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله عن تلك الوظيفـــة • ورأينا وجوب توقيف أوامر الخديو وما يصدر،من نظـاره الموجودين معه فى الاسكندرية كيفما كانت ولأى جهـــة من الجهات وعدم تنفيذها حيث ان الخديو خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف ويلزم عرض قرارنا هذا على الأعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات

وبعدامضاء هذا القرار عرض مضمونه بواسطةالتلغراف على الحضرة السلطانية ، وصار ابلاغه الينا رسميا والزامنا بالمداومة على الدفاع واعطائنا لقب (حامى البلاد المصرية)

مراوغة على باشا مبارك

وفى ٢٠ ١رمضان سنة١٢٩٩ (١٨يوليو١٨٨٢) وردتلغراف من علىباشا مبارك رئيسالوفد الذى أرسل منالمجلسالعام الى الاسكندرية لمقابلة الخديو واستدعائه الى القاهرة بمن معه من النظار . قال فيه : « بحمد الله تعـــالى وصلنا الى الاسكندرية وأخذنا نسعى في الاشتغال بالمأمورية المحولة على عهدتنا من قبل المجلس المنعقد بالقـــاهرة • وفى علم سعادتكمأهمية مأموريتنا وما تحتاجه من المذاكرات،فلأجل الوصول الى الغاية المقصودة فى الزمن القليل ، يلزم أن تكون المخابرات بيننا وبين سعادتكم بواسطة التلغـــراف فربما ينتج منها فائدة للوطن وحفظه من الغـــائلات • ثم أعرض على سعادتكم انه قد تقرر تشكيل قومسيون يكون مركبا منا ومن بعض الذوات يجتمع مع قومسيون ممـــن تعينونه وتعتمدون عليه من أمراء العسكرية يجتمعون فى محل يصير تعيينه بالاتفاق للمذاكرة فى الأحوال الحاضرة حتى نؤمل الحصول على نتيجة توافق الجميع وتزيل هـذه

النازلة عن وطننا العزيز فان راق لكم فلتعينوا المحل والذوات العسكرية وفيدونا بما ترونه أفندم »

فرددت على علي باشا بما يأتي :

« نحمد الله على وصول سعادتكم بالسلامة ، وبعد فاننا تشرفنا بورود تلغراف سعادتكم الذى به تطلبون منا تعيين قومسيون من العسكرية لانضمامه مع قومسيون يتشكل من سعادتكم وبعض الذوات للمذاكرة في الأحوال الحاضرة. وحيث انه من المعلوم لنا انه قد صار عقد مجلس حافل عمومي بمصر من ذوات العسكرية والملكية والعلماء والتجار والأعيان والرؤساء الروحانيين ، وكنتم سعادتكم من ضمن الموجودين به وما كان عقد هذا المجلس ألا للنظر في الأحوال الحاضرة ، واتخاذ التدابير اللازمة لوقاية البلاد . وقد قرر ذلك المجلس كما تعلمون سعادتكم بوجوب استمرار التجهيزات الحربية وبارسال سعادتكم مع من تعين معكم لمأمورية مخصوصة ومحدودة . ومن هذا ترى سعادتكم انه لا يوجد لى أدنى صفة أو حق لتعيين قومسيون من طرف ولا أدرى الغرض منه بعد قرار المجلس الذى عقد بالقاهرة على انى لست مستقلا بعمل أمر ما ، بل انى مطيع ومنقاد في أى حال لما تأمر به الأمة . ولهذا فانى متأسف لعدم امكانى اجابة طلب سعادتكم »

وفى ٢٣ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ٨ اغسطس سنة ١٨٨٢ صدر منشور من الخديو الى جميع المصريين وهذا نصه :

« نحن خديو مصر نعلن لجميع المصريين ان عرابى باشا قد ارتكب آثاما فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر واهلها وجعلت الدول الاوربية ناقمة عليها ، فانها باتت الآن تعتبر المصريين أمة غير متمدينة . فهذه الجرائم والآثام منحصرة فى عصيان عرابى المذكور ، وتحريضه للقوم على السير تحت لواء العصيان وفى الدسائس التى نشأت عنها مذبحة الاسكندرية وغيرها من البلاد فاوقفت فيها حركة التجارة وعطلت اعمال الزراعة ثم فى عصيانه لاوامر جلالة السلطان الاعظم وهى الاوامر التى صدرت اليه

بالانقطاع من التظاهر بالعدوان فى الاستحكامات والحصون مما بات معلوم النتيجة من هلاك نفوس وتدمير قلاع وخراب أبنية

« وبعد ان بدد عرابى فى أقل من ساعة شمل سكان الاسكندرية الذين نهبهم أضرم النار فيها ، وخرج منها بجيشه قاصدا كفر الدوار ، حيث عسكر بقومه من غير علمنا وبغير ارادة منا ، فبعث ذلك على نزول الانجليز الى المدينة لاطفاء النار المضرمة فيها ومنع النهب والمحافظة على الراحة

« وفوق ذلك منع المهاجرين من العودة الى أوطانهم وقطع ما بينهم وبين أهلهم وسائل الصلة والعلاقة ، وقطع الماء عن الاسكندرية وأعلن جهرا عصيانه بأكاذيبه الظاهرة ، فبذلك عد عاصيا ومستحقا لاشد العقوبات بمقتضى الشرع الشريف

« ولا يزال مع ذلك عاملا على تعميم الخراب بمساعدة جنده والاهالى المتحزبين معه المنقادين لآرائه الوخيمة ، وقد تجاوز الحدود بعصيانه بما يفوق الوصف ، فقد استولى على أموال الضرائب وعزل كثيرين من موظفى الحكومة ، واستبدلهم بغيرهم فى حالة كونه معزولا من وظيفته معدا للعقاب الصارم الشديد

« ولقد رأينا ان قلوب كثير من رعيتنا لا تزال قاسية مائلة الى عرابى ، بالرغم من أوامرنا السابقة فلذلك أصدرنا هذا المنشور الآخر معلنين فيه ان كل شخص يعرف عنه انه ذو ضلع مع عرابى وميل اليه ، عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان

« فرحمة بمصر وأهلها نستأنف الآن اعلاننا للمصريين عموما والجند خصوصا ان كل من أصر على عصيانه وانقياده الى عرابى كان مذنبا أمام الله غير مقبول العذر لدينا ، فنجرده مع ولده وذويه من جميع الرتب والرواتب ومعينات التقاعد وسائر الامتيازات التى كان متمتعا بها (حكم جائر استبدادي لأن الله سبحانه يقول : « لا تضار والدة بولدها ولا مولود بولده » ولكنه اغتر بقوة الانجليز) !

« وليعلم المصريون اننا نحن أميرهم ومولاهم وأن لا يرتكبوا عصيانا علينا وليعلم كل منهم أيضا انه اذا أدى للعاصى عرابى أو لاتباعه أموال الضرائب كانت تأديته للمال غير محسوبة لدينا بل اننا نطالبه بها يوم تنقشع عن سماء مصر غيوم النكبات العرابية »

وجاء فى كتاب مصر للمصريين للنقاش فى صفحة ١٣٩ جزء ٥ ما يأتى :

« وبعد أن أصدر الخديو هذا المنشور بعث الى أركان حرب الانجليز بكتابة يهنئهم فيها على نجاحهم فى الوقائع الأخيرة ! »

وقد رددنا على هذا المنشور الجائر بمنشور أصدرناه

الى جميع فروع الحكومة ورؤساء الجيش ، وهو :

وفى ٢٨ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ١٣ أغسطس سنة ١٨٨٢ أصدرنا منشورا الى رؤســـاء الجيش فى المراكز الحربية وللمديريات وجميع فروع الحكومة وهذا نصه :

« قد أوجب الله علينا اعداد ما نستطيعه من القـــوة لقتال الأمة الانجليزية التى اعتدت على البلاد طمعا وشرها، وبادأتنا بالحرب بغيا وعدوانا . وقد قام به أحسن قيـام على قدر شأن كل حر مخلص شهم عالى الهمة شريف الذمه من رجال البلاد عموما ونظراء سعادتكم من حضرات المديرين خصوصا . وبعناية الله واتحاد الجميع ذلك الاتحاد الذى هو أثر الغيرة الوطنية والحمية الانسانية ، قد أدركت البلاد فى زمن يسير من عظيم القوة وجليل الاستعداد ما لم يخطر بالبال قبل الآن . ولا يخفى انه من أجل ما يجب القيام به الحرص الزائد على الدقيقة الواحدة ، بل اللحظة الواحدة من زمن المحاربة ، فلا تفوت الا وتكون قد صرفت فى حسن التدبير واصـــالة الرأى فى النكاية بالعدو ، رده الله على عقبيه خاسئا خاسرا

« وانه مما وجب اعداده لذلك هو زيادة الجند ٢٥ ألف عسكرى ، فبناء على ذلك وما تراءى من أن هذا العدد اذا شرع فى جمعه بحسب القرعة العسكرية ، فقد يجتمع من الشبان ما يلزم لتدريبهم وتمرينهم على حمل الســـلاح وحركات الدفاع وقت لا يحسن تقويته الا بأعظم ما يمكن من الفائدة لما مر

« وحيث ان خفراء البلاد المرتبين من الأهالى هم بالطبع أكثر من غيرهم تعودا وتمرنا على حمل الســلاح والحركات الدفاعية وأشد قوة وبأسا ، وأثبت جأشا لدى المقـاومات العدائية ، وقد يتيسر جدا جمع هذا العدد من هؤلاء الخفراء وحشـــده مع الجيش فى زمن وجيز وبحالة أقرب وأسهل مما لو جمع من غيرهم بالقرعة العسكرية ـ فعليه يجمـ

هذا العدد من المديريات ، بحيث تسرع فى جمعه من الخفراء المذكورين ـ وكل بلدة وما يخصها منه ـ وقد خص مديرية سعادتكم من العدد المذكور كذا نفرا ، فالقصد مزيد الاعتناء والاسراع فى جمع العدد الموما اليه بعد تخصيصه على بلاد المديرية من نفس الخفراء المذكورين، ثم يجرى تفهيم كل واحد منهم بأنه فى نظير تلبيته لدعوة هذه الخدمة الوطنية الشريفة مع المسرة والبشر شأن الحريص على شرف قومه فانه بعد انتهاء الحرب بنصرنا ، وظفرنا بفضل الله تعالى ، يكون معافى من الخدمات العسكرية . ويصير ارسال الأنفار المذكورة بالافادات المقتضية كالجارى، أما الخفراء الذين يلزم ترتيبهم بدلا من المذكورين فيجرى انتخابهم وتعيينهم فى محلات دركات أسلافهم فى الحال ، حسب ما يلزم ، واقتضى تحريره ونشره للاجراء على مقتضاه »

كرم المصريين ونجدتهم

قامت هذه الحرب الشعواء وليس فى خزانة الحكومة درهم لأن المراقب الانجليزى المستر (كولفن) أخذ الأموال من خزينة المالية وأنزلها فى الدوننمة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام ، وكذلك الأموال الموجودة فى صندوق الدين العمومى قد حملها أعضاء قومسيون الصندوق الى المراكب الحربية حيث أمنوا عليها

وفى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت اشارة تلغرافية من رئيس مخبز القبارى بأنه موجود بالمخبز ٣٥٠ ألف أقة بقسماط ويخشى من أن عساكر الانجليز يأخذونها . فأخذت لاستحضار ذلك القائمقام محمد بك نسيم لما توسمته فيه من الغيرة الوطنية وأمرته أن يأخذ قطارا بعربات فارغة لشحن البقسماط الموجود بمخبز القبارى ويأتى به الى كفر الدوار ، فصدع بالأمر ، وأخذ القطار وتوجه الى

القبارى باسكندرية ولكن ـ يا للأسف ـ خاب ظنى فيه ، فانه بعد وصوله الى الاسكندرية ترك القطـــار وتوجه الى رأس التين ، وأخبر الخديو بدخيـــلة أمره ، فأمر الخديو بحجز القطار ، وصرف البقسماط الى الجيش الانجليزى ، ومنعه عن عساكرنا ، وكان ذلك الشــــاب الممتلىء غيرة ونشاطا ، أى محمد بك نسيم أول من ترك الجيش وانضم الى جانب الخائنين لوطنهم ، ثم اقتدى بعمله هذا القائمقام أركان حرب محمد بك لبيب والبكباشى عبد الرزاق نظمى الذى قتل بعد ذلك فى حرب الدراويش بسواكن

وبناء على ذلك تحرر من المجلس العـــام الى المديريات بتحصيل الأموال من الأهالى عن كل فدان عشرة قروش ، ومن شاء أن يتبرع بشىء اعانة لاخوانهم المجـــاهدين فى سبيل المدافعة عن وطنهم وحفظ كرامتهم وشرفهم ، يقبل منه مع اعلان الشكر

ولما أعلن ذلك جاءت الأمة على اختلاف مذاهبها ونحلهـا بالمال والغلال والخيل والجمال والأبقار والجواميس والاغنام والفاكهة والخضروات حتى حطب الحريق • فمنهم موسى بك مزار الرجل الوطنى البحت ، فقد تبرع بألف وثلثمـــائة ثوب بفتة وثلاثين عجل بقر عن طيب خاطر ، ومنهم والدة الخديو اسماعيل ، فقد تبرعت بجميع خيول عرباتهـــا ، وجاراها فى هذا المضمار باقى أفراد العـــائلة الخديوية • وكذلك حرم خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وحـرم رياض باشا وكثيرين غيرهم من الذوات، رجالا ونساء ، كل ذلك فضلا عما مدوا به الجيش من الأقمشة والأربطـــــة اللازمة لتضميد جراح العساكر وغيرهم • ومن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلكه من الغلال والمواشى ، ومنهـــم من خرج عن جميع مقتنياته ، ومنهم من عرض أولاده للدفاع عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه

وبالجملة فان الأمة المصرية عن بكرة أبيهـــا قدمت من التبرعات وأظهرت من النخوة والغيرة ما لم يسنبق له عهد في القرون الخالية ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي الأمة خير الجزاء وأن يرد لها حريتها واستقلالها

الحق أقول أن الأمة المصرية على اختلاف مشاربها كانت شديدة التحمس والنهوض لقتال الانجليـــز الطامعين فى بلادهم وكان نبهاؤها يعقدون الاجتماعات ويلقون فيهـــا الخطب الحماسية والقصائد الدالة على كبر نفوسهم • ومن هؤلاء الخطباء والشعراء : الشيخ أحمد عبد الغنى ، والشيخ سيد المرصفي ، والسيد عبد الله نديم ، والشيخ محمـــد أبو الفضل ، والشيخ محمد فتـــح الله وغيرهم ، ومن ذلك قصيدة للشيخ أحمد عبد الغنى قال فى مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى ولا وقت السماع على الشراب
ولكن ذا زمـــان الجد وافى وذا وقت الفتـــوة والشباب
ووقت فيه الاستعداد فرض لتنفيـــذ الأوامر من عرابى

وقال الشيخ على المليجى فى خطبة له : « قد مرت بنا فى الزمن السالف أيام غير صافية العيش للمسلم وما ذاك الا لعدم الحمية الاسلامية فى حكامه الذين كانوا كالليـــل المظلم اذ كانوا منهمكين فى ميادين حظهم الدنيوى ، وعن الدين غافلين وقد ظهرت الآن البشائر بعز المســـلمين وسطوتهم حيث قد اعتدل حكام الوقت أيدهم الله بالأخذ فى أسباب قوة الدين ورد ما ضاع من شوكتهـــم باذلين الهمة فى التوصل الى ما يبعد الأمة عن التشـــويش ولما يكونون به آمنين اذ قد شرع رئيس المجاهدين أحمد عرابى المؤيد بنصر من عند ربه فى المدافعة عن حوزة الأمة ورد من كانوا فى تشويشها أول سبب وباع نفسه وجيشـــه للجهاد فى سبيل الله •• »

وقال الشيخ محمود ابراهيم فى خطبة له بأسـيوط :

« أما بعد فان الانجليز قد طاشت عقولهم وعميت بصائرهم فلم يحسنوا الضروريات فساموا بســوق أموالنا وديارنا نفيسها ، وساقوا الينا من زيف المعارضات خسيسها، وقابلوا تحيتنا بخداع ، وفتشوا أكنافنا لغدر أضمروه ليوم النزاع ، ونحن لما جبلنا عليه من محاسن الايمان وفينا لهم بعقــد الذمة والأمان فعاملناهم بالحسنى وجبرنا ما كان فيهــم ضعفا ووهنا فلما صحت أبدانهم وعمرت أوطانهم لم يقنعوا بذلك بل طلبوا التصرف فينا تصرف المالك ، فنسأل الله أن يكون سعادة أحمد عرابى باشا هو المشار اليه فى حديث « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهــذه الأمة أمر دينها » ، فان البشائر دلت عليه ليمزق البغــاة كل ممزق ، ويحيى المندوب والمفروض للدين الموفق وتمــوت البدع التى اسود القطر بظلماتها ويختفى بلاء الظلم بأرجائها وحاش أن يجعــل الله ديار أهل بيت نبيه فى ذمة كافرين جعل الله سعادة أحمد عرابى باشا وجنده الظافرين »

وجاء فى خطبة الشيخ محمد أبى الفضل التى ألقاها فى جامع الحنفى بالقاهرة : « قد تميز الغث من الســمين ، واستبان أن الانجليز جاءوا محاربين يريدون — لا أمكنهم الله — سلب الأموال وهتك الحرم ، وقد جاءوا بمكر وخداع يصطادون بشباكهم الأوطان من غير قتــال أو دفاع ، كما هو ديدنهم التبيح فى كل اقليم ، فيقظ لذلك العقــلاء والشجعان وذبوا عن الأعراض والأوطان »

وقال الشيخ حميده الدمنهورى فى خطبة له :

« أعدوا لاعدائكم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ما ترهبون به عدو الله وعدوكم وكونوا لدين الله من المنتصرين تفوزوا برضى المولى اللطيف الخبير . وقوموا لمحاربة أعداء الله وأعدائكم الطغاة البغاة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . الجهاد فرض الآن علينا واجب لدخول الأعداء فى بلادنا

محاربين فمن أتى بواجب الجهاد أحرز فضله ومن تطوع خيرا فهو خير له . فالسعيد من سارع الى اغتنام الأجر من الله العلى الكبير .. »

وجاء فى خطبة أخرى للشيخ محمد أبو الفضل :

« ومصرنا هذه قد كادت أن تكون دار حرب لا دار سلام فقد أهين فيها الوطنى وعظم اللئام حتى صاروا رؤساء الدواوين فطغوا وبغوا وحق عليهم المثل السائر : وعلى الباغى تدور الدوائر، فحكموا بالبنود والقوانين فعظم البلاء واشتد وزاد الكرب واحتد وكان ما علمتم من الحركات وكم لله فى الحركات من بركات »

وقد نظم الشيخ أحمد سيف البارى قصيدة جاء فيها :

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابينا يمينا

ونظم الشيخ السيد المرصفى قصيدة أخرى كان مطلعها:

يا صناخ قم واشكر الهك واحمد
فالدين منصور على يد أحمد

وهكذا كانت المقالات الضافية الذيول والخطب المسهبة والقصائد تتلى وتلقى فى مجالس المصريين ومنتدياتهم من غير انقطاع تحميسا للأمة وتشجيعا لها ومن ذلك قول بعضهم معرضا بذكر ولسلى وسيمور في بيت السموءل :

وانا لقوم لا نرى القتال سبة اذا ما رآه ولسلى وسيمور

افتراء الشيخ حمزه فتح الله

من الأقوال المأثورة ما روى عن النبى (ص) انه قال : « لا تعلموا أولاد السفلة العلم » وهو قول حكيم ، لانهم يتخذون العلم ذريعة لتضليل العامة ، وآلة للتلبيس على الناس . ينصرون الباطل على الحق ابتغاء حطام يسير ، أو ابتسامة أمير ، أضلهم الله على علم فهم لا يهتدون .ومصداق ذلك أن الشيخ حمزه فتح الله الادكاوى ، نسبة الى ادكو ،

وهى قرية صغيرة بين رشيد وأبو قير على ساحل البحر المتوسط أغلب أهلها حاكة ، وصيادون . والشيخ المذكور كان حائكا ابن حائك ثم تعلم العلم ، وبعد ذلك تركه ، وانقطع لفن الصحافة ، فأنشأ جريدة البرهان ، ثم ذهب مع الخديو الى الاسكندرية ، حين تحيزه للانجليز ، وكتب مقالة مفتراة ، نشرتها جريدة الاعتدال التى أنشئت اذ ذاك وقد ضمنها من الأكاذيب والمؤتفكات ما يعجز عن الاتيان بها مسيلمة (الكذاب) قال فيها :

« ربنا لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا . عباد الله لستم تجهلون انني طالما ناديت فى جريدة البرهان ، بأن لاسبيل لنجاح الأمة الاسلامية سوى اقامة الدين المبنى على مكارم الأخلاق . والذى من مقتضياته حسن المعاملة ، والرفق بالذميين والمستأمنين والمعاهدين والمصالحين ، هم الأقسام الأربعة التي قدمنا ان جميع الأجانب فى البلاد الاسلامية لم تخرج عنها

« ومن مقتضياته أيضا اعداد ما يستطاع من القوة ومن رباط الخيل ، وانه لا ريب في انه يدخل فى القوة المدافع وغيرها من أنواع العدد الحربية الجديدة المناسبة لكل زمان ومكان ، وكذا جمع ما يتصور العقل ان فيه نكاية للخصم

« غير انه لسوء الحظ ، كأن تلك الآية الكريمة الآمرة باعداد ما ذكر ، انما نزلت على خصوص الأجانب فعملوا بها دوننا ، ورفضناها نحن كغيرها من شعائر ديننا ، وحدود ربنا تبارك وتعالى حتى بلغ من تضلع البغاة الجهال من الفنون الحربية ، وخبرتهم بطرق النكاية للعدو أن يقابلوا الآلات الانجليزية الحديثة العهد المصنوعة منذ أشهر وأسابيع بآلات عتيقة مضى عليها من الأجيال ما أكلها به الصدأ .. فأواه ثم أواه ..!

« ولكن هو الجهل حتى ينبح الكلب مولاه

« فلو اننا فرضنا المستحيل من كون هذه الحرب دينية والحالة هذه وانها بأمر الخليفــــة الأعظم أو نائبة الخديو الأكرم لوجب شرعا مخالفة أمرهما بها لأنها حينئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد (يريد/الشيخ تسليم البــلاد للعدو بلا قتال)

« وقد نهانا الله تعالى عن أن نلقى بأيدينا الى التهلكة فكيف وهذه الحرب كما قدمنا شيطانية ناشـــئة عن حب الذات والمصلحة الشخصية ، وعن الجنـــــون الذى أتى به الآن عرابى تخلصا من سوء العاقبة ، وان كانت أفعاله كلهــــا جنونا محضا من البداية للنهاية • على ان الحروب الدينية المرضية فى الحقيقة لله ورسوله لا تحتم نصر أربابهـــا ، اذ لا يجب على الله تعالى شيء وتلك سنته عز وجل فى المرسلين والأنبياء أن تكون الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالا ، أى تارة لهم وتارة عليهم ، وان كانت العاقبة لهم بلا ريب ، وذلك لتقتدى الأمم بأعمالهم فيبنون المسببات على الأسباب، لأن للشرائع السماوية خصوصا الشريعة المحمدية المطهرة تشوقا زائدا لذلك أى لابتناء المسببات على أسبابها حرصا على الأمة أن تغلق باب الأسباب فيختل نظام هذا الوجود ويبطل العمران ، وان كان الكل بيد الله واليه وهو خلقكم وما تعملون

« فأما الآن قد سد باب الخوارق والمعجزات، إذ قد ختمت النبوة بمحمد عليه الصـــــلاة والسلام (فاه الرجل بالحق بعد شططه)

« وأما الكرامة فلم ينصر بها الحسين عليه السلام ولا غيره من البضعة المقدسة مع الاجماع على كونهم على الحق (لتابهم أسوة حسنة) ولعل عرابى يزعم انه أكرم عـــلى الله من الحسين وحزبه (كلا فان الفـــــرع لا يعلو على الأصل) ويا عجبا لهذا الجاهل كيف خاطر بدماء المسلمين وأعراضهم

وبلادهم (جهل الشيخ أن الحرب شرعية واجبة أقر بهـــا مجلس عال تحت رئاسة الخديو توفيق باشا ودرويش باشا المندوب السلطانى فلا لوم على الجاهلين) اســـتنادا على خرافات المنام وأضغاث الأحلام (قد خرف الشيخ فلا لوم عليه) فاستمال بذلك عقول الجهال ، وفتح باب الحرب مع الأجانب بعد شدة نهى الخليفة الأعظم ونائبه الخديو الأكرم عنها ، ومع أنه ليس لديه من القوة ســوى ما ينشره من الأكاذيب (كذب الشيخ وافترى) • انك يا عرابى لمـــا وقعت فى يدك ويد جهالك الآلات الحربيـــة وصرتم نفس القوة التي من شأنها أن تكون عونا للحكام على تثبيت النظام وردع الأشرار وليس للحكومة اذ ذاك قوة أخرى تكسر بها شوكتكم امتلأت نفسك الخبيثة بالشرور (فتن الرجل وظهر خبثه) فطمعت فى المستحيل وما ليس اليه ســـبيل واستعملت انت وحزبك للحصول على ذلك جميع الوسائل ولكنهم صاروا بعناية التوفيق كلما أوقدوا نارا لهذه الحرب أطفأها الله (أشرك الشيخ الضال وحرف الآية الكريمة لغير معناها • باع دنياه وآخرته بثمن بخس • لارعى الله الغنى من سبيل الخيانة والتزلف ، وحبذا الفقر مع الأمانة والقناعة) حتى اذا أغلقت فى وجوههم المطالب عمـــدوا الى وسيلة أخرى الا وهى اتهام الجراكسة الكرام ظلمـــا وعـدوانا بالمؤامرة على الفتك بعرابى فصار هو الخصـــم والحكم ، واكراههم بأنواع العذاب على الاقرار بما نسب اليهم وبأن لهم فيه شركاء هم فلان وفلان لجملة من الأعيـــان والعائلة الكريمة الخديوية ، بحيث أن سير الجهادية فى تحقيق هذه القضية كان يشبه سير الوحوش فى البـــرية ، لأن تلك المؤامرة لو ثبتت على الجراكسة ولم تكن بقصد الفتـــك بعرابى ، بل كانت بقصد الفتك بأمبراطور مثلا بالنسبة للأمور الدنيوية أو نبى مرسل بالنســـبة للأمور الدينية

لكان تحقيقها أخف من ذلك التحقيق (ذلك أمر غاب عن الشيخ صوابه وقد تورط فيه من غير أن يدعوه اليه أحد) • وأراك يا عرابى لو أصبت يوم حرب الاسكندرية زورقا للانجليز فضلا عن سفينة ، مما زعمته أحزابك لكبرت نفسك عن دعوى النبوة فكنت تدعى الألوهية ، ولا تعدم من يؤمن بك من الجهال • نعم أنك قد اكتسبت الشهرة الفاسدة بأعمالك ، غير ان لك فى ذلك أمثالا كثيرين منهم ابليس اللعين وعاقر الناقة الذى هو أشقى الأولين ، وابن ملجم أشقى الآخرين ، فان كان فى شهرة هؤلاء شرف لهم فأنت أيضا كذلك (وقع الشيخ فى أمثاله وأظهر فساد علمه ، وخبث طويته ومبلغ نصيبه من الآداب وكل اناء ينضح بما فيه) •• »

وقد أطال الشيخ حمزه فى هذه الأكاذيب وتلك الافتراءات فى عدة مقالات بجريدة البرهان

وكذلك حذا حذو الشيخ حمزة المفتون المولع بالكذب والبهتان شاعر المتحيزين الى الأعداء وصنيعة المستبدين مصطفى باشا صبحى البوشناقى (من سلالة عائلة من أهل البوسنه وهى ولاية فى بلاد الروم) قال فى مطلع قصيدته التى سماها :

(صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال)

تبين عقبى غيه كل معتدى
وأمسى العرابى وهو بالذل مرتدى

وهى ١٢٥ بيتا كلها سباب وشتائم نظمها خدمة للاستبداد جزاه الله بما يستحق

وكذلك فعل اثنان من مرتزقة الأدباء : أحدهما أديب اسحق اللبنانى طمعا فى الاستجداء ، والثانى قدرى بك الشامى الذى كان مع درويش باشا حتى لا يرجع الى بلاده

خاوى الوفاض . على ان الخديو اغدق عليه وعـــلى درويش باشا وولده بالذهب الكثير وخلع عليهم خلعات ثمينة ، قبل وقوع الحرب ، وفى أثناء تأدية أعمالهم



احتلال الانجليز
لقناة السويس

الخديو توفيق يساعد الانجليز على الاحتلال

فى ١٤ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد لنا تلغراف من المسيو دى لسبس مدير شركة القنال يستعلم عن رأينا فى القنال بالنسبة للحركات الحربية فأجبته فى التاريخ المذكور بالتلغراف أيضا اننا نعتبر القنال حرا للمنافع العمومية الدولية ، ولذلك فانا لا نتعرض له بضرر اذا أمكنه منع المراكب الحربية الانجليزية من خرق حرمة الحياد واحترامها لقانون الشركة ، والا فنكون أحرارا فى مقابلتهم بالمثل

فورد تلغراف فى اليوم المذكور يفيد انه ضامن ومتكفل بمنع الانجليز عن اختراق القنال ما دام فيه عرق ينبض ، فظننا ان فرنسا تدافع عن حقوقها وتحافظ على حرية القنال ، ولا تلدغ من جحر مرتين .

ولما أخذ الانجليز ينزلون فى السويس احتج المسيو دلسبس على ذلك ، فأصدر الخديو أمرا بأن أمير البحر وقائد القوة الانجليزية العام بما انهما أتيا مصر مأمورين باعادة الراحة والنظام اليها ، فهما لذلك مفوضان بالحلول فى جميع النقط التى يريان وجوب الحلول فيها بقصد قمع العصاة وقد توعد فى هذا الأمر من يخالف أحكامه بالقصاص الصارم

وقد بعث المسيو فكتور دى لسبس لأبيه المسيو فردناند دى لسبس تقريرا بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ على أثر تلك الأحوال هذه ترجمته :

« يا حضرة الرئيس

« فى تقاريرى السابقة انبأتكم باصرار الحكومة الانجليزية

على عدم الاكتراث بأنظمتنا وقوانيننا ، وبحلول الانجليز في مياه ترعة السويس بناء على أمر الأميرال هيويت

« وفي ١٣ أغسطس أرسلت اليكم تلغرافا مشتملا على بيان مسألة الانجليز في الترعة ثم توجهت الى السويس . ففي صباح ١٤ منه حصلت مقابلة بيني وبين الأميرال هيويت فبسطت له فيها ان رئيس ومدير ادارة الترعة لم يجب على رسالته لأسباب أجلها انه اعتبر الجواب عليها من موجبات وقوع سوء التفاهم والوحشة بينهما ، ولذلك كلفني أن أجتمع به وأشرح له مشافهة ما لا يشك بعده ان الانجليز يخرجون من الترعة مراعاة للعهود والمواثيق

« ولقد شافهته بهذا الكلام ولم ألق عناء في اقناعه بأنه تجاوز الحدود المقررة للدول المحاربة ، فان الأعمال التي قاموا بها لم تكن الا لتحمل المصريين على العبث بحقوق الدول في الترعة ، بعد أن رأيناهم الى الآن يحترمونها بالرغم من مظاهرات الانجليز . وقد قلت له انه اذا علم المصريون ان الانجليز حلوا على ضفاف الترعة بغية ادخار المؤونة فيها ترتب على ذلك خوفنا من سدها وقطع الماء عنها

« ثم سألني الأميرال أن ألقى اليه شروحا وتفاصيل كافية عن حيادة الترعة وحقوق كل من الشركة والحكومة المصرية وواجباتهما ، فقلت له بل ذكرته بأن الصفة التي لزمها المسيو فرديناند دي لسبس في انجلترا فيما يتعلق بشأن الترعة كانت تلقى من مصاعب المقاومة ما تحمل لأجله أمورا كثيرة حبا في جعل الترعة على الحياد ، وكيف أنه بمحاماته عن مبدأ هذا الحياد ، كانت الشركة تظهر نفسها حريصة على منافع انجلترا ومصالحها ، وذلك بمنعها عن الاتيان بأعمال تضر بالتجارة العمومية وتجارتها خصوصا . وقد أعلنت له أن الاحتجاج على الأعمال العديدة التي خرقت بها انجلترا حرمة النظامات الموضوعة لنترعة

والمرعية الاجراء يجب ألا يؤخذ منه ان الشركة تقصد الأمة الانجليزية بعدوان ، ولكنها تقصد به المعارضة والممانعة فيما يوجب اقامة الحجر عليها ، سواء أكانت الدولة الجانحة اليه انجلترا أم غيرها

وقد أفهمته ان الخديو ليس في رغبته أن يخل بنظام الترعة وان شأن السفن المصرية في الترعة شأن السفن الغربية الأخرى • وفي الجملة ان البحرية الانجليزية لا تستطيع أن تأتى عملا مخلا بالحقوق المحترمة باسم الخديو وحكومته

« فشكرنى الأميرال على ما أبديته له وقال لى انه سيكتب الى حكومته بما ألقيته على سمعه فيما يختص بحياد الترعة وشأن الشركة فيها

« وبعد زيارتى له بنحو ساعة من الزمان لم يبق فى مياه الترعة جندى واحد قط من الجنود الانجليزية

« ثم عدت الى الاسماعيلية يوم ١٥ الشهر • ففى ١٦ منه ورد للمسيو دى روفيل رسالة من القبودان فيتزروى مآلها ان الأميرال هوسكنس ليس على علم صحيح بشأن الحكومة المصرية والشركة فى ترعة السويس ، فدعانى المدير على أثر ذلك الى بور سعيد وكلفنى أن أجتمع بالأميرال وأجعله على ما يروم من العلم اليقين بحقوق الحكومة المصرية والشركة فى خليج السويس

« وفى ١٨ منه اجتمعت بالاميرال هوسكنس ، فلقيت منه غير ما لقيته من الأميرال هيويت فانه جعل فى أذنيه صمما ، وأمالهما عما كان فى كلامى من الصواب

« ولقد صرفت بجانبه أكثر من ساعة على هذا الحال محاولا اقناعه بأن مياه بحيرة التمساح وبور سعيد خاضعة كالترعة لحقوق الشركة ، وان جميع السفن الأجنبية بلا استثناء تعامل فى بور سعيد والبحيرة المذكورة بمقتضى نظام الشركة المقرر

« فلم يصغ الأميرال لهذا المقال وفوق ذلك أنه كان يقطع على الحديث بين الدقيقة والأخرى ، ويقتصر على القول بأن المسيو دى لسبس عدو انجلترا وأن فى بور سعيد راية مصرية .

« ولقد بذلت الجهد فى اقناعه بأننا لسنا أعداء انجلترا وان وجود الراية المصرية فى مياه بور سعيد ليس من شأنه أن يجعل للبحرية الانجليزية أو بحرية أية دولة كانت حق خرق النظام وتجاوز الحدود • فكانت مساعى واجتهاداتى تذهب سدى .

« فمن ذلك يتضح ان الأميرال كان قد تقرر فى ذهنه اننا أعداء الانجليز وان مياه بور سعيد وبحيرة التمساح ان هى الا مياه مصرية يفعل فيها ما يشاء من غير معارضة

« وبعد أن انتهت هذه المخابرة بيننا رجعت الى الاسماعيلية وفى ليلة ١٨ من الشهر انقطع تلغرافنا بالقرب من السويس فاستدللنا من الآلات التى وجدناها فى الصباح ان الأيدى التى اشتغلت بقطع تلك الاسلاك انما هى أيد أوربية فعمد المسيو دى روفيل فى الحال الى اصلاحها واعادة المخابرات بواسطتها

« وبعد عودة الصلات التلغرافية الى مجراها السابق ورد تلغراف من المسيو شارترى مشتمل على نص رسالة بعث بها اليه الأميرال هيويت، مضمونها انه وفقا لتعليمات الحكومة الانجليزية أصبح مأمورا بمنع جميع السفن من الدخول فى الترعة وفى جملتها زوارق الشركة وباستخدام القوة عند الاقتضاء ، فى انفاذ هذه التعليمات

« فلما وقف المدير على نص هذه الرسالة بعث المسيو شارترى بمذكرة يقيم بها الحجة على رسالة الأميرال

« وفى نحو الساعة التاسعة من صباح ١٩ الشهر دخل الترعة زورق مسلح من زوارق السفن الحربية

وتصدى لما فيها من الزوارق البخارية تصديا مبينا على ما جاء فى نص رسالة الأميرال • أما من جهة بور سعيد فلم يبد شيء من مثل ذلك

« وكانت التعليمات التى اعتمد عليها الأميرال منذرة بوقوع بحوادث هائلة

« ففى ليلة ١٩ طرأت على الاسماعيلية تلك الحوادث وجعلتها مشهدا للمخاوف

« وذلك انه بينما كان جمهور من الأوربيين مجتمعين فى منزل المسيو بواليرى على أثر دعوة الى ليلة راقصة ، وكان الوقت اذ ذاك الساعة الثانية بعد منتصف الليل اذا بحركة فى طرق المدينة تصم الآذان ، فمن اطلاق بنادق وسوق عساكر وجر مدافع الى غير ذلك مما كان حدوثه غير منتظر، وكان أصحاب تلك الحركة هم الانجليز الذين أخذوا يخرجون الى المدينة غير مبالين بذعر السكان وقتلهم فى الطرق بنار البنادق

« وقد حرنا فيما بعثهم على تلك الحركة الحربية اذ لم يكن أمامهم من عدو يطلقون عليه تلك النار ، فان معسكر المصريين كان فى نفيشة التي تبعد عن الاسماعيلية مسافة ثلاثة كيلومترات ، أما المدينة فلم يكن فيها الا نفر قليلون من البوليس ، وهم قوم من أشد الناس ميلا الى السكينة ، فانهم قضوا الى الآن فى الاسماعيلية سنين كثيرة ، ولم يكن همهم فيها الا تأبيد الراحة والمحافظة على النظام

« وبعد خروج الانجليز بقليل دوت أصوات المدافع وذلك بأن أخذت السفينة أوريون والسفينة كاوليفور فى اطلاق مدافعهما على نفيشة ثم استمر اطلاق البنادق متتاليا متتابعا فى شوارع المدينة ، وعند بزوغ الفجر انقطع اندفاع رصاص البنادق فى حارة الأوربيين ، وقد أصيب به رجل هولندى الأصل يدعى المسيو برونيس

« وبعد شروق الشمس انطلق الملاحون الانجليز الى قرية

العرب التى يقطنها فعلمتنا الوطنيون ، وأخذوا يطلقـــون النار على النساء والاطفال فكانوا يفرون من وجوههم الى الصحراء ويملاون بصراخهم الفضاء

« وقد أسروا بعض رحال البوليس من غير أن يبـــدى أحد منهم أدنى مقاومة ، ولكن قتل أحدهم أثناء محاولتـــه الفرار مع عائلته .

« وعندما نزل الانكليز الىالبر قطعوا أسلاكنا التلغرافية المتصلة بالسويس وبور سعيد ، وحل القبودان فيتزروى فى مكتب الميناء وحجز على زوارقنـــــا ، وقد أصـــبحت الاسماعيلية الآن من ضمن حصار مخيف وأمسينا لا ندرى بما هو جار فىبقية الخط • وقد أخذنا نهيىء مكانا لعائلات مســـــتخدمى الشركة حيث تكون آمنة شر الخـــــوف والرعب فان فى المدينة ٣٠٠ جندى فقـــــط من ملاحى الانجليز ، ونحن نظن أن عساكر نفيشة يستطيعون أن يهجموا على المدينة فى الليل ويطردوهم منهـــا ونرى من الحزم أن نرسل النساء والاطفال الى بحيرة التمســـاح ليقضوا فيها الليل • أما نحن فقد عزمنا على البقـــاء فى المدينة

« وقد منع القبودان فيتزروى النســــاء من السفر فكتبت اليه مستفهما عن سبب ذلك ، فبعث الى يقول انه يبيح للنساء السفر ، ولكن رجال المسيو دى لسبس يجب أن يبقوا فى المدينة ، فانه يتوقع أن يحمل عليه فى الليل وأن يحدث قتال فى الاسماعيلية ، فلذلك يروم ابقـــاءهم فى المدينة

« فلما ورد هذا الجواب آثر قسم عظيم منالعائلات البقاء فى المدينة على الجلاء عنها • أما القسم الآخـــر فالتجأ الى السفينتين الاسبانيتين « كارمين » و « الباتروش » وكان قائداهما (الدون كرلوس دويز) و (المسيو لونفيلد) قد

أرسلا الينا زوارق مخصوصة فتوجه عليهـا الى السفينتين من رام الالتجاء اليهما

« وانقضى الليل من غير أن يحدث شيء مزعج فيه ، وفى الصباح نهضنا من الرقاد وقصدنا الخروج الى الشـوارع والتجوال فى المدينة ، فاذا هى غاصة بالعساكر الانجليز البريين والبحريين

« وفى ٢١ الشهر نصب الانجليز أنفسهم سلكنا البرقى الكائن على خط بور سعيد • وبلغنا ان كثيرين من الجنود الانجليز نزلوا الى بور سـعيد وان الأميرال هوسكنس استولى على مكاتب الشركة فيها ، وطرد منها المسيو ديزا فادى ، وان سفنا كثيرة من السفن الحربية دخلت الترعة بدون أن تؤدى الرسوم اللازمة وان الانجليـز حلوا فى القنطرة بالقوة

« وفى صباح ٢١ أتى الاسماعيلية الأميرال بوشـان سيمور والجنرال ولسلى والأميرال هوسكنس وفيه حصلت مقابلة بينى وبين الأميرال سيمور أظهر لى فى غضونهـا رغبة فى عود الشركة الى شأنها المسلوب فى الترعة ، فقلت له اننا لا نقدر أن نستلم زمام عملنا السابق فى الخليج الا اذا كنا قادرين على ادارته بمقتضى حق الخدمة المقررة لنـا فى نظام الترعة وبعبارة أخرى رفع الحظر عن زوارقنا فى الاسماعيلية وأعيدت المخابرات التلغرافية بيننـا وبين السويس • وفى الجملة يجب أن يعـاد للشركة حق ادارة أعمالها ، كما كان سابقا من غير أن يكون للغير دخل فيها ، والا فالتبعة على الأميرال وأتباعه • فقبل الأميرال والجنرال ولسلى تحمل هذه التبعة

« وفى ٢١ و ٢٢ الشـهر رفعت الاسلاك التلغرافية بين الاسماعيلية والسويس ثم بلغنا ان المصريين اشتبكوا فى ٣٠ الشهر فى قتال عنيف مع الانجليز فقتـل من المصريين مائتان • أما عدد الانجليز الذين خرجـوا الى

الاسماعيلية فقد بلغ من ٢١ الى ٢٢ الشهر عشرين ألف مقاتل

« وفى ٢٢ منه انخفضت مياه الاسماعيلية ٢٥ سنتيمترا واستمر هذا الانخفاض فى الأيام التالية بمعدل ٤ سنتيمترات فى اليوم وهو ما دعى الى الظن بأن العرابيين قطعوا مياه الترعة

« وفى ٢٣ سلك الانجليز طريق القاهرة سائرين على خط الترعة (الحلوة) وخط الطريق الحديدية ، وبعد أن حدث بينهم وبين المصريين بعض مناوشات بلغوا المحسمة وهناك تحققوا أن مياه الترعة لم تصب بأذى وعلى فرض أنها قطعت من فوق المحسمة ففى محتقنات القصاصين والاسماعيلية ما يكفى الترعة شهرين

« وفى ٢٤ عاد سير الأحوال فى الترعة الى عهده السابق

« وانى لا أنسى أن أذكر ان الانجليز كثيرا ما احتاجوا الى أدلاء السفن فطلبوا منهم بعض الخدمة فأبوا ما لم تسمح لهم الشركة باجابة الطلب

« وحاصل القول فى الختام أنه لم يلحق بأحد من رجال الشركة سوء أو أذى فى مدة هذه الأزمة

التوقيع (فيكتور دى لسبس)

خيانة الخديو توفيق

كل عاقل منزه عن الغرض يطلع على ما سبق توضيحه من أن الخديو أصدر أمره بأن أمير البحر وقائد القوة الانجليزية العام بما انهما آتيان مصر لاعادة الراحة والنظام اليها فهما لذلك مفوضان بالحلول فى جميع النقط التى يريان لزوم الحلول فيها على قصد قمع العصاة وتوعده فى هذا الأمر لمن يخالف أحكامه بالقصاص الصارم . ومن يطلع على تقرير المسيو فيكتور دى لسبس واعتراف الشيخ

حمزة فتح الله فى مقالتــه الأولى بأن الخديو ليس أول من انتصر بغير ذوى دينه ، بل أن له فى ذلك سوابق كثيرة — **يعلم علم اليقين أن الانجليز ما أتوا لقتال المصريين الا بطلب الخديو باتفاق سابق وان تقريره للحرب فى المجلس الأعلى الذى كان تحت رئاسته ما كان الا خديعة منه وأن تحيزه للعدو كان باتفاق أيضا حتى يصير قتـــال الانجليز مع المصريين باسمه ، وان النظار وغيرهم الذين اتبعوه كانوا قد خدعوا كما خدع الشيخ حمـــزه فتح الله وغيره من البسطاء • على ان كل من كان معه كانوا من رجال الاستبداد الذين لا ترضيهم الحرية والمساواة** الا اثنان منهم وهمـا : حسن باشا الشريعى وعبد الله باشا فكرى ، ولذلك سجنهما وأهانهما عند ابلاغه خبر هزيمة الجيش المصرى فى التـل الكبير انتقاما منهما ، لعدم استحسانهما انحيازه الى الانجليز وأمره بعزلنا واعلانه عصياننا بعد أن ترامى فى أحضان الأعداء المحاربين لبلاده • وقد أصدر النظار وهم مع الخديو توفيق فى قبضة الانجليز منشورا يصفوننى فيه بالعصيان على نحو ما وصفنى فى منشوراته ذلك الخديو الخائن للوطن

كتابى الى الباب العالى

وفى ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ أرســلت الى باشكاتب المابين بما يأتى :

« كنت قد بسطت لعطوفتكم فى ٢ أغسطس وما بعــده أمر اعتداء الانجليز وتســلطهم فى جهتى الســويس والاسماعيلية على الترعة ، ومخالفتهم للعهود مخالفة لنظام الترعة ، وبسطت أيضا ما كان من الهمة التى بذلناها فى جعل الترعة على الحياد لانها نقطة وحيدة لاجتماع منـافع الأمم وممر تجارة العــالم أجمع • ولما كان قد قرب الآن ميعاد توجه المحمل الشريف والحجاج المسلمين الى جهـة

الحجاز كتب الى المسيو دى لسبس الموجود الآن بالاسماعيلية مستفهما عما اذا كانت انجلترا تمانع فى مرور عساكر المحافظة المعتادة على التوجه مع المحمل الشريف أم لا ٠ فأجاب وكيل الجهادية بالتلغراف انه بالنظر الى الأحوال الحاضرة ، لا يمكنه أن يأخذ على نفسه تبعة ارسال المحمل الشريف ٠ وبعد ورود هذا الجواب منع الانجليز سفن الدول من المرور بالقنال وقطعوا الأسلاك البرقية الكائنة بين السويس والاسماعيلية كما عرضنا ذلك بالتلغراف

« ثم انهم أدخلوا سفنهم الحربية مع العساكر بأسلحتهم ، وقد أبنا الاحتياطات التى اتخذت لمقاومة العدو اذا تقدم الى داخلية البلاد ، وكان قومندان الخط الشرقى ووكيل محافظة الاسماعيلية ويوزباشى العساكر المستحفظة هناك ، قد أفادوا أن من عزم الانجليز اطلاق مدافعهم على النقط العسكرية الكائنة فى داخل البلاد ٠ ففى هذا الصباح علم من الأخبار الواردة ان الانجليز شرعوا عند الساعة التاسعة من ليل أمس فى اطلاق القنابل من جهة الاسماعيلية على نفيشة

« أما نحن فبالنظر الى احترامنا لعهود القنال بأن يكون على الحياد ، والى عدم تقويتنا لتلك النقطة وعدم وجود قوة عسكرية تقوم بشأن المحافظة على النقط فيما عدا (العساكر المستحفظة) وموالاة التحريض الشديد على عدم مس حقوق القنال ــ كل ذلك جعلنا فى مأمن تام من تحمل أية تبعة كانت

« ولما بدا من الانجليز هذا الاعتداء على ضفاف القنال قدم المسيو دى لسبس احتجاجا الى الأميرال الانجليزى ، وأرسل صورة الاحتجاج بالتلغراف الى الحكومة الفرنسية ، فاتصل خبره بوكلاء الدول فى عاصمة الحكومة المشار اليها ، فأعلموا دولهم بصفة رسمية ٠ أما الانجليز

فلم يلتفتوا الى الاحتجاج ، بل أصروا على الاخلال بنظام القنال ، وفى هذا الشأن أرسل تلغراف الى المسيو دى لسبس بما يأتى :

« بما ان الانجليز خرقوا نظام حياد الترعة ، فقد صارت مصر مضطرة الى سدها وتعطيلها منعا لاعتداءاتهم، فاذا لم يرد اليناجواب شاف فى مدة ٢٤ ساعة اضطررنا الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع »

« فمن التفاصيل التى تقدم سردها تعلمون ان الدولة الانجليزية التى كانت متخذة لها مقاما خطيرا لدى الخلافة الكبرى وفى دار السلطنة العظمى وكانت تزعم أنها أشد الدول محافظة على السلام ، وانها لا تحارب مصر،ولا تقصد بها شرا قد أوقعت المسلمين فى اشكال عظيم

« ومن التعدى الذى قامت به أمس ظهر فى الواقع تظاهرها بخلاف ما كانت تزعمه سابقا وتحقق أيضا انها مقاومة لجميع المصريين الأمة الخاضعة للدولة العثمانية ، وانها داست بأرجل المطامع منافع جميع الدول ، ولم تخش أحدا ورمت بنار الحرب أقليما عظيما

« فبما ان أعمال الانجليز وصلت الى هذه الدرجة فلم يعد فى الامكان التراخى فى اتخاذ الوسائط المقتضاة لدفع كيدهم ، وأما النتائج الوخيمة التى ستترتب عن ذلك فستكون عائدة على المعتدى الظالم

« وقد بسطت فيما مضى شرح الأحوال التى كانت جارية يوم تدوينها وارسالها فلكى يكون ما أعقبها غير خاف على شريف علم أمير المؤمنين بادرنا الى كتابتها وتقديمها لنادى عطوفتكم »

معارك القتال
فى داخل القطر

هزمنا الانجليز فى كفر الدوار

فى يوم الاحد ٥ شوال سنة ١٢٩٩ الموافق ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ رؤى العدو يرتب عساكره من الساعة السادسة فرتب طلبه باشا قومندان الفرقة بكفر الدوار عساكرنا بهيئة مؤلفة من أربع أورط من الجهة الشرقية تحت حكمدارية عيد بك الأميرالاى والقائمقام أحمد بك عفت ، وأربع أورط من الجهة الغربية تحت حكمدارية الأميرالاى مصطفى بك عبد الرحيم والقائمقام سليمان بك سامى . وأما السوارى والعربان فتحت قومندانية أحمد بك عبد الغفار . وفى الساعة التاسعة العربية ظهر العدو مرتبا قولاته من ستة قولات من الجهة الشرقية وقولين من الجهة الغربية وقطارين من قطارات السكة الحديدية ، ثم ابتدأ الضرب بالمدافع من الطرفين واستمر ساعتين

وكانت عساكرنا تتقدم تحت نيران الطوبجية وعندما صار العدو تحت مقذوفات البيادة ابتدأ اطلاق النار من الطرفين فاحتدمت الحرب وتوالى اطلاق النار الى منتصف الساعة الأولى من الليل فلما رأى العدو ثبات عساكرنا واقدامهم بشجاعة وسرعة حركاتهم ولى منهزما فتبعته السوارى والعربان وأوقعت به قتلا وفتكا حتى أدخلته فى نخيل الرمل ـ ولله در طوبجيتنا الذين أبلوا فيهم بلاء حسنا ، وأظهروا من المهارة ما جعل العدو يترك كثيرا من رجاله أشلاء فى ميدان القتال

وفى ٦ شوال سنة ١٢٩٩ الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٨٨٢ حضر العدو بقولات من جهة الرمل وابتدأ باطلاق

المدافع فجاوبتها عساكرنا بالمثل وكانت مشاتنا تسير تحت نيران مدافعنا وقبل أن يصلوا الى مواقع المقذوفات تقهقر العدو واستمر اطلاق المدافع الى الغروف وعندما رأى العدو ان نيران مدافعنا لا تبقى ولا تذر انهزم وفر هاربا وعاد عساكرنا ولم يصب واحد منهم بسوء

وقد أصيب في هذه الواقعة كثير من رجال العدو كما تحقق ذلك من استكشافات هذا اليوم ، فقد ترك كثيرا من رجاله صرعى في ميدان أمس

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٧ شوال و ٢٢ أغسطس ورد لنا تلغراف من طلبه باشا قومندان فرقة كفر الدوار قال فيه :

« بعد أن ظهر العدو رتب عساكره — من خطوط (جرخجية) ثم طوابير ثم قولات — تقدم حتى صار تحت نيران مقذوفاتنا فابتدأت الحرب في منتصف الساعة الحادية عشرة واشتغلت طوبجيتنا بمهارة عظيمة حتى بددته وشتتته تحت النخيل ثم ما زالت نيراننا تقفو أثره حتى انهزم شر هزيمة وقد رأيت قنابلها تفرقع في وسط طوابير العدو وقولاته فتهلك الكثير من رجاله ، وكانت أصوات عساكرنا مرتفعة بالتكبير والتحميد ومشاتنا تتقدم تحت نيران مدافعنا ، ولكن العدو لم يتمكن من الدخول في منطقة نيران البنادق لتأثير نيران مدافعنا فيه

« ولقد رأيت من مهارة طوبجيتنا واصابة مقذوفاتها ما أبهجني وملأني سرورا وزدت سرورا بهم عندما رأيت (جبخانة) العدو وقد التهبت وأصابت كثيرا من رؤسائهم ثم شاهدت في طابية الرمل كثيرا من الذوات وكبار الافرنج يشاهدون القتال ومعهم المنظارات

« وقد استنجد الانجليز فجاءتهم نجدة على قطار مخصوص، ولكنها لم تصل الا بعد الهزيمة فرجعت كما جاءت

وكان الوقت فى الساعة الواحدة ليلا .

فبشروا العموم بتأييد الله ونصره للعساكر المصرية وما يظهرونه من الثبات وتبديد العدو الباغى » اه

الخديو توفيق يساعد الانجليز

استقالت نظارة راغب باشا فى ٢٤ أغسطس واستقدم الخديو رياض باشا من أوربا حيث كان متغيبا فيها ، فقدم وبعد قدومه دعا الخديو محمد شريف باشا الى تأليف نظارة جديدة برئاســـــته ، فلبى الدعوة وصدع بالأمر وألف النظارة على الوجه الآتى :

محمد شريف باشا	رئيس النظار وناظر الخارجية
مصطفى رياض باشا	للداخلية
عمر لطفى باشا	للجهادية والبحرية
حيدر باشا	للمالية
على مبارك باشا	للنافعة (الأشغال)
احمد خيرى باشا	للمعارف
فخرى باشا	للحقانية
أحمد زكى باشا	للأوقاف

وبعد ذلك اصدر الخديو منشورا الى أهالى القطر يحضهم على مساعدة الانجليز ويصرح فيه بأنهم نائبون عنه فى تأديب الجيش المصرى . وقد جاء فى هذا المنشور :

« ليس خافيا ما أقدم عليه أحمد عرابى وشيعته الضالة من الأفعال المغايرة والتشبثات الفوضوية التى أخلت بنظام القطر ، وأضعفت الثقة به بل اورثتـــه الخسائر والأضرار الجسيمة ولا سيما بانضمام الجيش المصرى اليه واتحادهم معه فى البغى والمجاهرة بالعصيان لحكومتنا الخديوية حتى ارتبكت الأحوال وخيفت العواقب فبادرت الدول الى عقد

المؤتمر الدولى بالاستئناف للنظر فى المسألة وتقرير ما به حلها . وبالبحث والمذاكرة فى ذلك استقر رأيهم على اتخاذ الطرق التى يترتب عليها عودة سلطتنا الخديوية وتأديب هؤلاء الخارجين لتستتب الراحة وتزول أسباب المفاسد حرصا على عمران القطر واحترازا مما عسى أن يلم به من الدمار

« ولما كانت الدولة البريطانية الانجليزية لها فيه المنافع الكبرى ولا سيما بالنظر الى ترعة السويس التى هى طريقها الوحيد للخطة الهندية المهمة ، فقد أخذت على عهدتها وتحت امرتها التدخل الفعلى لقمع هؤلاء المفسدين ومحو آثار الفتن دون أن تمس حقوق السلطنة السنية ولا الامتيازات المصرية .ولتحققنا أن نيتها سليمة ومساعيها فى الظاهر والباطن ليس الا الاصلاح ولا غاية لها فى الاستيلاء على البلاد ولا الفتك بأهلها لعداوة دينية ولا غير ذلك مما يذيعه العصاة تنفيرا منهم للعامة وتبغيضا لهم فى الأمة الانجليزية على حسن مقاصدها المذكورة ، ولايزال العاصون على حالهم من المقاومة وتجسيم الحال المؤدى الى زيادة الخراب حتى اعتبرتهم السلطنة السنية عصاة مخالفين للأحكام الشرعية فاستدراكا للأمر ومراعاة للمصلحة العمومية قدرخصنا لحضرة القائد العمومى للجيش الانجليزى بالتجول نحو جموع العصاة واستعمال الوسائط القاهرة لتبديد شملهم وسرعة القبض على رؤسائهم لمحاكمتهم بما يستحقون من أشد العقاب

« وبما أن العساكر الانجليزية يعدون فى هذه الحالة نائبين عنا فى قطع دابر المفسدين وتطهير البلاد منهم حتى يستتب الأمن والراحة ويزول الشقاء عن العباد . ومن كانت هذه صفتهم فانهم جديرون بالمعاونة والمساعدة ولا يرتاب

أحد فيهم بوجه من الوجوه فينبغى أن لا يرهب منهم أحد ولا يظن فيهم سوءا أو مكروها وأن لا يعاملوا بما يستوجب المنافرة، بل على كل مصرى يحب وطنه ويخشى خرابه أن يعاملهم لقاء حسن نياتهم بالاكرام اللائق بهم ، ولا يتأخر أحد عن مساعدتهم فى تقديم ما ربما يحتاجون اليه من المؤونة بأثمانها السائرة التى هم مستعدون لأدائها فورا فمن فعل كذلك فقد وفى ما يجب عليه من حقوق الوطنية الصادقة واستوجب رضاء الله (كلا بل استوجب غضب الله وسخطه) ورضانا عنه فضلا عما يراه منهم من المكرمة ، ومن أبى وخالف وقابلهم بالمكابرة الوحشية التى لا تجديه نفعا ، فقد عرض نفسه للتهلكة التى نهى الله عنها ، وتحققنا انه من العصبة الباغية فأمره كأمرهم ..» .. الى آخر ما جاء فى هذا المنشور الكاذب الظالم ، غير الشرعى لأن مجلس الأمة العمومى ومؤتمرها الذى ضم نوابها وذوات بلادها قرر وقف الخديو وعدم نفاذ أوامره بسبب تحيزه للأعداء

خداع الانجليز

وفى ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٢ أصدر الجنرال ولسلى منشورا للأمة المصرية كله خداع وبهتان وهذا نصه :-

« يعلن الجنرال ولسلى قائد الجيوش الانجليزية أن الدولة البريطانية لم تقصد بارسال التجريدة العسكرية الى القطر المصرى الا تأييد سلطة الجناب الخديو فجنودنا لذلك لا تقاتل الا من كان شاكى السلاح خالعا لطاعة الخديو أما سائر الأهالى الذى يكونون فى هدو وسكينة ، فيعاملون بالتؤدة ، ومقتضى الشعائر الانسانية فلا يمسهم اذى بل سيحترم دينهم وتصان مساجدهم وعائلاتهم . وما يلزم للجيش من زاد وغيره يؤدى بثمنه ، ولذلك ندعو الأهالى الى تقديم

ما لديهم مما يحتاج اليه الجيش . ثم ان الجنرال قائد الجيوش يسر كثيرا وينشرح صدرا من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم ، ممن يؤدون المساعدة فى قمع العصيان والقاء القبض على العصاة الذين عقوا الخديو أمير البلاد وواليها الشرعى المعين من لدن الحضرة السلطانية

« الاسكندرية ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، الامضاء : الجنرال غازنت ولسلى . قائد الجيوش الانجليزية فى الديار المصرية »

معارك الخط الشرقى

وفى نفس اليوم الذى صدر فيه هذا المنشور ورد تلغراف من محافظة السويس بأن الانجليز أطلقوا مدافعهم علي المدينة ولما لم يجاوبهم أحد خرجوا الي البر واحتلوا المدينة وفعلوا مثل ذلك فى مدينة الاسماعيلية فى ليلة ٢٠ منه

وفى ٢١ اغسطس توجه الفريق راشد باشا حسنى الى الخط الشرقى ومعه فرقة من البيادة والطوبجية والسوارى تحت امرة خالد باشا نديم ومحمد بك عبيد الميرلاى وعبد القادر بك عبد الصمد الميرلاى ، ثم صار وضع اورطة فى محطة فايد ، والاخرى فى نفيشة ، وجعلوا المركز العمومى فى المسخوطة ، وتوجه اليهم محمود باشا فهمى رئيس أركان حرب ، واخذوا فى انشاء استحكامات خفيفة فى المسخوطة بواسطة الأهالى المتطوعين وسد الترعة الحلوة

واقعة المحسمة

وفى ٩ شوال ١٢٩٩ و ٢٤ أغسطس سنة ١٨٨٢ نشب القتال مع الانجليز بين المسخوطة والاسماعيلية فاقتتل الفريقان قتالا شديدا اشترك فيها العربان حتى أخرجوا الانجليز من مراكزهم التي تحصنوا فيها عند محطة المحسمة ، وقد كابدت الأعداء خسائر جسيمة

وفى ١٠ شوال سنة ١٢٩٩ الموافق ٢٥ اغسطس سنة

١٨٨٢ ورد تلغراف من رئيس أركان حرب الجيش بالمحسمة لوكيل الجهادية بمصر ، وهاك نصه :

« نهنىء سعادتكم بما حصل من الظفر فى هذا اليوم على العدو فى ميدان الحرب بين المسخوطة وبين الاسماعيلية ، وان جهة المسخوطة فى حذاء الاستحكامات الجارى تشغيلها. وسبب حركة العدو فى هذا اليوم هو بالنسبة لما أصابه من سد الترعة الحلوة وحجز المياه عن الاسماعيلية وبورت سعيد والسويس ورؤيته كثرة انفار العملية الموجودة فى أشغال الاستحكامات خرج يوم تاريخه صباحا من الاسماعيلية باربع أورط بيادة وأربع مدافع جبلية وكثير من السوارى ، ولم يكن موجودا فى خفر الاستحكامات الا أربعة بلوكات بيادة وبلوكان سوارى ومدفعان جبليان . وفى الحال توجه حضرة عبد القادر بك بالايه وأورطة من ألاى على بك وحضرة محمد افندى الرشيدى بأورطة سوارى ، وبعد أن قابلتهم بلوكات الغفر والمدفعان والبلوكات السوارى أمدتهم العساكر ، وانتشرت العربان ، واستمر الحرب من الصباح الى ساعة تاريخه حتى تزلزلت أقدام العدو ورجع الى الخلف الى أن وصل الى تلول الاسماعيلية . فاقتفت أثره عساكرنا المنصورة ، ولم يزل سعادة راشد باشا حسنى وسعادة خالد باشا نديم وعبد القادر بك ومحمد بك عبيد فى ميدان المحاربة وها هم على قدم الحضور وسنعرض ما حصل للعدو من الخسائر فبشروا سعادتكم سعادة ناظر الجهادية والبحرية والمراكز العسكرية وجهات اللزوم بهذا الخبر السار ، أيدنا الله بفضله وكرمه انه على نصرنا قدير وبالاجابة جدير »

ولم تزل عساكرنا المنصورة تقفو أثره حتى بددت شمله وهزمته شر هزيمة ثم عادت الساعة الواحدة والنصف ليلا والوية النصر تخفق على رؤوسهم . وعندما بلغنى ما أيدنا

الله به من النصر المبين أرسلت تلغرافا أهنيء سعادة الشهم الهمام راشد باشا حسني قومندان الجيش الشرقي

▭

وفي ١٠ شوال سنة ١٢٩٩ و ٢٥ أغسطس سنة ١٨٨٢ أطلق الانجليز مدافع سفنهم على عساكرنا في المسخوطه قريبا من الاسماعيلية ، ثم هجم جيشهم برا بقوة كبيرة وكان هناك ستة آلاف من المتطوعين يشتغلون في الاستحكامات ، فلما نزلت عليهم مقذوفات العدو بقوة شديدة تشتتوا وتخللوا العساكر ، فعاقوهم عن الحركة وعلا صياحهم في وجه العساكر ، فلم يتمكنوا من الضرب لامتلاء الميدان بهم ولم يجدوا بدا من الرجعة فرارا من تمكن العدو منهم ، وتركوا مركز المسخوطة ورجعوا الى التل الكبير • وأما محمود باشا فهمي ، فانه لم يرد أن يرجع مع العساكر وآثر الوقوع في الأسر على البقاء في الجيش لشدة ما هاله من منشور السلطان بعصياننا وطمعا في قبوله لدى الخديو بسبب استسلامه الى الانكليز • ولذلك خالف خالد باشا وثبت في موقفه مع خادمه حتى قبض عليه الانكليز بصفة كونه نفر بسيط

واقعة القصاصين الأولى

ولما بلغنا خبر هذه الواقعة قمنا من كفر الدوار الى رأس الوادي وكذلك قام اليها من مصر علي باشا فهمي ومعه آلاى ١ جي بياده حكمدارية أحمد بك فرج وحضر من دمياط خضر بك خضر الى رأس الوادي ومعه أورطتان من العسكر السودانيين وجاء عيد بك محمد بآلايه من كفر الدوار وأحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن بآلايات السواري الى رأس الوادي أيضا وصار ترتيب الجيش ومواقع الاستحكامات • ثم عقد مجلس حربي تحت رئاستنا

وتقررت فيه هيئة الهجوم على العدو • وعرف الرؤساء كيفية ترتيب الجيش وسيره ، وأعطى لكل واحد منهم رسم الشكل الحربى مبينا فيه الدقيقة التى يلزم أن توجد الفرق فيها على خط النار أمام العدو ، حيث كان معسكرا فى القصاصين ، وكان الترتيب على هيئة شكل مقعر يكتشف العدو من كل جهة ، فكانت أورطة محمد أفندى الرملاوى فى الجناح الأيمن للترعة الحلوة ومعه أورطة من السوارى ومدفعين وجانب من العربان • وفى هذا الجناح من يسار الترعة ١ جى آلاى بياده حكمدارية أحمد بك فرج وخلفه مدفعان • وفى القلب ثلاث أورط يتقدمها ٨ مدافع من الكروب وخلفها أورطة من البياده و ٦ مدافع • والجميع تحت حكمدارية على باشا فهمى ، والطوبجية تحت حكمدارية حسن بك رأفت • وفى الجناح الأيسر ٦ أورط من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبد الغفار وأورطتان من البياده، ومدفعان تحت حكمدارية عيد بك • وقومندان هذا الجيش راشد باشا حسنى • وكذلك محمود باشا سامى البارودى حكمدار الجيش المعسكر فى الصالحية ، وهو مركب من ١٢ ألف عسكرى يقوم بجيشه ليلا بحيث يصل الى يسار جيش رأس الوادى عند مطلع الفجر ، ويحيط بميمنة العدو • والقوة التى على يمين الترعة تحيط بميسرته ، والعربان يقتحمون الترعة من خلفه ، وتقطع عليه خط الرجعة • وبذلك لا يتمكن العدو من الفرار • وقد كان مع العدو (الدوق أف كنوت) ثالث أنجال ملكة الانجليز

وفى ليلة الاثنين الواقع فى ١٣ شوال الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ سهر على باشا فهمى والضباط فى تهيئة العساكر ، وتعيين النقط واعطاء التعليمات الى الحكمدارية • وفى الصباح تقدم الجيش نحو العدو حتى يصل اليه واشتبك القتال بالمدافع أولا ثم بالبنادق ، وقد ثبت الجيش المصرى أمام العدو ثبات الابطال ، ثم امتد

القتال الى الليل والتحم سوارينا مع سوارى ألعدو التحاما هائلا ، فتراجع الفريقان ، وقد أسر أحمد بك عبد الغفار قرينه من جيش العـــدو الذى كان يقاتله ، وهو طلياني الأصل برتبة اليوزباشى

وقد نشر ذلك مفصلا فى جريدة الطائف بقلم الســـيد عبد الله أفندى نديم الذى عاين هذه المعركة

وفد الخديو الى اهالى القطر

ولما بلغ الخديو هول هذه الواقعـــة أرســـل وفدا الى الاسماعيلية مؤلفا من محمد سلطان باشا وعمر لطفى باشا وفريد باشـــا وزكى بك (ابن أخت يعقوب باشا سامى) وعثمان بك رأفت ومعهم مقادير عظيمة من نســخ الجوائب المندرج فيها منشـــور السلطان بعصياننا ومنشور الخديو القاضى بمساعدة الانجليز وانه لا مطمع لهم فى بلادنا وقد انضموا الى زهراب بك المعين مع الجيش الانكليزى من قبل ليبثوا العيون والجواسيس على جيشنا وليتخابروا مع بعض الضباط المصريين الذين فسدت عقائدهم وضعفت عزائمهم ويوزعوا عليهم تلك المنشورات

وقد كلف بعض رجال الوفد المذكور بالتنقل فى البلاد الريفية ليدعوا العمد والاعيان لطاعة الانجليز ومساعدتهم اتباعا للمنشور الخديوى وقد انخدع وانضم اليهم فى هذه الخيانة السيد أفندى الفقى من مديرية المنوفيـــة وأحمد أفندى عبد الغفـــار عمدة تلا وغيرهم من المصريين الذين انخلعت قلوبهم من منشور السلطان المنـــدرج بالجوائب المشار اليها

اعلان السلطان بعصياننا

صدر منشور سعيد باشا الصدر الأعظم بعصياننا وقدمه الباب العالى لمؤتمر الآســـتانة اجابة لطلب اللورد دفرين

سفير انجلترا لدى الدولة العثمانية وهذا تعريبه :

« أولا ـ أن الدولة العلية السلطانية تعلن أن وكيلها الشرعي بمصر هو فخامتلو محمد توفيق باشا

« ثانيا ـ أن أعمال عرابى كانت مخالفة لارادة الدولة العلية ثم التمس جناب الخديو العفو فعفا عنه ونال أيضا من الحضرة السلطانية العفو العام

« ثالثا ـ أن الشرف الذى ناله أخيرا من الحضرة العلية السلطانية انما كان من تصريحه بالطاعة لأوامر مولانا السلطان المعظم الخليفة الاعظم

« رابعا ـ قد تحقق الآن رسميا أن عرابى باشا رجع الى زلاته السابقة واستبد برئاسة العساكر بدون وجه حق فيكون قد عرض نفسه لمسئولية عظيمة لا سيما أنه تهدد أساطيل دولة حليفة للدولة العلية السلطانية

« خامسا ـ بناء على ما تقدم يحسب عرابى باشا وأعوانه عصاة ليسوا على طاعة الدولة العلية السلطانية

« سادسا ـ تصرف الدولة العلية السلطانية بالنظر الى عرابى باشا ورفقائه وأعوانه يكون بصفة أنهم عصاة

« سابعا ـ يتعين على سكان الأقطار المصرية حالة كونهم رعية مولانا وسيدنا الخليفة الاعظم أن يطيعوا أوامر الخديو المعظم الذى هو فى مصر وكيل الخليفة وكل من خالف هذه الأوامر يعرض نفسه لمسئولية عظيمة

« ثامنا ـ ان معاملة عرابى باشا وحركاته وأطواره مع حضرة السادات الاشراف هى مخالفة للشريعة الاسلامية الغراء ومضادة لها بالكلية »

وهذا المنشور مغاير لاحكام الشريعة الاسلامية الغــراء ومغاير لرضاء الســـــلطان الأعظم والســـــادة الأشراف يتبرأون مما نسب اليهم تحككا مغايرا للحقيقة ، وانما هو ارضاء للانجليز فقط ١٠!

ولما نشر منشور السلطان بعصياننا ومن معنا بجــرنال الجوائب ارضاء للانجليز، أرسل منه مئات الالوف الى الهند والأفغان والحجاز والعراق والترك ومصر والمغرب الأقصى وجميع بلاد الاسلام بواسطة الانجليز ووزعت منه نســخ كثيرة على ضباط الجيش المصرى فى جميع المراكز بوساطة أبو سلطان باشا ومن معه من المخدوعين كما أسلفنا

تذمر بعض أمراء العسكرية وقالوا اننا اذا عصاة عــلى السلطان مخالفون لكتاب الله وسنة رسوله كما فعل محمد على باشا رأس العائلة الخديوية وابنه ابراهيم باشا ، ومن مات منا مات عاصيا لا أجر له مثل الذين ماتوا من المصريين

فى قتال الدولة العلية ، فنصحناهم بأن هذا المنشور مخالف لاحكام الدين الاسلامى ، لاننا انما نقاتل أعداء المسلمين الذين يريدون أن يستولوا على بلادنا الاسلامية وان الجهاد فى سبيل حماية الدين والمال والوطن فرض واجب علينا ، وان سلطان المسلمين لا يسمح بمثل هذا المنشور وانما هو دسيسة انجليزية تمكنوا من انفاذها بواسطة الرشوة . ولو فرض وصدر مثل ذلك من سلطان المسلمين لوجب على المسلمين خلعه لمخالفته لأحكام الدين

. الا أن تلك النصائح لم تؤثر فى الذين يجهلون أحكام الدين مثل أحمد بك عبد الغفار قومندان السوارى وعبد الرحمن بك حسن حكمدار ٢ جى آلاى سوارى ، وعلى بك يوسف أميرالاى ٣ جى بياده ولكنهم أظهروا قبول ما أوضحناه لهم وأسروا الغدر والخيانة والحساب على الله

معركة القصاصين الثانية

وفى ٢٤ شوال سنة ١٢٩٩ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ عقد مجلس تحت رئاستنا حضره راشد باشا حسنى قومندان الخط الشرقى ، وعلى باشا فهمى ، وجميع أمراء الآلايات الموجودين بمركز التل الكبير ، ومحمود باشا سامى قومندان مركز الصالحية وتقرر فيه الهجوم على الاعداء بمركز القصاصين حيث اتخذ معسكرا للانجليز حشدوا اليه جميع قواهم الحربية ، فكانوا يزيدون عن ٣٠ الفا . وفيهم الدوق (أف كنوت) ثالث أنجال الملكة (فيكتوريا) وقد تقرر أيضا أن يكون خط الجيش المصرى على شكل مقعر ، أى على هيئة نصف دائرة تحيط بالعدو ويكون محمد أفندى الرملاوى بأورطته فى الجانب الأيمن للترعة الحلوة ومعه أورطة سوارى ومدفعان وعدد من العربان ، وفى الجانب الأيسر للترعة المذكورة ١ جى آلاى بياده حكمدارية

احمد بك فرج وخلفه ٦ مدافع • وفي القلب آلاى عيد بك محمد يتقدمه بطاريتان كروب ١٢ مدفع وخلفه بطارية ٦ مدافع تحت قومندانية علي باشا فهمي والطوبجية تحت حكمدارية حسن بك رأفت • وفي الجناح الأيسر علي بك يوسف باآلايه وخضر بك خضر ومعه أورطتان من السودان وبطارية من ٦ مدافع وستة أورط من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبدالغفار وقومندان الجيش راشدباشا حسني • وأن يقوم قومندان مركزالصالحية محمود باشاسامي بجيشه المركب من الاسلحة الثلاثة وقدره ١٢ ألفا ليلا بحيث يصل الخط المعين للقتال عند مطلع الفجر ، ويقف علي يسار جيش مركز راس الوادى ويحيط بميمنة العدو والقوة التي علي يمين الترعة تحيط بميسرته والعرب يقتحمون الترعة من خلفه وتقطع عليه خط الرجعة

وعمل بهذا الترتيب رسم بطرف أركان حرب الجيش وأعطى لكل أمير من القواد نسخة يعمل على موجبها

وفي الثلث الأخير من الليل من مساء يوم الجمعة الموافق ٢٥ شوال سنة ١٢٩٩ و ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ قام الجيش على هذا الترتيب فلما وصل قريبا من العدو أخذ كل محله على خط النار ولكن العدو كان عالما بما قر الرأى عليه ، فبادر جيشنا باطلاق النار واشتبك القتال بين الجيشين • وأما جيش مركز الصالحية فانه تأخر عن الميعاد المذكور والمحدد له ، ولما قرب من الجيش كان العدو متهيئا لقتاله فوجه اليه بطارية مدافع ، وأطلق عليه مقذوفاتها قبل أن يصل الى محله فتشتت الجيش المذكور وولى الادبار ،فمنهم من عاد الى الصالحية ، ومنهم من حضر الى مركز راس الوادى • وأما راشد باشا حسني وعلي باشا فهمي ومن معهما من الجيش فقد ثبتوا ثبات الابطال الى آخر النهار ، وقد جرح راشد باشا حسني في قدمه برصاصة وعلي باشا

فهمى برصاصة أيضا فى ساقه وخسر كل من الجيشين خسارة كبيرة من ضرب البنادق والمدافع التى كانت مقذوفاتها كالمطر تنصب في الميدان ، وكانت هذه الواقعة أشد حرب انتشبت بيننا وبين الانجليز ، اذ كانت قوة الجيشين عظيمة وثباتهم نادر المثيل

ولما وصل الجيش أرسلنا الجرحى فى قطر مخصوص الى العباسية بمصر لمعالجتهم ومعهم القائدان العظيمان راشد باشا حسنى ، وعلى باشا فهمى ، ثم طلبنا على باشا الروبى قومندان مريوط ليتولى قيادة جيش راس الوادى ، فحضر فى عصر يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ شوال سنة ١٢٩٩ و ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وتوجه توا الى المقدمة فأمر بانتقال آلاى على بك يوسف وعبد القادر بك عبد الصمد من الجناح الأيسر الذى كان مستحكما مائلا الى الوراء على شكل زاوية منفرجة ليحمى المعسكر من هجمات العدو ووضعهما على استقامة الخط المستحكم الممتد من الترعة الحلوة الى الجهة الشرقية وأمرهما باتخاذ دروة خفيفة من التراب فى أثناء الليل فعمل عبد القادر بك عبد الصمد خط استحكام خفيف بعساكره حيث كان فى نهاية الجناح الأيسر . وأما على بك يوسف فانه جمع عساكر آلايه فى هيئة القول ، ولم يجر عمل شيء يقيهم من مقذوفات العدو اذا هجم على الجيش .

وتقدم أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن بعساكر السوارى الى الامام على بعد ألفين متر ليمنعوا تقدم العدو اذا أراد الهجوم على معسكرنا ولكن خاب الأمل فيهما فوامصيبتاه ..!

معركة التل الكبير

فى يوم الاربعاء الموافق ٢٥ شوال سنة ١٢٩٩ و ١٣

سبتمبر سنة ١٨٨٢ كنت في صلاة الفجر ، اذ سمعت ضرب المدافع والبنادق بشدة فخرجت واذا بي أجد ضرب النار على طول خط الاستحكام ورأيت بطارية طوبجية سوارى على مرتفع من الارض يبعد عن الخيمة التى كنت فيها بنحو ٦٠٠ متر وهي تصب مقذوفاتهـا على مركزنا العمومي ، وكان مركزنا المذكور خلف الاستحكامات بأربعة آلاف متر ولم يكن هناك الا الاهالى المتطوعين مع الشيخ محمد عبد الجواد وأخيه الشيخ أحمد عبد الجواد وجابر بك من بندر ببا بمديرية بنى سويف وكانوا نحو ألفى نفر فدعوناهم للهجوم معنا على تلك البطارية فامتنعوا ودهشوا فذكرناهم بحماية الدين والعرض والشرف والوطن ، فلم يجد كل ذلك نفعا لأن الرعب كان قد أخذ من قلوبهم كل مأخذ فتفرقوا فرارا فجاء ضابط من طرف على باشا الروبى القومندان الجديد يخبرنى باتخاذ مركز آخر ثم نظرت فوجدت الميدان مزدحما بالخيل والجمال والعساكر مشتتين مولين ظهورهم للعدو ، فذهبت الى القنطرة التى على الترعة هناك لأمنع العساكر من الفرار وصرت أناديهم وأحرضهم على الرجوع والثبات والصبر على قتال العدو وأذكرهم بالشرف الاسلامي والعرض والوطن ولم أغادر كلمة من شأنها تنشيط الاجسام الميتة وبث الشجاعة فى قلب كل رعديد جبان ، فما كان من سميع ولا بصير ، بل ألقوا بأنفسهم فى الترعة وسبحوا الى البر الغربى

فذهبت الى بلبيس لجمع المنهزمين هناك واتخاذ مركز آخر لمنع العدو من الوصول الى القاهرة ، وكان معى أخى السيد صالح عرابى وخادمي محمد ابراهيم وجاويش بروجى يدعى عطية محمد فقط · وكانت مقذوفات الطوبجية السوارى تتساقط علينا من كل صوب حتى تركنا حدود التل الكبير

فلما وصلت الى بلبيس وجدت على باشا الروبى سبقنى اليها ، فسألته عما دهاهم ، فلم يزد على قوله (انه الخذلان) وكانت على أثرنا فرقة من خيالة العدو فهجموا علينا فأرخينا للخيل أعنتها حتى وصلنا محطة انشاص فوجدنا هنـــاك قطارا فركبناه وأسرعنا الى القاهرة ، لاتخـــاذ الوسائل اللازمة لحفظها من الاعداء قبل وصولهم اليها

دسائس الخديو هي أسباب الخذلان

وأسباب هـــذا الخـــذلان انه فى خلال تلك الأيام كانت الرسائل تترى من قبل الخديو الى كبراء الضـــباط بالوعد والوعيد ، معلنة لهم ان الجيش الانجليزى لم يحضر الى مصر الا بأمر السلطان خدمة للخديو، وتأييدا لسلطته. وكانت تلك الرسائل توزع بواسطة محمد باشا سـلطان رئيس مجلس النواب ومن معه من الذين كانوا مع الانجليز فى الاسماعيلية بأمر الخديو وبواسطة الجواسيس من المصريين كأحمد بك عبد الغفار عمدة تلا ، والسيد الفقى العضوين فى مجلس النواب عن مديرية المنوفية ، فأثروا على قلوب مثل على بك يوسف ٣ جى ميرالاى ، وأحمد بك عبد الغفار قومندان السوارى لشدة ضغط ابن عمـــه عليه ، وعبد الرحمن بك حسن ٢ جى آلاى سوارى ، وحسن بك رأفت قومندان الطوبجية. واستمر ذلك الى أن كانت ليلة الاربعاء ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فأشاع على بك يوسف انه علم من الجواسيس ان الانجليز لا يخرجون فى هذه الليـــلة من مراكزهم ، ولذلك لم يفعل ما أمره به على باشا الروبى من عمل خط الاستحكام من الحجارة ، وجمع عساكره فى نقطة واحدة

وكانت العساكر الانجليزية قد سارت من أول الليل ، وفى مقدمتها بعض ضباط أركان حرب من المصريين الذين

انحازوا الى الخديو مع الانجليز • وأمامهم عربان الهنـادى يرشدونهم الى الطريق ، واستمروا سائرين الى أن بلغوا المقدمة فى آخر الليل • وكانت من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن ، فبـدل أن تنازل العدو القتال وتوقف سيره ، رجعت أمامه كأنهـا تقوده الى أن بلغوا محل آلاى على بك يوسـف الذى كان خاليا من عساكره ، فمروا بين العساكر بلا مانع يمنعهم وأطلقوا النار على الاستحكامات من الخلف والامام ، ووقعوا بالجند على حين غفلة منهم ، اذ كانوا راقدين • فدهشـت العساكر وتولاها الذهول حيث ضرب النار من خلفهـم وأمامهم ، فألقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة لأنفسهم ، الا برنجى آلاى بيادة حكمدارية أحمـد بك فرج ، وآلاى محمد بك عبيد ، وآلاى عبد القادر بك عبد الصمد ، فانهم ثبتوا فى مراكزهم،وقاتلوا أعداءهم حتى النهاية،فاستشهد منهم من استشهد وجرح من جرح وصار الميدان ظلاما من دخان البارود واختلط الجند المنهزم بالحيوانات المنتشرة فى تلك الصحراء الواسعة ، واشتعلت النار بعـربات السكة الحديدية التى بها الذخيرة الحربيـة وما جاورها من عربات المؤونة من جراء مقذوفات الطوبجية السوارى التى عمدت الى ضرب المركز العمومى

وهكذا تم استيلاء الانجليز على مركز التل الكبيرومهماته وذخائره وبه كانت نهاية الحرب والخسارة العظيمة بسعى الخديو ومن كان معه من المصريين الذين انحازوا اليه ، وقد نشأوا عبيد الاستبداد ، واستمرأوا عيش الاسـتعباد ، وبمساعدة المنافقين من عمد وأعيان المنوفية وعرب الهنادى بالشرقية الذين كافأهم الخديو جميعا ، والشيخ أحمـد أبو سلطان وأخوته من عربان الهنـادى القاطنين بالشرقية خصـوصا ، فان الخديو أقطعهم ٥ آلاف فدان فى رأس

الوادى ، مكافأة لهم على خيانتهـــم للدين والوطن الذى نشأوا فى خيراته

ولما علم الخديو توفيق نبأ استيلاء الانجليز على التل الكبير وفد من كان فى الاسكندرية من الذوات والأجانب على الخديو يهنئونه بالفوز والنصر ، وصدحت الموســـيقى الخديوية بأنغام التبشير بالظفر ، وعزفت بالسلام الخديو أمام سراى الحقانية ، فرفعت العساكر الانجليزية الســـلاح تعظيما واجلالا، وهتف الأوربيون بقولهم : «فليحى توفيق الأول» ثم ختم ذلك بالدعاء للخديو ، وملكة الانجليز ، والجنـرال ولسلى الايرلندى ، والدولة الانجليزية وتفرق القوم بعـد ذلك

شهادة احد قواد الانجليز

وقد جاء فى مذكرات الجنرال السير (باتلر) أحد قواد الجيش الانجليزى الذين شاهدوا الحرب الانجليزية المصرية سنة ١٨٨٢ ما يأتى :

« ان المدافع الانجليـــزية هى التى أحرقت مدينـــة الاسكندرية بعد أن هدمت القـــلاع ، وقد ظنت الوزارة الانجليزية انها بهدمها القلاع ستقمع الثورة ، ولكنهـــا أخطأت فى ذلك، اذ ما انتهينا من تخريب الاسكندرية حتى كان عرابى بجيشه فى مرابط البلاد مستعدا لملاقاتنـــا وتحمس الوطنيون حين سمعوا بضرب الاســـكندرية ، وانضموا الى العرابيين متفانين فى الدفاع عن بلادهم بعـد هذا الاعتداء ، فظهر للحكومة الانجليزية من ذلك انها اذا أرادت أن تبطش بالوطنيين ، فلا يلزمهـــا أقل من جيش كامل لمحاربتهم فى وسط البـــلاد وعند ذلك عرفت ان الاسكندرية لا يمكن أن تكون قاعدة حربية لنا ، وظهر لها

ان الاسماعيلية خير بقعة يمكن أن يهجم منها ، وتستولى بواسطتها على القاهرة

« وقد كان من الأفيد لنا أن نترك الجيش المصرى ، ونذهب رأسا الى القاهرة عن طريق قنال السويس

« فلما رجعت الحكومة عن رأيها ونزل الجيش الى الأراضى المصرية من قنال السويس التقى الجيشان فى الثل الكبير ، ولم يكن الجيش المصرى مستعدا أو متوقعا القتال فى هذه الليلة ، لأن جواسيس عرابى اشتراهم الانجليز ، وانفرد محمد سلطان باشا ولابسو الطرابيش الذين معه ، وانحدروا من جهة القنال بعيدا عن ساحة المعركة • فلما فاجأناهم تنبهوا مذعورين ولم يهرب منهم أحد ، بل قبض كل منهم على سلاحه ، وكلما اجتمع منهم عشرة كونوا فرقة ، وتقدموا نحو الانجليز يعملون فيهم النار

« وقد كان رميهم صادقا فكانت القنبلة تأتى بين الضابط ، وبين فرقته فتتفرقهم ••• » .

ثم قال : « وكانت العساكر المصرية والخيل والجمال أشلاء منثورة بين المتاريس • ولما طلعت الشمس فى الأفق كنت ترى على اليمين القسم الأول من الجيش المصرى يعدو فى الصحراء وهو منظم فى تركيبه • وبعض القسم الثانى نازلا على المنحدر الى المحطة • وكان على شمالنا منتشرا على التل القتلى والاشلاء وجميع آلاتهم ومأكولاتهم ، وكانت الطلقات لا تزال مستمرة علينا من الهاربين ، ولكن القتال الحقيقى انتهى بعد ٣٥ دقيقة من أول طلقة •• »

قال الجنرال باتلر : « ولى هنا كلمة يجب أن أقولها عن واقعة التل الكبير ، فاننا فاجأنا الجيش المصرى نائما وراء متاريسه ، ولكنه تنبه وحارب بنية صادقة وعزم ثابت ولم تعقه كل العوائق الكبرى التى وضعناها حواليه •

فاننا لم نعطهم دقيقة واحدة ليتنبهوا من نومهم أو لينظموا أنفسهم ، فكان هجومنا عليهم كالصاعقة فوق النائم ، وقد كان قواد الجيش مثل أعضائه فلاحين لم يجربوا الحرب فى حياتهم ولم يعرفوا مناوراتها وفنونها (ذلك ظنه ومبلغ علمه) وقد خانهم الذين ائتمنوهم، ومع ذلك كان لا يجتمع منهم ١٠ أو ٢٠ أو ٥٠ الا وثبتوا فى المتاريس أو منحدرات التلول أو فى سطح الصحراء ! »

ولا أبلغ من شهادة القتلى والجرحى الذين كانوا ملقون أمامهم وهم ثابتون فى شجاعة

فعلى العشرة الآلاف الذين قتلوا من جنودنا فى هذه المعركة السلام ، ولا ينبغى لجندى مصرى أن ينبس بكلمة ضدهم ، فيكفيهم ما يقوله فيهم الماليون والمرابون وعبيد الاستعباد ، فقد ماتوا أشرف موت ، وستبكيهم مصر ولا تنساهم ! »

فدينا القاهرة بانفسنا

فى ظهر يوم الاربعاء الموافق ٢٨ شوال سنة ١٢٩٩و١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وصلت من التل الكبير الى القاهرة وتوجهت حالا الى ديوان الجهادية بقصر النيل ودعوت المجلس العمومي للحضور وعقد مجلس حافل من أمراء العائلة الخديوية وأمراء العسكرية والملكية وأعيان القاهرة وأخبرتهم بهزيمة الجيش المعسكر فى رأس الوادى ، ثم استشرت المجلس فيما يجب أن يعمل ، وهل يجب الاستمرار فى المدافعة ، أم يلزم التسليم لقضاء الله وقدره • فأجاب الأمير ابراهيم أحمد والأمير كامل باشا فاضل بوجوب الدفاع عن الوطن الى النهاية ، ثم قام ابراهيم باشا أحمد ، وقال : « ان مصر غاصة بالجند والمخازن ملأى بالمؤن والذخائر والاسلحة ، ومعدات الدفاع متوافرة ،

فالواجب علينا اذا الدفاع ما دام فينا بقية » فأجاب الجميع بالاستحسان ، ثم استقر الرأى على انشاء خط دفاعى فى ضواحى المحروسة • وبناء على ذلك ذهبت الى العباسـية ومعى محمود باشا المرعشلى باشمهندس الاسـتحكامات ، ومحمود باشا رضا لواء الخيالة ، وحسن باشا مظهر لواء مأمور تشهيل ارسال الذخائر الحربية الى مركز الجيش ، وتقرر اتخاذ الخط الدفاعى أمام المطرية شرقى عين شمس يستند يمينه على الجبل ويمتد شمالا الى ترعة الاسماعيلية ثم ينعطف غربا على الترعة المذكورة الى النيل عند فم رياح الترعة المذكورة بالقرب من شبرا

ثم ذهبنا جميعا الى مركز الطوبجية وأردنا استعراض العساكر الموجودة هناك ، فلم نجد الا نحو ألف رجل من خفراء البلاد بدون ضباط ونحو أربعين نفرا من السوارى فى مركز عساكر الخيال مع الأميرالاى أحمد بك نير • فقال الأميرالاى المذكور انه يقف فى وجه العدو ويقاتله برجاله الاربعين حتى يموت معهم (ولكن ما الفائدة وليس لدينا جيش يقوى على الدفاع)

فلما شاهدنا كل ذلك رأينا أن الأولى حقن الدماء وحفظ القاهرة من غوائل الخراب والدمار كما حصل فى الاسكندرية ما دامت المقاومة لا تجدى نفعا • وفضلنا تقديم أنفسنا فداء عن الأمة المصرية سيئة البخت ••! فرجعنا الى المجلس الآنف الذكر وأخبرناه بما عن لنا ، ثم قلنـــا حيث ان الانجليز يحاربوننا الآن باسم الخديو لانحيازه اليهم ، ففى امكانه توقيف هذه الحرب وعدم خراب القاهرة وغيرها ، وليصنع بنا بعد ذلك ما هو أهله من الغدر والخيانة !

فلم يجد أرباب المجلس المذكور أفضل من رفع عريضة باسمنا الى الخديو نعترف فيها بايقاف الحرب ونلتمس منه الوساطة لدى الانجليز بعدم دخولهم القاهرة حفظا لها من

الجواب بعد تقديم الطاعة له والخضوع . فحرروا العريضة وأرسلوها اليه بعد أن ذيلتها بامضائي مع بطرس باشا غالي ورؤوف باشا وعلي باشا الروبي ويعقوب باشا سامي رئيس المجلس العسكري في قطار خاص ، وكان ذلك في يوم الخميس الموافق غرة القعدة سنة ١٢٩٩ و ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فلم يجدهم ذلك نفعا فان مساعيهم أخفقت وآمالهم خابت ، فان الخديو أبى قبول العريضة واجابة الالتماس وأمر بالقاء يعقوب باشا سامي وعلي باشا الروبي في السجن فسجنا في الاسكندرية ، وأما بطرس باشا غالي ورؤوف باشا فلم يسجنا وكذلك أمر بسجن حسن باشا الشريعي وزير الأوقاف ، وعبد الله باشا فكري وزير المعارف في الحكومة الحرة الوطنية ، وكانا مع باقي الوزراء في رأس التين ، ولم يراقب فيهما الله ، مع ان عبد الله باشا فكري كان آستاذا ومربيا له ، في صغره ، ولكنه ما فعل ذلك بهما الا لعلمه بمقتهما له لانحيازه الى العدو المحارب للبلاد ومساعدته له ضد المصريين .

وفي مساء اليوم المذكور وصلت الخيالة الانجليز من الهنود مع الجنرال لوى وعسكرت في مركز آلايات السوارى المصرية بالعباسية

وقد صدر أمر الخديو بسجني وسجن جميع ضباط العسكرية وكبار العلماء والرؤساء والذوات والأعيان من جميع البلاد والعمد والمشايخ وغيرهم .

نحن اسرى حرب

وفي عصر يوم الجمعة الموافق ٢ القعدة سنة ١٢٩٩ و١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من الجنرال لوى خيالة الانجليز بالعباسية الى ابراهيم بك فوزي مأمور ضبطية القاهرة بأنه يريد مقابلتي في العباسية ومقابلة طلبه عصمت

باشا ، وكان طلبه باشا قد ترك مركز كفر الدوار ، وحضر الى القاهرة حين علم بهزيمة جيش التل الكبير • فتوجهنا الى العباسية واجتمعنا بالجنرال المذكور فابتدرنا بقوله : « هل تقبلون أن تكونوا أسرى حرب لجلالة الملكة ؟» فقلنا له: « اننا نريد أن نحقن الدماء • ولو كان عندنا من القوى الحربية ما يمكننا بها اطالة زمن القتال والمدافعة عن البلاد ولقاتلناكم حتى يقضي الله بيننا • ولكن حيث ان الانجليز يقولون انه لا مطمع لهم فى الاستيلاء على بلادنا ، وما كان مجيئهم الى مصر الا ليؤيدوا السلطة الخديوية ، ويسلموا البلاد الى الخديو ، ثم يعودوا الى بلادهم ، فنحن قد كففنا عن القتال ، ورضينا بأن نسلم سيوفنا واثقين بعدالة الأمة الانجليزية بأن تعاملنا كأسرى حرب »

وسلمناه سيوفنا وقضينا تلك الليلة داخل غرفة من غرف قشلاق الطوبجية لا فراش فيها ولا غطاء ، وكان الجنرال فى غرفة أخرى مثلها

وفى عصر يوم السبت قمنا من العباسية بكوكبة من خيالة الهنود وضابط انجليزى الى قشلاق عابدين فوجدناه محتلا بآلاى حرس ملكة الانجليز حكمدارية تين وهو من بيت شريف في أحرار الانجليز ، فقابلنا الميرالاى المذكور، وقال لنا : « أنتما أسرى حرب عند جلالة ملكة الانجليز فلا بأس عليكما »

وأقمنا فى غرفة مقابلة للغرفة التى هو فيها وكان أميرا كريم السجايا يأتى الينا فى كل يوم ويعزينا على ما أصابنا، ويعترف بظلم الانجليز لنا ، وان الاستبداد لا يزال كامنا فى قلوب الانجليز أكثر من كل الأمم

وبعد ذلك وصلت جيوش الانجليز الى القاهرة أفواجا أفواجا وكانت نساء رجال حكام المصريين المستبدين يحيين عساكر الانجليز عند مرورهم فى الشوارع بلباسهم

الاحمر وأسلحتهم السوداء على عواتقهم بالزغاريت تقربا اليهم ، وشكرا لهم على اطفاء شعلة الحرية المصرية

سلطان باشا الخائن
وسجن ٣٠ ألفا من المصريين

وحضر محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب من الاسماعيلية الى القاهرة نائبا مفوضا عن الخديو ، وأمر بسجن جميع ضباط العساكر وجميع رجال الملكية ، والعلماء ، وخطباء المساجد ، والتجار والأعيان الا من كان منهم من الجواسيس والمنافقين على حسب ما هو مندرج بسجلات الخديو ، فسجنوا جميعا الا على بك يوسف وأحمد بك عبدالغفار وعبدالرحمن بك حسن مكافأة لهم على خيانتهم وغدرهم فى التل الكبير • وتوجه على بك يوسف الى القلعة مركز آلايه وسلم مفاتيحها الى فرقة من الانجليز بأمر محمد سلطان باشا نائب الخديو وكذلك صار سجن جميع الذين بالمديريات والمحافظات من المستخدمين والموظفين والعمد والاعيان والقضاه والمفتين وغيرهم من عامة الناس حتى غصت السجون بمن يربون على ٣٠ ألفا من المصريين

فى قوة الصالحية

ولما علم محمود باشا سامى البارودى حكمدار جيش الصالحية ومن معه من الضباط بهزيمة التل الكبير تركوا مركزهم ، وقاموا مع عساكرهم بقطارات السكة الحديدية الى المنصورة ، ومنها الى طنطا ، ثم الى اتياى البارود ، فكوم حماده فبولاق الدكرور • وهناك انحل النظام ، وخرجت العساكر عن الطاعة وتوجه كل منهم الى بلده

وكان محمود سامى باشا قد رأى ترك مدينة القاهرة والالتجاء بجيشه الى الصعيد ، ثم الى السودان ، اذا عجز عن الدفاع ولذلك كتب الى تلغرافا من المنصورة يطلب منى

اغراق مديريتى القليوبية والشرقية لتعطيل سير الجيش الانجليزى ، ثم الأستيلاء على جميع المراكب وشحنها ذخيرة وتعيينات وأخذها الى الصعيد مع الجيش

وحيث انى رأيت عدم موافقة رأيه لما تحققته من الخراب الذى يحيق بمديريتى القليوبية والشرقية ودمار عاصمة البلاد وسفك دماء الأبرياء على غير جدوى ، هذا فضلا عما رأيته من تحول الافكار وانخلاع القلوب ، واختلال النظام بالجيش بعد المنشور السلطانى الذى كان فى مصلحة الأعداء ، وبعد اعلان الخديو بأن الانجليز لم يقاتلوا المصريين الا تأييدا لسلطته ولا مطمع لهم فى البلاد الى غير ذلك مما سبق ايراده ، وافقت المجلس العمومى على ارسال وفد بعريضة منى الى الخديو كما ذكرنا ليأمر نصراءه الانجليز بالكف عن القتال وحفظ العاصمة من الخراب والدمار

ولا غرابة فى ذلك فان كثيرا من أعضاء المجلس (مجلس النواب) مثل محمد بك الشواربى وأحمد بك عبد الغفار والسيد الفقى ومحمد سلطان باشا من الذين انخدعوا وخدعوا وصاروا سهاما صائبة فى كبد المصريين كانوا يسارعون فى اتخاذ كل ما من شأنه نجاح الانجليز وفوزهم ارضاء للخديو

قوة كفر الدوار وابو قير ورشيد ومريوط

ولما علم طلبه باشا بهزيمة التل الكبير ترك مركز جيشه، وحضر الى القاهرة فى مساء ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وعندما علمت العساكر بذهابه تركوا أسلحتهم لضباطهم وذهبوا الى بلادهم ، وكذلك من كان هناك من العربان ، وأما الضباط فقدموا طاعتهم للخديو وسلموا أسلحة عساكرهم الى من حضر عندهم من الانجليز ، وذهبوا الى

الاسكندرية ، ثم أودعوا السجن هناك .

أما عساكر مراكز أبو قير ورشيد ومريوط، فقد سلموا الى من حضر عندهم من الانجليز أيضا بعد اخلاء سبيلهم . وأما الضباط فسيقوا الى الاسكندرية ، ثم أودعوا السجن بعدالاهانة والتهديد والتحقير بوساطة من انحاز الى الانجليز من خونة المصريين .

امتناع عبد العال باشا حلمى عن التسليم

وأما عبد العال باشا حلمي قومندان مركز دمياط ومحافظها اذ ذاك ، فانه لما علم بهزيمة مركز التل الكبير تشجع وأبى التسليم للانجليز ، وحاول أن يحمل الاهالى على الاعتقاد بأن عرابى باشا لم يزل بجيشه ثابتا أمام قوة الانجليز ، وانه لا بد من القتال والدفاع عن الوطن الى الفناء ، وأخذ فى الاستعداد الى يوم الخميس الموافق ٢١ سبتمبر الى أن توجهت قوة من الانجليز الى دمياط مع الجنرال السن ومعه أمر من الخديو بالتسليم ، وانه لا مطمع للانجليز فى البلاد ، وانما يحاربون لتأييد الخديو

فأخذ رأى من معه من الضباط ، فأجمعوا على التسليم والطاعة للخديو واستسلموا وذهب عبد العال باشا ومعه سليمان بك نجاتى ومحمد بك حلمي وغيرهما من الضباط العظام الى الجنرال المذكور ليقدموا طاعتهم للخديو . فأمر بارسال العساكر والمدافع والحيوانات الى طنطا ، وتسلم جميع الاسلحة والمهمات الحربية وأخلى سبيل العساكر بعد ذلك ثم قبض على عبد العال باشا وغيره من الضباط وأرسلوا جميعا الى سجن مصر تخفرهم العساكر الانجليزية

عودة الخديو الى القاهرة

وبعد استسلام عبد العال باشا حلمي وسجن جميع

الضباط وغيرهم حضر الخديو الى مصر فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فاستقبله على المحطة رجال الاستبداد وتقدم رياض باشا ومحمدسلطان باشا وغيرهما ليسلموا عليه. وأطلقت المدافع وصدحت الموسيقى . وبعد ذلك تقدم الشيخ عبد الهادى الابيارى ودعا له ، ثم تقدم رياض باشا ونطق بمثل هذا الدعاء مختوما بقوله : « فليعش الجناب العالى مؤيدا بالنصر والاجلال »

وبعد أن لبث فى المحطة زمنا قليلا سار فى مركبة خصوصية والى يساره الدوق أف كنوت نجل ملكة الانجليز، وأمامه الجنرال ولسلى والمستر مالت وسار وراءه الفرسان الانجليز وتبعه النظار رجال الاستبداد القدماء ، وأمراء العائلة الخديوية ، ومن حضر من رجال العهد القديم وكان نزوله فى سراى الاسماعيلية

وفى يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ منه توجه الخديو الى سراى الجزيرة لاجراء رسوم التشريفات فيها فابتدأ اجراؤها فى الساعة الثالثة على الإصطلاح العربى من ذلك اليوم لكان أول المهنئين شقيقه محمود بك ومنصور باشا يكن صهره، ثم النظار ، ثم تلاهم الرؤساء الروحانيون ، ثم الدوق أف كنوت والدوق دونك والضباط الانجليز ما عدا الجنرال ولسلى ثم التجار الأوربيون ثم تظاهر المستبدون بعمل زينة فى حديقة الازبكية وفى منازلهم ثلاث ليال ، وقد حضر رياض باشا الزينة فى الحديقة فى احدى لياليها ، وكل من خيرى باشا ناظر المعارف وعلى باشا مبارك ناظر النافعة (الاشغال) وزكى باشا ناظر الاوقاف وغيرهم من المتملقين وأنصار الظلم والاستبداد والمخدوعين من أعضاء مجلس النواب الذين ساعدوا الأعداء فى التغلب على بلادهم .!

الخديو توفيق يستعرض الجيش الانجليزى

وفى أواخر شهر سبتمبر أخذ فى اعداد مقام للخديو فى ساحة عابدين وفوقه سرادق عظيم ليكون فيه أثناء عرض الجيوش الانجليزية عليه

ففي يوم السبت ٣٠ سبتمبر تم اعداده ورفعت فوقه الألوية وفرش بالبسط والأثاثات الثمينة • وفى الساعة ٤ بعد الظهر أقبل الخديو بالملابس الرسمية وعلى يساره محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار ، وأمامه مصطفي رياض باشا ناظر الداخلية وعمر باشا لطفي ناظر الحربية والبحرية ، ومن خلفه بقية النظار وبعض العلماء والذوات الذين لم يسجنوا ورجال المعية ، وكلهم بالملابس الرسمية

وكان الجنرال ولسلى والدوق أف كنوت نجل الملكة على ظهور الخيل بجانب المقام المذكور ، وكثير من الضباط والياوران الانجليز تجاهه فرسانا

وفى أول الساعة الخامسة أخذت العساكر فى المرور واستمرت ساعة ونصفا الى أن تم مرور الجيش كله

وفى آخر الاستعراض أمر الخديو بعزل العلامة الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الازهر ، وقد كان حاضرا معه فى الحفلة • وأمر برجوع الشيخ محمد العباسى المهدى الى مشيخة الازهر ، كما كان قبل الحكومة الحرة • وصدر أمر الخديو الى الداخلية فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ الموافق ٢ اكتوبر سنة ١٨٨٢ بشأن ذلك كما يأتى :

« أنه بناء على استعفاء حضرة الاستاذ الشيخ محمد الانبابى من وظيفة مشيخة الجامع الازهر ووثوقا بفضائل وعالمية حضرة الاستاذ الشيخ محمد العباسى المهدى قد اقتضت ارادتنا توجيه هذه الوظيفة لعهدته كما كانت قبلا علاوة على وظيفة افتاء السادة الحنفية المتحلى بها سابقا •

وصدر أمرنا للمومأ اليه بذلك فى تاريخه ولزم اصدار هذا لدولتكم »

وأدب الخديو مأدبة شائقـــة فى سراى الجزيرة اكراما للضباط الانجليز فى ليلة كانت من الليالى المعدودة عندهم فى المسرات

وكافأ الخديو محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب بعشرة آلاف جنيه وبالنيشان المجيدى من الدرجة الأولى لما قام به من الخدم الجليلة نحو الانجليز وصدر أمره بذلك بقوله :

« حيث انه بالنظر الى ما أظهره ســعادة محمد سلطان باشا من الصداقة لحكومتنا الخديوية ومعارضته للعصاة فى جميع أمورهم وعزائمهم بالمخاطرة بحيـاته (حين كان فى الجيش الانجليزى يبث الغدر ويرتب الخيانة مع قواد الجيش المصرى) والى ما حصل له بسبب ذلك من الضرر والتعدى منهم على شخصه وأقربائه وموجوداته ومقدار جسيم من مزروعاته ، قد استحق المكافأة من الحكومة . فبناء عــلى ما عرضه علينا مجلس نظارنا أمــرنا بأن يعطى بوجه استثنائى لسعادته مبلغ عشرة آلاف جنيه من خزينة المالية محسوبا من المبلغ الاحتياطى لسنة ٨٢ تعويضا للأضرار التى لحقت به ومكافأة لسعادته على صداقته »

هدية سلطان باشا للانجليز

وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وفد على نظارة الداخليـة محمد سلطان باشا وأحمد بك السـيوفى وغيرهما من المخدوعين ، وأبلغوا رياض باشا بأنهم على عزم أن يقدموا نوعا من الاسلحة الفاخرة المحلاة بالجواهر الثمينـة هدية منهم للأميرال « سيمور » قائد الدوننمة الانجليـزية ؛ وللجنرال « ولسلى » قائد الجيش الانجليزى وللجنـرال

« لو » الذى كان أول قادم الى القاهرة بعد سقوط التـــل الكبير ، فاســـتحسن رياض باشا منهم تلك الأريحية ، ورخص لهم فى تقديم الأسلحة الفاخرة المذكورة للقـــواد المومأ اليهم .

وكانوا قد عزموا قبل ذلك على أن يؤلفوا لجانا فى كل جهة ينشئون فيها اكتتابا لجمع نقود كافية لانفاذ هـــذا القصد ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، واكتفوا بشراء الهدية من مالهم الخاص ، فأعطوا الجنرال « ولسلى » سيفا مجـوهرا وكذلك الجنرال « لو » سيفا ، وأما الأميرال « ســيمور » فأهدوه طبنجة مجوهرة بالماس مكافأة لهم على احتقـــارهم للأمة المصرية واذلالها !



المحاكمة

لجنة القاهرة المخصوصة

في ١٥ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصدر الخديو أمرا بتأليف لجنة مخصوصة في القاهرة لتحقيق قضية كل من كان يدافع عن الوطن ، سواء أكان من العسكريين أم من الملكيين أم من المشتركين في الدفاع أم من المحرضين عليه ، واعتبارهم جناة مدنيين

ومن أحكام هذا الأمر أن من واجبات هذه اللجنة أن ترفع الدعاوى على مرتكبى الجناية شخصا فشخصا ، وأن ترسل مندوبا من قبلها لاقامة الدعوى أمام المحكمة العسكرية ، وأن لها الحق في أن تطلب ضبط أى شخص بمقتضى طلب يقدم منها لناظر الداخلية وهو يجرى تنفيذ هذا الطلب

وقد تألفت هذه اللجنة على الوجه الآتى :

الرئيس : اسماعيل أيوب باشا (شركسى)

الأعضاء : على غالب باشا (شركسى) ـ يوسف شهدى باشا (شركسى) ـ محمد زكى باشا (أرناءودى) ـ سعد الدين باشا (رومى) ـ محمد حمدى بك العظم (سورى) ـ مصطفى بك راغب (تركى) ـ سليمان بك يسرى (كردى) ـ مصطفى بك خلوصى (فارسى) ـ محمد بك مختار (تركى)

المحكمتان العسكريتان

وأصدر الخديو أمرا آخر بتأليف محكمة عسكرية فى القاهرة للحكم فى الدعاوى التى تقدم لها من اللجنة

المخصوصة وأن تكون أحكام هذه المحكمة قطعية لا تستأنف تصدر مطابقة للقانون العسكري العثماني • وتألفت هيئة هذه المحكمة من الذوات الآتية أسماؤهم وجميعهم من رجال الاستبداد كرجال هيئة اللجنة السابق ذكرها

الرئيس : محمد رؤوف باشا (كردى)

الأعضاء : الفريق ابراهيم باشا (رومى) ـ الفريق اسماعيل كامل باشا (شركسى) ـ حسين عاصم باشا (شركسى) ـ اللواء خورشيد باشا (شركسى) ـ سليمان نيازى باشا (أرناؤدى) ـ عثمان لطيف باشا (شركسى) سليمان نجاتى بك (شركسى) ـ أحمد حسنين باشا (مصرى) .

وجاء فى مواد هذا الأمر القاضى بتأليف محكمة القاهرة أن أحكام هذه المحكمة لا تعتبر موضعا للعمل الا اذا كانت صادرة من ستة أعضاء على الأقل غير الرئيس ، ثم انه يجب أن تصدر بغالبية الآراء المطلقة

وأصدر أمرا آخر أيضا بتأليف محكمة عسكرية فى الاسكندرية للحكم فى الدعاوى التى تقدم لها من لجنتين مخصوصتين تألفتا فى الاسكندرية وطنطا على نحو تأليف لجنة القاهرة ، وأن تكون أحكام هذه اللجنة قطعية أيضا لا تستأنف صادرة طبقا للقانون العسكرى

الرئيس : عثمان نجيب باشا (شركسى)

الأعضاء : يوسف باشا (شركسى) ـ حسين واصف باشا (شركسى) ـ حسن رضوان باشا (تركى) ـ على بك وهبى (تركى) ـ حسين بك مظهر (تركى) ـ مصطفى باشا العرب (مصرى)

وذكر فى الأمر الصادر بتأليف هذه المحكمة أن تصدر أحكامها بغالبية الآراء المطلقة أيضا

وأما لجنة الاسكندرية فكانت مؤلفة على ما ترى

الرئيس : عبد الرحمن باشا رشدى (انكليزى مالطى)
الأعضاء : حماده بك ، قاضى بمحكمة الاستئناف (مصرى) ـ أحمد بليغ أفندى (نائب وكيل الخديو) ـ ابراهيم بك فؤاد (رئيس محكمة الجيزة) ـ كازيميرار (ناظر قسم قضايا نظارة الاشغال العمومية والحربية والبحرية)ـ المسيو كليار (أمين عموم الجمرك) ـ المسيو فاستيه دى مون جويون (وكيل خديو فى المحكمة المختلطة)
وأما لجنة طنطا فتألفت هيئة لجنتها على الوجه الآتى :
الرئيس : محمود باشا الفلكى
الأعضاء : لطيف بك سليم ـ شفيق بك منصور ـ جبرائيل أفندى كحيل نائب بقسم قضايا نظارتى المالية والداخلية ـ موسيو سكوتى ، نائب بقسم قضايا الحقانية والخارجية

الغاء الجيش المصرى

وصدر أمر الخديو بالغاء الجيش المصرى وصرف العساكر الى بلادهم ومحاكمة الضباط وكبار قادة الجيش المدافع عن البلاد بصفة كونهم عصاة

وأصدر مجلس الاسكندرية العسكرى أحكاما مختلفة على عدة أشخاص من العصاة على زعمهم ، فقضى بالاعدام على « ندى خطاب » أحد رجال الشرطة سابقا بدعوى انه غير هيئته بملابس ملكية وعين من قبل سعد بك جبل قائمقام البوليس السابق لأخذ أخبار الانكليز فى الاسكندرية ، وايصالها الى جيش المصريين ، فكان بذلك جاسوسا متنكرا

وحكم بالليمان سنة واحدة على أحد سائقى العربات لأنه اشترى مالا منهوبا ، وعلى آخر من الجند بجلده ١٥٠ جلدة على ظهره ، وأن يقيد بالحديد فى الليمان مدة ست سنوات ،

وقضى على عدة خفراء بالليمان أيضا

وقبض على كثير ممن اشتبه فيهم فى الاشـــتراك فى الحركة الوطنية وفي مقدمتهم السـيد بك قنديل مأمور ضبطية الاسكندرية وسليمان بك داود • وفى جملتهم بعض أعضاء جمعية الشبان فى الاسكندرية ، وكذلك قبض فى القاهرة على جميع الضباط والذوات مثل عثمان باشا فوزى وكيل دائرة زينب هانم ، ومصطفى باشا نائل ، وأحمد بك ناشد مدير الشرقية ، ومحمد أفندى الصدر ، والسيد حسن أفندى الشمسى ، ومحمود أفندى صادق ، وعبد الله باشا فكرى ، وحسن باشا الشريعى ، وأمين بك فكرى وغيرهم

ومن العلماء شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ محمد عليش وولده الشيخ عبد الرحمن عليش ، والعلامة الشيخ حسن العدوى ، والشيخ أبو الفضل الجيزاوى ، والشيخ الخلفاوى ، والشيخ أحمد المنصورى ، والشيخ أحمد عبد الغنى وغيرهم من أكابر العلماء .

ومن كبار التجار أمثال السيد حسن موسى العقاد ومحمد حنظور بك وكيل مديرية الدقهلية ، ومن أعضاء مجلس النواب أمين بك الشمسى وأحمد بك أباظه ، وأحمد محمود العضو عن البحيرة ، ومحمد أفندى الشاذلى، ومحمد جلال، ومهنى يوسف عن المنيا وغيرهم • ومن القضاة الشيخ محمد جير ونائبه الشيخ سلمى ، والشيخ أمين أبو يوسف • ومن الأعيان ابراهيم بك الشريعى ويعقوب بك صبرى مدير الفيوم ، وأولاد أحمد بك أبو مصطفى ، والشيخ عبد المجيد الفقى وأحمد الفقى، والشيخ حسن الديب، والشيخ عبد الهادى رزق، ومحمد خطاب، وعلى أفندى محمد، ويحيى بك شتا ، وعلى مصرف ، وابراهيم بك خليل وغيرهم

وانتهز حكام المديريات من رجال الاستبداد فرصة

القبض على وجوه البلاد وأعيانها واستنزفوا ثروتهم حتى أثروا وامتلكوا الأراضى الواسعة • ومن ضن عليهم بماله كان جزاؤه الاعدام بدعوى انه من العصاة

الغاء القوانين العادلة

وصدر أمر الخديو بالغاء القوانين العادلة التى صدق عليها فى عهد الوزارة الوطنية الحرة وهى : قانون القواعد الأساسية فى النظامات العسكرية ، وقانون الترقى ، وقانون الضمائم والامتيازات ، والاعانات العسكرية ، وقانون الاجازات التى كانت من ضمن طلبات العسكرية قال فيه :

وبعد الاطلاع على الأوامر الصادرة فى ٢٦ شوال سنة ١٢٩٨ بالتصديق على قانون الاعانة والضمائم والامتيازات العسكرية البرية والبحرية والاجازات وتسوية حالة الضباط والمستودعين، والترقى ومعاشات تقاعد العسكرية

وبناء على ما عرض علينا من ناظر البحرية والحربية (عمر باشا لطفى) صارت هذه القوانين فى حكم الالغاء »

وصدر أمر آخر بالغاء الأمر الصادر بتقرير مرتبات الضباط والصف ضباط والعساكر البرية والبحرية • وان تعاد مرتباتهم جميعا الى ما كانت عليه قبل صدور الأمر المؤرخ فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ وأن تلغى جميع العلاوات التى أضيفت الى رواتب الاستيداع ومعاش التقاعد

انعامات على الضباط الانجليز

وأنعم الخديو على ٥٢ ضابطا من الضباط الانجليز بالنيشان المجيدى والنيشان العثمانى من رتب مختلفة ،

فأصاب واحد منهم النيشان المجيدى من الدرجة الأولى واثنان النيشان العثمانى من الدرجة الثانية وخمسة النيشان العثمانى من الدرجة الثالثة وأربعة النيشان العثمانى من الدرجة الرابعة ، وأربعة النيشان المجيدى من الدرجة الثانية وتسعة من الدرجة الثالثة وسبعة من الدرجة الرابعة وعشرة من الدرجة الخامسة

وكانت تلك النياشين من ضمن النياشين التى حضرت من الآستانة بطلب درويش باشا المندوب السلطانى لأجل اعطائها للضباط المصريين ، فضن بها الخديو عليهم وجاد بها على الضباط الانجليز

وقد ذكرنا تأليف لجان للتحقيق والمحاكمات وتعيين رؤسائها وأعضائها بالايضاح الوافى والبيان الشافى . والآن نثبت تلك المحاكمات وايرادها مع تقديم الأهم منها على المهم . وانقيادا لحكم هذه القاعدة نبتدىء بذكر محاكمتنا ونعقبه بذكر محضر على باشا فهمى فمحضر عبد العال باشا وهكذا الى أن نأتى على أهم هذه المحاكمات واحدة بعد أخرى ليتبين لمن يطلع عليها شدة وطأة الظلم والاستبداد على رجال العدل والحرية جزاء مدافعتهم عن بلادهم (١)

سجن الدائرة السنية

ولما ضاقت سجون القلعة والضابطية بمن سجنوا من الضباط وغيرهم من جميع الطبقات اتخذت الحكومة بناية الدائرة السنية سجنا عموميا ، وأنشأت فيه مجلسا فخيما للمجلس العسكرى وآخر للجنة التحقيق

---

(١) اكتفينا فى هذا الجزء الثانى بذكر تفصيل محاكمة عرابى وبعض زملائه . وقد نشرت سائر محاكمات زعماء الثورة العرابية فى الجرائد فى ذلك الحين ، فعلى من يريدها أن يرجع إليها

وصار نقلنا من قشلاق عابدين الى سجن الدائرةالسنية المذكورة لأجل المحاكمة ، ومعى طلبه باشا عصمت ، وقد سجن كل منا في غرفة منفردا أسـوة بمن فيهـا من المسجونين . ثم أغلقوا المنافذ علينا وسمروها ، ومنعوا عنا السراج ليلا بعد أن فتشونا وأخذوا ما معنا وأهانوا البعض منا خصوصا عبد العال باشا حلمى

محضر استجوابى

الاربعاء فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٩٩

حضرت أمام لجنة التحقيق ، واسـتجوبت على الوجه الآتى :

س ـ لما تولى خديوينا الأعظم مسند الحكومة المصرية أين كنت مستخدما ؟

ج ـ كنت معينا فى تسليم ٧٠٠ ألف أردب غلال واردة من مديريات الوجه القبلى الى محلات منشه وبنيحه واجيون بالاسكندرية لسداد ٥٠٠ ألف جنيه دفعت فى أقسـاط الدين المطلوب من الحكومة

س ـ كنت تبع أى مصلحة ؟

ج ـ تبع نظارة الجهادية

س ـ هل كنت من المستودعين ؟

ج ـ لم أكن كذلك ، بل كنت فى الآلاى الرابع وتعينت للمأمورية المذكورة

س ـ ماذا كانت رتبتك ؟

ج ـ قائمقام فى مدة سعيد باشا

س ـ متى ترقيت لرتبة الميرالاى ؟

ج ـ فى ابتداء تولية الخديو الحالى

س ـ وفى أى آلاى تعينت ؟
ج ـ تعينت فى ٤ جى آلاى بيادة

حادثة قصر النيل

س ـ فى ١٥ صفر سنة ١٢٩٨ تقدم منكم عرضحال لدولتلو رياض باشا رئيس مجلس النظار فى ذلك الوقت فهل تتذكره ؟

ج ـ نعم أتذكره جيدا

س ـ هذا العرضحال لم يكن عليه أختام ، بل مقال فيه أنه من ضباط الجهادية ، وقدمته أنت وعلى فهمى وعبد العال ، فهل عندك توكيل من ضباط الجهادية بتقديمه ؟

ج ـ ذاك العرضحال تقدم منا بالنيابة عن جميع الضباط الوطنيين ، وعليه أختامنا ، وهذه مسألة صدر عنها العفو الخديوى فى أول فبراير سنة ١٨٨١ الموافق ٢ ربيع أول سنة ١٢٩٩

س ـ هل تعرف أن هذا ذنب حتى ان الحضرة الخديوية عفت عنه ؟

ج ـ لم يكن هذا ذنبا ...

س ـ نحن نسألك هل عندك توكيل أم لا ؟

ج ـ توكيلهم لى ولعبدالعال باشا وعلى باشا فهمى معلوم بداهة ، ولم نأخذ منهم بسندات

س ـ قل أسماء بعض الضباط الذين وكلوكم كى نسألهم

ج ـ لا لزوم للسؤال منهم ، فانى لما كنت ميرالاى كانت كلمتى نافذة على ضباط سائر الآلاى ، وهذا دليل على انهم أنابونى عنهم ، وانهم مؤتمنون طرفى

س ـ فى ذلك الوقت صدر أمر من الجناب الخديوى بتوقيفكم ، وتلى عليكم الأمر المذكور ، وامتثلتم وعلمتم منه

بتأليف مجلس عسكرى مركب من الجنـــرال استون ، وابراهيم باشا فريق السوارى ، ولارمى باشـــا ، وبلوم باشا ، وخورشيد باشا عاكف ورضـــا باشا ونجم الدين باشا للحكم فيما يختص بكم على مقتضى القانون ، فهـــل حصل ذلك أم لا ؟

ج ـ تلى علينا هذا الأمر ولكن يؤخذ منــــه أنه ليس الغرض الحكم علينا بمقتضى القانون فقط ، بل يستدل منه على موتنا أيضا

س ـ الأمر الذى صدر بشأن تشكيل المجلس المذكور موجود هنا ، فسنتلوه عليك ، وقل لنـــا من أين يؤخذ أن الغرض موتكم (وتلى علينا وها هى صورته)

(صورة الأمر الخديوى لناظر الجهادية عثمان باشا رفقى بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٢٩٨ نمرة واحد فى حقنا)

« بناء على الأفكار الفاسدة والحركات المضرة والمتوقعة من كل من أحمد عرابى بك ميرالاى ٤ جى بيادة ، وعبـــد العال بك حشيش ميرالاى ٦ جى بيادة ، وعلى بك فهـــمى ميرالاى ١ جى بيادة خلافا للقانون والنظـــام العسكرى قد تقرر بمجلس النظار المنعقد يوم تاريخـــه بسراى عابدين تحت رئاستنا بتوقيف الثلاثة ضباط المذكورين ، واحالة محاكمتهم على مجلس عسكرى تحت رئاسة الجنرال استون وأعضائه ابراهيم باشا فريق السوارى ، ولارمى باشا ، وبلوم باشا ولواء خورشيد باشا عاكف ، ولواء ســـوارى محمد باشا رضا . ومن الضباط المتقاعدين لواء نجم الدين باشا ، ولهذا أصدرنا أمرنا هذا لكم كى تجروا توقيـــف الثلاثة ضباط المذكورين مع أخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع أدنى ما يخل بالنظام العمـــومى تحت كفالتكم . وبمعرفتكم يصير انتخاب وتعيـــين بدل الثلاثة ضـــباط المذكورين فى محلاتهم . ومن حيثيـــــة تأليف المجلس

العسكرى فوق العاده ومحاكمة الثلاثة ضباط المذكورين قد تحرر فى تاريخه لجناب الجنرال استون بما يلزم عن ذلك »

ج ـ حيث أن الخديو قال فى ذلك الأمر انه بناء على الأفكار الفاسدة والحركات المضرة الواقعة من أحمد عرابى وعبد العال وعلى فهمى ، فلا بد ان كل مجلس مصرى يحكم علينا بالموت • ومقال به أيضا مع أخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع ما يخل بالنظام العمومى تحت كفالتكم ، فهذا التأكيد والتسديد لم يسبق له مثيل • ويستدل منه على أن الغرض اعدامنا • هذا فضلا عما شاهدناه ، فان الأمر قاصر على التوقيف ، ولم يذكر به السجن ، والذى حصل خلاف ذلك فانه أخذت سيوفنا ووضعنا بالسجن ، ووقف علينا أصاغر ضباط الشراكسة وبأيديهم الطبنجات، فرؤى لنا من جميع ما ذكر ان هذه الحالة الغرض منها اعدامنا

س ـ مذ كنتم فى السجن حضر ١ جى آلاى وأخرجكم منه ، وفى الغروب حضر ٦ جى آلاى حكمدارية عبد العال• والآلاى حكمداريتكم كان عازما على الحضور أيضا ، فهل حضورهم كان بناء على أوامر منكم وباتفاق قبل حصول الحبس أم حضروا من تلقاء أنفسهم ؟

ج ـ الآلاى حكمداريتى لم يقم من محله ولم يكن عنده تنبيه بالحضور • أما الآلايان الآخران ، فلم أعلم بناء على أى شىء حضروا • ولكن من حيث ان الضباط موكلونا للعرض بطلب المساواة والانصاف بين أصناف العسكرية ، فهم طبعا ملاحظون أحوالنا ، أولا فأولا ، ومتيقظون ، وهم دائما على حذر ، فلما رأوا ما حصل لنا من السجن أخبروا بعضهم بعضا وحضروا لخلاصنا

س ـ علم من التحقيق ان آلاى على فهمى لم يحضر الا بناء على تنبيه من قبل الواقعة بيوم ، وآلاى عبد العال

حضر فى يومها بناء على أمره بواسطة ارسـال واحد من طرفه ، وان عدم حضور آلايكم هو بالنظر لعدم امتثـال ألفي أفندى يوسف ، وخلاف ذلك لم تتحرك باقي الآلايات فماذا تقول ؟

ج ـ هذه المسألة مع ما فيها من الحيف والظلم توسلنا بقناصل الدول لتسوية ما بيننا وبين الحكومة من الخلاف، وصدر عنها عفـو عمومى وعاد كل منا الى آلايه ووعدنا باجابة طلباتنا وقد عزل عثمان رفقى ناظر الجهادية

حادثة عابدين

س ـ بعد اخراجكم من السجن بقصر النيـل بواسطة العسكر وحضوركم لعابدين كنتم تعلمون جيـدا انكم معزولون من آلاياتكم ، فلمـاذا بقيتم هناك مع العساكر وأصررتم على طلب عزل عثمان باشا رفقى من نظـارة الجهادية ، مع انه مرارا يعدكم الجناب الخديوى بالاجابة ونبه عليكم بالانصراف ولم تنصرفوا حتى تحصلتم على مرغوبكم؟

ج ـ قلت ان هذه المسألة تم فيها ما تم وصدر عنها عفو الخديو

س ـ حيث انه قيـل منكم انه صدر عن ذلك عفو من الحضرة الخديوية وتحصلتم على رفع ناظر الجهادية الذى كنتم متشكين منه فكان المأمول اذا مقابلة هذه النعمـة بالطاعة والانقياد التام لأوامر الحضرة الخديوية والسلوك الحسن ، فوقع منكم ضد المأمول وقبل انقضاء سبعة أشهر بعد هذا العفو أحضرتم آلاياكم وآلايات الاثنـين من الالايات الذين اشتركوا معكم فى واقعة أول فبراير سنة ١٨٨١ وبعض الآلايات التى أمكنكم اغراؤها على ذلك وبطاريات الطوبجية بجبخاناتها . وقبل حضوركم لتلك الجهة ببضـع ساعات حررتم للقناصل ولنظـارة الجهادية على هذا التصميم الذى

تجاسرتم على اجرائه بالفعل ، فما أسباب ذلك ، ولماذا تجاسرتم على هذا الفعل ، وبدلا من قيامكم بأداء وظيفتكم التى هى حفظ الذات العلية هددتموها بالاسلحة التى أعطيت لكم لأجل حفظ تلك الذات السنية وحفظ الحكومة المصرية • وفيما بعد طلبتم من الحضرة الخديوية طلبات لم تكن من وظائفكم ولا من خصائصكم ، وأصررتم على عدم اعادة العساكر لمحلاتهم حتى تحصلتم على مطلوبكم بهذه الكيفية ؟

ج ـ ان الأسباب التى دعت لذلك هى عدم الاخذ بالعدل والمساواة فى المعاملات شأن البلاد التى لم يكن فيها قوانين ولم يرع فيها الاجراء على مقتضاها ، فلذلك اعتمد أعيان البلاد على أبنائهم رؤساء العسكرية وتاقت أنفسهم الى تشكيل مجلس نيابى بالبلاد يحفظ لهم حقوقهم ويدفع عنهم ما ألم بهم من المظالم ؛ حيث ان كل من كانت له مظلمة منهم وتلقى فى مجلس من المجالس الاهلية ، فلا تنتهى ولا ينظر لها بعين الاعتبار • وربما تترك بالمجالس فوق العشرين سنة حتى يموت صاحب الدعوى كمدا بظلمه • ومن أمثلة المظالم ضياع حقوقهم المدفوعة فى المقابلة التى هى عبارة عن سد ١٧ مليون جنيه • ولم يصر معاملتهم فيها أسوة بالدائنين الأجانب الذين لهم ديون على الحكومة المصرية • وغير ذلك مما لا يمكن استيفاء شرحه فى هذا الجواب ، فاجتمعت اذا أفكار الناس على انه لا مخلص لهم من تلك المظالم الا وجود مجلس نيابى من شأنه حفظ الارواح والحقوق والاموال • مع سن قوانين عادلة تكفل لهم حقوقهم ، فأجمعوا أمرهم على ذلك وتحرر منهم بذلك عرضحالات وختم عليها من نحو الألفين نفس من عمد وأعيان وتجار وغيرهم • ولخوفهم من البطش بهم أنابونى مع اخوانى الضباط فى عرض طلباتهم لكوننا اخوانهم وأبناءهم • وهم أهلونا يضرنا ما يضرهم ، وينفعنا ما ينفعهم

فقمنا بالعساكر البيادة والطوبجية والسوارى الموجودين بمصر بدون أن يتخلف منهم أحد وتوجهنا الى ساحة عابدين بعد اعلام قناصل الدول بتلك الطلبات الشرعية الحقة التى لا ينكرها منصف أبدا . وكان توجه العساكر بغاية الأدب والسكون بصفة عرض جيش على الحضرة الخديوية نلتمس من حضرته الفخيمة منح الأمة المصرية التى نحن أبناؤها ووكلاؤها فى طلب تلك الطلبات الحقة ، فمنحها ذلك وانصرف الكل شاكرا لجنابه الفخيم على ذلك . والاعراضات المتقدمة من أعيان الأمة المصرية تقدم بعضها الى دولتلو شريف باشا الذى صار تسميته بطلب الأمة رئيسا للنظار . ومع ذلك فقد صدر عفو الخديو أيضا عما حصل من القصور فى هذه المسألة ، على ان تلك الطلبات جميعها هى من أقصى آمال الحضرة الخديوية ، وسابق التصريح بها فى الدكريتو الصادر من فخامته فى أول ولايته

س ـ لو فرض ان الحضرة الخديوية لم تسلم فى هذه الطلبات فماذا كان يحصل ؟

ج ـ لا لزوم للفرض والتقدير لاننا واثقون بكرم الخديو ووفائه بوعده فى أول دكريتو صدر من جنابه ، كما ذكرنا فى جوابنا المتقدم حيث ان ذلك من أقصى آماله

س ـ لم يوجد اذا وجه لتوجهكم بالعساكر والجبخانة معهم والاحاطة بالسراى بتلك الكيفية المهولة

ج ـ البلاد التى لم يكن بها مجلس نيابى يحفظ للأمة حقوقها فى كافة ممالك الارض يحصل فيها أكثر من ذلك بحيث يسفك فيها كثير من الدماء وهذا لا يخفى على كل متذكر لأن الحاكم المستبد لا يسلم فى الشورى بسهولة . ونحن بحمد الله تعالى لم يحصل منا أدنى شىء يخل بالراحة بخصوص هذا الطلب ، وتقدم ان ما كان حضور العساكر الا بالنسبة للالتماس فى هيئة عرض أنفسهم على الحضرة

الخديوية ومع ذلك فعفو الخديو شمل ما حصل فى تلك المسألة من القصور

س ـ تدعى ان الأمة أنابتك أنت والضباط فى طلب الطلبات التى ذكرتها ، فالأمة المصرية عبارة عن أربعة ملايين • ولا يتصور أنه صار توكيلكم أنت والضباط من طرف هذا القدر وحيث انك تدعى أيضا أنه تقدم اعراضات من نحو الألفين شخص من أهالى البلاد الى دولتلو شريف باشا مباشرة ، فيعلم عدم توكيلكم من طرف أحد من الأمة المصرية كما تدعون ، فان كان بيدكم والحالة هذه توكيل أبرزوه ، وخصوصا ان الأمة المصرية وأعيانها عموما موجودين ، فبين أسماء ولو نحو عشرين من الاعيان الذين توبوكم حتى باستجوابهم تتضح الحقيقة .

ج ـ مهما كان تعداد أى أمة من الأمم عظيما، فانها تكون مرؤوسة برؤساء يسمونهم المشايخ والعمد ويطلق على هؤلاء الرؤساء الذين هم بعض الأمة لفظ الكل أعنى الأمة، وعلى ذلك فرؤساء البلاد النائبون عن الأهالى هم الطالبون لتلك الطلبات وهم المعرضون اعراضاتهم التى كان أغلبها بطرفى ذلك اليوم • ومن هؤلاء العمد والأعيان تركب مجلس النواب والدليل على انهم أنابونى فى طلب طلباتهم وجود نحو الألفين عمدة فى ذلك اليوم والحاحهم على دولتلو شريف باشا بقبول الرئاسة حال حضوره من الاسكندرية الى مصر ولوثوقهم بى ترامو بأجمعهم على الحضرة الخديوية يلتمسون منها بقائى فى نظارة الجهادية حين استعفت نظارة محمود باشا سامى • أفهل هذا لا يكون دليلا على توكيلهم اياى ووثوقهم بى؟ على انى ومن معى من الضباط والعساكر من أبناء البلاد الذين تشملهم تلك الحقوق الوطنية

س ـ وظيفتك كانت ميرالاى جهادى وقوانين العسكرية لا تسمح لك بالتداخل فى الأمور الادارية الاهلية . فكيف

تداخلت فى ذلك وأغريت باقى الضباط الذين اتبعوك؟ هل الخديو ونظاره وباقى حكامه كانوا محجوبين عن الأهالى وما كان أحد يمكنه الوصول اليهم حتى تداخلتم فىأمورهم بهذه الكيفية ؟

ج ـ قدمنا بأجوبتنا المتقدمة ان من كان له حق أو حاجة وتحال على أى مجلس أو أى ديوان فيموت بغصته ، ولم يتحصل على شىء منها • فمن أجل ذلك ولشمولنا مع أهلينا بحقوق واحدة حصل ما تقدم ذكره بدون أن تسقط شعرة واحدة من رأس أى انسان • وما كنت لأغوى الناس بل كنت حافظا لنظامهم وموقفا لحركات أفكارهم الشديدة التضارب بعضها لبعض ، فهم الذين أنابونى لأسير بهم فى منهج الاستقامة حفظا للنظام العام • ولولا ذلك بل لولا وجودى لما أمكن توقيف ذلك التيار المنبعث من قلوب مختلفة وأفكار متضاربة ، وهذا شىء لا يخفى على كل ذى بصيرة اذ لو ترك ذلك التيار وشأنه من غير حافظ له لحصل من المضرات الكثيرة ما لا يخفى على أحد • ومع ذلك فما وقع من القصور فيما تقدم ذكره ، عمه العفو الخديوى

مسألة خلع الخديو

س ـ فى أول دفعة فى واقعة ١ فبراير سنة ١٨٨١ طلبتم عزل ناظر الجهادية وأصررتم على ذلك بطريقة خارجة عن القانون وتحصلتم على مقصودكم وعفى عنكم الجناب الخديوى كما قيل منكم • وفى واقعة يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ أشهرتم السلاح وأحطتم بسراى الحضرة الخديوية بالمدافع وهددتموها وتحصلتم على طلبات خارجة عن وظائفكم وهى احداث مجلس النواب وسقوط وزارة دولتلو رياض باشا وما أشبه وقلتم ان الحضرة الخديوية عفت عنكم فى ذلك أيضا ، فبدلا من مقابلة هذه النعمة التى تحصلتم

عليها بالشكر ، لم يمر زيادة عن بضعة أشهر حتى توجهتم ذات ليلة لمنزل سعادة سلطان باشا رئيس مجلس النواب في ذلك الوقت وبرفقتكم ضباط العسكرية المتعصبين معكم ، وهناك أمام من وجد من النواب والعلماء تلوتم خطبة في القدح والذم في الحضرة الخديوية وعائلته الشريفة ، وختمتم خطبتكم باعلان خلع جنابه العالى وقلتم ان من يكون معكم في هذا الرأى يقوم واقفا، ولما لم ير واحد من الحاضرين القيام خلاف الضباط هددتهم أنت ومحمد عبيد حالة كونه شاهرا سيفه حتى حصل من ذلك اضطراب وغاغة بمنزل الباشا المشار اليه ، واندهشت أهل البلاد خصوصا وانك أمرت وقتها أحد الضباط الحاضرين وهو خليل بك كامل الميرالاى باستعداد آلايه للهجوم به على سراى الاسماعيلية محل اقامة الحضرة الخديوية ، فهل يجوز وقوع ذلك منكم بعد توصلكم الى كافة طلباتكم من الحضرة الخديوية وانغماركم باحسناناتها

ج ـ أى ليلة هذه وفى أى تاريخ حصل ذلك ؟

س ـ فى الليلة الثانية من سقوط وزارة محمود سامى التى كنتم من ضمنها بصفة ناظر الجهادية

ج ـ انى لم أطلب لنفسى شيئا قط ، بل تلك الطلبات كانت على حسب ما سبق ايضاحه • وانى دائما محترم وحافظ للحضرة الخديوية ولم يقع منى تهديد أصلا ، بل كنت كسور عظيم البنيان ، مانع لتيار تلك الافكار السريعة الانحدار • وكنت أظن أن تلك خدمة لا تغيب أهميتها عن أفكار أولى العدل والانصاف

أما تلك الليلة المعروفة بليلة أبى سلطان ، فالحق أقول انه لما تحقق للحضرة الخديوية استقامتى وحسن خدماتى وتأديتها بغاية الحرص والأمانة منحنى رتبة اللواء بعد أن وجهت الى عهدتى نظارة الجهادية • كل ذلك دليل على حسن

رضائها الى أن انحلت نظارة محمود باشا سامي التى كنت من ضمنها لاسباب معلومة للعموم ، وكانت نتيجتهـــا ما حصل من المحاربة الشنيعة الظالمة ، وهي الاختلاف الذى وقع بين الوزارة المذكورة وبين الخديو في قبوله اللائحـــة المقدمة من قنصلى انجلترا وفرنسا وعدم قبولها بطـــرف الوزارة • وقد صار طلب أعضاء مجلس النواب للنظر فى هذه الاختلافات واناطته بتسويتها • ولما لم يجد ذلك نفعا حصل الاســـتعفاء ولزمت منزلى • فدعيت تلك الليلة الى بيت رئيس مجلس النواب ، حيث كان جميـــع أعضـــاء المجلس موجودين فيه ومنتظرين حضورى • فلم أر بدا من التوجه اليه ، وبحضـــورى لحضرتهم كلفونى بأن أداوم على ملاحظة العسكرية وحفظ الراحة العمومية ، فأجبتهم بأنى استعفيت من نظارة الجهادية مع اخوانى النظار ، وقبـــل منا استعفاؤنا لدى حضرة الخـــديو ، فلا يمكننى أن ألزم نفسى بما لا يسوغ لى أجراؤه ، فأجابنى رئيس النـــواب ، ومن معه بأننا نحن نواب الأمة وقد كلفناك بهـــذه الخدمة الوطنية واننا متوجهون الى الحضرة الخديوية لنلتمس منهـــا بقاءكم فى نظارة الجهـــادية كما كنتم • ثم دار الكلام فى الأسباب التى أوجبت الاستعفاء وما كان من أمر اللائحـــة المتقدمة من انجلترا وفرنسا وما يؤول اليه أمر البلاد اذا حصل قبولها وما كانت عليه البلاد قبل التداخل الأجنبى • فهذه هى المحاورات التى جرت والمعبر عنها بالخطبة • وكان جميع أعضاء مجلس النواب كارهين قبول تلك اللائحـــة وكارهين ما بنيت عليه من التداخل المضر بشرف البـــلاد واستقلالها • وأجمع رأيهم على عدم قبول تلك اللائحـــة وأعطوا قولهم بذلك

وكان من رأى الحاضرين عموما التسليم فى عزل الخديو ولا يسلمون فى قبول اللائحة المذكورة أبدا • واشـــتدت

حركة الأفكار ومكث هذا التضارب الناشيء من تلك اللائحة مدة تزيد عن أسبوعين الى أن قبل سعادة راغب باشا رئاسة مجلس النظار ، وصدر من الحضرة الخديوية عفو عام عن جميع ما يتعلق بهذه المسألة وما قبلها لكثرة تشعب الأفكار وشدة الانفعال وتهيج الرأى العام • وبناء على هذا العفو تشكلت الوزارة المذكورة وكنت من ضمنها بمقتضى أمر خديوى • ثم لما ورد وابور (عز الدين) حاملا النيشان المجيدى من الدرجة الأولى الذى أحسنت به الحضرة السلطانية على لم أقبل أن أستلمه الا من يد الخديو ، وما ذلك الا اعلانا باحترامه وحرصا على رضائه • هذا هو الحق ولم يحصل صدور أمر الى خليل كامل ولا الى غيره كما ذكر • اذ اني كنت أعد نفسى انى حافظ أمين • وأما ما قيل غير ذلك فلا أصل له البتة

س ـ هذا الجواب لم يكن ردا للسؤال، فأفد صراحة هل ناديت بمنزل سلطان باشا بخلع الحضرة الخديوية ، وقلت من يكن معك يقم واقفا أم لا ؟

ج ـ على حسب فكرى هذا الجواب هو رد عما سئلت فيه • وانى أوضحت به انه حصل الاجماع على عدم التسليم في قبول اللائحة • ولما استقر الرأى على ذلك كنت جالسا فقمت وقلت من وافق على ذلك فليقم معنا ، فقام الكل ولم يتأخر أحد • والغرض من ذلك هو عدم التسليم فى قبول اللائحة المذكورة ، حتى بالفعل قام رئيس مجلس النواب ومن لزم معه من الأعضاء ، وتوجهوا الى سراى الاسماعيلية فى تلك الليلة نفسها ، وعرضوا طلب بقائى فى نظارتى الجهادية والبحرية والزامى بالأمن والراحة وفى غد تلك الليلة حضر لى رئيس المجلس المذكور وسعادة سليمان باشا أباظه ، وحسن باشا الشريعي وغيرهم وسلمونى ارادة خديوية ببقائى فى نظارتى الجهادية والبحرية ، فتوجهت

مسرعا لتأدية التشكرات لحضرة الخديو على ذلك

س ـ كان رأيك اذا مع رأى من استقر رأيهم من الحاضرين على عزل الجناب الخديو ؟

ج ـ مما توضح يعلم ان لشدة تأثير اللائحة المذكورة التى قبلها الجناب الخديو ما كان يمكن قبولها ولو أدى ذلك لخلع الخديو • وكنت أنا وكل الناس على هذا الرأى

مؤتمر مجلس النواب

س ـ مذ كان محمود سامى رئيس مجلس النظار ومذ كنت أنت ناظر الجهادية قر رأيكم على طلب النواب واحضرتموهم بالفعل بدون أمر الحضرة الخديوية فلماذا أجريتم ذلك مع علمكم انه مخالف للائحة النواب ؟

ج ـ من مقتضى لائحة مجلس النواب انه اذا تراءى أمر مهم فى مدة غياب مجلس النواب فعلى مجلس النظار تدارك هذا الأمر تحت مسئوليتهم عنه عند انعقاد المجلس فى السنة التالية • ولم يكن أمر مهم أكبر من خلاف يقع فى مسألة بين الحضرة الخديوية وبين النظار • فلتدارك هذا الأمر وعدم خروجه من يد أهل البلاد استقر رأى مجلس النظار على طلب مجلس النواب لينظر فيما حصل الخلاف فيه أملا فى اصلاح الأمر قبل تعاظمه وعلى ذلك جرى طلب النواب

س ـ اعترفت اذا بطلب النواب بدون أمر الحضرة الخديوية لأن منطوق اللائحة لا يطابق تأويلكم

ج ـ أوضحنا بأن طلب النواب يفيد أمر الحضرة الخديوية وما كان الا اعتمادا على قانون مجلس النواب على أن ذلك جائز فى الحكومات المتمدنة اذا دهم البلاد أمر يخل بشأنها، ولم يكن أمر أكبر من خلاف يقع بين الحاكم وحكومته

س ـ ما هو الخلاف الذى وقع بين الحضرة الخديوية وبين

النظار وترتب عليه طلب النواب بمعرفتكم ؟

ج ـ هو قبول الخديو للائحة المقدمة من قنصلي انجلترا وفرنسا وعدم قبولها بطرف نظار حكومته

س ـ ماذا كان مضمون تلك اللائحة المقدمة من طرف الدولتين ؟

ج ـ كان مضمونها طلب سقوط النظارة واخراجي من بلادي الى أوربا واخراج وتبعيد علي باشا فهمي وغيرهما الى داخل القطر

س ـ هل في معلومكم ان الجناب الخديو قبل هذه اللائحة من قنصلي الدولتين المتقدم ذكرهما أم لا ؟

ج ـ تقدم بأجوبتي ما يدل على ذلك

س ـ كان الواجب اذا عليكم قبولها مثلما قبلها الجناب الخديو لكونكم تحت أوامره وهو المناط من طرف الدولة العلية بامتيازات مخصوصة باجراء الاحكام على حسب ما يتراءى له بدون أن يعارضه أحد في داخل حكومته . فلماذا تجاسرتم على رد أوامره حيث انه قبلها ولا سيما ان خروجك من البلد حائزا شرفك ومرتباتك ما كان يترتب عليه ضرر

ج ـ صحيح كان أولى خروجي الى أوربا أو غيرها . ولكن أفكار الناس وقتها وحالة البلاد وشرف الأمة منعني من ذلك وأما ما ذكر من لزوم موافقة النظار للحضرة الخديوية لما لها من الامتيازات الخصوصية ، فذلك لا يكون أمرا لازما في الحكومات الشورية ، خصوصا وان جنابه الكريم أوجب على نفسه جعل الحكومة شورية ، وأن يشترك مع نظاره ونواب البلاد في الرأى . ولحرص النظار على تلك الامتيازات وما رأوا في قبول تلك اللائحة من التداخل في الأمور الادارية ومس الامتيازات المصرية لم يصر قبولها كما تقدم الايضاح بالاجوبة السابقة

ثم استصوبت اللجنة اعادتي الى السجن حيث حان وقت الغروب ، فى ٢٨ القعدة سنة ١٢٩٩

محمد مختار - مصطفى خلوصي - سليمان يسرى - مصطفى راغب - محمد جمدى العظم - سعد الدين - محمد زكى - يوسف شهدى - على غالب (أعضاء) اسماعيل أيوب (الرئيس)

اليوم الثانى لاستجوابى
الخميس ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٩٩

بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ طلب أحمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه ولما حضر وجه اليه سعادة الرئيس الأسئلة المحررة بعد ، فأجابه عنها بما يأتى :

س - ألم ينصحك دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية بقبول اللائحة والخروج من القطر

ج - ان اللائحة المذكورة تقدمت من طرف قنصلى انجلترا وفرنسا بناء عن رأى ارتاه أبو سلطان باشا كما هو واضح بها • وكان تقديمها باسم دولتيهما عقب حضور المراكب الحربية الى ثغر الاسكندرية • ولما حضر الوفد العثمانى تحت رئاسة دولتلو درويش باشا رأى البلاد المصرية فى غاية الهدوء والسكون ولم يكن بها أدنى شيء يستدعى ما يوجب تلك الارتكابات كما رأى الجيش المصرى فى غاية الطاعة والانقياد ملازما لخدماته وواجباته العسكرية وعرض عن ذلك للباب العالى بالآستانة وترتب على ذلك تشريفنا بالنيشان المجيدى السابق الذكر بتلغراف ورد لدولته من المابين الهمايونى قبل حضور النيشان المذكور • ولما أخبرنى دولته بذلك التزمت بعرض تشكراتى تلغرافيا بواسطة المابين على الحضرة السلطانية وتشرفت

بقبولها وأجابني تلغرافيا بحصول الممنونية والمحظوظية للحضرة السلطانية مما أديناه من حسن الخدمة والطاعة و الانقياد ، ثم انه قبل حصول الضرب على الاسكندرية بأربعة أيام حضر النيشان المذكور بوابور مخصوص صحبته سليم بك قومندان الوابور (عز الدين) واستلمته من يد الحضرة الخديوية مع اظهار الخضوع والانقياد والشكر على ذلك ، كما انه حضرت جملة نياشين برسم ضباط الجيش اعلانا على حسن طاعته وانقياده ، ولكن لم يسع الوقت اعطاء النياشين لأربابها لمفاجأة الضرب على الاسكندرية ، وكان دولة المشار اليه أخبرني انه يرى لزوم توجهي للآستانة تحت كنف ورعاية الذات الشاهانية ، فقلت له : « اني أود ذلك ، بل هو أعظم شيء أتمناه ، ولكن تعلق الناس بي وازدحامهم علي في كل وقت بحيث انهم لايمكنونني من تناول غذائي الذي هو من ألزم لزومياتي المعاشية الا بمشقة ، أخشى أن يحولوا بيني وبين ذلك اذا علم لهم اني أريد السفر الى خارج القطر المصري لما يتوقعونه مما يحيق بهم من الضرر في المستقبل • ويترتب على ذلك حدوث فتنة داخلية وهي ما كنا نحذر الوقوع فيها • فعند انتهاء الأمر وانصراف المراكب الحربية من المياه المصرية يمكن نتخلص من هذا الأمر المحفوف بالمصاعب ، ونتوجه الى الآستانة كما ترون دولتكم » هذا ما صار عند مقابلتي بدولة المشار اليه

س ـ حيث انكم أحضرتم مجلس النواب بالفعل للمحروسة للخلاف الذي قيل منكم أنه حاصل بينكم وبين الحضرة الخديوية ، فلماذا لم يفتح المجلس المذكور ويعرض الخلاف عليه كما صممتم على ذلك من قبل ؟

ج ـ بحضور جميع أعضاء مجلس النواب واخبارهم عن لزوم افتتاح المجلس رسميا للنظر فيما حصل من الخلاف

وأسبابه ، فتوجهوا للخديو وطلبوا صدور أمره بافتتاحه فلم يسمح لهم بذلك

س - زعمتم ان النواب موافقون لرأيكم ولرأى باقى النظار فى ذلك الوقت ، فلو كان هذا حقيقيا لأمكنكم بالاتحاد معهم فتح المجلس والنظر فى أحوال البلاد بدون رخصة من الحضرة الخديوية وحيث انه لم يصر افتتاحه بالفعل على حسب رأيكم ، فيعلم ان النواب لم يكونوا متحدين معكم جميعهم كما قلتم

ج - لا أظن ان أحدا من المصريين على اختلاف مذاهبهم يسمح بحصول تداخل أجنبى فى بلاده ، ومن ذا يعلم لكل ذى ذوق سليم ان الأمة المصرية بأجمعها لا تسمح بذلك التداخل ، ولكن ارتأى رئيس مجلس النظار أن يسلك طريقا سهلة لازالة الخلاف وتسوية الحالة . فاكتفى بعقد المجلس فى بيته . وقد نجح فى مسعاه بتشكيل نظارة راغب باشا التى صدر فيها عفو عام من الحضرة الخديوية شاملا كل من ينسب الى تلك المسائل الا مسألة اسكندرية التى حدثت فى يوم ١١ يونيو سنة ١٨٨٢

يمين الشيخ محمد عبده

س - مذ كان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار وكنت ناظر جهادية اجتمعتم ليلا معه ومع باقى الضباط من رتبة بكباشى فما فوق فى قشلاق عابدين ووضعتم مصحفا على ترابيزه ووضعتم أيديكم عليه ولقنكم الشيخ محمد عبده يمينا ، فما هى هذه اليمين وما أسبابها وما هو تاريخ حلفها

ج - هذه العبارة لا حقيقة لها وانما دائما فى كل مجتمع كان يحصل التذاكر بالاتفاق على تحرير البلاد وتحسين حالتها والسعى فى جلب المنافع اليها ودفع المضار عنها بواسطة تنسيق قوانين عادلة تكفل لكل انسان حقه حتى

يعيش أهل البلاد وأبناؤها .فى أرغد عيش مثل الأمم المتمدنة .فى كافة أرجاء المسكونة والسعي فى منع جميع الاسباب التى تخل بالراحة العمومية أو تجلب على البلاد ما يشين .باسمها فى تاريخ العالم • بل لعتبر أهل البلاد جميعهم ومن فيها من الاجانب أخوة فى الانسانية لهم ما لنا وعليهم ما علينا ولا يتعرض أحد لهم بسوء • تلك هى المجتمعات التى كانت تحصل ، وليست فى تاريخ مخصوص

س ـ انت تنكر حلف هذه اليمين ، فاذا حضر الشيخ محمد عبده وغيره ممن كان حاضراً وقال بحصول ذلك أمامك ، فماذا تقول ؟

ج ـ لم يحصل انكار شئ ، بل ان ما أوضحته بجوابي هو شامل لما كان يحصل فى مجتمعاتنا مع تأكيده بالايمان الموثوق بها على عدم حصول الضرر لأمن الناس كما ذكر وكل ذلك حرصا على الراحة العمومية

س ـ مذ كان محمود باشا سامي رئيس مجلس النظار قبل واقعة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ بأيام قليلة طلبت السيد قنديل مأمور ضبطية الاسكندرية وحضر لطرفك ، فلماذا كان ذلك ؟

ج ـ لما حضر فرمان الرتبة التى أعطيت اليه طلبناه وسلمنا اليه ذلك الفرمان

س ـ ألم تنبه عليه بشئ فى ذلك الوقت ؟

ج ـ لم أنبه عليه بشئ

س ـ ألم ينبه عليه أيضا بشئ محمود باشا سامي بحضوركم فى مجلس النظار فى خزنة قاعة الجلسات

ج ـ لم يحصل ذلك ولم أكن موجودا فى الخزنة

حادثة الاسكندرية

س ـ لما حصلت واقعة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ وتعين

قومسيون لتحقيقها بالاسكندرية ، وكان من أعضائه وكيل الجهادية ، فبدلا من التنبيه عليه بالتمسك بالعـــــدل والإنصاف وعدم الميل لأى طرف كان ، نبهتم وأكدتم عليه بأن يجتهد في ابعاد التهمة والشبهة بقـــدر الامكان عن الأهالى والعساكر مع معلوميتكم ومعلومية الجميع انعساكر المستحفظين باسكندرية كان لهم مدخل كبير فى هـــذه المقتلة ، فمن تنبيهاتكم بهذه الكيفية لوكيلكم أعنى وكيل الجهادية يعلم ان وقوع هذه الحادثة اما أن تكون بأمركم أو بتعليماتكم

ج ـ هذه العبارة مختلقة لا أصل لها وان وكيل الجهادية ليس محتاجا لتعليماتي ولا يمكنه أن يساعد على غير الحق مهما كانت الحالة ، وأما ما ذكر من أن يكون ذلك حصـل بتعليماتي فمن أنا حتى تكون لى تعليمات بمثل ذلك فى جهة لم أحضرها ولم أشاهدها ؟ بل من تدبر كيفية سيرنا فى مدة ثمانية عشر شهرا ، وعرف ما حصـــل منى من التنبيهات والتأكيدات واعلاني لجميع الناس بحفظ الأمن العمومى علم علم اليقين انى أجتهد كل الاجتهاد فى حفظ الأرواح والاعراض والأموال حتى لا تسقط شعرة واحدة من رأس أى انسان حرصا على عدم تسويد صحيفة تاريخ المصريين • والحق انه لم يتنبه منا على وكيل الجهادية بشيء أبدا ، اذ هو غنى عنى فى مثل ذلك ، وكان طلبه على حين غفلة واستعجال

س ـ قلت انك لم تعط تنبيهات لوكيل الجهادية فى شأن هذه المسألة مع انه موجود جواب منك اليه مشتمل عـلى ذلك فستلوه عليك وقل لنا صدر منك أم لا ؟

(تلى علينا وها هى صورته)

« جهادية وكيلى سعادتلو أفندم

« بعد السلام على سعادتكم تعلمون أهمية مركز سعادتكم

الآن بالنسبة للجنة التحقيق فانه لا يخفى أن أعضـــاء اللجنة ليسوا جميعا ممن يهمهم شرف العسكرية والأمة وهذا يقضي بأخذ الاحتياطات الكلية في سياق التحقيـــق واظهاز منشأ الحركة ، فان المتداول على ألسنة الخاص والعام هنا ان الفاعل لهذا الأمر رجل مالطي من تبعة الانجليـــز تشاجر مع وطني وضربه بسكين وان جماعة من الأروام اجتمعوا للدفاع عن الوطن ، فتكاثرت عليهم المالطية وبعض الأوربيين وضربت عليهم النار من الشـــبابيك ، وعظم الخطب بتعدى الأوربيين على أنفسهم ، وأن الوطنيين الذين حضروا في وسط النقط انما كانوا يدافعون عن أنفسهم بالعصي · ولذلك لهجت الألســـنة بأن بعض الأوربيين انتهبت بعض الدكاكين · ولم يكن للوطنيين يد في ذلك ، فليكن اجتهـــادكم في الدفاع عن جانب الحكومة والأمة واظهار الفاعل الأصلي من الأجانب ، فقد قيل انّ المالطي المتسبب في الفتنة كان قبل ذلك مستخدما في قونصلاتو الانجليز · وهذه أمور نقدمها لتلاحظـــوها ولا تقبلوا كل ما يقال في جانب الوطنيين والحكومة من غير تدقيق وبحث طويل وتحقيق تعرفون صدقه وعدم تصنيعه ، ولا تميلوا بجانبكم لأحـــد من أعضاء اللجنة خشية أن تخدعكم أو تستميلكم لأمر ظاهره الاصلاح وباطنه الفساد، ولنا وثوق تام بأفكاركم ، وانما كتبنا هذا من باب التنبيه والاتعاظ لاقوال وأفعال من معكم من رجال اللجنة ، هذا ما يقتضى من جهة اللجنة والتحقيق ، وأما ما يلزم للمراقبة العمومية فيلزم أن تلاحظوا البلد وأخبارها وتتثبتوا فيما تسمعونه وترونه وتبادروا باخبارنا أولا فأولا عن جميع الاعمـــال والاكتشافات والمنظورات والمحذورات التي ترونها ممـــا يظهر لكم من الحوادث ، واعلموا ان الحزم في الأمور يرشد بحسن العاقبة وصدق العزيمة يوصل الى المقصـــود ·

والعاقل من احترس من صديقه قبل عدوه ، والرجل الحربي من لا يخدعه السياسيون ولا أعمال المنافقين . والله يرشدنا واياكم لما فيه حفظ العباد وسلامة البلاد

في ٢٨ رجب سنة ١٢٩٩

« ناظر جهادية وبحرية »

« أحمد عرابى »

ج ـ نعم صدر مني هذا الجواب الذى هو عبارة عن الأخذ بالحزم في اظهار الحقيقة والعمل بالحق وليس فيه ما ينكر عليه

س ـ لما حصلت الواقعة المذكورة طلب محافظ البلد مرارا عديدة من الآلايات الموجودة هناك إمدادات ولم يجيبوا فى وقت الطلب حالا حتى تمكن الاشقياء من قتل أناس كثيرين خصوصا قتل جم غفير من الأوربيين أمام الضبطية والمشاع فى ذلك الوقت أن هذا من تداخل عساكر المستحفظين في القتل . وحيث أنك كنت ناظر الجهادية في ذلك الوقت ولا بد أنه بلغك ما قيل فى حق العساكر ، فان كان لم يكن لكم مدخل فى هذه الواقعة لماذا لم تتثبتوا فى التحرى والحصول على معرفة ضباط الآلايات الذين تأخروا في اجراء مأموريتهم وعساكر المستحفظين الذين قيل انهم اشتركوا فى هذا الأمر بصرف النظر عن اللجنة التى تشكلت فى ذلك الوقت من طرف الحكومة بالاسكندرية للنظر فيما حصل من الأهالى المتهمين فى تلك الواقعة

ج ـ أن ما ذكر من نسبة عساكر الآلايات للتأخير عند طلبهم بمعرفة محافظ الاسكندرية لم يبلغنى ولم أسمع به الا من فم سعادتكم في هذا الوقت ، بل المذكور فى الجرائد الأجنبية نفسها ان عساكر الآلايات أدت ما يجب عليها من الغيرة والشرف فى تدارك هذا الأمر وحفظ حالة البلد

ولذلك جميع الألسن كانت تثنى على عساكر الآلايات وضباطهم ، ولو كان لذلك أصل لكان المحافظ حرر للجهادية بما حصل من التقصيرات حتى على مقتضى تحرره تجرى محاكمة المتأخرين • وأما ما نسب للضبطية وعساكر المستحفظين فلا حق لسؤالنا عنه اذ آن ادارتهم ليست تابعة لنظارة الجهادية

مسئولية ضرب الاسكندرية

س ـ حيث انه صدر لك أمر من الحضرة الخديوية ومن الحضرة السلطانية بابطال التجهيزات والطوابى وزيادة وضع المدافع بها ، فلماذا لم تمتثل لهذه الأوامر واستمر العمل فى التجهيزات ، حتى ان جناب الأميرال سنيمور لما شاهد وضع مدافع زيادة عما كان موجودا طلب تنزيلها ولاصراركم على عدم الاصغاء للأوامر نشأ عن ذلك الضرب على طوابى الاسكندرية ؟

ج ـ انه على حسب العادة السنوية كنا نجرى ترميم بعض طوابى الاسكندرية ، ولما ورد تلغراف من الحضرة السلطانية الى الحضرة الخديوية بناء على تبليغات سفير انجلترا بالآستانة بابطال انشاء وتجديد استحكامات اسكندرية ، اذ يعد ذلك تهديدا للمراكب الحربية الانجليزية وصدر أمر الخديو بذلك ، ففى الحال أوقفنا الترميمات وتعين من لزم من رجال المعية لمشاهدة وقف العمل • ولما تحقق ذلك كتب للآستانة بذلك من المعية ، ولم يكن حصل اصرار وعدم سماع كما قيل ، حتى أن الطوابى الموضحة بافادة الأميرال سيمور بأنه جار وضع مدافع بها قبل الضرب بيوم واحد لم يسبق وضع مدافع على بعضها منذ انشائها فى مدة المرحوم محمد على باشا ومن ضمن ذلك طابية صالح التى لم يكن بها شىء من الاسلحة الجديدة أبدا ،

وطابية باب العرب ، وطابية قائد بك التى هى على بعد زائد فى وسط البحر .

س ـ لغاية أى ساعة استمر الضرب من المراكب على الطوابى فى يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وأين كنتم فى اليوم المذكور ؟

ج ـ ضربت الاسكندرية فى ١١ يوليو الساعة ١٢عربي صباحا ، وعلى مقتضى قرار المجلس المشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية لم تصر مجاوبة المراكب من الطوابي الا بعد اطلاق نحو ١٥ طلقة وبعدها حصلت المجاوبة من الطوابى واستمر الضرب من الطرفين الى الساعة ١٠ونصف عربى من النهار ، وفى أثناء ذلك كنت فى طابية الدماس لارتفاعها ولمناظرة الجهات منها

س ـ هل بقيت فى الطابية المذكورة لغاية الساعة ١٠ ونصف حتى انتهى الضرب ؟

ج ـ نعم

س ـ من كان قومندان العساكر بالاسكندرية في أثناء واقعة ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ؟

ج ـ كان القومندان طلبه باشا عصمت

س ـ هل تعين لهذه الوظيفة بأمرك أو بأمر من كان ؟

ج ـ طلبه باشا كان قومندانا على العساكر البرية الذين توجهوا من مصر الى الاسكندرية عقب حادثة ١١ يونيوسنة ١٨٨٢ لأجل حفظ البلد . وحيث وجد هناك ، وكانت مأموريته حفظ البلد فصار قومندانا على جميع العساكر البرية ، وأما الطوابى فكانت تحت قومندانية اسماعيل بك صبرى

س ـ لما توجه للمكالمة مع جناب الأميرال سيمور ،فبأى صفة توجه ، هل بصفة قومندان الثغر ؟

ج ـ بصفة كونه قومندان العساكر البرية

س ـ هل تعيينه بهذه الوظيفة منكم كان شـــفاهيا أو كتابة ؟

ج ـ كان شفاهيا ؟

س ـ في أي يوم رفع العلم الأبيض من الطوابى ، هل في أول يوم الضرب أو في ثاني يوم ؟

ج ـ في اليوم الثانى عند ابتداء الضرب

س ـ في أى ساعة ؟

ج ـ فى الساعة الواحدة تقريبا

س ـ هل كان هذا بأمرك ؟

ج ـ رفع البيرق الأبيض عند اطلاق مدافع من المراكب الانجليزية كان بناء على قرار من مجلس النظار وغيرهم من الذوات تحت رئاسة الخديو بحضور دولتلو درويش باشا رئيس الوفد العثمانى

س ـ أين قضيت ليلة الأربعاء ؟

ج ـ فى باب شرقى

س ـ فى غرفة من ؟

ج ـ فى غرفة حكمدار الآلاى ، ولست متذكرا ان كانت غرفة سليمان بك سامى أو عيد بك

س ـ مع من ؟

ج ـ مع طلبه باشا عصمت

س ـ ألم يكن معكم أيضا فى تلك الليلة سليمان سامى وعمر رحمى ومحمود سامى وخلافهم ؟

ج ـ لم أكن متحققا من وجود أحد معنا فى تلك الليلة خلاف طلبه باشا

س ـ أين توجهتم فى ثانى يوم صباحا ؟

ج ـ حضر لى طلب من المعية فى الساعة ٢ تقريبا فتوجهت من باب شرقى للرمل

س ـ لأى شىء طلبت ؟

ج ـ طلبت لدى الخديو وسألني حينهـــا اذا كان رفع البيارق البيضاء صار أولا ، وعن الضرب الذى حصـل من المراكب ، فجاوبته انه صار رفع البيــــارق المذكورة ، واستمر الضرب من المراكب بعد رفعها من ٢٥ الى ٣٠ جله

س ـ هل حقيقة بعد رفع الأعلام البيضاء أطلقت ٢٥ جله من المراكب الانجليزية كما قيل منكم ؟

ج ـ نعم انما لم يكن اطلاق هذه الجلل من مركب واحدة بالتوالى ، بل من مراكب متعددة فى آن واحد

س ـ ما هو الزمن الذى مكثتموه فى الرمل ؟

ج ـ بقينا بالرمل الى الساعة ١٠ تقريبا حيث كان عقد مجلس النظار تحت رئاسة الخديو عن طلبـــات الأميرال سيمور بخصوص تسليم ثلاث قلاع الى العساكرالانجليزية لاتخاذها معسكرا للجيش الانجليزى، وتلك القلاع هى طابية المكس وطابية العجمى وطابية باب العرب وكان أرسل له حسب ما تقرر من لزم صحبة طلبه باشا لابلاغه ان الفرمان السلطانى لا يرخص للخديو بذلك وانه سيعرض للحضرة السلطانية عن تلك المقترحات

س ـ قيل فى أجوبتكم المتقدمة انكم توجهتم الى الرمل الساعة ٢ صباحا وبقيتم لغاية الساعة ١٠ أفلم تحضر من هناك فى أثناء هذه المدة لباب شرقى أو لجهة أخرى

ج ـ نعم فى منتصف تلك المسافة قبل انعقاد المجلس كنت توجهت صحبة سعادة راغب باشا رئيس النظـــار بعربته الى منزله ، وبعد مضى نحو ساعة أو ساعة ونصف عدنا سويا الى الرمل معا

س ـ القصد الافادة عما اذا كنتم حضرتم لباب شرقى قبل الساعة ١٠ أم لا ؟

ج ـ لم نحضر

س ـ علم من التحقيق انه فى يوم الاربعاء حضر لطرفكم

لباب شرقي سلطان باشا وسليمان باشا أباظه وشريعي باشا وياور من طرف دولتلو درويش باشا وحسن حسني بك ياور من طرف الحضرة الخديوية وهؤلاء الذوات حضروا لكم معا بالباب المذكور ليطلبوا منكم رفع كوردون العساكر الذي أحطتم به سراي الرمل ، فحضورهم لكم في باب شرقي كان في أي ساعة من ذلك اليوم وما أسباب وضعكم الكوردون حول سراي الرمل ما دام أصل الخفر المرتب للحضرة الخديوية كان موجودا هناك

ج ـ أظن أن حضور الذوات المذكورين كان في الساعة ١١ حالة كوني مشتغلا بنفسي في جمع العساكر المشتتة بوقت خروجهم من الاسكندرية ، وفي الوقت المذكور الذي كنت فيه بالرمل سألني الخديو عن عدم لزوم الاربعة بلوكات البيادة التي حضرت في ذلك اليوم الى الرمل لوجود الخفر الكفاية هناك ، وقال ان توجههم لتأدية خدمات لازمة أولى . وحيث انني لا أعلم حقيقة الأمر ولا ما هي الاربعة بلوكات المذكورة ، توجهت عند خروجي من المعية لجهة القشلاق المجاور لسراي الرمل ، وطلبت الضابط الموجود مع الأربعة بلوكات التي حضرت الى هناك ، فحضر الي ضابط برتبة صاغقول أغاسي ، وأظن ان اسمه علي هشيمه من ٦ جي آلاي ، فقلت له : « ما سبب حضور العساكر الذين حضرت بهم ؟ » فأجابني بأنه حضر بأمر حكمدار الآلاي سليمان بك سامي ، فقلت له : « لأي سبب ؟ » قال : « جئت لتقوية الخفر » فقلت له : « ان الخفر هناك كفاية فخذ العساكر وتوجه الى آلايك » وكنت راكبا عربة سعادة راغب باشا ، فلما قربت من الجبانة القريبة من باب شرقي وجدت العساكر والأهالي مختلطا بعضهم ببعض في ازدحام شديد خارجين من جهة وابور المياه ، فنزلت من العربة وصرت أتخلل الناس حتى وصلت الى باب شرقي وصرت

أوقف العساكر بنفسى وأمنعهم عن الخروج من الباب المذكور وأنهـــــاهم عن ذلك ، وما زلت كذلك حتى أتى حضرات الذوات المذكورين ، وأخبرونى بأن العســاكر منتشرة فى هيئة الكوردون حول السراى • ومن الواجب رفع الكوردون المذكور ، فدهشت حين سمعت بهذه العبـارة • وكان قد حضر طلبه باشا الذى هو قومندان العساكر فنبهت عليـه بسرعة التوجه لرفع ذلك والوقوف على أسبابه وقد توجه مع من ذكروا

س - يفهم من جوابك أولا ان الصاغقول أغاسى لم يصغ لأوامرك حيث أنك قلت له خذ العساكر وتوجه الى آلايك وبعد ذلك عمل الكوردون حول السراى • ثانيا ان جنـاب الخديو نفسه أمركم باعادة الاربعة بلوكات المذكورة وانت بالرمل ، ومن جوابكم علم انكم حضرتم من الرمل الى قشلاق باب شرقي ولم تصرفهم •• ثالثا اتضح من التحقيقـــات ومن أجوبة بعض من حضر ذلك من الذوات لبـــاب شرقى انك لم ترض برفع الكوردون الا بعد تكرار الرجاء والحاح ياور دولتلو درويش باشا ، فمن هنا يعلم أن أصل وضع الكوردون كان بأمركم ، اذ أن وجودكم بصفة ناظر الجهادية ووجود العساكر فى جهة واحدة لا يجعل أحدا يتصور أن أميرالايات الآلايات وضباطهم يتجاسرون على فعل أمر مهم مماثل لذلك بدون أمرك

ج - الأمر المهم الممــــاثل لذلك كنت أتولاه بنفسى ولا أرتكن فيه على غيري • ولكن الإنســـان مهما كانت قوته لا يمكنه حصر وضبط أفكار جميع الناس الذين معــــه خصوصا فى مثل هذا الوقت الصعب الذي كثيرا ما تذهل فيه العقول فكيف يقال انه لا يتصور وقــوع أمر من أحد حكمدارية الآلايات بدون أمر منى مع انى لست بضابط لأفكاره كما ذكر

واني كما أوضحت لا علم لى بأصل ارســـال البلوكات الى محلاتها • وتركته وتوجهت لرؤية الاشغال الضرورية • وأما القول بأن المخبر لى برفع الكوردون كان مع الترجى والالحاح ، فهذا لا حقيقة له بل بمجرد ما أخبرت وتمالكت نفسى من الدهشة أرسلت حالا معهم قومندان العســـاكر طلبه باشا كما ذكر • وحتى بعد عودته وسؤاله عن الكيفية أخبرنى انه لم يوجد هناك كوردون أصلا وقيل له انهـــم تفرقوا قبل وصوله

وعدت الى السجن فى وقت الظهر

ثم استدعيت من الســـجن ثانية ، ووجه الى الرئيس الأسئلة المحررة أدناه فأجبت عنها بما سيأتى :

س ــ حيث انك تدعى ان وضع هذا الكوردون كان بغير أمرك ، بل بأمر سليمان سامى ، أفلم تبحث عن أسـباب وضعه ، وماذا أجريت مع سليمان سامى بالنظر لوضـعه الكوردون المذكور من تلقاء نفسه ؟

ج ــ قلت فيما تقدم ان الصاغقول أغاسى آجاب بأنه حضر لتقوية الغفر ، وبحضور سليمان بك سامى بعد تجمـــع العساكر فى كفر الدوار ، أفاد بأن ارسال العساكر كان لتقوية الغفر ، وحيث ان كثرة أشغال المدافعـــة كانت شغلتنا جدا ، فلم يحصل تحقيـــق كيفية ارسال العساكر بغـير أذن وبالضرورة عند انتهاء الحرب تجرى محاكمة من يقتضى محاكمته .

س ــ من أجوبتك السابقة ، علم انك حضرت من الرمل فى الساعة ١٠ الى باب شرقى ، وذكرت ان العساكر كانوا وقتها مزدحمين وخارجين من باب شرقى ، فهـــل ترك العساكر محلاتهم وخروجهم من البلوكات بأمرك أو بأمر من ؟

ج ـ من أجوبتي المتقدمة يعلم انه بحضوري من الرمل وجدت العساكر خارجين من الاسكندرية الى جهة وابور المياه وانه بحضوري الى باب شرقي كنت أمنع العساكر بنفسي عن الخروج • فمن ذلك يعلم ان العساكر تركوا الاسكندرية بصورة هزيمة ، وفي الحقيقة ان قشلاق رأس التين هدمت منه محال كثيرة وجميع الطوابي أيضا • ولم يكن تجمع العساكر الا بعد المحاربة بأربعة أيام • ومعلوم صعوبة تجمع العساكر بعد انهزامهم ، حتى ان بعضهم توجه الى بلاده رأسا

س ـ قلت ان خروج العساكر من الاسكندرية كان بصورة هزيمة ، فالهزيمة كانت في أول يوم من المحاربة لا في ثاني يوم ، فلو كان ما قلته حقيقيا لحصل خروجهم في يوم الثلاثاء ، لا في يوم الاربعاء كما تقول

ج ـ في يوم الثلاثاء لم تحصل هزيمة أبدا ، والعساكر كانوا ثابتين في محلاتهم • وأما في اليوم الثاني بعد الضرب على الاسكندرية وعدم قبول ما أرسل به الى الأميرال الانجليزى ووجود جملة مراكب توجهت الى جهة برج السلسلة بقصد الضرب على جهة باب شرقي ، وبعد ضرب عدة طلقات على البلد ، خرج العساكر منهزمين ، وبحضورنا من الرمل كما تقدم وجدنا الحالة كما أوضحنا عنها • هذه هي الحقيقة

س ـ العساكر خرجوا اذن من تلقاء أنفسهم من غير أوامر منكم ..!

ج ـ نعم لأن المنهزم لا يحتاج لاستئذان • وقد قلت انه لم يمكن جمعهم الا بعد أربعة أيام

س ـ في وقت وجودك في باب شرقي ومنعك العساكر من الخروج ألم تر معهم منهوبات ، وألم يبلغك انهم كسروا الدكاكين ونهبوا البلد ؟

ج ـ ان المدة التى وجدت فيهـــا فى باب شرقى كانت لا تزيد عن نصف ساعة وكنت مشغولا بجمع العســـاكر ومنعهم عن الخروج، وفى أثناء ذلك شاهدت كثيرا من العربان والأهالى خارجين من باب شرقى حاملين أمتعة يظهر انهـا مأخوذة من دكاكين ، ووجدت مع بعض من أسافل ٦ جى آلاى بياده بعض أقمشة عند حضـورهم الى باب شرقى ، فصار استحضار حكمدار الآلاى سليمان بك سامى وأمرته بجمع الأقمشة الموجودة مع بعض عساكر آلايه وحفظهـا بقصد ايصالها الى المحافظة ، وحيث انه لم يمكن منـــع العساكر من الخروج ، لم أدر ماذا صار فى تلك الأقمشة

حرق الاسكندرية

س ـ ألم يبلغـــك فى ذلك الوقت انه جارى حـــرق الاسكندرية بمعرفة العساكر ؟

ج ـ بلغنى أن ســـليمان سامى بك حكمـــدار ٦ جى آلاى بعساكره جهة المنشية عازم على حرق البلد ، فأرسلت اليه بوجوب حضوره مع العساكر ، وسألته عن ذلك فكذب ما قيل

س ـ من الذى أرسلته اليه ؟

ج ـ لم أكن متذكرا

س ـ فى أى ساعة بلغك أن سليمان سامى عازم عـلى حرق البلد وفى أية ساعة أرسلت اليه طلب الحضور ؟

ج ـ فى وقت وصولى من الرمل الى باب شرقى

س ـ ممن بلغك ؟

ج ـ لم أكن متذكرا

س ـ لما حضر بطرفك هل حضر بالآلاى أم بمفرده ؟

ج ـ حضر ومعه بعض العساكر

س ـ فى أى ساعة حضر ؟

ج ـ الإرسال اليه وحضوره استغرق نصف ساعة فتكون طبعاً الساعة ١١ فى ذلك الوقت

س ـ ماذا أجريتم معه لما حضر ؟

ج ـ سألته عما نسب اليه من عزمه على حرق الاسكندرية ، فكذب ذلك كلية ، وقال انه كان موجودا مع العساكر لمنع خروج بحرية الانجليز الى البر من جهة الترسانة ، ولكن بعض العساكر الذين كانوا داخل البلد من الآلاى المذكور ، كان معهم بعض أقمشة كما تقدم

س ـ من كان حاضرا فى وقت الاستفهام من سليمان سامى عن عزمه على حرق البلد وجوابه اليك بالإنكار والتكذيب ؟

ج ـ كان حضوره وأنا واقف فى وسط العساكر مشتغلا بجمعهم وسألته أمامهم

س ـ القصد الافادة منكم صراحة عن أسماء الضباط الذين كانوا حاضرين فى وقت الاستفهام من سليمان سامى عن مسألة حرق الاسكندرية ؟

ج ـ لم أتذكر أحدا ممن كانوا موجودين من الضباط ذلك الوقت

س ـ بماذا اشتغلت فى الساعة ١١ لغاية الغروب من ذلك اليوم ؟

ج ـ فى أثناء تجمع العساكر تجمع منهم نحو الألف نفس تقريبا من ٤ جى آلاى حكمدارية عيد بك محمد و ٦ جى آلاى حكمدارية سليمان بك سامى ، وكانت قد حضرت المراكب جهة برج السلسلة التى يمكنها من هذا المكان الضرب على قشلاق باب شرقى بأكمله ، ويمكنها قطع خط الرجعة أيضا . وحيث لم يمكن توقيف حركة خروج العساكر المنهزمين توجهت خلفهم كى أصل الى مقدمتهم ، واتخذ لهم موقفا مناسبا لجمعهم فيه وأسرعت فى السير

حتى وصلت الى كوبرى حجر النواتيه الكائن على المحمودية، وكان وصولى الى هناك نصف الليل تقريبا

س - هل بقى معك سليمان سامى مع عساكره بعد حصول المكالمة بينك وبينه فى شأن حرق البلد فى الساعة ١١ ولازمك حتى حجر النواتيه أم رجع الى البلد ؟

ج - بعد أن علم عدم امكان توقيف حركة العساكر ، وكان من الضرورى جمع العساكر فى محل يأمنون فيه ، خرجت بمفردى مسرعا لأتخذ لهم محلا مناسبا كما ذكرت قبلا ، والعساكر الذين أمكن تجمعهم خرجوا مع ضباطهم وسليمان بك سامى حضر الى حجر النواتيه بمن معه من العساكر فى الساعة السابعة ليلا تقريبا

س - هل سليمان سامى هو الذى تأخر بآلايه ولم يحضر الى حجر النواتيه بعساكره الا فى الساعة السابعة أو كافة عساكر الآلايات أيضا تأخر حضورهم لتلك الجهة الى ذلك الوقت ؟

ج - العساكر الذين أمكن تجمعهم فى باب شرقى حضروا مع ضباطهم فى الوقت الذى حضر فيه سليمان بك سامى وما ذلك الا لكثرة ازدحام الطريق بالاهالى والعساكر وصعوبة المرور

س - ألم يبلغك ان سليمان سامى بعساكره حرقوا الاسكندرية ؟

ج - سبق الاجابة عن ذلك

س - اجابتكم السابقة كانت عن ابلاغكم عزم سليمان سامى على حرق البلد ، والآن هذا السؤال هو لمعرفة ما اذا كان بلغك أن سليمان سامى وعساكره حرقوا البلد بالفعل أم لا ؟

ج - لم يبلغنى ان سليمان سامى هو الحارق للاسكندرية حقيقة

س ـ حرق الاسكندرية لا ينكر فمن حرقها ؟

ج ـ محافظ البلد وضبطيتها يعلمان حقيقـــة الحرق • وانى كنت أظن أن حرقها ناشىء عن مقذوفات المراكب كما حصل بسراى رأس التين وغير ذلك لم يبلغنى شىء

س ـ قيل فى جوابك انك كنت تظن ، والآن فمن هو الذى حرق البلد على حسب ظنك ؟

ج ـ كنت أظن ولا أزال أظن ذلك حيـــث انى لا أعلم الحقيقة لانى ما كنت بداخل البلد

س ـ لما كنت فى باب شرقى هل كان محمـــود سامى هناك أم لا ، وان كان هناك ، فهل حضوره كان بنــاء على طلبكم أم من تلقاء نفسه وماذا فعل ؟ وألم يخبركم بشىء من جهة الحريق ؟

ج ـ وقت حضورى من الرمل وجدت محمود باشاسامى وسألته عن أسباب حضوره ، فقـــال حضرت حين بلغنى مسألة الضرب على الاسكندرية لأنظر الحالة ، فتركته يجمع العساكر ، ولم أكن متذكرا انه قال لى شـــيئا عن مسألة الحريق

س ـ ألم يقض محمود سامى معكم ليلة الأربعاء فىغرفة سليمان سامى ؟

ج ـ لم أنظره فى تلك الليلة

س ـ ولا محمود فهمى ولا عمر رحمى ولا ســـــليمان سامى ؟

ج ـ تقدم انى ذكرت انه لم يبت معى فى تلك الليلة الا طلبه باشا

س ـ قلت في احدى أجوبتك السابقة انك قضيت ليلة الاربعاء فى غرفة أميرالاى الآلاى المقيم بباب شرقى وانك لم تكن متذكرا ان كانت الغرفة المذكورة هى غرفةسليمان سامى أو غرفة عيد بك فمن حيث انك قضـيت الليلة فى

غرفة أحدهما طبعا صاحب الغرفة نام معكم فيها فأيهمـا كان ؟

ج ـ انه لا يكون في باب شرقي على العموم غرفة مختصة لاقامةحكمدارية آلاى الا الغرفة المذكورة ، لأن أصل المحل مخصوص لآلاى واحد وكان موجـودا فيه في هذا الوقت آلايان بياده ولذلك لم أعلم صاحب الغرفة من منهما ،وقلت انه لم يكن معي خلاف طلبه باشا • وأما الميرالايات وجميع الضباط والعساكر فكانوا واقفين تحت السلاح على شاطىء البحر في النقط التى كانت معينة لهم

في الحرب

س ـ بعدانسحابكم بالعساكر منالاسكندرية وتوجهكم لجهة كنج عثمان في أواخر شعبان صدرت لكم ارادة سنية ها هي صورتها منسوخة بهذه

« صـــورة الأمر الكريم الصادر الى أحمد عرابي رقم ٣٠ شعبان سنة ١٢٩٩ »

« اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونلمة الانجليزية علىطوابى اسكندرية وتخريبها انما كان السبب فيه اســتمرار الاعمال التي كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير اخفاؤها والكارها • والآن قد حصلت المكالمة مع الاميرال فافاد بان ليس للدولة الانجليزية مع الحـكومة الخديوية أدنى خصومة ولا عداوة ، وان ما حصل انما هو في مقابلة ما كان من التهديدات والتحقير للدونلمة ، وانه اذا كان بيد الحكومة جيش منظم وممتثل ومؤتمن ، فهو مستعد لتســليم مدينة اسكندرية اليها ، ولذلك اذا حضرت عساكر شــاهانية فالحكومة الانجليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة ، فقد تحقق من هــذا أن الدولة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية وانه تقرر من كافة الدول المعظمة بالمؤتمر بأنه لا يصير مس امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس حقوق الدولة العلية ، بل هي تبقى ثابتة لها كما كانت لاستتباب الراحة بمصر ؛ فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جمع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربية التى تجرونها بوصول أمرنا هذا وتحضروا حالا الى سراى رأس التين لاجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشاهانية على حسب امرنه هنا وما استقر عليه رأى مجلس النظار

فاطلعوا عليها وفيدوا عن وصولها اليكم أو عدمه وعن تاريخ وصولها اليكم

ج ـ وصل الينا هذا الأمر ، أما تاريخ الوصول فلم أكن متذكرا .

س ـ لماذا لم تنقادوا لأمر الحضرة الخديوية الصادر لكم بالصورة المتقدمة وتوجهتم للأعتاب السنية بناء عليه كباقى النظار .

ج ـ ان الحرب التى حصلت لم يسبق لها مثيل ، اذ هى خارجة عن حد القياس ، حيث ان الحرب المذكورة ما صار اجـــراؤها الا بمقتضى قرار من مجلس مؤلف من النظار والذوات المختارين تحت رئاسة الحضرة الخديوية وبحضور أعضاء الوفد العثمانى . فكان اجراؤها عـلى مقتضى الحق والقانون . ثم بعد خروج العساكر من الاسكندرية توجه الجناب الخديوى من سراى الرمل الى داخل الاسكندرية التى تركها أهلها والعساكر .

فلما بلغنا ذلك الأمر تحقق لنا ان انتقال جنابه العالى الى الاسكندرية مع حصول المناوشات الحربية بين مقدمات العساكر المصرية والعساكر الانجليزية، أما أن يكون لأخذه أسيرا ، واما لانحيازه الى الطرف المحارب لبلاده . فمـن أجل ذلك كتبنا لوكيل الجهادية يعقـــوب باشا سامى بما حصل للمشاورة مع رجال الحكومة فى هذا الأمر الذى لم يسبق له مثيل .

وبناء على ذلك صار عقد اجتماع عام من وكلاء الدواوين والمديرين والأمراء والعلماء وشيخ الاسلام والقاضى السيد السادات والسيد البكرى وأعيان التجـــار والعمد وغير هؤلاء ، وتشاوروا فيما بينهم فى هذا الأمر الذى دهم البلاد واستقر رأيهم جميعا على اعطاء قرار بعدم ســـماع أوامر الحضرة الخديوية وتوقيفها عن الأعمـــال ، حيث انه توجه

للطرف المحارب للبلاد وأعترضوا على ذلك تلغرافيا للحضرة السلطانية ببيان أسماء الشاهدين لذلك المجمع العام

. ومع ذلك لأجل الاحتياط والوقوف على الحقيقة أرسلت للحضرة الخديوية تلغرافا نطلب فيه صورة الشروط المنعقد عليها الصلح حتى نتمكن من الحضور لديه فلم يرد لى جواب بعدها

س ـ بعد صدور الارادة السنية المنسوخة صورتها بهذا وتليت عليكم ، حررتم تلغرافيا من طرفكم للمديريات رأسا بالاستمرار فى التجهيزات وجمع العساكر والمداومة على المحاربة وعدم سماع أوامر تصدر من خلافكم . وحررتم أيضا لوكيل الجهادية بهذا المضمون ولم يذكر له شيء فيما كتبتموه عن جمع من أوضحتم عنهم لأخذ قرار منهم كما تدعون ، فيعلم من ذلكعدم التفاتكم لأوامر الخديووالاصرار على جمع العساكر والمحاربة قبل صدور قرار ممن ذكرتم عنهم

ج ـ لقد قلت أولا ان هذه الحرب جرت على غير مثال ، وانه بعد خروج العساكر من الاسكندرية وخروج أهلها منها توجهالخديو الى الاسكندرية التى تبوأها الجيشالمحارب للبلاد خلافا للقاعدة القانونية والشريعة الاسلامية ، اذ انه كان الذى يلزم حضور جنابه الى مصر عاصمة البلاد وهناك تجيش الجيوش للحرب أو المخابرة فى الصلح . ومع صدور الأمر فى هذه الحالة ـ أى الانحياز الى العدو ـ لا يمكن لأى رئيس جيش العمل به بعد تحقيقه ، فربما يكون مرسلا من طرف العدو المحارب عن لسانه ، أو يكون مقهورا عليه ، اذ الحرب خدعة كما هو معلوم . ومن أجل ذلك أرسلت لجنابه طالبا ارسال صورة الصلح ، حتى يمكننى التوجه الى الاسكندرية . وقد كتبت للمديريات المذكورة بسرعة ارسال أنفار من الأهالى لعمل الاستحكام

واستمرار التجهيزات الحربية . وفى يوم ورود الأمر المذكور كانت المناوشة حاصلة بين مقدمات الجيشين الى الغروب ، فلو كان هناك صلح حقيقة لما كانت تحصل مناوشات بين المقدمتين ، فأى رئيس من أية ديانة كانت ، وفي أى بلاد كان مترئسا على جيش مدافع عن بلاده لا يمكنه أن يجرى خلاف ما أجريته فى حال وجود حاكم البلاد بطرف الجيش المحارب لها

س ـ ما هى المناوشة .. أوضح لنا معناها ، هل كان حصل ضرب نار من مقدمات الجيش أو كيف ؟

ج ـ نعم كانت مناوشات حصلت بضرب نار جهة كوبرى حجر النواتيه الكائن على المحمودية

س ـ كان ضرب النار من طرفكم أم من طرف الانجليز ؟

ج ـ من الطرفين

مسألة عزل عرابى والمهاجرين

س ـ لما لم تنقادوا للارادة السنيةالسابق نسخصورتها بهذا وتلاوتها عليكم ، وداومتم على المحاربة ، صار عزلكم من طرف الحضرة الخديوية ، وجرى اعلانكم بذلك ، فلماذا لم تمتثلوا لهذا الأمر أيضا ، ومنعتم أهالى الاسكندرية الذين كانوا حضروا منها الى جملة جهات من العود الى وطنهم

ج ـ تقدم انى قلت بجوابى انى أعرضت للخديو بطلب صورة من المصالحة للوقوف على الحقيقة وما كنت أجاب . وهذا لا يعد عدم امتثال بل بحث وراء الحقيقة، ولما ورد أمر العزل تذكرت انه من قبيل ذاك الأمر الاول حيث ان الخديو موجود بطرف الجيش المحارب لنا ولم أقف على حقيقة كما تقدم الذكر ، فأرسلته الى وكيل الجهادية للنظر فيه بالمجلس وافادتنا بما يستقر عليه الرأى . وانه لم يحصل ورود أحد من أهل الاسكندرية عائدا اليها حتى يصير منعه ، بل

الكل كان مهاجرا الى بلاد الأرياف مع غاية الازدحام .

س - التلغرافات التي حررت الى وكيل الجهادية بمنع سفر المهاجرين ألم تكن أنت الذى أصدرتها ؟ وقطارات السكة الحديدية التى قامت من مصر بالمهاجرين الى الاسكندرية وأنت أرجعتهم على رؤوس الإشهاد ألم تكن أنت الذى أعدتها من كفر الدوار ومن طنطا . فأفد عن ذلك؟

ج - أريد الاطلاع على صورة المكاتبة الصادرة منى بذلك وفى أى تاريخ للتذكر بالحقيقة .

س - بعد صدور أمر الخديو وأمر سعادة رئيس مجلس النظار بارجاع أهالى الاسكندرية الذين هاجروا قد صار نزولهم بعربات السكة الحديد وقامت بهم قطارات متعددة وقد أرجعتم بعضهم من كفر الدوار ، والبعض من طنطا ، وتوقف قيام وابورات لهم بعد ذلك من محطة مصر . ومن التلغرافات التى تليت عليكم الآن وصورتها محررة بهذا متضح انكم أنتم الآمرون بمنع عودة المهاجرين لأوطانهم، فأفدنا عن سبب اجراء ذلك وعدم اتباع ما صدر فيما ذكر من الحضرة الخديوية ومن رئيس مجلس النظار

« صورة تلغراف من يعقوب سامى الى عرابى فى ١٥ يولية سنة ١٨٨٢ »

« يوم تاريخه صدرت لنا ارادة سنية تلغرافيا منبئة عن تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين منها إليها ثانيا كما ورد لنا تلغراف من سعادة رئيس مجلس النظار عن تحسين الحالة أيضا وعودة المهاجرين الى اسكندرية ولو جبرا ، وصدر بذلك تلغراف من مأمور الضبطية أيضا وبناء عليه كتب بالاجراء ، فالآن وردت لنا الافادة من مأمور ادارة السكة الحديد بما يفيد أنه ورد له تلغراف من مأمور ادارة الجيش بكفر الدوار بأن سعادتكم ما أمرتم بذلك ، ومرغوب الافادة ممن هى هذه الاوامر ، والتنبيه على المحطات بعدم قيام القطرات ، كما كان جاريا وعدم التعرض لاشغال مماثلة لهذه الحالة ، وحيث لم يعلم عندنا من هو مأمور ادارة الجيش ، وقد أوضحنا الاوامر الداعية لاعادة المهاجرين ثانيا وليس معلوم لنا الآن نتبع أى أمر،فنؤمل النظر فيما توضح وافادتنا سريعا عما يصير اجراؤه واتباعه فى هذا الخصوص »

« صورة تلغراف من مديرية البحيرة الى عرابى بكفر الدوار »

« يوم تاريخه حضر لطرفنا باشجاويش مراسلة من طرف سعادتكم

واخبرنا بعدم رجوع أحد المهاجرين الى اسكندرية والمديرية ما عندها علم بهذا الامر . هل الامر صادر لمحطة السكة الحديد ، ولهذا قد صار توقيف سير الوابورات المتوجهة بالمهاجرين الى اسكندرية تحت صدور ما ترونه سعادتكم »

ج ــ انى لم آمر بارجاعهم أصلا وان الجاويش المذكور بتلغراف البحيرة لارجاع المهاجرين لم يرسل من طرفى أصلا وما كان هناك اقتضاء لارسال جاويش مخصوص بدون مكاتبة ، اذ كان من الممكن مخابرة المديرية بواسطة التلغراف ، ومن التلغراف الذى أرسل الى وكيل الجهادية ردا للتلغراف المحرز منه الينا ، لا بد تعلم الحقيقة

انقضت الجلسة وعدنا الى السجن فى ٢٩ القعده سنة ١٢٩٩

تلغرافات بعضها صحيح وبعضها مكذوب

وفى يوم الجمعة غاية القعدة سنة ١٢٩٩ طلبت من السجن لاتمام استجوابى فحضرت ووجه الرئيس الى الأسئلة الآتية فأجبت عنها :

س ــ قلت بالأمس انك لم تنبه باعادة المهاجرين وعدم ارسالهم الى الاسكندرية ، ولم ترسل جاويشا الى مدير البحيرة لاخباره بذلك ، مع انه يوجد تلغراف جفر مختوم منكم لوكيلكم (الجهادية) وجرى ترجمته ، وها هو الاصل والترجمة اطلع عليهما وأفد عما اذا كان صدر هذا منكم أم لا ؟

صورة التلغراف لسعادة وكيل الجهادية بمصر

« قد علم تلغراف سعادتكم الذى فيه أنه صدرت ارادة سنية تلغرافية لكم مبينة فيها تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين منها اليها ثانيا ومثله أيضا من سعادة رئيس مجلس النظار ومزيد ليه بأن يصير اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانية ولو جبرا وحيث الامر كما ذكر فاخبر

سعادتكم أن اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا يترتب عليها ضرر عظيم اليهم لانها مشغولة
٦٧ ٤٧ ٩١ ٦٥ ٣٧ ٨٧ ٦٥ ٣٩ ٦٥ ٢٥ ٣٧ ٢٩ ٨٩
وجاريين ٦٥ ٣٩ ٣١ ٦٩ ٣٧ بمن يدخل فيها وها هو أعلنا سعادتكم بالحقيقة ٢٧ ٣٩ ٣٧ ٥٥ ٣٩ ٦٥ ٦٩ ٢١ ٨١ ٢٧ ٦٥ الا على ٢١ ٦٥ ٥٥ ٩٧ ٨١ ٨٧ ٢١ ٢٥ ٦٥ ٣٩ ٣٧ ٢١ ٣٩ ٣٧ ٣٩ ٢١ ومأمور ادارة الجيش بكفر الدوار الذى تستفهمون عنه هو حضرة خليل بك كامل

في غاية شعبان سنة ١٢٩٩ الساعة ٥ والدقيقة ١٠ نمرة مرور ٤٢

ناظر الجهادية
أحمد عرابى

صورة حل الجفرة المذكورة

« قد علم تلغراف سعادتكم الذى فيه أنه صدرت ارادة سنية تلغرافية لكم منبئة على تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين اليها ثانيا ومثله أيضا من سعادة رئيس مجلس النظار ومزيد فيه بأن يصير اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا يترتب عليها ضرر عظيم اليهم لانها مشغولة بعساكر الانجليز وجاريين الفتك بمن يدخل فيها وها هو قد أعلنا سعادتكم بالحقيقة ولكن لا تعتمدوا الا على ما يصدر منا لكم للبعد عن ضرر الاهالى ، ومأمور ادارة الجيش الذى تستفهمون عنه هو خليل بك كامل

وعليه اشارة بامضاء أحمد منيب يفيد بأن هذا التلغراف صار حله من مفتاح حضرة عمر بك رحمى

ج ـ نعم صدر منى هذا التلغراف بعد الاستعلام من وكيل الجهادية عن عدم ارسال المهاجرين

س ـ صدر لكم تلغراف من دولتلو سعيد باشا رئيس مجلس النظار وخارجية الآستانة المنسوخة صورته بهذا وتليت عليكم صورته يعرض محرراتكم على الأعتاب السنية الشاهانية وصدر الأمر الهمايونى بتفهيمكم ما هو آت وهو:

« ان سوء فعلكم قد أوجب هيجان الأمة المصرية وأوجب تكدير خواطر كافة دول أوربا وخصوصا دولتنا العليـــة واشغال كافة الوزراء والسياسيين، وليته فعل حسن تتبادل به الأفكار لثروة مصر ورفاهيتها ، لكن من سوء الحظ سبب نتيجة الدمار والخراب لغايتكم الشخصية ، هذا وحيث انكم

معزولين من تاريخ ٤ رمضـــان سنة ١٢٩٩ بأمر الحضرة الخديوية الفخيمة ، وقد وقع لدينـا هذا العـــزل موقع الاستحسان والقبول ، فمخالفتكم حينئذ لهذا الأمر وباقي ما يصدر لكم من الأوامر الخديوية ، واقدامكم على سوءالفعل الموجب لدمار البلاد وتلف العباد، مما قيد بالأفكارالسامية عصيانكم وخروجكم عن طاعة الله ورسوله وخليفتـــه فى أرضه .. ومن كان هذا الأمر فعله ، فسيرى هو ومن تبعه سوء عاقبته وغاية منقلبه »

فهل صدر لكم هذا ووصلكم ؟

ج ـ لم يصلنى ولم أر هذا التلغراف الا مختلقا لأنه لم يكن بينى وبين الباشا المشار اليه مكاتبة أصلا

س ـ هل لم يرفع منك شيء لرئيس النظار وناظر خارجية الآستانة المشار اليه وكم دفعة رفعتم اليه ؟

ج ـ رفعت للمابين الهمايونى ليس للصدر الأعظم

س ـ مرفوعاتكم كانت باسم من فى المابين الهمايونى ؟

ج ـ ان مرفوعاتى كانت الى بسيم بك من قرناء الحضرة السلطانية

س ـ كم دفعة أعرضت اليه ؟

ج ـ أتذكر انها مرة واحدة

س ـ بأى مضمون ؟

ج ـ بمضمون ما حصل باسكندرية من الحرب وخروج العساكر وتجمعها بجهة كفر الدوار ، وتوجه الخديو الى الاسكندرية عقيب اخلائها من العساكر

س ـ ألم تطلب فيما أعرضت عزل الجناب الخديو ؟

ج ـ لا ...

س ـ تذكر جيدا

ج ـ لست متذكرا

س ـ قلت ان الذى قدمته للحضرة السلطانية هو دفعة واحدة ، والحال انه وجد الآن ثلاثة تلغرافات محـــررة

منكم الى بسيم بك من قرناء الحضرة السلطانية خلاف ما يوجد من التلغرافات المماثلة لذلك بعد الثلاثة تلغرافات المذكورة ، متضمنة القدح والذم فى حق الحضرة الخديوية، وتتهمه بأمور غير حقيقية وتتهم عساكر دولة الانجليز أيضا بما لا يقع منهم مثل القتل والفتك بالاهالى وما أشبه من هذه الأقوال ، كما هى الصورة المحررة أدناه التى تليت عليك وصار اطلاعك عليها :

صورة تلغراف بتاريخ غرة رمضان سنة ٩٩

« فى يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ٩٩ ابتدأت الانجليز بالضرب بمدافع الدونمه على الاسكندرية واستحكاماتها والضرب تسبب عن طلبات من الأميرال الانجليزى . وبلغت الى حضرة الخديو وهو عرضها على مجلس النظار الذى عقد تحت رئاسته بحضور دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية وكثير من ذوات البلاد . ولما تحقق عند جميعهم ان الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن الدولة العلية قر رأيهم على معارضة طلب الأميرال ، ولو أدى ذلك الى الحرب ، وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور بلزوم المدافعة ، وأن لا تطلق المدافع من جهاتنا الا بعد اطلاق ٥ مدافع من السفن الانجليزية

« وحين ابتدأت السفن بالضرب على مدينة الاسكندرية لم تقابلها الطوابى الا بعد ٢٠ طلقة حالة كونها على غير استعداد لاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد ، فبهذه الاسباب تعتبر هذه المحاربة واجبة بوجه الحق والشرع حيث انها صادرة من الانجليز ظلما وعدوانا ، وان العساكر المصرية الشاهانية ثبتت غاية الثبات فى مراكزها وبذلت غاية جهدها مدة الحرب التى استمرت نحو عشر ساعات ونصف الى آن تخربت الاستحكامات ومدينة الاسكندرية

هدما وحرقا من مقذوفات السفن ذات المواد الالتهابية

ثم تأخر الجيش خارج المدينة فى موقع يصلح للقتـــال برا ، وفى حال القيام من المدينة دخل اليها الخديو بحرمه وحاشيته وبرفقته درويش باشا وانزل حرمه فى البحـر وأظهرانحيازه للانجليز وترتب الحرس عليه وعلى القرهقولات من عساكر الانجليـز ، واتخذ المصريين والجيش الشاهانى أعداء له وأرسل رسله الى المهاجرين ينــــادونهم بالصلح ويحثونهم على العود الى المدينة وبعد أن دخل بعضهم صار الانجليز يقتلون ويبطشون بهم وبالعســـاكر المصرية الشاهانية الذين كانوا غفراء عليه ثم صـــدرت أوامره الى المديريات بحصول الصـــلح وترك جمع العســـاكر ، والتجهيزات الحربية فكان أمره كأمر باى تونس ســواء بسواء وقد تحقق ما كنا عرضناه على الحضرة الفخيمـــة السلطانية ، فنرجو عرض ذلك على جلالة أمير المؤمنـــين نصره الله »

صورة تلغراف بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٢٩٩

« أشكو بثى وحزنى الى الله وأرفع لسدة أمير المؤمنـين ما حل ببلادنا من تواطؤ الخديو مع الانجليز وميل دولتلو درويش باشا كل الميل الى تعضيد الخديو حتى بعد تحقق انحيازه الى الانجليز ومرافقته له حين توجه اليهم بعد خلو مدينة الاسكندرية من العســاكر مع انه كان الواجب على دولته ذمة وديانة أن ينصح للخديو أن يتـــوجه معه الى العاصمة مقر الحكومة ليكون خلف الجيش لا أن يتركا جيش الاسلام الشاهانى وينحازا الى جيش العدو المحارب للبلاد، فمما ذكر يتضح جليا أن العدوان الذى حصل من الانجليز ما كان الا باتحادهما معهم ، ولذلك صدر اعلان من الأميرال الانجليزى مقتضاه انّ الخديو فوض له ادارة الاسـكندرية

مؤقتا ، فنؤمل عرض ذلك على عرش الحضرة الملوكانيـــه أيدها الله »

صورة تلغراف تاريخه ٨ رمضان سنة ١٢٩٩

« أعرض للسدة العلية السلطانية ان الشـــعب المصرى الشاهاني لما رأى اتحاد توفيق باشا مع دولة الانجليز على وقوع التفريق بيننا وبين متبوعنا الأعظم مولانا أمير المؤمنين لشق عصا الاسلام معاذ الله ، وتحقق له ذلك من الحـــرب التى أثارتها علينا الإنجليز بغتة ، اجتمعت كلمة أهل البلاد على حفظها والدفاع عنها وتسـابقوا للانتظام فى سلك الجهادية تطوعا حتى انتظم عندنا جيش عظيـــم جرار ، وكذلك تجمع من قبائل العربان كل شاكى السلاح ، وقد رتبنا العساكر والعربان في النقط المهمة وأصبحت قوتنا البرية عظيمة مع اعداد الذخيرة والمؤونة الكافية لهـــذا الجيش الشاهاني وفى كل وقت تنطق الألســنة العربية بالدعاء لأمير المؤمنين وتأييد شوكته والشعب بأجمعه واثق بأن العظمة الشاهانية تحل مشاكله التى جلبها عليه توفيق باشا . أما المدافعة عن البلاد وأهلها والحقوق السلطانية ، فهى من الواجب علينا ، وفي كل حال الأمر لمن له الأمر ، أفندم »

فهل يجوز لك الدخول فى الأمور السياسية والعرض للحضرة السلطانية بأشياء مماثلة لذلك ؟

ج – من المعلوم أن الانسان لا يمكنه أن يحصى جميـــع أعماله ولذلك قلت انى لست متذكرا ارسال تلغــرافات خلاف تلغراف واحد الى المابين الهمايوني، وبرؤية التلغرافين الآخرين وجدت انهما مرسلان من طرفى بواقعــة الحال : أحدهما بوقت حضور العساكر الى كفر الدوار ، والآخــر بعد تقرير المجلس العام بمصر عن لزوم توقيـــف الخديو

وعدم سماع ما يصدر منه من الأوامر لمناسبة انحيـــازه للجيش المحارب للبـــلاد • وما كان عرض ذلك للمابين الهمايونى الا لكون البلاد تابعة للسلطنة العثمانية وأصبح حاكمها مع الجيش المحارب لها

س ـ من ضمن التلغرافات الجفـــرية التى حررتموها للسيد قنديل مأمور ضبطية الاسكندرية تلغراف قبل المقتلة التى جرت بالاسكندرية فى يوم ١١ يونيو ســـنة ١٨٨٢ ببضعة أيام • تقـــول له فيه أن يتحد مع سليمان سامى ومصطفى بك عبد الرحيم فى اجراء ما نبهتم عليه به ، فهل تتذكر هذا التلغراف ، وما هى التنبيهات التى كنت أجريت التنبيه بها على مأمور الضبطية المذكور

ج ـ لست متذكرا ذلك

عبد الله نديم

س ـ ألم يبلغـــك أن عبد الله نديم كان يتـــوجه الى الاسكندرية قبل الواقعة المذكورة ويجتمع مع الشـــبان ويلقى عليهم خطبا مهيجة ، حتى ان محافظ الاسـكندرية أراد أن يخرجه من البلد ويمنعه من ذلك ، ولانتساب نديم ومأمور الضبطية اليكم لم يحصل منعه ولا اخراجه ؟

ج ـ فضلا عن عدم ابلاغى ذلك فان عبد الله نديم المقول عنه ليس منسوبا الى ولا هو تحت ادارتى ولا أنا مسـئول عنه ، كما أن مأمور الضبطية بالاسكندرية كذلك

س ـ معلوم للعموم أن عبد الله نديم كان محرر جرنال الطائف الذى جميع عباراته منذ ظهوره مشتملة على تهييج الافكار ومحتوية على أكاذيب ، وصدور الجنـــرال المذكور كان فى معسكر كنج عثمان الذى كان مقيما فيه المحـــرر المذكور معكم فى مدة العصيان ، ولا بد أن ما حرره فى تلك الجريدة كان يجرى اطلاعك عليه يوميا ، فان كان الشخص

المذكور ليس منسوبا ومنتميا لك ، فكيف يمكنه الاقامة معك بالمعسكر والتجاسر على تحرير الجريدة المذكورة التى فضلا عما كانت تحتويه من التهييج والاكاذيب ، كما ذكر، فانها مشحونة أيضا بالطعن فى حق الذات الخديوية ودولة الانجليز الفخيمة وما يماثل ذلك ؟

ج ـ ان جرنال الطائف جار طبعه ونشره فى الحكومة من مدة زمانية ولم يصر قفله فى تلك المدة • أما عن اقامة محرره بالجيش أثناء المحاربة ، فليس لى حق فى منعه ، اذ أنه لو أتى أى محرر لأى جرنال من الجرانيل المحلية أو الاجنبية ، فلا حق لى فى منعه أيضا كما جرت بذلك عادة المحاربات • وأما اطلاعى على ما هو محرر بالجرنال المذكور يوميا فان كثرة أشغالى الدفاعية تمنعنى من الاطلاع على الجرانيل ، بل كانت تمنعنى عما هو أهم من ذلك .

س ـ قبولك لهذا الشخص واقامته معك بالمعسكر يستدل منه أن ما توقع من المذكور من تهييج الأفكار ضد الأوربيين بالاسكندرية كما هو معلوم للجميع ، ونشأ عن ذلك مقتلة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ كان بتعليماتك للمذكور واتحادك معه ، ولولا ذلك ما كان ينتمى اليكم وتحميه بالاقامة بطرفك حتى يتجاسر على تحرير جريدة مماثلة لتلك ، والآن لما علم بالقبض عليك وسجنك قد اختفى عن البصر بالكلية ، وهذا أعظم دليل على انتمائه اليك.

ج ـ توضح بجوابى المتقدم بشأن المذكور ما فيه الكفاية ولا مناسبة لسؤالى عن أعمال شخص بمجرد وجوده بالجيش أثناء الحرب

حسن موسى العقاد

س ـ ألم يبلغك أيضا توجه حسن موسى العقاد الى

الاسكندرية قبل واقعة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ واشتراكه مع نديم فى تهييج الأفكار ؟

ج ـ لم يبلغنى ذلك

س ـ أما كان يتردد عليك حسن موسى العقاد بمنزلك وبالجمعيات التى كنت تجريها ؟ وألم تتوجه الى منزله مرارا ؟

ج ـ ان حضور المذكور الى منزلى لم يكن أكثر من غيره فانى فى أغلب أوقاتى ما كنت آتخلص من ازدحام الناس الوافدين الى منزلى . ولم يكن وفودهم بدعوة منى اليهم . وانى توجهت الى منزله فى مأدبتين مع وجود كثير من الأعيان والأمراء والعلماء . وبعد تناول الطعام توجهت لاشغالى كما جرت العادة

س ـ اذا كان حسن موسى العقاد المذكور ليس منسوبا لك أيضا مثل نديم ، فلماذا اختفى هو كذلك بعد أن صار سجنك ما دام انه ليس من الجيش ولا كان موجودا فى المحاربة

ج ـ يؤخذ من هذا السؤال انى أسأل عن كل من غاب من الناس ولم يوجد ، مع انى لست بمأمور عليهم ولا مسئول عنهم

حليم باشا الصدر الأعظم

س ـ هل كان بينك وبين عثمان باشا فوزى وكيل دائرة دولتو زينب هانم ألفة وتودد ؟

ج ـ ليس بينى وبينه معرفة ولا ألفة ولا اختلاط ، ولكن اتذكر انه حضر مرة مع من حضر من الذوات مدة اقامة الجيش بكفر الدوار ، وبسؤالى عنه قيل انه وكيل دائرة زينب هانم

س ـ ألم يحضر لك من الآستانة صورة حليم باشا وعليها خطه فى ظاهرها

ج ــ حضرت لى صورة مثل ذلك
س ــ لك بمفردك أو حضر لخلافك أيضا مثلها ؟
ج ــ حضرت لى صورة كما قلت ولا أعلم ان كان حضر لخلافي مثلها أم لا
س ــ كيف كان حضورها ومن الذى أحضرها اليك ؟
ج ــ لست متذكرا من أحضرها
س ــ ألم ترد اليك مكاتبات أو مراسلات من حليم باشا سواء كان بواسطة حسن موسى العقاد أو عثمان باشا أو خلافهما ؟
ج ــ ليس بينى وبينه مكاتبة ولا معرفة أبدا
س ــ ان كان كذلك فكيف يرسل لك صورة من طرفه؟
ج ــ جاءنى صور كثيرة من أناس لا أعرفهم أبدا ، ومن أوربيين فى بلادهم من غير سابق مكاتبة ولا معرفة معهم
س ــ ألم يبلغك ان كان جاريا تختيم عرضحال بواسطة حسن العقاد بطلب عزل الخديو وتنصيب حليم باشا ؟
ج ــ لم يبلغنى ذلك

سد قناة السويس

س ــ لما كنت بكفر الدوار هل صدر منك تلغراف الى كل من راشد باشا قومندان خط الشرق ومحمود فهمى باشا رئيس أركان حرب بردم قنـــــال السويس وسد الترعة الحلوة

ج ــ التلغـــرافات التى تداولت بينى وبين المســـيو دىلسبس تعلن وتؤكد احترام قنال السويس ما دام عـلى الحياد • ولم تتخذ فيه أعمال حربية ، فلغاية دخول المراكب الحربية الانجليزية فى قنال السويس وحصـــول الضرب منها فى نفس الاسماعيلية على العساكر التى كانت بجهــة نفيشة كان احترام القنال ما زال واقعا • وبعد ذلك حينئذ

اتخذ القنال المذكور ميدانا للحـــرب ، لنا الحق فى كل ما أمكن اجراؤه من الاعمال الحربية ، واذ ذاك تحرر لرئيس أركان حرب محمود فهمي باشا بتلك الجهة باتخاذ ما يمكن اجراؤه من التدابير الحربية وسد الترعة الحلوة ، وقد صار اعلان الموسيو دىلسبس بأن الحالة الحربية أجبرتنا عـلى ذلك لعدم احترام الانجليز لحياد القنال

س ـ لم تجاوب بشيء عما أمرت به في خصـوص ردم القنال !

ج ـ قد جاوبت بما لزم ولو أمكن ردم القنـــال من أى جهة كانت لوقف حركة المراكب الحـــربية لكانت الحالة الحربية تقضى علينا بتعطيله ما دام اتخذ ميدانا للحركات الحربية ولم تراع فيه حرية الحياد

س ـ هل التلغراف المحرر صورته أدناه الذى تلى عليك وصار اطلاعك عليه عينا صدر منك لسعادة قومندان الخط الشرقى بالتل الكبير ، وهذه صورته :

« قد وصل ليدى تلغراف سعادتكم وعلم ما به من جهـة الاقرار من طرفكم ومن طرف أمراء الآلايات على حفظ مواقع نقطكم الأمامية بفـــرض ان قوة العدو جسيمة الى آخر ما ذكر به ، وحيث ان ما قلتموه وقع عندى موقع القبول ، فنشكر لسعادتكم ولحضرات أمراء الآلايات عـــلى ذلك ، وهكذا مأمولى فى هممكم العالية للذب عن الدين ، والعرض والوطن ، هذا وما فعله الانجليز يبيح لنا سد الترعة الحلوة عن السويس ، واذا تهدد القنال زيادة على ذلك بأعمـــال حربية داخله أبيح لنا ردمه وسده ، لتعدى الانجليز عـلى حياده فباتخاذ سعادتكم مع سعادة رئيس عموم أركان حرب التدابير اللازمة يجرى ما فيه صالحنا وبالله نستعين ونسأله النصر على أعداء الدين بحرمة النبى الأمين ، فى ٤ شوال سنة ٩٩ ، أحمد عرابى نمرة ٧٢٧ »

ج ـ نعم صدر منى هذا التلغراف

س ـ ألم يكن بينك وبين أحد من رجال الدولة العلية الآستانة تعليمات أو مراسلات خلاف التلغـــرافات التى سـ ، عنها قبل هذا

ج ـ لم يكن بينى وبين أحد من رجال الدولة تعليمات ولا مكاتبات خلاف التلغرافات السابق ايضاحها

مجلس ادارة البلاد

س ـ الجمعية التى كان صار عقدها بمصر عقب عزلك كان تقرر فيها ارسال وفد لأجل كشف صـــحة الحال بالاسكندرية ، وهل كان الجناب الخديو والنظار محجوزين بطرف الانجليز وليسوا أحرارا فى أفعالهم ، كما تدعون. فهل رجال هذا الوفد لم يرجعوا عليكم ثانيا وأخبروكم أن الجناب الخديو والنظار ليسوا محجوزين ، ولا هم تحت سلطته ، بل هم فى حريتهم ، وأعطوكم نصائح بعدم ا. ـ ء ما كنتم ترونه من العصيان وعدم استماع أوامر الخديو أو كيف ؟

ج ـ لم يحصل ذلك من أحد منهـــم ، وان الوفد الذى أرسل الى الاسكندرية كان بقصد طلب النظـــار والحضرة الخديوية الى مصر اذا كانوا أحرارا فى أعمالهم . وقبـــل ذلك كنت لا أقدم على عمـــل ما من غير رأى ذلك المجلس المنعقد بمصر

س ـ أى مجلس الذى تقول عنه وما اسم هذا المجلس ومن الذى أحدثه ؟

ج ـ هو مجلس ادارة البلاد الذى صار اجتماعه بمصر للنظر فى أحوالها وصار تشكيله عقب الحرب باتفاق وكلاء الدواوين ، وهناك مجلس آخر بالجهادية المعبر عنه بالمجلس العرفى

س ـ بأمر من تشكل ؟

ج ـ باتفاق وكلاء الدواوين وبعض الباشوات الموجودين بمصر وموافقتنا على ذلك.

س ـ فى أجوبتك السابقة تدعى ان أهالى البلاد توسطوا بك انت وباقى الضباط أبناء جنسكم فى طلب تشكيل مجلس النواب لينوب عن الأمة ومنحتكم الحضرة الخديوية والدولة العلية ذلك ، فان كان العصيان الذى ارتكبته انت وباقى الضباط ضد الحضرة الخديوية والدولة العلية فيه أدنى موافقة للأمة المصرية كما تدعون ، فلا أقل من انك تستشير رأى مجلس النواب بدل الارتكان على وكلاء الدواوين ، وكم شخص من الباشوات كما أوضحت الذين أغلبهم لما سئلوا الآن أجابوا أن قبولهم الدخول فى ذلك المجلس هو فقط من التهديدات التى كانت تحصل منكم وممن ارتكب جنحة العصيان معكم من باقى الضباط ؛ فمن هنا يرى ان الأمة المصرية حاشا أن يكون لها مدخل فى هذا العصيان الواقع منكم أنتم ورؤساء بعض العساكر ، وان ما تحصلتم عليه من الذخائر والاستعدادات فى وقت العصيان ، كان بواسطة قوة الاسلحة التى أعطتها لكم الحكومة لحفظ أمنها وشرفها ، وأنتم أستعملتموها فى هذا الأمر الشنيع الذى أدى الى الخراب وقتل النفوس بدون وجه حق ، فافد عن ذلك

ج ـ ان المجلس الذى تشكل للنظر فى أحوال البلاد كان يزيد عن الأربعمائة نفس كما قلت أولا ، منهم البرنسات أعضاء العائلة الخديوية وشيخ الاسلام والقاضى والمفتى ووكلاء الدواوين والمديرون وقضاة الأقاليم وأعيان التجار وكثير من أعضاء مجلس النواب وغيرهم من أعيان وعمد البلاد وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود ، وانهم [illegible]زوا بلزوم اناطتى بالمدافعة عن البلاد حيث كنت موجودا صحبة الجيش فى كفر الدوار وجميع العساكر كانت موزعة

فى الثغور والمراكز الحربية ، وما كنت موجودا معهم فى المجلس ، فكيف يتأتى مع ذلك ان حضورهم كان بصورة تهديدية وكيف مع ذلك ينسب الينا رؤساء الجيش العصيان الذى تكرر لفظه بهذه المذاكرة ، مع انه لا توجد أمة من الأمم متصفة بالعدل والانصاف وتنسب الينا هذا العصيان المقال عنه ، اذ أن الحرب كان افتتاحها بمقتضى قرار مجلس مشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية واقراره مع ذلك ، بل الحق ان الحرب كانت شرعية قانونية ، ثم بعد ذلك قمنا بالمدافعة عن البلاد بمقتضى ذلك القرار الذى لا يمكن القدح فيه بوجه من الوجوه ، فالاسلحة صار استعمالها لما وجدت لأجله وهو الذب عن البلاد وحمايتها ، فكانت مدافعة شرعية على مقتضى ما تقدم ذكره

س ــ ألم يبلغك البيان الصادر من الحضرة السلطانية فى حقك بأنك من العصاة بسبب ما فعلته ؟

ج ــ لم يبلغنى ...

عريضة طلب العفو

س ــ بعد هزيمتك بالتل الكبير ورجوعك الى المحروسة حررت عريضة الى الحضرة الخديوية وأرسلتها مع رؤوف باشا وبطرس باشا وعلى الروبى بطلب العفو من لدن الحضرة الخديوية وانك مطيع ومنقاد لأوامرها العلية وبعد سفرهم ابتدأت ثانيا باتخاذ خطوط نار بالعباسية وطلبت مرعشلى باشا وأمرته بذلك ، هل يصح انه بعد العرض بالطاعة يحصل العصيان ؟

ج ــ التنبيه على مرعشلى باشا باستكشاف خط تحفظى على مصر كان قبل تحرير العريضة وتوجيه رؤوف باشا ومن معه . ولما رؤى عدم اللزوم صرف النظر وتحررت تلك العريضة

س ـ لما سئلت عن سبب حصر سراى عابدين بالعسكر في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ أوضحت فى أجوبتك السابقة بأن بعض أصحاب القضايا تبقى قضاياهم بالمجالس نحو العشرين سنة حتى يموت أصحابها كمدا ولا تنظر قضاياهم، ولذلك أردتم تشكيل مجلس النواب لينوب فى رؤية حقوق الأمة كما هو جار بالبلاد المتمدنة • والحال من سياق التحقيقات الحاصلة الآن قد علم انه بعد واقعة ٩ سبتمبر سنة ٨١ المذكورة توجهت أنت وعلى فهمي وعبد العال وطلبه ومحمد عبيد وجانب من الضباط لمنزل قدرى باشا مذ كان ناظر الحقانية وطلبتم منه اطلاق عنانى بك من السجن الذي كان متوقعا عليه بأمر المجلس المختلط ، ولما لم يوافقكم قدرى هددتموه ولم يتخلص منكم الا بتوجهه لطرف رئيس النظار وقتها وأنتم توجهتم فيأثره الى محمود سامي ناظر الجهادية وقتها وأخذتموه معكم وتوجهتم لطرف رئيس مجلس النظار لهذا الغرض ، فهل يقع ذلك من أحد يدعى انه يسعى في نيل العباد حقوقها ، ويريد التشبه بالبلاد المتمدنة

ج ـ الحقيقة غير ذلك ، بل الحق ان عنانى عمل وليمةفى الازبكية فرحا وسرورا بصدور الأمر بافتتاح مجلس النواب ؛ فبناء على ذلك جرى سجنه في الضبطية فى أيام العيد وكنا توجهنا مع من ذكروا للمعايدة على سعادة قدرى باشا كما جرت العادة في أيام الأعياد ، فذكرنا سعادته بمسألة العنانى بك وترجيناه فى اخلاء سبيله لأجل المعايدة مع أولاده وفيما بعد اذا كانت عليه قضية يحاكم بمقتضاها، فجاوبنا سعادته بأنه مسجون بالضبطية بأمر المجلس المختلط وسينظر فى أمره ، ولم يحصل تهديدات ولا يجوز أبدا إجراء تهديد لمثل هذا الفاضل ، هذا هو الحق

س ـ اطلع على أصل الجواب المحررة صورته أدناه

الواردة من سعادة قدرى باشا بأنه توقع ما ذكر بالسؤال السابق وأفد بما تقوله

صورة الجواب الوارد من سعادة قدرى باشا
المؤرخ فى ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٩٩

« الى سعادة رئيس القومسيون

« بناء على تذكرة سعادتكم الواردة يوم تاريخه المرغوب بها الاستفهام عما وقع من بعض ضباط العسكرية بشأن اطلاق مصطفى بك العنانى من السجن الذى كان مودعا فيه باذن المحكمة المختلطة بمصر فى مدة تقليدنا نظارة الحقانية، أفيد سعادتكم انه فى أول يوم عيد الاضحى الماضى حضر بمنزلنا وقت الظهر بعض ضباط الجهادية ، وفى مقدمتهم عرابى وطلبه وعلى فهمى ومحمد عبيد وآخرون معهـــم لا أعرف أسماءهم . ثم بدأ عرابى وبعده طلبة ومحمد عبيد بالكلام قائلين ان العنانى مسجون بأمر المحكمة المختلطـة بغير حق ويرغبون اطلاق سراحه من السجن حتما فى هذا اليوم ، وانهم لا يتوجهون الى منازلهم هم ومن معهـــم من الضباط ما لم يجر اطلاقه ، وتلفظوا بألفاظ تهـــديدية فأفهمناهم ان سجن المذكور لا بد أن يكون بمقتضى قرار صادر من المحكمة المختلطة ، كما ان الافراج عنه لا يكون الا بموجب قرار من المحكمة المختلطة أيضا فان المحـــاكم المختلطة لها قوانين وقواعد يجب مراعاتها ، ولا يجـــوز التعرض لها بأى وجه كان . فلم يقتنعوا بذلك وأصروا على طلبهم فأعلمتهم ثانيا أن تعرضهم لهذا الأمر مخالف للنظام العمومى فلم يلقوا سمعهم الى ما أبديته لهم ، بل خرجوا قائلين انهم ذاهبون الى ناظر الجهادية محمود سامى ليتوجهوا معه الى منزل دولتلو رئيس مجلس النظار ويطلبوا منه أمرا بالافراج عن العنانى ، وبعد خروجهم بادرت بالتوجه الى

منزل دولتلو رئيس مجلس النظـــار وأعلمته بما وقع من المذكورين ، وفى الأثناء حضروا بمنزل دولتــــه مع ناظر الجهادية وخاطبوا دولته فى اخراج العنـــانى المذكور من الحبس • هذا ما تذكرته الآن مما وقع من المذكورين فى ذلك ، وللمعلومية لزم الايضاح »

ج ــ اطلعت على الجواب المذكور وعلمت ما فيه من المبالغة التى لم تقع أصلا • واذا كان هذا الفاضل تكلم بما لم يقع منا فاظن ذلك لعدم تذكر سعادته حيث قد مضى مدة سنة تقريبا ولكبر سنه أيضا • والا لو كان متذكرا للحقيقـة لما بالغ هذه المبالغة لاننا لم نذهب مع ناظر الجهـــادية الى رئيس مجلس النظار ، ولأن العنانى بك لم يسجن بحكم من المحكمة المختلطة ، بل بأمر من الحكومة كما ذكر لسبب الوليمة التى أقامها فرحا وسرورا بصدور الأمر بافتتـاح مجلس النواب • ولو كان مسجونا بحكم المحكمة المختلطة كما قيل لما أمكن اخلاء سبيله وخروجه من السجن فى ذلك اليوم (١)

رئيس الحزب الوطنى

س ــ قد تعجب قناصل الدول من ادعائكم انكم أردتم حصول الأمن والراحة اللذين تكفلتم بهما لهـــم مع أنه لم يمض على ذلك سوى ١٥ يوما حتى وقعت مقتلة الاسكندرية الشنيعة التى حصلت فى ١١ يونيو سنة ٨٨٢ حالة كونك كنت ناظر الجهادية ، واتضح من التحقيقات تداخل بعض عساكر المستحفظين فيها ، كما وان عساكر الآلايات الذين كانوا بالاسكندرية لما دعوا من المحافظة للحضور لمنع تلك

---

(١) يلى ذلك أسئلة عمن هددهم عرابى وسجنهم من أعداء الثورة ، وهم أفراد قلائل • وقد أجاب عرابى عن هذا السؤال بأن سجنهم وقع بأمر مجلس ادارة البلاد

المقتلة لم يجيبوا طلب المحافظة بل تأخروا للغروب حتى تمكن الفاعلون من القتل والنهب ، وبذلك نزع من العموم الأمن الذى قلتم انكم تكفلتم به· ثم ألم تعلموا أنه بالممالك المنتظمة ووجود الحضرة الخديوية بمقر الحكومة ، لا يجوز وجود أحزاب حتى تمضوا تلك المكاتبة بصفتكم رئيس الحزب الوطنى ، فهل تصرح لكم من الحضرة الخديوية بذلك· وان كان لم يتصرح لكم فهل جعل نفسكم رئيسا لحزب داخل الحكومة لا يعد عصيانا · وان كنتم ترتكنون على عدم وجود وظيفة لكم وقت تحرير هذا الجواب أفما كان يمكن أن توضعوا فى الامضاء ناظر الجهادية سابقا كالجارى فيمن يرفتون من مأمورى الحكومة

ج ـ من المعلوم بداهة أن مصر مأهولة بأجناس مختلفة وعناصر متنوعة وكل عنصر منهم يعتبر نفسه حزبا ، كما أن أهل البلاد هم حزب قائم بذاته يعتبر عند الآخرين منحطا عنهم،ويطلقون عليه لفظ فلاحين،اذلالا لهم وتحقيرا· أولئك هم الحزب الوطنى وهم أهل البلاد حقيقة · وحيث انهم أنابونى عنهم فى طلب ما يكفل لهم الحرية وحفظ الحقوق ، وكنت أنا القائم بطلب ذلك ولم تكن لى صفة فى الحكومة فى ذلك الوقت فوضعت امضائى بذلك لما لى من حق الرئاسة على الحزب الوطنى وليكون ذلك ادعى لاجتناب ما يخل بأمر الراحة العمومية · ولا يعد ذلك عصيانا لأن كل أمة من الأمم المتمدنة الراقية فيها أحزاب مختلفة قائمون بحفظ حرية بلادهم ، والمدافعة عن حقوقهم · وأما حدوث مسألة ١١ يونيو سنة ٨٢ بالاسكندرية فتلك مسألة يقصد منها تجريح أعمالنا الوطنية فى نظر أوربا ، وأما ما كان يلزم لحسمها وتداركها فقد أوضحنا عنه بالاجوبة المتقدمة · ومع ذلك فان التنبيهات والتحذيرات لا تغنى عن القدر شيئا · وما هى الا صادرة عن أفكار تطرأ على الانسان

فيبلغهـــا احتراسا مما عسى أن يقع كما جرت بذلك عادة الانسان وما قدر لا بد واقع

نائب الأمة

س ـ قد تكرر منك القول بالافتراء بأنك نائب عن الأمة فابرز الحجج التى بيدك تثبت لك هذه النيـابة ، اذ الأمة نوابها موجودون وهم أعضاء مجلس شورى النواب المعلومون رسميا للعموم وانت لم تكن منهم

ج ـ هذا السؤال تقدم في صدر أجوبتي بهذه المذاكرة التي يتضح منها أن مجلس النواب هذا ما أنشىء الا بطلبي وما حفظ الا باهتمامي به ، والا كان نصيبه نصيب سابقه الذى أنشىء في زمن الخديوى السابق للاقرار على ضمانة الخزينة المصرية لدين المرابين من الأوربيين الذى قدره مائة مليون وواحد من الجنيهات ثم ارفض وقبر فى وقته

استفتاء لعزل الخديو

وفى ١٠ الحجة طلبنى المجلس ، وأجبت على أسـئلته الآتية :

س ـ قد وجد فى الأوراق التى ضبطت ورقة محـرر فيها صورة سؤال استفتاء من العلماء عن جواز عزل الخديو لأسباب تمويهية مخترعة فى تلك الصورة، فها هى الورقة المذكورة اطلع عليها وأفد

صورة الاستفتاء المذكور

« ما القول فى حاكم ولى من طرف سلطان المسلمين على أن يعدل فى الناس ويقضى بأحكام الله ، فنقض العهـد وأحدث الفتـن بين المسلمين وشق عصاهم ، ثم انتهى به الأمر الى أن اختار ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين وطلب من الامم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم

فى بلاد حكومته الاسلامية وأمر رعاياه أن يذلوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية ، وبذل عنايته فى المدافعة عنها • ولما دعاه المؤمنون للرجوع عن ذلك أبى وامتنع ، وأصر على الخروج عن طاعة السلطان والمروق من الشريعة، فهل يجوز شرعا أن يبقى هذا الحاكم حاكما حتى يمكن قوة الأجانب من السلطة فى البلاد الاسلامية ، أو يتعين فى هذه الحالة عزله واقامة بدل له يحافظ على الشرع ويدافع عنه ، أفيدوا الجواب »

ج ـ اطلعت على الورقة المذكورة ولم تكن بخطى ولا كانت بطرفى

س ـ هل لا تعلم بها كليا ؟

ج ـ لا أعلم بها كليا

س ـ هل تعرف الخط المحرر بها هو خط من ؟

ج ـ لا أعرفه خط من

س ـ هذه الورقة ضبطت ضمن الأوراق التى ضبطها عساكر الانجليز من منزلكم ووردت بالقومسيون من طرفهم مترجمة بظاهرها بالانجليزى كما صار اطلاعكم عليها ، فاذا لم يكن لكم معلومات بها فكيف توجد بمنزلكم ؟

ج ـ يمكن انها وجدت بالمنزل من ضمن الأوراق ولا يبعد أنها كانت مع أحد الناس وتركها على الترابيزة التى عليها الأوراق

س ـ فى مدة أيام سقوط وزارة محمود سامى كنتم جارين تحرير محاضر بمنزلكم بعزل الخديو وجارين احضار الأهالى والعلماء لتختيمهم عليها بالجبر عنهم ، واستحضارهم لمنزلكم كان بواسطة ضباط من الآلايات وأشخاص من مستخدمى الضابطية كما هو متضح من التحقيقات التى جرت بهذا القومسيون ، فأفيدوا عن أسباب ذلك.

ج ـ لما تقدمت اللائحة المقدمة من قنصلى دولتى الانجليز

وفرنسا وقبلها الخديو ولم تقبلها الوزارة وحضر أعضاء مجلس النواب وأشيع ذلك بين الناس ، توارد الناس أفواجا من المديريات والمحافظات ومصر واسكندرية لرفض اللائحة المذكورة ورفض من يقبلها محررين بذلك اعراضات ومحاضر • فهل كان كل هذا جبرا للناس وكنت أنا الجابر لهم ؟• الحق ان جميع المصريين أنكروها لما فيها من تداخل الأجانب فى أمور البلاد الداخلية

س ــ الى أين توارد الناس ، هل الى منزلكم أو لأى جهة أو هل كانت المحاضر التى يحررونها ترد اليكم مختومة أو تختم بمنزلكم ، وما الذى أجريتموه فى ذلك ؟

ج ــ كانت تأتى المحاضر مختومة وكان حضور الناس بها جهرة لا خفية ، وبحضور الجميع لمنزلى أو لمنزل رئيس النظار محمود باشا سامى • وكانوا يأتون بها ويقدمونها الينا اعلانا بعدم قبولهم اللائحة المذكورة • وكان ذلك بحضور كثير من أعضاء مجلس النواب وكلهم موافقون على ذلك • وكما قلنا أولا أن الأمة المصرية لم تختلف فى هذه الكارثة • وكانت تلك المحاضر باقية بطرف أربابها وبحضور دولتلو درويش باشا وتشكيل وزارة راغب باشا وصدور العفو العمومى صرف النظر عن هذا وذاك

س ــ من أقوالك يعلم انك لم تستحضر أحدا الى منزلك وأجريت تختيم تلك المحاضر ، فهل كان كذلك أم كيف ؟

ج ــ لما جاءنى المحضر المقدم من أهل القاهرة قام أناس من الموجودين من النواب والعلماء وغيرهم الذين لم يسبق ختمهم وختموا عليه فى منزلنا

س ــ هل أنتم ختمتم أيضا عليه معهم ؟

ج ــ لا •• اذ لا لزوم لختمى عليه

س ــ ما دام ان هذا المحضر صار تختيمه بمنزلك فماذا صار فيه ، وأين يوجد الآن ؟

ج ـ صار تمزيقه لصدور العفو وانتهاء المسألة بتشكيل وزارة راغب باشا

س ـ هل المحرر بذلك المحضر كان معينا فيه من يلزم تعيينه بدل الجناب الخديو ؟

ج ـ لا .. وانما كان الغرض من المحضر أن يعرض على الذات الشاهانية عن يد الوفد الذى أعلن التلغراف بحضوره ولم يكن عين به شخص معلوم ، اذ أن ذلك معلوم وواضح بالفرمان الهمايونى (١)

صديقى بلنت والمحامون

عين صديقى مستر ولفرد بلنت المستر برودلى الافوكاتو الانجليزى للمحاماة عنا ومعه المستر نابيار والمستر ايف أفوكاتية والمستر سنتليان، وهو عالم بالعربية والانجليزية استحضر من تونس برفقة المستر برودلى لهذه المهمة ، وذلك بمقتضى خطاب هذا نصه :

بسم الله العزيز القدير

« الى صاحب السعادة صديقى العزيز السيد أحمد عرابى باشا حفظه الله

« بعد السلام التام والسؤال عن خاطركم الكريم أعلم جنابكم أن حامل هذه الاسطر المستر برودلى وهو من المتشرعين الماهرين ومشهود له بحب الاستقامة والانصاف وقد كان من قبل بتونس وهو يحب العرب وقد اخترته ليحضر الى مصر لكى يحامى عنكم وعن بقية الأسرى أصدقائنا الأعزاء ، وهو أول متشرع ، ويكون المستر نابيار مساعدا له ، فاجعلوا كل ثقتكم فيه واطلعوه على

(١) بعد ذلك سئل بضعة أسئلة ثانوية عن مذبحة الاسكندرية السابقة واستحكامات كفر الدوار فأجاب عنها

جميع الحجج والبراهين التى فى يدكم وسلموه نسخ جميع الرسائل التى تقوى دعواكم حتى يترجمها الى الانجليزية أو يرسلها الى لندن لنترجمها ونرسلها له لئلا يترجمهـــا أناس ذوو أغراض ، فيغيروا معناها الأصلى بقصد تشويه دعواكم والحـــاق الضرر بكم ، ولا حاجة الى تكرار خلوص حبى لكم ، وانى فى كل حال صديقكم الأمين

« ولا يخفى عليكم بأن جميع مصاريف الدعوى والمحامين تكون على ذمتى وذمة بعض أصدقائى من أصحاب الأفكار الحرة والمحبين للعدالة ، فلا يكون عندكم أدنى فكر من هذا الخصوص . اتكلوا على الله القوى الذى لا يهمل من يتكل عليه ، وأدام الله بقاءكم .. تحريرا فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، المحب المخلص ـ ولفرد بلنت »

وكان قد عمل قائمة اكتتاب بانجلترا بتلك المصاريف الباهظة التى صرفت فى سبيل الدفاع عنا ، دفع منهـــا الجنرال غوردون ٢٠ جنيها ، ولكن أكثر المصاريف كانت من طرف صديقنا المستر ولفرد بلنت الا أن حضور المحامين المذكورين كان بعد تمام الإستنطاق ولم نسأل فى شىء بعد

وأما المستر نابيار فانه أفوكاتو انجليزى عينه صديقنا المستر ولفرد بلنت للمدافعة عنا بمقتضى خطاب من حضرته بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ . وهاك نصه :

« الى صديقى العزيز السيد أحمد عرابى باشا صـــانه المولى وأبقاه

« بعد السلام التام والسؤال عن خاطركم العزيز اعلموا جنابكم أن المستر نابيار حامل هذه الأسطر هو صديقى ، وهو من عائلة شريفة ومعروف من أكابر الانجليـز . وقد حضر الى مصر لكى يحصل على أدلة وبراهين للمحـــاماة عنكم وعن باقى أسراء الحرب . وهو متشرع ماهر مشهود له بالباع الطويل فيمكنكم أن تثقوا به لأن حضـــوره الى مصر هو بناء على طلبى كى يناضل عنكم فى الشرع وقت

المحاكمة ، وكذا عن بقية أصدقائى الذين هم الآن أسراء بأمر الله ، فلا تعتمـــدوا على كلام أى كان من الذين ربما ينصحونكم أن تتكلوا على رحمة المجلس العسكرى ويجتهدون بأن يقنعـــوكم بأن لا تتعبوا أنفسكم فى جمـــع الأدلة والحجج اللازمة للمحاماة عنكم ، فان الذين ينصحونكم بمثل هذه النصائح لهم أغراض شخصية لا تجهلونها ، وأما أنا فأنصحكم بأن تتجرأوا وتظهروا كل ما لديكم من البراهين والأدلة ، ولو انها لا توافق صالح غيركم ، فتكلموا كل الحق واظهروا ما عندكم من الحجج وتوكلوا على الله ، ثم انى قد فوضت لصديقى المستر نابيـــار أمر الاعتنــــاء بعائلتكم المصونة ومساعدتها فى كل ما تحتاج اليـــه من مال وغيره على ذمتى ما دامت الاحوال على هذا المنوال ، فلا تتحاشوا من ذكر كل ما تريدون ذكره وطلب كل ما تريدونه ، فانى مستعد بكل قلبى ورغبتى لأفعله حبا بكم ولو صعب فعله وعظم قدره . هذا وحضرة السيدة « أنه » قرينتى تسلم عليكم وتسأل عن خاطركم ، محبكم المخلص

ولفرد بلنت »

تحريرا فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢

« حاشية »

« لا يخفاكم أن جميع مصاريف الدعوى كلها تكون على ذمتى وذمة بعض أصدقائى بلندن من أصـــحاب الحرية والمحبين للعدل والانصاف »

وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ أخذت خطابا من البوستة واردا من نيويورك بأمريكا تاريخه ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٢ وهذه ترجمته :

« الى عرابى باشا

« سيدى العزيز

« انى حظيت بكتابك الذى يخولنى شرفا عظيما ، فتشجع

يا صاحبى واعلم ان (بعد العواصف تشرق الشمس) وان مصر للمصريين ، ثم انى وقفت على أفعـــالك الوطنية من الاسكندرية الى مصر ، ورجائى قوى بأنك ستنتصر عـــلى الحدثان والمحن المحدقة بك

الأكثر اعتبارا لك

جوليا كارتين »

انتهى محضر استجوابى أما محضر استجواب على باشا فهمى وسائر محاضر اســتجواب زعماء الثورة العسكريين وهم عبد العال حلمى باشا، ومحمود سامى باشا ، ومحمود فهمى باشا ، وطلبه باشا ، ففى كتاب (مصر للمصريين) وجرائد ذلك الحين



محاكمة الوزراء والعلماء والأعيان

راغب باشا رئيس النظار (١)

كان راغب باشا رئيس الوزارة التى شــــهدت حوادث الثورة والحرب • وقد دعى أمام لجنة التحقيق لاستجوابه ، ووجه اليه ما يأتى :

س ـ هل صدر منكم هذا التلغراف لجميـــع المديريات بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ ؟

« صورة التلغراف »

« حيث ابتدأ الحرب بيننا وبين الانجليز فبمقتضى القانون تكون الادارة تحت الاحكام العســكرية والخيول والبغال الموجودين جميعها بالمديريات والمحافظات ترسل لديوان الجهــادية بأثمان موافقة على الجهادية ، ويسرع بالمبادرة فى ارسالهم فالأمل انه بعد اطلاعكم أيضا على أصله الموجود الآن بختمكم تفيدونا

ج ـ نعم صدر منى

س ـ هل قبل تحريره استشرتم باقى النظــار وأعطي قرار عن تحريره بهــذه الكيفية أو صــدر من سعادتكم خاصة ؟

ج ـ التلغراف المذكور (أنا) حررته فى طابية الديماس، ومن كانوا موجودين هناك وقتها من النظار سمعوه عندما قرأه الكاتب على ، لكننى لم أنتظر أخذ رأيهم ، وتحريره بهذه الكيفية تحت مسئوليتى لملحوظات خصوصية عندي

س ـ هل قبل تحرير التلغراف الأول والثــــانى لم تستأذنوا عن تحريرهما من الخديو ؟

---

(١) اقتصرنا على المهم من هذه المحاكمات • ومن ارادها كاملة فليرجع الى جرائد ذلك الحين أو الى كتاب (مصر للمصريين)

ج ـ فى وقت تحرير التلغراف الأول لم يمكن المقابله• ولعلمى ان الجناب الخديوى الأعظم محب للأمن والسكون كتبته عاجلا لحصول ذلك ، باعتقادى ان ذلك خدمة مشكورة، وبعد توقيف المدافع حالا عرضت للاعتاب بأنى كتبت ذلك التلغراف

س ـ فى ثانى يوم الضرب انسحبت العساكر جميعها من الاسكندرية ، فهل كان ذلك بأمر سعادتكم ؟

ج ـ لا ، فانى لم آمر بذلك

س ـ هل لا تعلمون ان كان خروج العســـاكر من الاسكندرية بأمر ناظر الجهادية أم لا ، حيث انه كان من ضمن النظار الذين تحت رئاسة سعادتكم ؟

ج ـ انا ما أمرت أحدا وان كان ناظر الجهادية أمر بذلك فلا أعلم

س ـ فى يوم الاربعاء ثانى يوم الضرب هــل توجه الى منزلكم أحمد عرابى وان كان توجه ففى أى تاريخ ؟

ج ـ فى يوم الثلاثاء أو الأربعاء لست متذكرا توجهت مع أحمد عرابى لمنزلى وقت العصر

س ـ من أجوبة أحمـــد عرابى علم أن فى يوم ضرب المراكب على طوابى الاسكندرية عمل مجلس من النظـــار بحضور الجناب الخديوى واستقر الحال ان فى ثانى يوم الموافق ١٢ يوليو سنة ٨٢ يصير رفع البيارق البيض فى أعـــلى البيارق • فهل هذا حقيقى ؟

ج ـ نعم حصل ذلك وكان هذا المجلس بحضور الجناب الخديوى ودولتلو درويش باشا أيضا

س ـ قبل الضرب على طوابى الاسكندرية كان صار عقد مجلس للمداولة فيه عما يلزم اجراؤه فى طلبــات الأميرال سيمور ، فما هو الرأى الذى تقرر فى ذلك ، وأين يوجد محضر جلسة هذا المجلس

ج ـ حصل عقد مجلس بحضـــور جملة من الذوات

المتقاعدين وغيرهم ، وبحضـــور دولتلو درويش باشا وحضور الحضرة الخديوية • وفى أثناء المناقشة سألت الحضرة الخديوية عن موقف الطوابى بعد ضربها من المراكب وبعدكم مدفع تجاوبها الطوابى فتقرر الرأى بالأغلبيـــة على أنه بعد ضرب ثلاثة مدافع من المراكب • أما المكاتبـــات التى حصلت بين الاميرال سيمور والحكومة وانعقد بسببها هذا المجلس فتوجد فى نظارة الخارجية ، ولا يوجد محضر جلسة لهذا المجلس

س ـ هل عرابى توجه الى سراى الرمـــل فى يوم ١٢ يوليو سنة ٨٢ ، وان كان توجه ، ففى أى وقت توجه وفى أى وقت عاد

ج ـ أظنه توجه قبل الظهر

س ـ هل تتذكر ان أحمد عرابى ركب معكم فى العربة فى يوم ١١ و١٢ يوليو سنة ٨٢ وتوجهتم معا الى منزلكم ؟

ج ـ أتذكر انى ركبت معه وتوجهت لمنزلى لكن لســت متذكر اليوم

س ـ هل كان ذلك قبل غداء الظهر أو بعده

ج ـ كان ذلك قبل الغروب الشـــمسى حتى انه توضأ وصلى العصر وكان هناك أناس آخرون منهم سعادة الزبير باشا

س ـ حيث ان العرابى كان قبل الظهر توجه الى الرمل وقبل غروب الشمس توجه لمنزلكم فالمسافة التى بين وجوده بالرمل ووجوده بمنزلكم قضاها فى أى جهة ؟

ج ـ لست متذكرا ، ويمكن أنه قضاها بالرملة

س ـ تعلمون ان الاسكندرية حصل نهبها وحرقها فى ثانى يوم ضرب المدافع ، فما الذى بلغكم عمن عمل ذلك ؟

ج ـ النهب والحرق حصلا وبلغنا ، لكن لا نعلم ممن ، لأن بعض الناس يقول انهم عساكر والبعض يقول عربان والبعض يقول أهالى

س ـ ألم تعلم أو تسمع من الذى أمر باجـــراء النهب الحرق ؟
ج ـ لا أعلم ولا سمعت
س ـ المعلوم ان أحمد عرابى وطلبه وغيرهم كانوا دائما يهورون فى الكلام ويقولون انهم اذا غلبوا يحرقون البلد لا يتركونها للانكليز . فما الذى تعلمه ؟
ج ـ لا أعلم ذلك ولا سمعته من أحد . وانى لما نظرت ما جرى من الحريق بالاسكندرية كنت أخشى دائما أن يحصل مثل ذلك بمصر ، وكنت أقول للحضرة الخديوية أن يعمل الطرق اللازمة لحماية مصر من مثل ذلك ؟
س ـ ممن كنت تخشى أن يفعل مثل ذلك بمصر ؟
ج ـ كنت أخشى حصول ذلك غالبا من الجهادية
س ـ ألم تر سليمان سامى متوجها الى سراى الرمل فى مساء يوم الثلاثاء ١١ يوليو سنة ٨٢
ج ـ أنا لا أعرف المذكور مطلقا
رحم الله راغب باشا فقد أدى الشـــهادة بلا زيادة ولا نقصان ، ولم تأخذه فى الحق لومة لائم

سليمان باشا أباظه الوزير

فى يوم الثلاثاء ١٠ محرم سنة ١٣٠٠ استحضر سليمان باشا أباظه وسئل ، فأجاب كما يأتى :
س ـ حيث انكم كنتم فى الاسكندرية مع باقى النظار ، فهل كنت معهم فى طابية الديماس مذ كان فيها أحمد عرابى وبعض النظار ؟
ج ـ لم أكن هناك
س ـ لما حصلت المذاكرة فى مسألة الطوابى التى طلب تسليمها الأميرال الانكليزى قيل بعض كلام من أحمـــد عرابى بخصوص عدم تسليم البلاد وتخريبها وحرقهـــا فهل سمعت شيئا من هذا القبيل ؟

ج ـ سمعت أحمد عرابى يقول مزارا عديدة عند حصول المذاكرة المحكى عنها وخلافها انه لا يسلم البلاد أبدا ، بل يحارب الى آخر درجة حتى لا يبقى أحد من الاهالى

س ـ هل حصل اقرار منكم ، أعني النظار بخروج العساكر ، أم خرج معهم أحمد عرابي من تلقاء نفسه

ج ـ أحمد عرابى أخذ العساكر وخرج من تلقاء نفسه خلافا للقرار الذى صدر من المجلس الذى انعقد بحضور الخديو ودرويش باشا فانه كان تقرر فيه بقاء العساكر بالاسكندرية

س ـ ألم تر الحريق ؟

ج ـ لم أره ، انما توجهت لباب شرقى للتكلم مع أحمد عرابى بشأن الكوردون فبلغنا حصول الحريق وبلغنا أن سليمان سامى هو الذى أجرى ذلك ورأيت الناس أهالي وعساكر فى الطريق عند حضورى من الرمل ومعهم منهوبات

س ـ ألم تتكلم مع أحمد عرابى فى شأن منع ذلك ؟

ج ـ لم نتكلم معه فى هذا الشأن ، بل تكلمنا فى شأن ما توجهنا من أجله ، أعنى مسألة رفع الكوردون

رحم الله سليمان باشا أباظه فانه كان بالرمل يوم ١٢ يوليو ونحن معه حتى الساعة العاشرة بالوقت العربي، ولم يعلم بالحيلة التى تدبرت من رجال الاستبداد ونحن بالرمل اذ علم من التحقيق ان رجال المحافظة السوارى انتشروا فى المدينة ينادون باسمى ان اخرجوا من الاسكندرية حيث ان المراكب ستضرب على البلد بعد ساعة ونصف • ولم يعلم أن العساكر أوعز اليهم بترك مراكزهم وخروجهم من المدينة رأسا بالرمل ، وكان فرارهم من قبل الظهر الي ما بعد اليوم الثانى • وما كان خروجى من المدينة الا بقصد جمع العساكر والعودة اليها ثانيا • ولكن انحياز الخديو ومن معه الى الانكليز حال دون ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا

حسن باشا الشريعى

فى يوم الثلاثاء ١٠ محرم سنة ١٣٠٠ استحضر حسن باشا الشريعى من السجن وسئل فأجاب كما يأتى :

س ـ حيث انك كنت من ضمن الوزارة التى تشكلت تحت رئاسة راغب باشا وعلم القومسيون انك كنت فى طابية الديماس فى يوم الضرب على الطوابى مع بعض الذوات والنظار وحضر فى وقت وجودك عسكرى من البوليس وأخبر أحمد عرابى أن أحد الأهالى قتل رجلا اجنبيا ، فهل سمعت ما قاله هذا العسكرى وما أجابه به احمد عرابى

ج ـ نعم فى اثناء وجودى في طابية الديماس بينماكنت جالسا مع بعض اقرانى بعيدا قليلا عن أحمد عرابى ، اذ حضر عسكرى ملطخة يده بالدم وتكلم مع أحمد عرابى ولم اسمع ما قاله لاحمد عرابى المذكور ولا ما أجابه به لبعدى عنه

س ـ لما حصلت المذاكرة فى مسألة الطوابى وقبل حصولها الم تسمع أحمد عرابى يقول انه لا يسلم البلد وانه اذا وجد أن فى العزم النزول اليها أحرق البلد ودمرها

ج ـ لم أسمع ذكر حرق البلد أو تدميرها ، انما سمعت كثيرا احمد عرابى يقول انه لابد من المحاربة حتى نفنى

س ـ هل رأيت خروج العساكر ومعهم منهوبات ؟

ج ـ نعم رأيت عساكر وعربانا وأهالى مزدحمين فى الطرق من محطة سيدى جابر الى باب شرقى ومعهممنهوبات من ابسطة وكراسى واقمشة وغير ذلك

س ـ هل بلغك حصول الحريق ؟

ج ـ نعم

س ـ الم تعلم من أجراه ؟

ج ـ لم أعلم

س ـ قيل عنك انك كنت متشيعا لزمرة العصاة وكنت تجتمع عليهم كثيرا في منازلهم ، فهل هذا حقيقي ؟

ج ـ لم أكن من زمرة العصاة ، بل لم أجتمع عليهم الا منذ عينني الجنـــاب الخديو في الوزارة التي كانت تحت رئاسة محمود سامي وكان من ضمنها أحمد عرابي • أمـا قبل ذلك فما كنت أعرف المذكورين الا كباقي الناس ولم أزل لغاية الآن محافظا على شرفي وعلى الواجبات المفروضة على للحكومة

س ـ ان الوزارة المذكورة قر رأيها يوم حصول مسألة الجراكسة على طلب النواب ، وفي الواقع صار طلبهـــم بكيفية غير قانونية • فهل كنت موافقا على ذلك أم لا ؟

ج ـ انى لم أوافق على ذلك لا أنا ولا ناظر المالية ، أعني سعادة عبد الله باشا فكري وسعادة علي باشا صادق وقلنا انه يلزم اصدار دكريتو من الحضرة الخديوية ، فقـــر رأى الأغلبية على طلبهم بالكيفية التي طلبوا بها ، كما يعلم من محضر الجلسة التي حصلت فيها المذاكرة في هذه المادة

س ـ علم من جوابك المتقدم انك لم توافق على طلب النواب وجمعهم بصفة غير قانونية وان الاغلبية قر رأيها مع ذلك على طلبهم ، فلماذا لم تستعف من الوزارة لما رأيت من سيرها المخالف ؟

ج ـ ما كان يلزمني الاستعفاء على ان الأغلبية قر رأيها على أمر ما خـلافا لرأيي ، بل الذي يجب على كالجاري عادة بالمجالس هو ابداء رأيي ، وفي الواقع أشرت بما رأيته

س ـ في أثناء وجود وزارة محمـود سامي قدمت دولة انجلترا وحكومة فرنسا (نوته) بطلب ابعاد بعض رؤساء الجهادية ، ومع قبولها لدى الجناب الخديو رفضتها الوزارة المذكورة حتى استعفت وتمحلت أسبابا وهمية ، فهل كنت من ضمن الموقعين على ذلك

ج ـ انى استعفيت مع باقي النظار لهذا السبب المبين

بالاستعفاء ، ولو كان لى رأى مخالف للباقى ما كان يجدى ذلك نفعا ، اذ أن الاغلبية كانت تتحقق مع الباقى

س ــ هل تحولت نقود من نظارة الاوقاف حين كنت بها لنظارة الجهادية

ج ــ لم تتحول نقود للجهادية من النظارة المذكورة حين كنت بها

عبد الله باشا فكرى

فى يوم السبت ٢١ المحرم سنة١٣٠٠ طلب عبدالله باشا فكرى للتحقيق معه أمام اللجنة وهو ممن انضم الى الخديو مع من انضم من الخائنين . وقد سئل عدة أسئلة فأجاب عنها بما يلى :

س ــ ما ذا كانت وظيفتك أخيرا ؟

ج ــ كنت ناظر المعارف العمومية

س ــ قيل عنك انك كنت من ضمن زمرة العصاة ،وكنت تجتمع كثيرا بهم فى منازلهم ؟

ج ــ اعرض للجنة مسألتى ، فأقول أنه من المعلوم قديما انى محسوب الجناب الخديو وكنت دائما أخشى على نفسى من تلك الزمرة ، ومع ذلك لما انعقد مجلس النظار الذين كنت من ضمنهم ، وقر رأيه على طلب النواب عارضت فى ذلك ، وقلت ان طلبهم مخالف للقانون ، وان من رأيى أن لا يصير جمعهم الا بارادةسنية خديوية ، وطلبت ذكر معارضتى فى المحضر . وأظن انها أدرجت . ولكن قر رأى الاغلبيــة على طلبهم ، فطلبوا وعند حضورهم أخبرهم الخديو بأن جمعهم بالكيفية التى جمعوا بها مخالف ، فكان رأى الخديو موافقا لرأيى ، ولذلك زاد خوفى .أما توجهى لطرفهم ، فكان كباقى الناس لاجل الوقوف على حقيقة ما يقع وانتهاز فرصة لابداء نصائح .ومما يؤيد ذلك أنه فى يوم انعقاد الجمعيةبالداخلية خطب كثيرون ، ولم أفه بكلمة . وفى ليلة حضر على باشــا

مبارك رافقته من منزله الى قصر النيل وألححت عليه بأن ينصح لعرابى ويعرض للجناب الخديو وجوب حل هذه المسألة بالسلم ، وقد توقفت عن ختم قرار تلك الجمعية ، وتعللت بفقد ختمي ، وألزمت بعد تكرار الطلب بوضع امضائى عليه • وفى الجمعية الثانية لم أتوجه ولم أحضر انما تكرر طلبى بعد ذلك للختم على القرار • فألزمت بالتوجه والختم وبلغنى انى اتهمت بعدم الحضور — وكذلك فى مدة العصيان لم أتوجه لديوان الجهادية الا دفعة أو دفعتين لتقديم الرجاء فى شأن ابراهيم باشا أدهم • ولو كنت متحدا معهم لداومت على الذهاب — هذا فضلا عن انى لم أدفع اعانة حربية

س — هل أنت متحقق من أن معارضتك فى طلب النواب ذكرت بمحضر الجلسة ؟

ج — انى متذكر جيدا حصول المعارضة منى فى ذلك ومتذكر أيضا انى طلبت ادراج المعارضة فى محضر الجلسة • ولكنى لم أكن متحققا ادراجها أو عدمه • ولكن عند تلاوة المحضر سمعت ذكرها

س — من الذى كان معارضا معك من النظار فى ذلك ؟

ج — لم أكن متذكرا لهم كما يجب • انما يغلب على ظنى انه وافقنى على ذلك سعادة مصطفى باشا فهمى وسعادة على باشا صادق

س — من نشر بعدد (٥٦) من جريدة المفيد عبارة معنونة (الوازع والامة) وقيل أن هذه العبارة من قلمك فهل هذا حقيقى أم لا ؟

ج — انى لم أكتب عبارات مطلقا بالجرائد فى مدة العصيان، ولم أطلع على العبارة المحكى عنها لا قبل طبعها ولا بعده

س — قلت أولا أنك عارضت فى طلب النواب وجمعهم بكيفية مخالفة للقوانين ، وان الاغلبية قر رأيها مع ذلك على

جمعهم • فكان يجب عليك الاستعفاء لما رأيته من باقى النظار من مخالفة قوانين الحضرة الخديوية

ج ـ ما كان يمكننى الاستعفاء فانه كان يؤكد الاشتباه فى ••

س ـ لما قدمت دولة الانكليز وحكومة فرنسا (نوته) بطلب ابعاد بعض رؤساء الجهادية قبلها الجنـــاب الخديو • فلماذا لم تقبلوها أنتم أيضا وأصررتم على رفضها حتى أنكم استعفيت بسببها

ج ـ انى من قبل مسألة (النوته) أشرت مرارا بالاستعفاء لما رأيته من الخلاف الواقع ولما تقدمت (النوته) المذكورة ورأيت أنه مطلوب من ضمنها استعفاء الوزارة فلم أعارض فيها للتمكن من الاستعفاء والحصول على ما كنت أرغبه والذى أتذكره هو أنه فى ذاك الوقت توجه محمود باشا ســـامى لطرف الحضرة الخديوية وبعودته أخبرنا أنه تكلم مع جنابه الرفيع فى مسألة (النوته) فصدر له النطق الشريف بتحرير رد عليها • وتحرر فى الواقع ثم حضر فيما بعد محمود باشا وأخبرنا أن الخديو قبل (النوته) ولا يسعنا اذا الآن سوى الاستعفاء وبناء على ذلك استعفينا

عبد الرحمن بك رشدى

وفى ٢٨ المحرم قررت اللجنة (المحكمة الابتدائية) طلب عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية فى وزارة راغب باشا فحضر وقد سئل ، وأجاب بما يلى :

س ـ حيث أن ســـعادتكم كنتم من ضمن الوزارة التى تألفت تحت رئاسة راغب باشا ، وكان فيها أحمد عرابى ناظر جهادية ، وكنتم فى الاسكندرية فى وقت حصـــول الحوادث الاخيرة • وعلم من التحقيق أنكم مررتم من المنشية فى يوم ١٢ يوليو • ولابد أن يكون لكم علم بما وقع فى يوم

١٢ المذكور فبينوا للمحكمة ما رأيتموه فى وقت مروركم من المنشية ؟

ج ـ فى ١٢ يوليو نحو الساعة الثانية بعد الظهر بعثنا الخديو مع تجران بك وكيل الخارجية وطلبة باشا قومندان الثغر الى الترسانة لاجل المكالمة مع الضابط المعين من الاميرال سيمور بخصوص ما طلبه الاميرال من نزول عساكر فى جهة المكس والداخلية وباب العرب، فركبنا من الرمل أنا وتجران بك فى عربة وطلبة باشا فى عربة أخرى . ولما وصلنا لشارع شريف باشا وجدناه مزدحما بالعساكر وقليل من البرابرة وغيرهم . وكان العساكر المذكورين آخذين فى كسر أبواب الدكاكين بواسطة الاحجار وقطع حديد ، ويدخلون اليها وينهبون ما فيها . ورأينا هؤلاء العساكر والاهالى يأخذون ما ينهبونه ويتوجهون لجهة باب شرقى، ثم لما وصلنا الى ما يبعد عن المنشية بمسافة أربعين مترا اندهشنا وخشينا على أنفسنا خصوصا وان العربة التى كنت فيها مع تجران متقدمة وعربة طلبة باشا متأخرة . فأوقفنا العربة لانتظار الباشا المذكور والسير معه وزيادة على ذلك نزلت من العربة التى كنت فيها وركبت مع طلبة باشا .. وقال تجران بك أنه لا يمكنه البقاء بعربته بمفرده فاما يعطى اليه ضابط لمرافقته والمحافظة على حياته من هؤلاء العساكر الآخذين فى النهب واما يركب معنا . ولما لم يتيسر وجود ضابط معه دعوناه للركوب معنا وفى الواقع ركب معنا أمامنا فقلت لطلبة باشا « أبهذه الصفة تبرز العساكر الشجاعة وهل تليق هذه الافعال المخلة بشرف العسكرية ؟ » فلم يجبنى بشىء ما ، انما رفع أكتافه ويديه اشارة الى (أنا مالى) ، ولما وصلنا الى المنشية وجدنا عساكر الالايات مصطفين بغير انتظام على الارصفة من الابتداء الى الانتهاء ولما اقربنا لنصف المنشية كان حكمدار الالاى هناك فسألت طلبة باشا عن اسمه فقال انه يسمى سليمان بك داود

س ــ لما سألتم من طلبة باشا عن اسم الحكمدار فأجابكم أنه يسمى سليمان بك داود ألم ينبه عليه بشيء مثل الكف عما كان يفعله أو غير ذلك ؟

ج ــ لم يأمره هو ولا غيره بشيء • وكنا مستعجلين بالنظر الى الميعاد الذى صدر من الضابط المعين من الاميرال أعنى بعد انقضاء الساعة ٣ لا ينتظر فاستغربت أنا وتجران بك حصول هذا الهيجان والكسر والنهب على مرأى من الضباط وحكمدار الالاى وعدم منعه واستغربنا أيضا ازدحام العساكر المذكورين الواردين من جهة البحر ورأس التين بغير انتظام، ولم يوقفوا حركة السير الا لاشتراكهم فى كسر الدكاكين ونهبها • وعند وصولنا الى ديوان المحافظة والشارع بهذه الحالة من الازدحام برز منها ضابط لم أدر ان كان من مستخدمى المحافظة أو غيرها وقال لطلبة باشا ان العساكر عازمون على نهب خزينة المحافظة ، فما كان من طلبة باشا سوى تكرار رفع أكتافه ويديه ولم يجاوب بشيء • فاستمررنا فى طريقنا حتى وصلنا الى الترسانة ووجدنا هناك محمد كامل باشا وكيل البحرية وبعض ضباط بحرية لا أعرف أسماءهم فى حالة اندهاش والعساكر البحرية خارجين من المراكب ومارين من جهة البلد وعند دخولنا من باب الترسانة رأينا نحو أربعين شخصا بملابس رثة وبعضهم مكشوف الرأس يركضون. ويزعقون بهيئة تقشعر لها الابدان ، فقلت أنا وتجران بك : «لابد أن يكونوا هؤلاء من مسجونى الليمان فكيف انطلقوا » • وقلت لوكيل البحرية « حتى مجرمين من الليمان أطلقوهم على البلد أما كفى ما جرى فيها من العساكر» قال : « ماذا نعمل فى هؤلاء المجرمين فقد كسروا أغلالهم وعبروا البحر الى البر وها أنتم ترون البحرية هاربين بسبب ما سمعوا من أن الانجليز سيعيدون الضرب على البلد ورأينا الذين ينهبون يركضون فى الطريق أفواجا أفواجا • هذا ما شهدناه وكان معى تجران بك فقط فى العودة • وأما

طلبة باشـا فحضر خلفنا فى عربة أخـرى • ولما توجهنا للاعتاب السنية عرضنا للحضرة الخديوية ما رأيناه

س ـ هل رأيت حرق اسكندرية أو سمعت شيئابشأنه

ج ـ فى يوم ١٢ يوليو وقت الغروب أخبرنى راغب باشا بأن العساكر أخذوا بأمر أحمد عرابى الخزنة التى فيها نقود مصلحة البوستة المصرية وحيث أن فيها مبلغ ١٧ ألف جنيه فتوجه وأخذها وأرسلها الى نظارة المالية (هذا حديث مفترى) وبناء على ذلك ركبت عربتي وتوجهت ولما وصلت بالقرب من باب شرقي أوقفنى الخفير عنـد القنطرة ، وسألنى عما أرغبه ، فقلت له انى أريد مقابلة أحمد عرابى ، وفى الحال حضر ضابط وكرر الاستفهام مني عما أريد • ولما علم انى أريد مقابلة أحمد عرابى قال لى ان أحمد عرابى توجه لحجر النواتية ولا يلزم دخولك الى البلد ، فانها أمست خاليـة واشـتعلت فيها النيران حتى اقتربت من محطة السـكة الحديدية

(وهذاكذب صريح كسابقه فان فىوقت الغروب لم يكن هناك خفير ولا ضابط)

س ـ ألم تسأل منالضابط عن أسباب الحرق ومنأجراه

ج ـ لم أسأل فانى كنت متحققا مما سمعته منأحمدعرابى ومن طلبة من قبل ومما شاهدته من أحوالهما ومما نظرته من النهب عند مرورى من المنشية فى وقت العصر أن الحرق فى وقت الغروب لم يكن الا نتيجة لافعالهم

س ـ يعلم اذا أن الآمر بالحرق على حسب ما ترونه هو أحمد عرابى وطلبة باشا

ج ـ أقـول ان الآمر بالحرق هو الذى أذن بالنهب ولم يمنعه

ملاحظة :

عبد الرحمن بك رشـدى رجل مالطى الأصل تظاهر

بالاسلام لاجل خـــدمة الحكومة على حسب العوائد القديمة في مدة محمد على وعباس الاول وجميع أقواله كاذبة لانى لم أره الا مرة واحدة فى مجلس النظار ، ولم أتكلم معه أصلا لقصر المدة ومفاجأتنا بالحرب

اليمين الوطنية

فى يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ٢٩٩ طلب على باشـــا الروبى من السجن وسئل فأجاب بما يأتى :

س ـ فى أثناء نظارة محمود سامى اجتمع فى احـــدى الليالى الضباط من رتبة بكباشي بقشـــلاق عابدين وحضر الشيخ محمد عبده وأتيتم بمصحف ووضعتم عليه أيديكم وحلفتم عليه يمينا بتلقين الشيخ محمد عبده ، وكنت من ضمن من حلفوا ، فقل لنا كيف حصل ذلك ؟

ج ـ فى تلك الليلة كانت عزومة بطرف شخص يسمى حسن بك جاد ، وقال لنا أحمد عرابى قوموا بنا لقشلاق عابدين . فتوجهنا ووجدنا هناك محمود سـامى فى غرفة على باشا فهمى

س ـ هل كان محمود باشا سامى فى ذلك الوقت رئيس مجلس النظار ؟

ج ـ لم أتذكر اذا كان فى ذلك الوقت رئيس النظار أو استعفى

س ـ ماذا جرى بعد وصولكم الى قشلاق عابدين ؟

ج ـ وجدنا محمود باشا سامى والشيخ محمد عبده . وقالا أنه فى هذا اليوم دخلت مراكب الانكليز الى الاسكندرية للحرب ، والمقصود من جمعيتنا حلف يمين بأنه اذا حصل حرب نكون جميعا يدا واحدة فى الحرب . وأحضروا ورقة واستمر الشيخ محمد عبده يقول كلاما طويلا ونحن نتبعه فيما يقول . وكان مضمون اليمين انه اذا حصل ضرب من المراكب نكون يدا واحدة وندافع عن وطننا

س ـ ألم يقل انه لا يصير سماع أمر الا باتفاق الجميع ؟
ج ـ لم أتذكر ذلك
س ـ هل قيل ان من يخالف اليمين يعاقب بشيء
ج ـ قيل ان من يخالف يطلع من دينـه وكلام كثير غير ذلك مثل انه لا يكون فيه حمية ولا غيرة الخ
س ـ هل كنت فى الاسكندرية يوم الضرب عليها
ج ـ لم أوجد فيها فى ذلك اليوم
س ـ قبل الحاقك بحيش العصاة كنت بأى جهة
ج ـ كنت وكيل ديوان السودان
س ـ من التحقيقات علم للقومسيون انه فى أثناء وجودك بمجلس المنصورة كنت تحضر لمصر وتجتمع مع الضباط فى أوائل حصول التهوّر والعصيان من زمرة العسكرية
ج ـ حاشا لم أجتمع معهم قط مدتها
س ـ لما كنت بمجلس مصر كنت تجتمع معهم أيضا
ج ـ لا . وانما فى بعض الاوقات ربما كان يتصـادف اجتماعى مع واحد منهم فى محل يتصادف دخولى فيه
س ـ من الذى كنت تتصادف معه ؟
ج ـ طلبة وغيره
س ـ ألم تجتمع مع عرابى ؟
ج ـ لم أقابله الا لما تعين ناظرا للجهادية وتوجهت لابارك له وبعدها ـ بسبب وجودى فى توكيل ديوان السودان ـ كنت أتقابل معه كثيرا هو ومحمود سـامى وأعرض لهما أشغالا تخص المصلحة لمناسبة غياب سعادة عبد القادر باشا ناظر الديوان
س ـ فى أى وقت أخذت رتبة اللواء ؟
ج ـ ليلة سفر عبد القادر باشا الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٢ طلب لى رتبة اللواء من الحضرة الخـديوية فأحسن بها على
س ـ من الذى انتخبك لتوكيل السودان ؟

ج ـ الذى انتخبنى لتوكيل السودان هو سعادة عبد القادر باشا

س ـ أنت تعينت قومندان فرقة مريوط فكان بأمر من؟

ج ـ صدر عن ذلك أمر من عرابى تلغرافيا لوكيل الجهادية ولى رسميا مكاتبة . ويوجد الآن ما صدر بديوان السودان

س ـ ما دام سوابق استخدامك التي أوضحتها كانت بمصالح ملكية فكيف تستخدم بالجهادية بعد ذلك

ج ـ ان أصلى ضابط جهادى سوارى وترقيت بالعسكرية فنلت رتبة ميرالاى مذ كنت فى حرب الحبشة

س ـ تعلم أن عرابى كان معزولا بأمر من الحضرة الخديوية فكيف تطيع أوامره وتتوجه لمريوط ؟

ج ـ بناء على القرار الذى عمل بالداخلية ونشر عموما

س ـ هل تعلم أن هناك أمرا أعلى من أمر الخديوى ؟

ج ـ ان الجناب الخديوى كان محجورا عليه بطرف الانكليز حسب التبليغات التى أعلنها لنا عرابى وبنى عليها صدور هذا القرار

س ـ الامر الذى صدر من الجناب الخديو بعزل عرابى ذكر فيه أن لا يكون هناك حرب وان الصلح تام وان الضرب الذى حصل على الطوابى من مراكب الانكليز كان بناء على التهديدات التى حصلت للدونانمة فلماذا لم تتبعه ؟

ج ـ أنا أحد الناس الذين ختموا على القرار

س ـ هل ختمت على القرار باعتقادك صحة ما تقرر فيه وانه فى محله أو أجبرك أحد على ذلك

ج ـ فى يوم الجمعة المذكور عرض علينا صورة مطبوعة وقيل انها صورة الامر الصادر بعزل عرابى . وكانت بدون ختم من الجناب الخديو ومعها جواب من عرابى بانحياز الحضرة الخديوية للانكليز ولذلك ختمت على القرار برضائى بدون اكراه

س ـ من التحقيقات متضح انك أنت فى ذلك اليوم

هددت الاشخاص الذين صار جمعهم بالداخلية وتشبثت بحملهم على التختيم بأنك قلت لهم : « يا نصارى يا يهود يا دروز اختاروا لكم ميتة اذا لم تدافعوا عن وطنكم »

ج ـ لما تلا الشيخ محمد عبده الاوراق التي كانت عقدت بسببها الجمعية كما ذكر ـ وجميع المجتمعين قرروا توقيف الامرالصادر بعزل عرابىواستمرار المدافعة والتجهيزات ـ فقمت أنا وقلت للحاضرين : الآن تحقق لنا أن مسألةحزب عرابى وحزب خديوى كانت دسائس فقط • والمقصود هو ايقاع فشل لاجل استيلاء الانكليز علىالبلاد والحال من هذه الافادات اتضح أنالخديو ليس له حزبمخصوص ولا عرابى أيضا • وان الانكليز من مدة يريدون الاستيلاء على مصر

أما قولى يا يهود يا نصارى كما نسب لى من بعض الذين يريدون تخليص أنفسهم من ورطة الختم ، فهذا لم يحصل منى أبدا ولا يعقل حصوله ، لان المحفل كان مؤلفا من برنسات وعلماء وبطارقة وحاخامات وأغلب ذوات البلد المعتبرين وكافة المديرين والاعيان ، فكيف اخاطب هؤلاء بهذه الالفاظ

س ـ ولم تقل للجمعية اختاروا لكم ميتة ؟

ج ـ لم أقل هذه الاقوال • ولا يعقل انى أتوهمها فضلا عن قولها

س ـ اذا حضر أشخاص ممن كانوا موجودين يومها وختموا معكم وشهدوا بأنكم هددتموهم بقولكم يا نصارى يا يهود يا دروز اختاروا لكم ميتة فماذا تقول ؟

ج ـ اذا حضر العلماء والبطارقة والحاخامات الخاتمون وبعد تحليف كل منهم يمينا على قاعدة دينه يشهد بأنى قلت هذه الالفاظ فأكون مدانا

س ـ هل تعلم أنه فى أثناء وجود الحضرة الخديوية بالاسكندرية كان يتوجه اليها بعض ضباط ممن كانوا مع جيش العصاة ويقيمون هناك أم لا

ج ــ أنا كنت فى مريوط ولا أعلم ذلك

س ــ ألم يكن توجهك لمريوط ووجودك فى الاستعداد للمحاربة مع الجيش مضادا للحضرة الخديوية الفخيمة ؟

ج ــ قد اتبعت القرار الذى صدر بالداخلية . ومع ذلك فانى كنت خائفا من مجلس العسكرية الذى كان أصدر قرارا بعد يوم الحرب بقليل بأن الادارة صارت عرفية ومن يخالف ما يصدر من ديوان الجهادية فيعامل بالقانون العسكرى

س ــ فى مدة وجودك فى مريوط الى من كنت تميل بضميرك : للحضرة الخديوية أم لعرابى ؟

ج ــ أنا لا أميل لعرابى لانه شخص مثلى

س ــ اذا كان كذلك ، فكان معك جملة عربان وعساكر وكان يمكنك التوجه الى الاسكندرية بسهولة

ج ــ لو كنت علمت وقتها الحقيقة وانه ممكن ذلك وتيسر دخولى للاسكندرية بدون أذى من عساكر الانكليز كنت توجهت

س ــ علم من التحقيق انك كنت تعلم الحقيقة ولذلك فانك تشكيت فى حق ضباط أركان حرب وترتب على ذلك سجنهم بالطونجانة

ج ــ لم يحصل ذلك ولم أشتك على أحد سوى شخص يوزباشى يسمى مصطفى رمزى من أركان حرب . كان يتغيب كثيرا ولما سألته عن السبب مرارا لم يقل . وأخيرا صرح لى بأنه جاسوس من طرف عرابى يستخبر له عن أحوال الانكليز وان غيابه بسبب ما ذكره وبعد ذلك أمرته بتخطيط طابية ، فتوجه وخططها فى محل منحط فحررت فى حقه جوابا بالكيفية ، وانه من ذلك يعلم أنه جاسوس على عرابى لا من طرفه

س ــ جاسوس على عرابى من طرف من ؟

ج ــ من طرف الانكليز الذين كانوا يحاربون .

س ـ أنت تعينت بعد ذلك للتل الكبير فكان ذلك بأمر من وفي أى وظيفة

ـ ورد لى تلغراف من يعقوب باشا سامي وكيل الجهادية يقول فيه بما انك تعينت قومندانا بخط الشرق ، فقم وتوجه الى هناك وبناء عليه قمت وتوجهت الى التل الكبير ، وتقابلت هناك مع عرابى فوجدته مستحضرا على أمر لى بهذا المضمون ، فبت عنده ليلة وصولى ، وفى الصباح مررت على الخط

س ـ مكثت هناك كم يوم قبل واقعة التل الكبير التي انهزم فيها جيش العصاة

ج ـ أقمت يوما واحدا وفى فجر اليوم الثاني انهزم الجيش • وصرت أعطى نصائح بعدم الحرب وعدم انشاء خطوط بجهات مثل بلبيس أو غيرها

س ـ قلت قبل هذا انك ما كنت تجتمع مع رؤساء العساكر مدة وجودك في مجلس مصر والمنصورة وفى توكيل السودان وانما بعد الحاقك فى توكيل السودان كنت تجتمع معهم حسب واجبات وظيفتك لداعى أن أحمد عرابى كان ناظر الجهادية ومحمود سامي رئيس النظار، لكن من أجوبتك السابقة علم انه صار تحليفك بقشلاق عابدين على المصحف عن يد الشيخ محمد عبده مع الضباط ورؤساء عصبة الجهادية كما أقريت بذلك • فكيف تكون وقتها من زمرة الملكية ويدعونك للتحالف معهم • أن هذا دليل على أنك من رؤساء حزب العسكرية من ابتداء ظهوره كما هو معلوم للقومسيون من التحقيق

ج ـ انى لم أكن معهم ومسألة وجودى فى التحليف هى أنه فى ذات ليلة كنت فى عزومة بطرف حسن بك جاد وبطلوعى من هناك مع عرابى وطلبة وعلى فهمي وغيرهم من الضباط كلفونى بالتوجه معهم الى جهة لم يعينوها فاعتذرت لهم لانه كان عندى ضيوف ولم يقبلوا وبعدها ركبنا معا

التي دخلوا القشلاق ودخلت معهم وبالصعود الى الغرفة المعدة لاقامة اللواء وجدنا فيها جملة أناس غير من كانوا معنا ومن ضمنهم محمود سامي والشيخ عبده وبعد برهة قال محمود باشا سامي ان المراكب قد حضرت الى الاسكندرية لمحاربتنا والقصد من اجتماعنا هنا هو أن نحلف يمينا على أنه اذا حصل حرب نكون يدا واحدة مع بعضنا وكلفونا بالحلف معهم فقلت لهم أنا لست عسكريا الآن ولا عندي عساكر فلماذا أحلف · فزعقوا في وجهي جميعا بقولهم أفلا تحلف عن نفسك خاصة أولست من أهل الوطن ويجب عليك الذود عنه ؟ فحلفت معهم على ذلك كما أوضحت أولا

س ـ هل كان في هذا الحلف أحد غيركم من الملكية

ج ـ لست متذكرا أحدا لازدحام الغرفة من الناس

ملاحظة :

من الغرائب أن ليلة الحلف في قشلاق عابدين بتلقين الشيخ محمد عبده يقول عنها يعقوب باشا اني كنت معه في عزومة بطرف عمر بك رشدي ، وعلى باشا الروبي يقول اني كنت معهم في عزومة بظرف حسن بك جاد وهكذا كل مسئول يقول مثلهما (١)

شجاعة الشيخ حسن العدوى

وفي يوم الثلاثاء ٢٤ محرم سنة ١٣٠٠ طلب شيخ الاسلام

---

(١) يلي هذا استجواب بعض الكبراء · وقد اضطربوا في أجوبتهم ، ولم يعترفوا بالحقائق خوفا من العقاب ، وكانوا يتنصلون من الانتساب الى الوطنيين او « العصاة » على حد تعبير الخديو وانصاره . ومن الغريب ان بعض الامراء كان من أنصار عرابي في ثورته كالامير ابراهيم أحمد ، والامير كامل فاضل ، والامير احمد باشا احمد ، ولكنهم أنكروا وتنصلوا في جبن عجيب وقد علق عرابي على أقوالهم بقوله : « للمنصفين من قراء المستقبل الحكم واستنباط الحقيقة » .

والمسلمين العلامة الشيخ حسن العدوي من السجن للمحاكمة فحضر وسئل فأجاب بما يأتي :

س ـ ان وظيفتك هى بث العلوم وتدريسها ، فلماذا لم تقتصر عليها ، بل توجهت مرارا لكفر الدوار والتل الكبير مركز العصاة

ج ـ ان سبب توجهى لكفر الدوار هو لقراءة البخاري والتضرع لله بالنصر ، اذ أن الحرب كانت بأمر راغب باشا رئيس مجلس النظار

س ـ ان الامر الذى صدر من راغب باشا صار الغاؤه بمقتضى الارادة السنية التى صدرت بابطال التجهيزات وصرف العساكر، وتليت الارادة المذكورة بديوان الداخلية

ج ـ ان الجمعية التى انعقدت بديوان الداخلية ، وتليت عليها تلك الارادة قر رأيها على استمرار التجهيزات ، وأصدرت قرارا بذلك ختم عليه شيخ الاسلام شيخ الجامع والعلماء جميعا ، وأنا بالجملة اذ أن المدافعة عن الوطن والذود عنه واجبان شرعا وسياسة

س ـ علم من جملة شهادات أن فى ديوان الداخلية فى اليوم الذى انعقدت فيه الجمعية أثناء المداولة فى استمرار التجهيزات أو ابطالها قمت وقلت ان الجناب الخديو مرق من دين الاسلام وان الدين يوجب خلعه فهل هذا حقيقى ؟

ج ـ لم أقل هذا اللفظ مطلقا ، وأقسم بمن أوجدنى من العدم انى لم أنطق بهذه المقالة ، انما قلت أنه يجب علينا شرعا وسياسة الاستمرار على التجهيزات ما دامت الحرب قائمة بيننا وبين أعداء الوطن والدين

س ـ انعقدت الجمعية ثانية فى ديوان الداخلية بخصوص أحمد عرابى ، فهل حضرت فيها أم لا ، وهل ختمت على القرار الذى صدر منها بابقاء أحمد عرابى فى وظيفته وتوقيف أوامر الحضرة الخديوية والموافقة على عزله ؟

ج ـ نعم ورد لى خطاب من الداخلية بطلب حضورى ،

فتوجهت وتوجه كثيرون من العلماء ، وختمنا على ذلك القرار
س ـ هل ختمت برغبتك ورضاك أم لسبب آخر
ج ـ ختمت تابعا للعلماء الذين ختموا قبلى مثل شيخ الاسلام ومفتى الجامع الازهر وشيخ الجامع وغيرهم وكان ختمى برغبتى ورضائى للمدافعة الواجبة شرعا وسياسة وما كان ينبغى لأحد أن يمتنع عن الختم

س ـ موجود بالقومسيون تلغراف صادر منك لاحمد عرابى بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢ تعلمه بعزمك على التوجه لطرفه مع اخوانك وصحبتكم البخارى الشريف لتقرأه عند الطابية الجديدة وطلبت أيضا الصفح عن شخص يدعى محمد عرابى،ودعوت الله أن يؤيد أحمدعرابى المذكور وها هى صورة التلغراف :

« الى سعادة عزيزنا الباشا ناظر الجهادية والبحرية ٠٠ قصدنا بمشيئة الله تعالى القدوم باكر مع بعض الاخوان وصحبتنا البخارى الشريف لقراءته عند الطابية الجديدة وغاية أملى الصفح والعفو عن محسوبكم محمد عرابى،حيث استجار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لأم هانىء أخت سيدنا على لما استجار بمنزلها بعض آل مكة يوم الفتح قال: « أجرنا من أجرت يا أم هانىء » ٠٠ فأملى من سعادتكم قبول رجائى والله يؤيدكم بنصره

فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢

الفقير حسن العدوى خادم العلم بالازهر »

فكيف مع علمك بعصيان أحمد عرابى على الحضرة الخديوية ، وخروجه عن الطاعة تتوجه لطرفه فى مركز المحاربة مستصحبا بعض اخوانك والبخارى الشريف وتدعو له بالنصر ، ومن هو محمد عرابى الذى طلبت العفو عنه ؟

ج ـ ان التلغراف المذكور صدر منى حقا ٠ وأسباب توجهى هى الشفاعة فى محمد عرابى من أهالى المحلة حيث أسند إليه التكلم فى حق أحمد عرابى والتشنيع للحضرة

الخديوية . وكذلك لقراءة البخارى لنصرة الدين وعز الاسلام لا لنفس عرابى . وكان معى الشيخ أحمد البصرى والشيخ أحمد مروان

س ـ قلت في جوابك المتقدم أنك لم تقرأ البخارى لنفس عرابى بل لنصرة الدين مع أنه موجود جواب منك للمذكور وصفت أحمد عرابى فيه بأوصاف لا يصفه بها الا من كان متشيعا له ومتحدا معه ، ودعوت له أن يجعل كيد عدوه فى نحره . وقلت له أنك لا تنساه ولا اخوانك عقب درس البخارى ، فلا يخفى أن صدور ذلك ممن كان مثلك معتبرا من أعظم العلماء يجعل أحمد عرابى يفتخر بنفسه ، ويظن ما لا يتوهم ، فضلا عن تشويش الافكار وها هى صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« ان أبهى ما توشحت بموصول نتائجه همم الابطال ، وتزركشت بمسلسل أخباره أعناق الرجال ، سلام يفوق السماكين قدرا ويزدرى بنشر الطيب ذخرا

« حضرة من سطع فى سماء الكمال نوره ، وتفتق فى رياضها زهر الفضل ونوره ، شمس المعارف وبدر اللطائف ، انسان عين أهل المجد والعرفان ، وحامل لواء العز لاهل هذا الزمان ، سعادة احمد الاسم والخصال ، بلغنا الله واياه الآمال ، بجاه سيدنا محمد والصحب والآل

« أما بعد فقد حضر الينا ولدنا أحمد أفندى صادق وبلغنا عن سعادتكم السلام ، فابتهلنا ورفعنا الأكف الى ذى الجلال والاكرام ، أن يرشدنا واياكم لطريق الاستقامة والكمال ، ويوفقنا واياكم لمرضاة ذى العزة والجلال ، انه خير مسئول ، بجاه كل نبى ورسول . وارجو من الله بجاه حبيبه الاعظم ، أن يعز بكم الاسلام ، ويجعل كيد عدوكم فى نحره على الدوام

« وواصل لديكم صحبة ولدنا محب الطرفين احمد أفندى كتاب « ينبوع المسرات والنفحات الشاذلية » شرحا على البردة الاباصيرية ، والنفحات النبوية فى الفضائل العشورية ، ببركة ما فيها من الاحاديث النبوية ، ان يوفقكم لاظهار عز الملة الحنفية ، وان شاء الله بفضل الله لاننساكم مع الاخوان عقب درس البخارى وفى الاعتاب الحسينية ، مع تبليغ سلامنا لحضرة ولدنا ذى المجد السامى محمد افندى الزمر وباقى اخوانكم ودمتم

الفقير حسن العدوى
خادم العلم بالأزهر
عفى عنه

ج ـ هذا الجواب صدر منى وكفى فى قولى رزقنا الله

واياكم الاستقامة ووفقنا لمرضاته • وهذا من باب النصيحة ومن باب الدعاء بعز الاسلام •

س ـ علم المجلس أنك أفتيت بعزل الجناب الخديو • فهل هذا حقيقى أم لا ؟

ج ـ لم تصدر منى فتوى فى ذلك ، ولم أسأل فى هذه المادة • ومع ذلك فاذا جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فانى أوقعه • وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديو توفيق مستحق للعزل لانه خرج عن الدين والوطن

ـ أشيع أنك رأيت رؤيات لاحمد عرابى • فهل هذا حقيقى ؟

ج ـ انى لم أر رؤيات •••

س ـ معلوم أن أحمد عرابى كان يجمع الناس فى منزله ويختمهم على محاضر ضد الحضرة الخديوية فهل ختمت فى ذلك أم لا

ج ـ لم أكن متذكرا ان كنت ختمت أم لا

س ـ هل ختمك حسن موسى على محاضر أو غيرها •

ج ـ نعم ختمنى على ورقة مفادها أن توقيعنا على الاوراق التى جرى تحريرها كان برضانا لا بالجبر ، وكان خاتما على تلك الورقة حسن موسى وسعودى بك

وبعد ذلك أعيد الشيخ حسن العدوى الى السجن

الشيخ محمد عبده واليمين الوطنية

وفى يوم الاثنين ٢٦ القعدة سنة ١٢٩٩ استحضر فيلسوف الشرق الشيخ محمد عبده من السجن وسئل فأجاب بما يأتى :

س ـ أين كنت مستخدما ؟

ج ـ فى الوقائع المصرية بوظيفة محرر وقايع ورئيس ادارة المطبوعات العربية

س ـ قد طلبناك الآن لنسألك عما يأتى ـ وهو أنه فى يوم من الايام فى أثناء وزارة محمود سامي ، دعا شخص يسمى عمر رشدى من أركان حرب جملة أناس الى منزله هل حضرت ؟

ج ـ لم أحضر

س ـ عقب الدعوة بجمع الضباط لغاية رتبة بكباشي فى قشلاق عابدين تحالفوا،وطلبوك وأعطوك المصحف،وكلفوك بتلقين اليمين ، فبين لنا صورة اليمين ومن حضر

ج ـ لم أتوجه لدعوة عمر رشدى • أما مسألة اليمين فهى أن محمود باشا سامي دعاني الى منزله في يوم الجمعة غروبا ، وقال انه حاصل من بعض صغار ضباط العساكر هياج ، ويريدون اعمال خلل بالبلد ، والغرض اجتماع الكبار منهم،وتحليفهم يمينا على المصحف لتجنب أعمال الخلل في البلد ـ انما حيث لم يعلموا كيفية حلف اليمين ، فتول أنت ذلك • فقلت لا مانع • وفى الواقع توجهوا الى قشلاق عابدين فى غرفة على باشا فهمى ، وكان محمود باشا سامى حاضرا ، وحلفوا يمينا على مصحف أحضروه ووضعوه على المنضدة ، ووضعوا أيديهم عليه وها هو مضمون اليمين : « والله العظيم ـ ثلاث مرات ـ قاهر السموات والارض المتسلط على القوى والقدر • وحق ما فى كتاب الله تعالى اننى وأنا فلان لا أخون وطنى ، ولا أخون نفسى ، ولا أغش أحدا من أهل بلادي ، وأحافظ على عرضى وعلى دينى وعلى عرض أهل بلادى ، ولا أدع أحدا أياكان ان يتعدى على أحد من أهل بلادى ، ما دمت قادرا على منعه ، وانني أحافظ على النظام ، وعلى القانون العسكرى بكل ما يمكنني وبقدر استطاعتي واذا حنثت بيمينى هذا ، أكون مستحقا لقطع الرقبة وشق الصدر ، وأن أكون محروما من مزايا الانسانية والآداب »

س ـ علم من التحقيق أنه ذكر فى اليمين أن يكون

الضباط يدا واحدة وعصبة واحدة ولا يسـمعوا أوامر من أحد ما الا اذا اتفقوا عليها

ج ــ لم يحصل ذلك

س ــ هل حصل ذلك في دفعة أخرى

ج ــ لم يحصل ما ذكر الا في الدفعة التي كنت حاضرا فيها وكان الغرض من اليمين الذي بينته المحافظة على القانون العسكري وعدم الاخلال به كما أفهمني محمود باشا سامي، وذلك هو أن محمد عبيد كان يريد محاصرة سراي الاسماعيلية، فلمنع ذلك أراد محمود سامي باشا جمع الضباط وتحليفهم هذا اليمين لمنع الخلل

س ــ من هم رؤساء العسكرية الذين كانوا حاضرين

ج ــ أحمد عرابي ، وعبد العال ، وطلبة، ويعقوب سامي، وعلي الروبي ، وعلي فهمي ، ومحمد عبيد ، وعبد الغفار ، والزمر ، وحسن جاد ، وعلي يوسف ، ومحمود فهمي ، ولم يحضر أحد من النظار غير من ذكروا ومحمود سامي الذي حلف معهم أيضا

س ــ هل تتذكر التاريخ ؟

ج ــ لا أتذكره

س ــ حيث أن اليمين كان مقصورا على العساكر لعـدم حدوث خلل ، فلماذا حلف محمود سامي ؟

ج ــ حلف معهم كي اذا أرادوا فعل شيء يشاورونه فيه ، كما أنه يشاورهم

س ــ هل حلف مثلهم أو كان يمينه مقصورا على ما ذكرته في جوابك

ج ــ جميعهم حلفوا بصوت واحد

س ــ هل حلفت معهم

ج ــ لم أحلف معهم ، بل كنت ملقنا لهم الصيغة ، ولم أجر ذلك الا لانه أخبرني أن الغرض منع الخلل

س ــ أنت في قلم الوقائع. وهذا الامر مختص بالازهر،

فلماذا انتخبك محمود سامى ؟

ج ـ لكونى معه فى الديوان ويعلم انى من أهل العلم ولكونه رئيسا

س ـ هل حصل حلف يمين مثل ذلك فى منزل أحمد عرابى بين الضباط ومشايخ العرب وهل كنت حاضرا فى هذا الحلف أيضا ؟

ج ـ لم أكن حاضرا

س ـ هل كان السيد قنديل موجودا عند حلف اليمين فى قشلاق عابدين ؟

ج ـ لا

وبعد ذلك أعيد الشيخ محمد عبده الى السجن ...

حسن موسى العقاد يقول عن الخديو توفيق أنه أهبل

فى يوم الاربعاء ٤ محرم سنة ١٣٠٠ طلب السيد حسن موسى العقاد من السجن فحضر وسئل فأجاب كما يأتى :

س ـ ما اسمك ؟

ج ـ حسن موسى العقاد

س ـ حيث انك من تجار البلد فما أسباب هربك ؟

ج ـ عند دخول الانكليز الى مصر صار سجن كثير من العلماء والاعيان والذوات وقبل ذلك رأينا فى جريدة الطائف ان عند دخول الانكليز الى الاسكندرية رموا بعض الناس بالرصاص فهذه هى الاسباب التى دعتنا للهرب

س ـ فى أى يوم هربت ؟

ج ـ هربت فى يوم ٣ القعدة سنة ١٢٩٩ على حسبما أتذكر الآن

س ـ أين كنت بعد خروجك من مصر ؟

ج ـ كنت فى الفلاة داخل القطر

س ـ من جوابك الاول يعلم أنك مصر على عدم اظهار الحقيقة فقل لنا صراحة ألم تخبر سليمان سامى مذ كان

مرافقا لك فى الهرب بأسباب فرارك ؟

ج ـ لم أخبره الا بما قلته أولا

س ـ حيث انك خفت من السجن كما قلت فلابد من وجود أسباب أوجدت عندك هذا الخوف

ج ـ لم توجد عندى أسباب للخوف ٠ انما ذلك الوقت كان وقت فتنة وخشيت من أن يشى فى حقى أحد ما

س ـ موجود ورقة ضبطت من منزلك وهى مسودة جوابك لشخص يسمى خليل افندى فى ٢٢ رمضان سنة ٩٩ ، فاطلع عليها ، وقل لنا هل هى بخطك أو بخط الكاتب المستخدم بطرفك ومن هو خليل افندى المحرر اليه ٠ وها هى صورتها : ـ

« جناب الاجل الاكرم حضرة خليل افندى

« بعد اهداء مزيد السلام والسؤال عن عزيز الخاطر الفاخر ، تقدم خلافه فى هذا الشهر وبه الكفاية ، ثم أنه لا يخفى أن أسعار البضائع تعالت هنا لداعى عدم تواردها لسبب الحرب ، ولو كنا نعلم ذلك لطلبنا من قبل بضاعة من طرفكم لحساب الشركة ، والآن كل ما حصل منها حصل منها مكسب عظيم ٠ وأما من خصوص أحوال السياسة بهذا الطرف فانه من بعد توقيف أوامر توفيق ونظاره لمخالفتها للشرع والقانون من عموم الأمة من برنسات وذوات وعلماء وعمد وأعيان ورؤساء ملتى النصارى واليهود ، فقد سقط بطبيعته ٠ ومن المعلوم أن المسالة صارت غير مختصة بذات عرابى باشا ، كما يقال ، بل صارت مسالة عمومية ، بحيث لم يكن موجودا بالقطر من هو راض عن توفيق لمناسبة انضمامه للانكليز ، وجلب حربهم على المصريين

« فخديويته الهبلية صارت فى خبر كان ٠ ثم أن الشائع انه سياتى عساكر عثمانية الى مصر ومعها البرنس حليم باشا على أن المترائى بأنه اذا كان المقصود حضورهم لاجل رحيل الانكليز من مياه اسكندرية وغيرها وتوصيل البرنس الى مستقره فلا باس ٠ وان كان المقصود نفى عرابى باشا واخوانه من مصر حسب رغبة الانكليز فلا يمكن التسليم بذلك بالسهولة حيث أن عرابى واخوانه لم يقع منهم شىء مخل ، وانما الانكليز هم الباغون ، وعلى اى حال لابد من تسوية هذه المسالة ـ هذا وانه حصل اشاعة جسيمة هنا من اوائل هذا الشهر من جهة السيد حسن موسى العقاد مفادها أن الحضرة الشاهانية وباقى الدول استقر رأيهم على تولية البرنس حليم باشا ، وانما الانكليز متوقفون لبعض شروط ، وقريبا يصير اقناعهم على

اى وجه ، وبعدها يحضر لمصر ، فهذه الاشاعة واقعة عند الناس موقع القبول والصدق وتراهم منتظرين حصولها من وقت لآخر . وذلك لاجل سرعة حل الاشكال الحاصل . ومما أوجب زيادة الاطمئنان للمصريين ان السيد حسن المومأ اليه شارع فى التجهيزات اللازمة لعمل الزينة لقدوم البرنس المشار اليه بصفة خديو مصر . وقد فهمنا من التلغراف سبب التأخير وان شاء الله يحصل بالمؤتمر ما يحل المشكل على أحسن وجه ، وان المقصود معرفة يوم القيام لاجل الاستعداد فيما هو لازم »

ج ـ الورقة المذكورة مكتوبة بخط الكاتب المستخدم بطرفى وهى صورة أخذها من جواب محرر من مصطفى بك صدقى بن رستم بك بجهة شبرا أما خليل افندى فلم أعرفه ويعرفه مصطفى المذكور

س ـ مذكور بتلك الورقة جملة اشاعات منسوبة اليك فما هى الحقيقة ؟

ج ـ لم يحصل منى شىء مما أسند الى

س ـ حيث انه لم يحصل منك شىء مما أسند اليك فى هذه الورقة فلماذا أخذت صورة منها حالة كونها مشتملة على عبارات لا تليق بمقام الحضرة الخديوية ؟

ج ـ الغرض من أخذ الصورة المذكورة كان معرفة ما فيها

س ـ هل مصطفى بك صدقى حرر هذه الورقة بمنزلك أو بمحل آخر وأرسل لك نسخة منها أو كيف ؟

ج ـ مصطفى بك صدقى كان حضر لمنزلى ومعه صورة هذه الورقة ، وأطلعنى عليها فأخذت صورتها ، ثم نسخها الكاتب

س ـ موجود ورقة أخرى ضبطت فى منزلك فاطلع عليها وقل لنا بخط من كتبت ومن أين حضرت اليك ، وها هى ذى صورتها :

« جناب الاجل الاكرم حضرة السيد دام

بعد وفور الأشواق وسؤال عزيز الخاطر الفاخر ، نعرفكم ان الشغل انتهى من هنا على ما يرام ، وبقينا على نية الحضور لطرفكم فابشروا بالخير وبلغوا الأحباب واخوانكم وهنئوهم بذلك ١٩ يوليه سنة ١٨٨٢ »

ج ـ كنت فى الداخلية فى اليوم الذى انعقدت فيه الجمعية

هناك فأعطاني عثمان باشا فوزى هذا الجواب وقال لى أنه حضر لى من ضــمن ظرف ورد له من طرف زينب هانم ، وباطلاعى عليــه وجدت العنــوان بغير اسمى ومع ذلك لما أخبرني انه لى أخذته

س ـ ماذا فهمت من هذا الجواب وما هو الشغل الذى انتهى ومن هو الذى تأهب للحضور ؟

ج ـ الذى فهمته أن الشغل الذى انتهى هو شغل حليم باشا أخى زينب هانم الحاضر من طرفها هذا الجواب، وأنهما هما اللذان تأهبا للحضور .

س ـ يوجد تلغراف محرر منك بتاريخ ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٢ فاطلع عليه وقل لنا هل صدر منك أم لا وها هى ذى صورته :

« الى ابراهيم بكير بالاستانة فى ٢٩ يوليه سنة ١٨٨٢
البرنسات وعموم الأمراء قرروا ابقاء ناظر الجهادية وعدم اعتبار أوامر الخديوى لأسباب ، وسيعرض للأعتاب تلغرافيا وعرفونا متى حضوركم لزيادة المسرورية فى ١٣ رمضان سنة ١٢٩٩ »

ج ـ نعم صدر منى ذلك

س ـ قلت فى التلغــراف المذكور الصــادر منك أن البرنسات وحسن موسى وعمــوم الامراء قرروا بقاء ناظر الجهادية وعدم اعتبار أوامر الخديو لاسباب وانه سـيعرض للاعتاب تلغرافيا وطلبت من ابراهيم بكير المحرر اليه التلغراف تعريفك عن تاريخ حضوره ، فما هى الاعتاب القائل عنهــا ومن هو ابراهيم بكير المحرر اليه التلغراف ، وما أســباب استفهامك عن حضوره وما أسباب تحرير هـذا التلغراف اليه ؟

ج ـ المقصود بالاعتاب أعتاب الحضرة السلطانية كما تقرر بالقرار الصادر بالجمعية التى انعقــدت بالداخليــة . أما ابراهيم بكير فهو من تجار الاستانة واستفهمت منــه عن تاريخ حضوره لانه ورد لى خطاب منه بأنه عازم على الحضور

وحررت هذا التلغراف لانه طلب منى اخبــاره بالاحـــوال السياسية فى مصر لاجل أشغال تجارية.

س ـ هل ختمت على القرار الذى صيدر من الجمعية التى انعقدت بالداخلية ببقاء أحمد عـرابى فى مسنده وتوقيف اوامر الخديو أم لا

ج ـ ما دام ان القاضى والمفتى وشيخ الاســلام والعلماء جميعا وذوات الجهادية والملكية والعمد والنواب والتجــار أقروا على ما فى القرار المذكور وختموا فأنا ختمت أيضـا بالجملة

س ـ هل ختمت برغبتك ورضاك أو بالجبر والتهديد

ج ـ فى الجمعية التى انعقدت وصدر فيها ذلك القرار. ألقى على باشا الروبى خطبة حرض فيها على اصــــدار هذا القرار وحيث أن جميع الحاضرين وافقوا عليه فأنا بالجملة ختمت عليه

س ـ هل تنكر سعيك فى مصر فى تختيم محاضر بعزل الحضرة الخديوية وتنصيب حليم باشا

ج ـ قبل المجاوبة منى عن هذا السؤال أقول انه فى آخر رجب أو فى أوائل شعبان صدر عفو من الحضرة الخـديوية عن مثل هذه الامور . والمعلوم انه لا يصح الرجوع عن هذا العفو ، فكيف أسأل عن أمور حصلت قبل تاريخ صدوره وشموله به

س ـ أجب عن هذا السؤال الذى صـار توجيهه اليك بالسلب أو بالايجاب

ج ـ لم يحصل شىء مما ذكر

س ـ هل ختمت على محاضر من هذا القبيل أم لا

ج ـ لم أختم على محاضر بعـــزل الخديو وتنصيب حليم باشا انما فى يوم من الايام كان أحضرنا أحمد عـرابى فى منزله مع جميع العلماء والاعيان ووجدناه آخـذا فى تختيم الناس على عرضحال للحضرة السلطانية بطلب اســتبدال

الحضرة الخديوية بدون تعيين اسم البدل،وأنا ختمت بالجملة مع أناس كثيرين كما يتضح من ذات العرضحال • وقدأجبت عن هذا السؤال امتثالا للقومسيون «هيئة المحاكمة» ، والا فاني متمسك بالعفو الذى صدر عن هذه الامور

وقد سئل السيد حسن موسى العقاد بعد ذلك عن كمبيالات ونقود استعملها فى بث الدعوة للثورة العرابية ، فأجاب عنها كلها بصراحة وشجاعة

سليمان سامى يهرف بما لا يعرف

دعى سليمان سامى أمام المجلس ، وسئل عدة أسئلة أجاب فيها • وهنا أهم ما جاء فى أجوبته ردا على بعض الاسئلة التى وجهت اليه وهى تدل على كثير من الاضطراب الذى جعله يكذب ويقول زورا وبهتانا :

س ـ ما اسمك ولقبك ومحل مولدك وعمرك ووظيفتك ومحل اقامتك ؟

ج ـ اسمى سليمان سامى ومولود بمصر بخط الشعرية وعمرى ٤٠ سنة ووظيفتى قائمقام ومقيم بالاسكندرية

س ـ أين كنت فى يوم الاربعاء ثانى يوم ضرب الاسكندرية

ج ـ كنت بباب شرقى وفى الصبح طلبنى أحمد عرابى ونبه على بأن الانكليز ستضرب المدافع بالقنابل المحرقة على البلد ، وانه يجب على منعهم من الدخول ، وانه قبل ترك المدينة يجب حرقها بحسب القانون ، فعند ذلك ضربت طابور بحسب أمره ، ونبهت على الضباط بما أمرنى به ومع ذلك قلت لهم أن ينتظروا قليلا •• (هذا الجواب كذب مفترى)

س ـ لما جمعت الضباط كما ذكرت ماذا قلت لهم ؟

ج ـ قلت لهم أن ناظر الجهادية قال ما ذكرته ، فبقوا جميعا صامتين ، ولم يعارض الامر أحد منهم

س ـ ماذا جرى بعد أن قلت للضباط أن ينتظروا قليلا

ج ـ توجهت الى عـرابى مع ابراهيم فوزى ، لان أحمد عرابى كان طلبنى بواسـطة ابراهيم المذكور • وبينما أنا هناك رأيت الحريق فى المدينة

س ـ ماذا قال لك ابراهيم فوزى حينما أتى المنشـية وطلبك أحمد عرابى

ج ـ لما قابلنى صار يلومنى على تأخيرى عن حرق المدينة وصار يصيح على الاهالى والعساكر ويحرضهم على حرقها • (ظاهر البطلان)

س ـ أما نظرت ابراهيم فوزى مرة أخرى فى المنشية

ج ـ لم أنظره غير تلك المرة

س ـ قلت أمام القومسيون (هيئة المحاكمة) انه حضر لك مرتين وقال لك فى أول مرة ما ذكرته الآن ، وانه أتى مرة أخرى ودعاك الى التوجه الى عرابى

ج ـ حقيـقة جاءنى مرتين ففى المرة الاولى نبه على بأن استعجل ، وفى المرة الثانية دعانى الى التوجه الى عرابى

س ـ هل كان عرابى قد أعطاك أمرا كتابيا بحرق المدينة

ج ـ أمرنى شفهيا

س ـ هل يجوز فى قانون الجهادية حرق مدينة بناء على أمر شفهى

ج ـ لا يجوز وأنا لم أفعل سوى ابلاغ ما نبه به • ولست متحققا ان كان القانون يجيز ذلك أم لا

س ـ لو فرض أن عرابى هو الذى أعطاك حقيقة تلك الاوامر الفظيعة فلماذا لم تتركه وتبحث عن طريقة لتتخلص بها من يده كتسليم ذاتك للحضرة الخـديوية قبل اعطاء التنبيهات التى أمرك باعطائها

ج ـ حقيقة كان واجبـا على ذلك ، ولـكننى خفت من عرابى

س ـ لماذا لم تسمع أمره ان كنت تريد تخاف حقيقة حينما أمرك بالتوجه والتجرؤ على حياة الحضرة الخديوية كما قررت أمام قومسيون مصر :

ج ـ لغايتها كنت أظن أن المحاربة وجميع ما حصل كان بامر الحضرة الخديوية ولما سمعت ذلك الأمر من عرابى فهمت الحقيقة وأبيت تنفيذ أمره ، وقلت له أن يعين غيرى لذلك . (كذب والله)

س ـ حينئذ عرفت أن الحرب ضد ارادة الحضرة الخديوية . فلماذا لم تنفصل عن العصاة

ج ـ خفت من العساكر .

ملاحظة : الحقيقة ان سليمان بك سامى لما شاهد هول تاثير مقذوفات مراكب الانكليز حصل له هلع وطيش أثر على مخيلته ، فصار يهرف ويميل لعمل غير العقلاء فبدرت منه كلمات تدل على جنونه كقوله : «احرق واخرب يا ولد» فى حالة هيجان وذهول وقد اجمعت الشهود على أنه لم يفعل من ذلك شيئا وأنه خرج بآلايه من المدينة قبل الغروب ، وأنه ترك المنشية وخرج الى باب شرقى الساعة ١١ عربى ، ولم يعد اليها ، وأن الحرق لم يبتدىء الا بعد الغروب وبعد خروج العساكر من المدينة كشهادة سعد بك أبو جبل وعلى بك داود وغيره ، وأن الحرق لم يكن الا من أوباش الخدم والاعراب وغيرهم من الاورباويين والفقراء الذين تخلفوا فى مدينة اسكندرية ليتحصلوا على شىء من الصيدة والغنيمة . ولذلك لم يقل أحد بأنه رأى سليمان سامى يفعل الحرق بنفسه ولا بغيره وعلى ذلك يكون سليمان سامى ذهب شهيد طيشه وهيجانه والحساب على الله

الأحكام التى صدرت على زعماء الثورة

حكم بالاعدام يستبدل به النفى المؤبد

لما فرغ المجلس المؤلف برياسة اسماعيل باشا أيوب من استجوابنا أحال الأوراق على المحكمة العسكرية المخصوصة وبعد أن جرت المفاوضة فى شأن توقيع الجزاءعلينا ما بين الحكومة وبين اللورد دوفرين ـ كان من تصميم الحكومة قتلى وقتل محمود باشا سامى ويعقوب باشا سامى ومحمود باشا فهمى وعلى باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى وطلبة باشا عصمت ـ وكان المجلس الابتدائى قد حاول كثيرا الصاق مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيو وحرق الاسكندرية فى ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ بى كما يتضح من مطالعة الاستجوابات ، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر براءتنا بالرغم من سعى الحكومة فى ادانتنا فنطق المستر غلادستون بصوت جهورى فى مجلس البرلمان بأنه قد ثبتت جليا براءة احمد عرابى باشا من حريق الاسكندرية ومذبحتها ، وأهاب الى وجوب معاملتنا معاملة الثوار السياسيين وعليه تقرر نفينا مع اخواننا المذكورين الى جزيرة سيلان بناء على اختيارها لنا بمعرفة صديقنا السير وليم جريجورى الايرلندى كاتم سر الملكة ، فاستعفى ناظر الداخلية رياض باشا وتحطمت المشانق التى أعدتها الحكومة لاعدامنا وحنق رجال الاستبداد لعدم تمكنهم من التمثيل بنا

وقد تقرر بالمحكمةالعليا العسكرية اعدامنا بناء علىالقانون العسكرى العثمانى الذى يقضى باعدام كل من خرج على الدولة وقابلها بالسلاح . وطبقت المحكمة المذكورة احكام المادة ٩٦ من القانون العسكرى العثمانى والمادة ٥٩ من

قانون الجنايات على من كان يدافع عن بلاده ، ويقاتل دولة اجنبية طامعة فى الاستيلاء عليها ، قياما بالواجبات العسكرية ، والفرائض الوطنية مدافعة شرعية قانونية

ولكن الخديو أصدر أمره بالعدول عن أحكام الاعدام الى النفي المؤبد علينا وعلى اخواننا الآنف ذكرهم اجابة لداعي العدل وموافقة لصوت غلادستون رئيس أحرار الانجليز ورئيس حكومة الأحرار

وفى ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ التأمت المحكمة العسكرية المذكورة فى جلسة علنية بحضور جم غفير من الذوات والأوربيين وكثير من عقيلات أكابر الأوربيين حتى اكتظت المحكمة على سعتها . ثم دعيت لسماع الحكم فأجبت وقمت فى مقام سماع مؤمنا بالتميز والاحترام ، فقام رؤوف باشا رئيس المحكمة المذكورة وتلا على الحضور الأمر القاضي بالاعدام . ثم جلس دقيقة وقام يتلو أمر الخديو القاضى باستبدال النفى المؤبد بالقتل ، فأشرت بالرضى والقبول مع الشكر . فقامت السيدات الأوربيات يتسابقن فى نثر الورود والأزهار على مهنئات بشفقة وحنان . لا أزال أشكرهن وأذكر عطفهن على بالثناء الجميل

واما السيدة اللادي (نابيير) فانها بعد أن نثرت على ... من الورد والياسمين قدمت لى بيدها الكريمة باقة ورد عظيمة فتقبلتها منها شاكرا لها عطفها وحنانها ــ ونثر الورد رمز على الخلاص من الموت

وفى يوم الخميس الواقع فى ٢٦ محرم سنة ١٣٠٠ و ٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ التأمت المحكمة أيضا فى جلسة علنية حضرها كثير من الذوات المصريين والأوربيين ودعى لسماع الحكم فيها كل من محمود باشا سامى وعلى باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى وطلبه باشا عصمت وبحضورهم تلا عليهم رئيس المجلس القرار القاضى عليهم بالقتل ، ثم

جلس جلسة خطيب ، وقام وتلا عليهم الامر الخديوى المؤذن باستبدال النفى المؤبد بالقتل كما ذكر

وفى يوم الأحد الموافق ٢٩ محرم سنة ١٣٠٠ و١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ اجتمعت المحكمة المذكورة فى جلسة علنية حضرها كثير من الذوات المصريين والأوربيين ودعى لسماع الحكم فيها كل من يعقوب باشا سامى ومحمود باشا فهمى وبحضورهما قام رئيس المحكمة وتلا عليهما الحكم القاضى بالاعدام ثم جلس هنيهة وقام وتلا عليهما الأمر الخديوى المؤذن باستبدال النفى المؤبد بالقتل كما المعتاد سابقا

وهاك نص الأمر الخديوى :

أولا ـ الحكم الصادر على كل من أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى المقتضى جزاؤهم بالقصاص وقع تبديله بالنفى على الأبد من الأقطار المصرية وملحقاتها

ثانيا ـ هذا العفو يبطل ويقع اجراء الحكم على كل من أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى المذكورين بالقتل اذا رجع الى الأقطار المصرية وملحقاتها

ويتلو ذلك مادة التنفيذ الذى أنيط به كل من ناظر الداخلية وناظر البحرية والحربية (عمر لطفى.)

حكومة توفيق
تنهب أملاكنا ظلما

وبعد أن صدرت علينا هذه الأحكام رأى مجلس النظار رأيا مخالفا للعدل ومجحفا بالحقوق الشرعية وذلك بأن تضبط أملاكنا المنقولة وغير المنقولة وأن يعين لنا فى مقابل ذلك راتب سنوى يكفى لمعيشتنا فصدر بذلك أمر خديوى هادم لصروح العدل ومقوض الدعائم الشريفة الغراء ومبطل

لأحكام الله فى آيات الفرائض القرآنية فى المواريث (١)

وقد صدر الأمر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ ونصه كما يأتى :

(نحن خديو مصر)

بعد الاطلاع على الأحكام الصادرة من المحكمة العسكرية بتاريخ ٢٢و٢٦و٢٩ محرم سنة ١٣٠٠ الموافق ٣و٧و١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وبعد اخذ رأى مجلس نظارنا أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى ـ أملاك وموجودات احمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمي ومحمود سامي وعلى فهمي ومحمود فهمى ويعقوب سامى منقولة كانت أو غير منقولة وأملاكهم وموجوداتهم التى اشتروها أو وضعوا يدهم عليها ومقيدة بأسماء غير أسمائهم وكذلك الاملاك والموجودات التى تصرفوا فيها بالهبة أو البيع بطريقة مصطنعة ، صارت ملكا للحكومة

ولا يجوز لهم من الآن فصاعدا أن يمتلكوا أى ملك من اى نوع كان فى الأقطار المصرية بطريق الارث أو الهبة أو البيع أو بأى طريقة كانت ويترتب لهم راتب سنوى نقدى بقدر الضرورى لمعيشتهم

المادة الثانية ـ أملاك وموجودات أحمد عرابي وطلبه

---

(١) هذا الحكم مخالف للعدل والدين كما قال عرابى صاحب هذه المذكرات ، ولا شك أيضا أنه مخالف للوطنية . فاذا كان عرابى وزملاؤه من الوطنيين الاحرار يستحقون ـ فى نظر الخديو توفيق ومن معه من الخونة ـ أن يحكم عليهم بالاعدام أو بالنفى المؤبد جزاء اخلاصهم لوطنهم ودفاعهم عن حريته وكرامته وحقوقه التى سلبها المستبدون ، فما ذنب أبنائهم وأحفادهم حتى يعيشوا فقراء محرومين من املاكهم ؟ ان واجب الوطنية والعدالة يقضى على حكومة الرئيس محمد نجيب الذى اشاد بفضل احمد عرابى أن ترد الى أبنائه أملاك أبيهم وأمواله ليكون فى ذلك عزاء للمجاهدين المخلصين ..

عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى منقولة كانت أو غير منقولة يصير بيعها وما ينتج من هذا البيع بعد التصفية يخصص لسداد التعويضات التى ستعطى لمن أصيبوا بالحوادث الثورية

المادة الثالثة ـ على ناظر داخلية حكومتنا تنفيذ أمرنا هذا

وجاء فى ذيل هذا الأمر الظالم توقيع كل من الخديو ورئيس النظار وناظر الداخلية . وعلى أثر صدوره قررت نظارة الداخلية أن تشكل لجنة مخصوصة فى مركز ضبطية مصر تكلف بحصر أملاك المحكوم عليهم ظلما وعدوانا وتنفيذ احكام الامر المذكور الى أن تجرى تصفية قيمتها . وقررت أن ترد اليها المكاتبات والأوراق التى تقدم فيما يتعلق بحصرها وحقوق أرباب السلف

وأن تؤلف هذه اللجنة من رئيس ينتخب من أرباب الرتب وعضوين من ذوى الدراية والاستعداد فتعين عثمان بك فهمى الوردانى رئيسا لهذه اللجنة ، وأحمد حشمت أفندى وجبران أفندى مسكات عضوين لها ، وفى اليوم الذى قررت فيه نظارة الداخلية تأليف هذه اللجنة أصدرت أوامر تلغرافية الى جميع الجهات فتبين فيها وجوب حصر ما يوجد من أملاك الرؤساء السبعه المذكورين فى كل منها

وفى ١٥ صفر سنة ١٣٠٠ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٢ صدر أمر الخديو بتجريدنا نحن السبعة القواد المحكوم علينا بالنفى المؤبد من جميع الرتب والالقاب وعلامات الشرف التى كنا حائزين لها وبمحو أسمائنا من دفاتر ضباط الجيش المصرى محوا مؤبدا (ولكن شرفنا الذاتى القائم بالنفس لا يمكن لأحد أن يجردنا منه أو ينزعه عنا بل ليس لملوك الأرض سلطان عليه لأنه هبة من عند الله) .

عهد نكث به الخديو

وقبل أن تصدر هذه الأحكام الظالمة أشار علينا المستر برودلي والمستر نابيير المحاميين عنا بأن نعترف بالعصيان على الخديو عصيانا صوريا على شرط أن يكون نفينا نفيا مكرما وأن يترتب لى معاش سنوى من الحكومة المصرية مقدار ألفى جنيه مصرى مدة حياتى ، ويكون هذا المعاش حقا لأولادى من بعد وفاتى . ولكل واحد من اخوانى الذين ينفون معى ألف وخمسمائة جنيه مصرى سنويا وهم : على باشا فهمى ومحمود باشا سامى ومحمود باشا فهمى ويعقوب باشا سامى وعبد العال باشا حلمى وطلبه باشا عصمت ، وأن تحفظ جميع أملاكنا وأطياننا وامتيازاتنا على حسب اتفاقهما مع اللورد دوفرين والمرخص من الحكومة الانجليزية . وصرحا بأن ذلك متفق عليه بين اللورد دوفرين وبين الحكومة الانجليزية ، وقالا أيضا بأن بعض الضباط والأمراء ينفون من القاهرة الى بلادهم فقط ، وباقى الضباط والعلماء والأعيان والعمد وغيرهم من المسجونين بسبب الحرب يصدر عنهم عفو عام ولا يحرمون من الخدمة بسبب ذلك . فلتحققنا بأن قبول مشورتهما على هذه الشروط يكون تسهيلا للمصاعب السياسية التى ارتطمت فيها الحكومة الغلادستونية وان امتيازاتنا واملاكنا محفوظة ، ولن يخدش شرفنا ، قبلنا هذه الشروط واعترفنا بالعصيان على الخديو صورة لا حقيقة ، كما تحرر بذلك الى جريدة التيمس ، وبناء على ذلك طلبا منا ان نكتب الى اللورد دوفرين بما يفيد قبولنا بالنفى الى المحل الذى تعينه الحكومة عن رضانا واختيارنا ، فكتبنا له بما يفيد ذلك ، وبالفعل صرف النظر عن التشبث بطلب الأوراق والدفاتر والمستندات التى تثبت حقوقنا وتحفظ شرفنا ، وهى تلك الأوراق التى كنا كتبنا الى المستر برودلى بطلبها من المعية ، وصرف النظر

عن التحقيقات وتألف مجلس حربى صورى ، وحكم علينا فيه بالقتل ، ثم أعلن أمر الخديو باستبداله بالنفى فى جلسة واحدة ، ولم تحصل مدافعة ولا اقامة حجة بناء على ما سبق من الاتفاق عليه ، ولم يذكر فى الأمر الخديوى تجريدنا من الامتيازات والنياشين ولا سلب الأملاك ولا نهب الأموال

وهاك صورة ما تحرر الى مدير جرنال التيمس بلندن فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ الموافق ٢٢ محرم سنة ١٣٠٠ ونحن بسجن الدايرة السنية :

« انى قد اتبعت ما اشار به على كل من المستر برودلى والمستر نابير المحاميان عنى اللذين يستوجبان دوام الشكر منى على مابذلاه من الهمة والاجتهاد فى قضيتى واعترفت لدى المجلس العسكرى بالعصيان على الخديو صوريا اذ ان وزراء الانجليز قد أعلنوا مرارا بأنى عاص فلا أؤمل انهم يعدلون عن رايهم هذا دفعة واحدة ، بل ولا يمكنهم ذلك وامتثلت بأن أتوجه الى المحل الذى تعينه لى انجلترا للاقامة فيه الى ان يأتى الوقت الذى يمكن فيه لانجلترا أن تغير رأيها فى شأنى . ولهذا فلست متكدرا لما أصابنى ولا من الحكم الذى صدر على لكونه يدل على انى برىء مما حاول خصومنا الصاقه بنا ونسبته الينا من مقتلة الاسكندرية وحريقها الامر الذى لم يكن لى يد فيه قط ، بل هو من الفظائع التى هى ضد أعمالنا الوطنية ومشروعاتنا الاساسية

« ولتيقنى بأن معاملتى فى المستقبل بكرم الامة الانجليزية فسأفارق مصر مطمئن القلب والخاطر خصوصا لما أتحققه من أن انجلترا لايمكنها الآن أن تتأخر عن اجراء سائر الاصلاحات التى كنا نرغب اجراءها فى بلادنا ، وانه بعد مضى مدة قليلة يصير أبطال المراقبين وتخرج مصر من أيدى المتوظفين من الاجانب ، الذين احتلو كل وظيفة فى مصر ، وإنه يصير اصلاح حالة المجالس المحلية ، وتوحيد قوانينها ونشرها للعمل على مقتضاها . وان يكون للامة مجلس نواب منها يكون له صوت معمول به ونظر فى مصالح الامة المصرية . وأن توضع حدود لمعاملة المرابين مع الاهالى . وبالوقوف على حقيقة احتياج البلاد لتلك الاصلاحات يعلم للامة الانجليزية ان عصيانى له موجب وسبب عظيم

« انى ابن فلاح مصرى وقد اجتهدت على قدر طاقتى فى نوال هذه الاصلاحات كلها للوطن العزيز الذى انا من أبنائه ومحبيه ، فلسوء البخت لم يتيسر لى الحصول على الغرض المقصود . لكنى أؤمل من الامة

والانجليزية انها تتمم الاشغال التي ابتدأتها . واذا فعلت ما أؤمله منها من الاصلاح وسلمت مصر للمصريين كما هو واجب على ذمتها وشرفها تبين لجميع العالم اذ ذاك مساعى عرابى ذلك العاصي وحقيقة مقاصده

« ان الامة المصرية بأسرها كانت معي وصحبة لى كما انى محب لها ابدا ، فأؤمل انها لاتنسانى عندما تتمم انجلترا الاصلاحات التى كنت طالبها واحاول الوصول اليها . وانى غير آسف على شيء حيث كان ذلك ذريعة توصل مصر الى ما هى جديرة به من الحرية والعمران . وعندما تتمم انجلترا اصلاح البلاد ارجو من شفقتها وانسانيتها ان تسمح لى بالعودة الى بلادى العزيزة على لأشاهد ثمرات الفلاح والعمار بوطنى قبل أن افارق هذه الدنيا

« انى متشكر للمستر غلادستون واللورد غرنفيل لتوسطهما فى مسألتى اذ انقذانى من الخطر العظيم وسيعلمان انى لم اكن عاصيا حيث كنت قائدا لامة عظيمة لاترغب فى شيء سوى العدل والانصاف والمساواة . وكذلك اشكر اللورد دوفرين حيث أظهر نحوى غاية الملاينة وعلو الهمة . كما انى اعلن تشكراتى وممنونيتى الى صديقى المستر بلنت واخوانه ممنونية لايمكننى القيام بواجباتها اذ انه دافع عنى واعاننى بنفسه وماله فى وقت الضيق والعسر حين تركنى احبائى من المصريين الذين كانوا يلازمون جانبى فى أيام اليسر

« اما صاحبا الشرف والامانة المستر برودلي والمستر نابيير فانهما بذلا غاية جهدهما فى خلاصي وخلاص اخوانى واظهرا فى مساعيهما غاية الامانة وكمال الصداقة الامر الذى ارانى عاجزا عن القيام بواجب شكرهما

« وانا متشكر لجميع الامة الانجليزية كما انى متشكر لك .يها الفاضل ولسائر مديرى الجرانيل الانكليزية الذين اتحدوا فى طلب معاملتى ومعاملة اخوانى بالعدل والانصاف . ولاعضاءالحكومة الانكليزية الذين ارتفع صوتهم مرارا فى خصوص مسألتى واظهار حقوقى

« وكذلك اشكر السير شارلس ولسون الذى تردد الى كثيرا وتعهدنى باحسن ملاحظة فى مدة سجنى

« ها انا مهاجر من مصر العزيزة الا انى متيقن من ان الايام والحوادث ستبين حقيقة اعمالنا وما كنا عليه من العمل بالعدل والانصاف . وان انجلترا لاتندم ابدا على ما ابدته من التسامح والتساهل مع من قاتلته فى المعارك الحربية حين تتبين لها حقيقة مسعاه ، احمد عرابى المصرى

الخديو لا يفي بالعهد

وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ أى بعد صدور الأمر بالقتل واستبداله بالنفى بمدة ١٢ يوم ، صدر أمر من

الخديو بسلب أملاكنا جميعها من أطيان وعقار وغيره كما ذكر آنفا • وحيث ان هذا الأمر الخديوى لم يبن على وجه شرعى وبدون محاكمة ولم يسبق معاملة من نفى قبلنا من مصر بهذه المعاملة التى هى ضد الشرائع العادلة قدمنا احتجاجا على ذلك وطلبنا من مستر برودلى تحريريا معارضة هذا الأمر وعدم قبوله حفظا لأملاكنا وحقوقنا وحجتنا فى ذلك أن الأمر المذكور مخالف للأوامر الآلاهية المقدسة بما نص فيه من ابطال أوامر الله سبحانه بحرماننا من كل ارث شرعى يؤول الينا فى المستقبل وبمصادرة أملاكنا بلا تحقيق خلافا لقول النبى (مال المسلم على المسلم حرام) ومن أمر أمرا مخالفا لكتاب الله فهو رد عليه ولا يجوز للمسلمين الاقرار على هدم أصول دينهم أبدا ، وقد كتبنا قائمة وسلمناها الى مستر برودلى بمقدار أطياننا ليدافع عنها وهى كما يأتى :

كشف

عن أطيانى وأملاكى التى بالجهات الموضحة ادناه :

الجملة فدان	
٥٣	بناحية هرية رزنه شرقية
	وناحية تل مفتاح رزنه شرقية
	٧٦ فدان أطيان خراجية
٨٢ ١/٢	٦ ١/٢ فدان أطيان عشورية
١٠ ١/٢	بناحية أكياد شرقية
١٢	بناحية الأسدية شرقية
١٠ ١/٢	أطيان عشورية بناحية سلامون الغبار بمديرية الغربية
١٦٨ ١/٢	ملك خاص لنا

فدان	
١٦٨ ١/٢	ما قبله
	أطيان صار مشتراها من أطيان الميرى ودفع ثمنها فى المديرية
١٠٠	١٠٠ فدان بناحية المناجاة الصغرى باسمنا خاصة
٢٦٨ ١/٢	
	أطيان صار مشتراها من أطيان الميرى بمديرية الشرقية بطريق المزاد بالاشتراك بينى وبين حسن باشا أفلاطون كل منا بحق النصف ودفع الثمن بالمالية :
	فدن
	١٦٠ بناحية الاحيوه شرقية
	٤٠٠ بناحية قهبونه شرقية
	٠٣٧ بناحية كفر السناجره شرقية
٦٠٩ —	٠١٢ بناحية أكياد
٨٧٧ ١/٢	الجملة

« الى جناب المحترم المستر برودلى المحامى عنى

«اننا قد أوضحنا بيان أملاكنا الموضحة أعلاه بهذا الكشف كما هو مبين بكل ناحية . وحيث أن حضرتكم وكيل شرعى عنا مفوض فى المدافعة والمحاماة عن حقوقنا فقد فوضنا لكم فى المحافظة على أطياننا المذكورة أعلاه وعلى جميع حقوقنا وقد تحرر هذا اعتمادا بما ذكر

أحمد عرابى »

لما صدر أمر الخديو بتجريدنا نحن السبعة القواد المحكوم علينا بالنفى من جميع الرتب والألقاب وعلامات الشرف فى ١٥ صفر سنة ١٣٠٠ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٢ أبينا تسليمها الى مندوب الحكومة وسلمناها الى المستر

برودلى للمدافعة عن حقوقنا ، لانه ضد الاتفاق السابق أولا ، ثم لأنه ليس من حقوق الخديو سلب الرتب ونياشين الافتخار والميداليات الشاهانية التى اكتسبت فى المحاربات الدولية . وفوق ذلك فانه لم يذكر بحكم المجلس الحربى تجريدنا مما أوردناه .

ثم أن الحكومة المصرية نكثت بعهدها الذى عاهدت به اللورد دوفرين.وصرفت لكل منا ثلاثين جنيها مصريا فقط فى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨٢ ، وان لم يكن كذلك فيكون اللورد دوفرين غشنا وغش المحامى الذى أخبرنا أخيرا بانه قد فوض حاكم جزيرة سيلان فى تقرير ما يلزم لنا من النقود شهريا أو سنويا ، وهكذا وعد ممثل الحكومة الانجليزية وموافقة الخديو

بعد الحكم

ولما أنقذنا الله سبحانه من مخالب الموت فرح المصريون الأحرار فرحا عظيما خصوصا أحرار العائلة الخديوية وكتبت صاحبة الدولة ومثال الكمال انجى هانم حرم المرحوم محمد سعيد باشا والى مصر الأسبق الى جناب المستر برودلى المحامى عنا تشكره للدفاع فى قضيتنا بما يأتى :

« جناب المستر برودلى المحامى

« بعد اهدائك تسليماتى وتشكراتى لشخصك الكريم ، انتهز هذه الفرصة لأن أصرح لكم بأن بلاد مصر تشرفت بمجيئكم اليها . وانا وجميع أهلها مسرورون من أعمالكم لأنكم دافعتم عن مبدأ الانسانية والعدل

« ونحن المصريين نبتهل الى الله فى كل أيام حياتنا ان يهنئكم وينجح مقاصدكم ونرجو أن العدل والشفقة يحكمان هذه البلاد

« هذا وبدفاعكم عن أبناء مصر (الذين سعوا لخيرها

ودافعوا عنها) قد جعلتم انجلترا محبوبة عندنا لأن الانجليز عطفوا علينا فى حزننا ومصيبتنا

« وانى أشكر جناب المستر بلنت بقلب خالص لطيبته وانعطافه نحونا . وجميع المصريين مسرورون من الأخبار التى دلت علي أعمالكم ، ولا يجرؤ أحد على تأييد العكس مع تبلج نور الحقيقة

« وانى لعاجزة حقيقة عن توضيح تشكراتى

مصر فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ »

« انجى »

وفى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ خرجنا من سجن الدائرة وذهبنا نحن السبعة اخوان السراء والضراء الى قصر النيل وتلا علينا على باشا غالب وكيل الجهادية وقتها نص الأمر الخديوى الصادر بتجريدنا من رتب حكومتهم أمام عساكر أورطة المستحفظين وصف ضباطهم ، وهم يذرفون الدمع من مآقيهم حزنا على ما آل اليه أمرنا وأمر بلادنا . ثم عدنا الى السجن والأهالى مصطفون فى الطريق يبكون وينتحبون، . أما والدة الخديو فكانت فى عربتها خارج قصر النيل لتشمت بنا !

يا كنانة الله صبرا على الأذى

وفى ليلة الأربعاء الواقع فى ١٧ صفر سنة ١٣٠٠ والموافق ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ توجهنا الى قصر النيل وقد أعد لنا ولمن أراد مصاحبتنا من الأهل والخدم قطار خصوصى من قطارات السكة الحديد ، فركبنا جميعا وسار بنا القطار وبمن معنا من رجال الحفظ فى الساعة ١٠ مساء حتى بلغنا حوض السويس الساعة ٨ صباحا على الاصطلاح الأفرنكى

وفى الساعة العاشرة دخلت الميناء الباخرة (مريوط الانكليزية) المعدة لسفرنا من السويس الى جزيرة سيلان

فنزلنا فيها جميعا ونزل معنا الشاب النبيه نجيب أفندى ابكاريوس بصفة ترجمان على حسابنا ، والكولونيل رضي الأخلاق موريس بك ، ومعاونه الرجل المهذب طيب الأخلاق سليم افندى عطا الله بصفة مأمور بتوصيلنا ، وتسليمنا الى حكومة سيلان . وكذلك نزل معنا على أفندى عباس الصاغ من ضباط البحرية ومعه شرذمة من العساكر بصفة حرس علينا فى مدة السفر ، وكانت الباخرة المذكورة مؤجرة لتوصيلنا الى سيلان بستة آلاف جنيه انكليزى بما فى ذلك من اطعام من معنا من الأهل والحرس . وفى الساعة ١ بعد الظهر من اليوم المذكور ، قامت بنا الباخرة تشق عباب البحر قاصدة جزيرة سيلان (بسم الله مجريها ومرساها)

وبعد قيامها ولينا وجوهنا شطر مصر ننظر الى جمالها وحسن منظرها ونودعها بقولنا : « يا كنانة الله صبرا على الأذى ، حتى يأتى الله لك بالنصر »

وما زلنا ننظر الى جوها وجبالها حتى توارت عن أعيننا وكانت الباخرة على صغرها وعدم سفرها قبل ذلك فى البحر الأحمر والمحيط الهندى تقطع فى الساعة ١١ ميلا كأنها تمخر فى نهر النيل ، وحيتان البحر تحيط بها وتسابقها فى السير ويتساقط عليها أحيانا كثير من السمك الطيار . ومكثنا على ذلك أربعة عشر يوما مررنا فيها على باب المندب الكائن بين البحر الأحمر والمحيط الهندى ثم على جزيرة سقطره ثم على عدن ثم الى سيلان

وصولنا لسيلان

وفى غروب يوم الأربعاء الواقع فى ٩ يناير سنة ١٨٨٣ دخلت الباخرة الى ميناء ثغر كولومبو بجزيرة سيلان والقت مرساها فحضر الينا وكيل حكومة سيلان وحيانا تحية القدوم . واخبر موريس بك بأن الحكومة أعدت اربعة بيوت لسوى العائلات منا ، وفيها الخدم وكل ما يلزم من أسباب

الراحة كالسرر المفروشة اللازمة للنوم والكراسي وأدوات المطبخ والسفرة والدواليب وغير ذلك وذخيرة ثلاثة اشهر ضيافة لنا ، ولكن على حساب مصر . وثمن تلك الأدوات ثلاثة آلاف جنيه . ثم أمضينا تلك الليلة فى الباخرة المذكورة وفى الصباح من يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة ١٣٠٠ و١٠ يناير سنة ١٨٨٣ خرجنا الى البر فوجدنا رصيف المينا مزدحما ايما ازدحام باخواننا المسلمين من أهل الجزيرة المذكورة واهل الجاوه والهند والملايو وأعيان طائفتى التمل والشنكليز أهل البلاد من عباد الأوثان على (مذهب البوذا) وكلهم يشيرون الينا بالسلام وزيادة الاحترام

ثم تقدمت لنا العربات فركبنا وتوجهنا الى البيوت المذكورة وكان قد خصص لنا بيت عظيم يسمى (ليكهاوس) ومساحة بستانه ١٤ فدانا ومعظم أشجاره من جوز الهند والموز وغيره ، فتوجهنا اليه والناس مزدحمون على جانبى الشوارع من الميناء الى البيت المذكور يهتفون لنا بالترحيب والاكرام الى أن وصلنا الى المنزل المذكور واخذنا معنا طلبه باشا عصمت وعبد العال باشا حلمى لاقامتهما معنا حيث أنهما تركا عائلتيهما بمصر . وكذلك توجه محمود باشا سامى مع محمود باشا فهمى لاقامتهما فى منزل واحد لكون الأول ترك أهله وأولاده بمصر أيضا وانفرد كل من على باشا فهمى ويعقوب باشا سامى فى بيت على حدته لوجود عائلتيهما معهما

ولما دخلنا البيوت المعدة لنا أخذت تلك الطوائف تتوارد علينا للسلام بوجوه باشة وقلوب طافحة بالمحبة والحنان ليلا ونهاراً ، فجزاهم الله خير الجزاء على ما قابلونا به من الاحتفاء والاكرام

وكان عدد الأنفس التى توجهت معنا الى سيلان على الوجه الآتى :

عدد نفر		عدد ذكر	عدد أنثى
٦	أحمد عرابى	٣	٣
١٤	علي فهمى	٦	٨
٩	يعقوب سامى	٤	٥
٩	محمود فهمى	٦	٣
٣	محمود سامى	٣	٠
٤	عبد العال حلمى	٤	٠
٣	طلبه عصمت	٣	٠
٤٨	الجملة	٢٩	١٩

أما الكولونيل موريس بك فعاد الى مصر بعد أسبوع من وصولنا الى كولومبو بمن معه من رجال الحـرس لانتهاء ماموريته . وأما نجيب أفندى ابكاريوس فمكث معنا ثلاثة أشهر ، ثم ودعنا وأبحر الى مصر

وبعد مبارحتنا أرض مصر صدرت أحكام مختلفة على بقية المشتركين معنا فى الحركة الوطنية والدفاع عن البلاد ، فحكم على أشخاص بالاقامة فى بلادهم مع تجريدهم من رتبهم وألقابهم مع دفع تأمينات مالية ، وحكم على آخرين بالنفى لمدد مختلفة أدناها ثلاث سنوات وأكثرها عشرون سنة يقضونها خارج القطر . فنفى البعض الى السودان أو مصوع ، والبعض الى الاستانة أو بيروت . وكل من كان حاصلا منهم على رتب أو لقب أو منصب فى الحكومة جرد منه — ولكن شرفهم الذاتى ، وكرامتهم على الرغم من ذلك لا تمحوها الأيام

وكانت قد أقيمت عدة محاكم فى أنحاء القطر لمحاكمة الوطنيين ، فحكم عليهم بأحكام مختلفة منها الاعدام . وقد حكمت محكمة الاسكندرية على الشهيد سليمان سامى المتهم زورا بحرق الاسكندرية وتخريب مبانيها بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم شنقا بميدان المنشية . كما حكم فى طنطا على

الشهيد يوسف أبو ريه بالاعدام شنقا ونفذ فيه هذا الحكم والله يعلم أنه برىء وان دمه واقع على رأس ابراهيم باشا ادهم مدير الغربية

وقد حكم بالاعدام أيضا على عـدد كثير من الوطنيين المخلصين رحمهم الله وكافأ الخونة الطاغين

الشعراء يتبعهم الغاوون

وقد كان بعض الشعراء وعلى رأسهم الشيخ على الليثى يؤيدون نهضتنا المصرية ، وكانوا يترنمون بهـا ويحثون الناس على نصرتها والتمسك بمساعدة الجيش المصرى. وقد جاء الشيخ على الليثى الى خط النار فى كفر الدوار وقام فى طائفة من العلماء ومشايخ الطرق يدعو الله لنا بالنصر على الأعداء ، وهم يؤمنون عليه ويقول فى دعائه :

«اللهم ان تهلك هذه العصابة الموحدة فلن تعبد بعدها فى مصر . اللهم عليك بالانجليز . اللهم اشدد وطأتك عليهم ، وانزل بهم بأسك الذى لا ترده عن القوم المجرمين . اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعـوذ بك من شرورهم . اللهم احصدهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا ترد منهم أحدا انك على كل شىء قدير »

ثم جاء الشيخ المذكور بعد هزيمة الجيش المصرى ودخول الانجليز مصر يعتذر للخديو عن نفسه وأمثاله بقصـيدة قال فيها (١) :

كل حال لضـده يتحـول ... فالزم الصـبر اذ عليه المعول
يا فـؤادى استرح فما الشأن الا ... ما به مظهـر القضـاء تنزل
رب سـاع لحتفه وهـو ممن ... ظن بالسـعى للعـلى يتوصـل
قـدر غالب وسر الخفـايا ... فوق عقـل الاديب مهمـا تكمل

---

(١) هذه القصيدة ستون بيتا . وكلها مدح وتملق للخديو توفيق

كيف ننسى وحادثات الليـــالى فاجأتنــا بكارث ليس يحمــــل
اذهبت أنفـــا وغالت نفيســـا وذوى مربع الحظـــوظ وامحــل
كــان اقليمنـــا رياض صفـــاء فيـــه للواردين اعذب منهـــل
من رآه يقـــول توفيـــق مصر ابصر النـــاس بالامور واعـــدل
امنـــا الزمان فيـــه ونمنـــا آمنين الخطـــــوب لا نتململ
ذبح ـــوم سعوا لادراك امـــر دون ادراكــه الجبـــال تزلزل
لــو اصـ ا الرشاد عند ابتـــداء كانت الغـــاية الجميـــلة امثل
ه من رقد الحـــلوم ودهـــر ايقظتنا صروفـــه اذ تبـــدل
كانت النـــاس فى ظـــلال نعيم تجتنى من ثمـــار غصن تهـــدل
مالنـــا لم نقم بجـــد وندعـــو من عدا للهدى وننصح من ضـــل
ما لنـــا كلنا ســـوى القل منـا قـــد سلكنا سبيل غاو مضلل
لو رزقنا الســـداد لانســـد باب وحقنـــا دماء قـــــوم تحلل
كان ياقـــوته المذاب مصــــانا فسقينا به الـــثرى اذ تهيـــل
كم عدمنـــا جماجما وجســـوما وجنينـــا الاسى بزلـــة من زل
يا ترى من يقـــوم عنـــا بعذر اذا اطعنـــا الغواة فى كل محفـــل
يا عظيم الجنـــاب يا خـــير ملك سعده قد اباد من قـــد تقـــول
من بغى والـــوفى اثار فحـــكم فى طلاه الحسام والسيف فيصل
واجعل العـــدل عادل الرمح فيهم تاالذا قـــدر ما يعـــل وينـ ـل
واسقهم قـــدر ما سقيناه انـــا قد شربنا من بعد بعـــدك حنظل

وقد نسج على منواله وضرب على وتيرته الشيخ عبد الرحمن الابيارى قاضى الاسكندرية والشيخ محمد بسيونى ولا غرابة فى ذلك فانهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم حبا فى الحياة ، وخوفا من بطش الغالبين.

اخلاق عبد الله باشا فكرى

وأما عبد الله باشـــا فكرى الذى كان من فكره قتـــل الخديو ، أثناء الثورة ، فانه قبل انتهاء ســنة ١٣٠٠ تقدم للخديو بقصيدة يتنصل بها من كل ما نسب اليه من الشر ويطلب رفده ورضاه ، فعفا عنه وأمر له بصرف معـــاشه ثم استبدل بمعاشه أطيانا يستغل من ريعها ألف جنيه شهريا وهاك نصها :

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى وكبر اذا وافيت واجتنبه الكبرا
وقف خاضعا واستوهب الاذن والتمس قبولا وقبل سدة الباب لى عشرا
وبلغ لدى الباب الخديوى حاجة لذى أمل يرجو له البشر والبشرى

لدى باب سمح الراحتين مؤمل ... صفوح عن الزلات يلتمس العذرا
يراقب رحمن السموات قلبه ... فيرحم من بالارض رفقا بهم طرا
مليكي ومولاى العزيز وسيدى ... ومن أرتجى آلاء معروفه العمرا
لئن كان اقوام على تقولوا ... بامر فقد جاءوا بقولهم نكرا
حلفت بما بين الحطيم وزمزم ... وبالباب والميزاب والكعبة الغرا
لما كان لي فى الشر باع ولا يد ... ولا كنت من يبتغى عمره الشرا
ولكن محتوم المقادير قد جرى ... بما الله فى أم الكتاب له اجرى
اتذكر يا مولاى حين تقول لى ... وانى لارجو أن ستنفعني الذكرى
اراك تروم النفع للناس فطرة ... لديك ولا ترجو لذى نسمة ضرا
لعفوا أبا العباس لازلت قادرا ... على الامر ان العفو من قادر احرى
وحسبى ما قد مر من ضنك اشهر ... تجرعت فيها الصبر اطعمه مرا
يعادل منها الشهر فى الطول حقبة ... ويعدل منها اليوم فى طوله شهرا
أيجمل فى دين المروءة اننى ... اكابد فى ايامك البؤس والعسرا

اللورد دوفرين
يطلب منى بيانا للاصلاح

فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ طلب منى اللورد دوفرين بواسطة المستر برودلي المحامي عنا بيانا عن الاصلاحات اللازمة لانتظام الحكومة المصرية ، فتقدم منى اليه البيان الآتى :

(١) يجب على الحاكم فى مصر ان يكون محدود السلطة مقيدا بقوانين شورية ، وعليه مراعاة تنفيذها والمحافظة عليها . وتلك قاعدة أساسية تكون مرعية الاجراء على الدوام

(٢) يجب انتخاب مشايخ البلاد بمعرفة الأهالى من الذين اشتهروا بالعفاف وحسن المعاملة حيث ان كثيرا من المشايخ الموجودين طبعوا على سلب اموال الأهالى ليدلوا بها الى الحكام في سبيل ترقيتهم واعتبارهم

(٣) يجب انتخاب مجلس النواب من نبهاء الأمة المصرية وان يكون انتخابهم حرا كما في الممالك المتمدنة . وتعرض عليه جميع اللوائح والقوانين الادارية والاقتصادية وتعطى لاعضائه الحرية التامة فى المداولة وابداء آرائهم الصريحة

ليتمكنوا بذلك من حفظ حقوق منتخبيهم • ولا يلزم الحكومة العمل بما يقرره المجلس المذكور الا بعد مضى مدة فيها يعلم اقتدار أعضائه على إلنظر فى مصالح البلاد بواسطة نشر مجادلاتهم العلانية فى الجرائد • وحينئذاك تكون قرارات مجلس النواب قطعية والوزراء مسئولين أمام ذلك المجلس، وتلك المدة لا تزيد عن خمس سنين

(٤) يجب أن توضع قاعدة بين سكان القطر المصرى عموما لا يمتاز فيها الاجنبى على الوطني فى جميع المعاملات وضرب الضرائب والرسوم وغير ذلك

(٥) يجب وضع حد للمرابين لمنعهم عن استعمال الغش وادخاله على الاهالى لسلب أموالهم • كما يجب ايقاف المزارعين عند حد فى الأخذ بالربى

(٦) يجب تسوية دين المزارعين وتوحيده وتسديده بواسطة الحكومة الى الدائنين على أقساط مناسبة لحالة المديونين تسدد الى الحكومة مع أقساط الاموال الاميرية

(٧) يجب ابطال ضرائب الويركو والفردة والدخولية وجميع المكوس التى أضرت كل الضرر بالفقراء والمساكين

(٨) يجب ابطال طريقة التسخير التى هى السبب الوحيد فى عدم العمران وتشتيت شمل الفقراء الذين لا قوت لهم الا من كد أيديهم وعرق جبينهم

(٩) يجب أن تشهر اشغال تطهير الترع والجداول وانشاء المصارف وحفظ جسور النيل فى زمن الفيضان فى المناقصة بين المقاولين بواسطة وزارة الاشغال العمومية

(١٠) يجب توحيد القوانين القضائية فى جميع محاكم القطر المصرى ومراعاة تنفيذها بغاية الدقة بدون تدخل

ذوى سلطة فى تأويلها وآستعمالهم الطرق القديمة فى مراعاتها ظاهرا وعدمها فى الحقيقة

(١١) يجب ابطال المحاكم المختلطة التىأضرت بالوطنيين وكانت هى الوسيلة الوحيدة لاعانة المرابين على تجريدكثير من الوطنيين من أطيانهم وأملاكهم

(١٢) يكتفى من الاجانب الموظفين بقدر الضرورة مع مراعاة حالة مالية البلاد فى رواتبهم والمناسبة بينها وبين رواتب الموظفين الوطنيين حتى لا تقع المنافسة والمنافرة بسبب الامتيازات الفاحشة

(١٣) يجب أن يكون قنال السويس حرا بكفالة الدول الموقعة على معاهدة برلين • وفى مقابلة تنازل الامة المصرية عن حقوقها الصريحة فى ذلك يعوض لها مبلغ كاف يعادل هذا التنازل لتسدد به جانبا من الدين ومع ذلك يبقى لمصر حق فيه كباقى الدول المذكورة • وعلى الدول أيضا أن تدفع مبلغا سنويا يكون كافيا للقيام بحفظ القنال المذكور

(١٤) يجب تعديل الضرائب وجعلها متناسبة مع حالة الاراضى واستعداداتها بدون فرق بين الاغنياء والفقراء

(١٥) لاجل تأمين الدائنين على أموالهم من كل خطر يخشى وقوعه فى المستقبل يجب تنزيل الدين الى ٥٠ فى المائة والفائدة ١ فى المائة والاستهلاك ١ سنويا

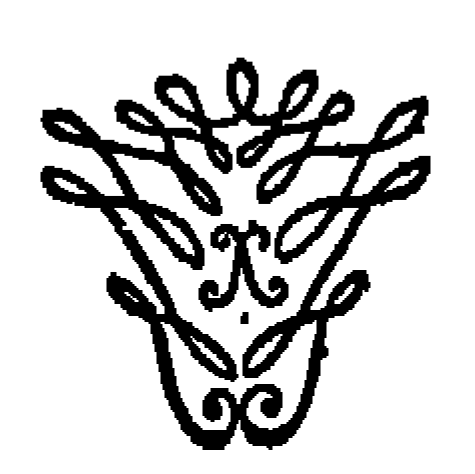
(١٦) يجب أن الأراضى العشورية تدفع ضرائب تساوى ضرائب الاراضى الخراجية حيث أن الخراجيةصارت ملكا حرا لمالكيها بمقتضى قانون المقابلة

(١٧) يجب اعتبار الاموال التى دفعت منطرف المزارعين فى المقابلة دينا على الحكومة أسوة بالاجانب وقدرها ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ سبعة عشر مليونا من الجنيهات

(١٨) يجب تعميم التعليم وتوسيع دائرته فى أنحاء القطر بحيث يكون اجباريا حتى سن ١٥

(١٩) يجب أن يكون لمصر (وزراء مفوضون) فى جميع الممالك الموقعة على معاهدة برلين لفهم حقيقة ما يكون جاريا فى مصر وتسهيل المعاملات التجارية وغيرها

هذه التسع عشرة مادة المذكورة هى الاصلاح الكافل لحياة مصر وأهلها . وهى الطريقة المثلى لتأمين الدائنين على أموالهم . فعلى من يحب العدل والانصاف أن يعمل لتحقيقها لاصلاح ما أفسدته يد الاستبداد



حياتى فى المنفى

استقبال كريم فى سيلان

بعد ثلاثة أيام من دخولنا الجزيرة المباركة دعينا الى وليمة حافلة أقامها المحترم (محمد حنيفة) العضو فى مجلس الشورى عن المسلمين • حضرها جميع الاعيان ورؤساء الطوائف • ثم الى وليمة أقامها (الحاج شنى لبى) من وجوه الاعيان • ثم الى وليمة أقامها (وبش ماركاير) ثم الى وليمة أقامها المحترم (محمد لبى) ثم الى وليمة أقامها (الحاج عبد القادر) ثم الى وليمة أقامها (شنى لبى وأولاده عبد الرحيم ومحمود افندى) من الاعيان • ثم الى وليمة أقامها الاستاذ (الشيخ على جاد) • ثم الى وليمة أقامها (الشريف السيد عباس) • ثم الى وليمة أقامها (أكبر افندى) العضو فى مجلس الشورى عن طائفة الملاى والجاوه • ثم الى وليمة أقامها الوزير الكبير (ابراهيم الديدى) رئيس وزراء حكومة جزائر مالديف فى ثغر (جول) سيلان وأخرى أقامها ماكن كبير تجار الجواهر • ثم الى أخرى حافلة أقامها المحسن الكبير (سوزا) كبير شعب الشنكليز • ثم الى وليمة عظيمة أقامها الامير (راما سامى) كبير طائفة التمل • ثم الى وليمة مثلها أقامها (راما شلم) العضو فى مجلس الشورى عن طائفة التمل

وبعد ذلك أقمنا وليمة جامعة لأعيان المسلمين والانكليز والتمل والشنكليز وكان عدد المدعوين اليها مائتى شخص على اختلاف الاجناس والمذاهب والمعتقدات شكرا لهم على حسن احتفائهم بنا .

وفى شهر فبراير سنة ١٨٨٣ حضر الى الجزيرة الحاكم

الجديد السير ارثر غوردون فكتبنا له عريضة بأن حكومتنا المصرية أرجأت تعيين المرتبات اللازمة لمعيشتنا الى ما يرد اليها من حاكم سيلان بالنسبة للاسعار الجارية فيها ، وبما أنه يلزم لكل منا خمسون جنيها شهريا ، فنؤمل مخابرة حكومة الانكليز بذلك وبناء على ما ذكر ترتب لى خمسون جنيها انجليزيا شهريا ، ولكل من الباشوات ثمانيةوثلاثون جنيها انجليزيا

مستر بلنت فى سيلان

وفى ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٨٣ حضر صديقنا المستر بلنت من انجلترا لزيارتنا وتهنئتنا على نجاتنا منأيدى خصومنا. وبوصول السفينة المقلة له الى ميناء (ثغر كولومبو)هرع جميع سكان الثغرالمذكور لاستقباله حيثكانوا علىاستعداد تام لذلك قبل وصوله . وقد أخذنا نحن واخواننا وأولادنا زورقا بخاريا وذهبنا الى السفينة المذكورة . ثم صعدنا اليه وحظينا بمقابلته ومقابلة السيدة الفاضلة (اللادى آنا بلنت) وكان بمعيتهما القس لويس الصابونجى ، ثم نزلنا بعد ذلك الىالرفاص وعدنا الى البر والزوارق الاهلية محيطة بنا يهتف من فيها بعبارات الترحيب ويشيرون بأيديهم علامة للسلام والاعظام

ولما وصلنا الى البر تكاثرت علينا جموع المحتفلين بقدوم المستر ولفرد سكافن بلنت حتى تعسر علينا الوصول الى المركبات ولو لم تتدخل الشرطة فى منع ذلك البحر الزاخر من التكدس حولنا لاضطررنا الى الوقوف فىالميناء الساعات الطوال.

ثم ركبنا العربات وتوجهنا الى سراى (مورجن) المعدة لاقامة ذلك الضيف الكريم مدة ضيافته وهى على بعد ثلاثة أميال من الميناء بجهة (متوال) مشرفة على البحر . وكان الناس مصطفين على جانبى الطريق الموصل الى السراى وهم

يحيون المستر بلنت ونحن معه فى المركبة بوجوه باشة وأسارير مبتهجة حتى وصلنا مقر الضيافة

وكانت السراى مزدانة بالانوار الكهربائية وأقواس النصر مكسوة بالازهار والرياحين وبأغصان (الكووتن) وبجريد نخل جوز الهند وعراجينه وبالقرنفل والموز والدوم والبرتقال والاناناس وبجميع أصناف الازهار السيلانية وأثمارها الغير المقطوعة ولا الممنوعة ، فصارت السراى نزهة الناظرين وضمت بين جدرانها خلاصة أهل سيلان على اختلاف مذاهبهم وكان مكتوبا على أقواس النصر بالانجليزية (مرحبا أهلا وسهلا بالصديق الوفى المستر ولفرد سكافن بلنت)

وما وافت الساعة الثالثة ليلا حتى برزت الالعاب النارية على أشكالها المختلفة الجميلة فابتهجت النفوس وأثلجت الصدور وعم الانشراح ، وشمل الارتياح ، وما زالوا هكذا حتى منتصف الليل

وقد أعدت له وليمة فى اليوم المذكور حضرها نحو مائتى مدعو من أعيان جميع الطوائف فى سيلان ، وبعد تناول الطعام قام الفيلسوف الكبير (محمد سدى لبى) افندى المحامى وألقى خطبة بالانجليزية يشكر فيها المستر بلنت على غيرته وانتصاره للعدل والحرية ومدافعته عن واجب الانسانية بعد كلمات الترحيب المعتادة فى مثل هذا المقام ، فقام المستر بلنت ، وألقى خطابا وجيزا شكر فيه لأهل سيلان احتفاءهم به واكرامهم له

وكان المستر بلنت متألما من مرض (الروماتزم) فلما أبل من مرضه بعد أسبوعين من حضوره ونقه نقها تاما اشترك المسلمون فى اعداد وليمة كبيرة تكريما له وللسيدة قرينته فى سراى (ليك هاوس) التى نزلنا بها عند وصولنا الى الجزيرة .

وبعد تناول الطعام قام المستر بلنت وألقى خطبة أثنى فيها على كرم مسلمى سيلان وحسن احتفائهم وعنايتهم

باخوانهم المصريين شهداء العدل والحرية والمدافعة عن وطنهم
فقام المحامي (محمد سدى لبى افنـــدى) المذكور آنفا والقي خطبـــة ذكر فيها حسنات المســتر بلنت واهتمامه بالانتصار للضــعفاء والمظلومين • ثم انفرط عقد الاجتماع وكلهم ألسنة شكر وثناء واعجاب

ولما رأى سرور الناس بمقدمه وعظيم احتفالهم به حمدالله على ذلك بقوله : (الحمد لله على نعمائه فقد جنينا ثمرة أتعابنا بما شاهدناه من الاحساس الشريف عند عناصر الشـــعب السيلانى وجميع المسلمين)

وبعد أن أقام في سيلان مدة ٢٢ يوما سافر الى الهند في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٣ فشيعناه الى أن ركب الســـفينة ومكثنا معه الى ساعة السفر ، ولما آذنت الســفينة بالاقلاع ودعناه ونزلنا وكانت المينـــاء غاصـــة بالمودعين والزوارق منتشرة فى الميناء رافعة الرايات البيضاء مشيرة بالسلام الى أن أقلعت السفينة وأخذت تمخر في عرض البحر

ثم توجه المستر بلنت الى حيـدر آباد ليشـــهد تتويج (النظام) أى أمير حيدر آباد النواب حبيب الله لبلوغه سن الرشد • وكان من استقباله هناك واكرامه ما لم يخطر له على بال

وقد منع من الدخول الى مصر أثناء عودته بأمر المســتر (بارنج) الذى صـــار فيما بعد اللورد كرومر فذهب الى الاستانة حيث قوبل بكل احــترام بأمر الحضرة السلطانية ثم قفل راجعا الى انجلترا

وله قصيدة بليغة بالانجليزية يشكو فيها الى الله من ظلم الانجليز واعتدائهم على مصر وبغيهم عــلى الامم الضعيفة ، وينذرهم بسوء المنقلب والانتقام العاجل من الله القادر ملك المـــلوك ورب الارباب ، ويعزى مصر على ما أصـــابها من الظلم ، ويبشرها بالخـلاص من ربقة الظـــالمين • وان الله سينصرها ويرد اليها مجدها وسؤددها ، وأن على البــاغى

تدور الدوائر • وقد ترجم تلك القصيدة الى العربية القس لويس صابونجى ، فجاءت كأنها من نبوءات النبى حزقيائيل (من أنبياء بنى اسرائيل)

فى الجزيرة

مساحة هذه الجزيرة ٢٠ مليون ايكر (فدان انجليزى) جميعها خصبة ، وهى على شكل كمثرى وعدد أهلها ثلاثة ملايين تقريبا منهم مائتان وخمسون ألفا من المسلمين • وأما الباقون فهم من الشنكليز والتمل على مذهب (البوذا) وبعضهم هنود على مذهب (براهما) • وكلهم أهل دعة وسكون يكرمون الغريب ويحسنون ضيافته

وفى يناير سنة ١٨٨٤ تكرم علينا (الماهراجا) أى سلطان مملكة جاهور من الممالك الهندية بالزيارة فقابلناه بما يجب له من التعظيم والاحترام ، وكان معه مستشار انكليزى حتى لا ينبس نبسة الا حفظها الرقيب عليه فى حبة قلبه ، وبعد نصف ساعة عاد الى دار حكومة سيلان • وفخامته من شيعة على عليه السلام ، وله محبة كبيرة لآل بيت النبوة ، حتى لقب « بكلب على » !

وفى السنة المذكورة حضر لزيارتنا اللورد روزبرى واللورد مكدونلد فى محل اقامتنا بجهة (متوال) وبعد هنيهة أخذ يسألنا عن حملة هكس فى السودان ، وهل هى كافية لدحر قوة محمد أحمد المهدى أم لا • وكانت المكالمة باللغة الفرنسية ، وكان محمود باشا فهمى يترجم لنا كلام اللورد روزبرى ، وهاك المحاورة التى صارت بيننا كما ترى :

س ـ ما رأيكم فى دعوة مهدى السودان هل هو المهدى المنتظر عند المسلمين ؟

ج ـ وماذا يعنيكم من أمره ؟!

س ـ ان أمره يهمنا كثيرا فان عندنا فى الهند ٦٠ مليون

من المسلمين وكلهم يعتقد أن المهدى المنتظر يجمع شـتات المسلمين تحت رايته

ج ـ ان هذا الاعتقاد يعتقده كل مسلم ولكن له مقدمات لم تأت بعد

س ـ اذا ليس هو بمهدى

ج ـ كل داع الى العدل والاصلاح فهو مهدى ولكن غير المنتظر

س ـ ان الحكومة المصرية أرسلت جيشا من عشرين ألفا لقتاله بقيادة رجل انكليزى اسمه (هكس) فهل ترون أن هذا الجيش كاف للتغلب على المهدى

ج ـ نحن نرى ان وجود قائد انكليزى على جيش مصرى يكون من صـــالح المهدى فانه يحكم بكفر المصريين الذين يقاتلون المسلمين تحت قيادة مسيحية ويستبيح قتلهم بسبب هذه القيادة . واذا استولى على أسلحة هذا الجيش وذخيرته أصبح قويا يخشى جانبه

س ـ أى علاج فى نظركم لاطفاء شعلة ثورته .

ج ـ اننا نرى أنه قائم بدعوة دينية وعلاجها أن يرسـل له وفد من أجلاء العلماء يحاجونه بالدليل والبرهان ويقنعونه بأن وقت المهدى لم يحن بعد فيرجع عن دعوته . وان كان طالب ملك فيجعل أميرا على السودان تابعا للحكومة المصرية وعلى الحكومة المذكورة أن ترسل العلماء من القضاة والحكماء والمهندسين والمعلمين ، وتفتح المدارس ، وتجرى الاصلاحات اللازمة فى الاقطار السـودانية لتمدينها ، وفى مقابلة ذلك يعطى مصر جزية سنوية بنسبة دخلها ومصروفها

وفى اليوم الثانى توجهنا مع محمود باشا فهمى الى دار الحكومة لرد الزيارة الى اللوردين المشار اليهما فوجدنا اللورد روزبرى توجه الى صيد الافيال فى مسـارحها وأما اللورد مكدونالد فلم يتوجه معه وأخبرنا بورود تلغراف الى اللورد

روزبرى بأن حملة هكس هلكت عن آخرها واستحوذ المهدى على جميع أسلحة الحملة ومدافعها وذخيرتها وكان الامر كما اخبرتمونا بالامس

□

وفي السنة المذكورة زار سمو الدوق (اف كنوت) ثالث أنجال ملكة الانكليز جزيرة سيلان وقد تقدم وصوله اليها حضور صديقنا السير وليم جريجورى كاتم أسرار الملكة فقدمنا الى الدوق عند وصوله الى رصيف الميناء ، فلاطفنا سموه ، ودعانا نحن المصريين الى وليمة في سراى الحكومة. وقد ازدهت السراى بالانوار والاضواء فكان الليل كأنه ضحوة النهار

رجاء ويأس

وجاء صديقنا السير وليم جريجورى المذكور مرة ثانية الى سيلان في شهر مايو سنة ١٨٨٧ وشاهد احتفال اليوبيل (أى عيد الخمسين سنة لجلوس جلالة الملكة فكتوريا على عرش انجلترا) الذى أقيم فى ٢٠ يونيو سنة ١٨٨٧ . وقد أشار علينا حفظه الله بأن نحرر عريضة الى الحكومة الانجليزية نطلب منها العودة الى بلادنا لما رآه من انحلال قوانا بالنسبة لرداءة الطقس ووعدنا بالمساعدة ، ولكننا حررنا عريضة نلتمس فيها نقلنا الى جزيرة قبرص لموافقة هوائها لهواء مصر مراعاة لصحتنا، لانه رجح عندنا أن الوقت الذى يجب أن نطلب فيه العودة الى بلادنا لم يحن بعد . وقدمنا العرض الى صديقنا المشار اليه فأرسله الى الحكومة الانجليزية وهذه كتبت عليه للحكومة المصرية التى رفضت اجابة طلبنا وأشارت الى ارسالنا الى بلاد الكاب (فى جنوب أفريقيا) أو زيلع (في الشرق منها) حيث كان رياض باشا رئيس الحكومة المصرية اذ ذاك لسوء الحظ . فعلل ربط ما

نأخذه من المعاش الزهيد على ابعادنا عن مصر ، كأنه لا يعلم أن ما يعطي لنا هو في مقابل ما سلبته الحكومة من أملاكنا ونهبته من أموالنا • فصبرنا على ذلك وفي الحلق شجي وفي العين قذى،وفضلنا بقاءنا في سيلان على الانتقال الى الاصقاع التي اختـــارتها الحكومة المصرية حتى يهيىء لنــا الله فرجا ومخرجا

وفي ســنة ١٣١٠ توفي الى رحمة الله شهيد الوطنيـــة والغربة عبـد العال باشــا حلمي ودفن في قرافة قسم (مردانة) وضريحه مشهور يزار•ومن كراماته ما شاهدناه من اجتماع أسراب من الطير فوق نعشه تسير بسير الجنازة، حتى واريناه التراب وقد أخذ النـــاس العجب كل مأخذ لهذه الظاهرة الغريبة !•

مكرمة صديق

وفي سنة ١٨٩١ زارنا صديقنا الفاضل السير توماس لبتن ولما وجد انحطاط صحتنا وضعفها من تأثير الرطوبة والحرارة الملازمتين لمناخ مدينة (كولمبو) تكرم بدعوتنـــا للتوجه الى مزارعه في البلاد العالية المرتفعة لطيب هوائهـا وحسن منظرها ترويحا للنفس واســـتجلاء للنفوس من أكداس الصدأ الذى اصطلح عليها • وقد تكفل بالمصاريف فشكرناه على ذلك كثيرا • ثم أنه عين لمرافقتنـــا اثنين من وكلائه وهما المستر (فيزر) والمستر (بيوكتن) وأمرهما باداء كل طلباتنا حتى نصل الى مزارعه في(دمبتنه) فقمنا من كولمبو ومعنا أخونا على باشا فهمي والوكيلان المذكوران الى مدينة (كندى) العاصمة القديمة ومقر الحكومة بطريق الســكة الحديد فوصلناها بعد أن قطع بنا القطار اثنــين وسبعين ميلا•ومن ثم ركبنا قطارا آخر الى (نورالبه) وهي آخر محطة للسكة الحديدية هناك،فبلغناها بعد طي عشرين ميلا • ومن هناك ركبنا المركبات وصعدنا الى سطح جبـل

هناك واتممنا ليلتين فى فندق يقال له (جراند هوتيل)وهو على ارتفاع نحو ٧٣٠٠ قدم فوق سطح البحر . وهناك بلدة عامرة وبركة عظيمة طولها ميلان وعرضها ربع ميل،وعليها بوابات محكمة الصنع تقذف ما يزداد من الماء المتجمع فيها من السيل الى مجارى الوديان المنخفضة بترتيب هندسي متقن

ولما سمع المسلمون بقدومنا حضروا لزيارتنا والاحتفال بنا زرافات ووحدانا فشكرناهم على حسن احتفائهم بنـــا ودعونا لهم بالخير

وفي اليوم الثانى زرنا مسجدهم وسوقهم . ثم توجهنا لنمتع النظر بالمنتزه العظيم فى جنوب منتهى البركة الشرقي وهو منتزه يقال له (الهجالة) تبلغ مساحته ٧٠٠ فدان . ويوجد جبل مرتفع عن سطح البحر بمقدار ٨٣٠٠قدم وعن أرض الفندق بمقدار ١٠٠٠ قدم ، وهو فى شمال (نورالبا) يرى الناظر من فوقه الفيلة وأنواع الغزلان والمها والجواميس المتوحشة والوحوش فى مســارحها أسرابا أسرابا ، فكان المنظر مما ينفث عن المصدورين بعض ما بهم من متاعب . وكان الهواء النقى هناك سببا لتقدم صحتنا فى ذلك الزمن القليل

وفي اليوم الثالث غادرنا (نورالبـــا) الى (الهجالة) واخذنا غذاءنا فى الاستراحة التـــابعة للحكومة ، ومن ثم تابعنا السير بالمركبات الى أن وصلنا بلدة يقال لها (ديكولا) فبتنا هناك فى محلات أنشأتها الحكومة لنزول مستخدميها وغيرهم عند مرورهم لتأدية واجبات ، أو للنزهة نظير دفع شيء كثمن الطعام أو أجر المبيت لمدير النزل بعد أن يثبت ذلك فى دفتر خصيص لحصر المصاريف . وهكذا ســـلمت الاهالى من احتمال المصاريف الباهظة التى يكابدونها عند مرور الحكام وأتباعهم عندهم كما هو جار فى البلاد المصرية. وحبذا لو اتبعت الحكومة المصرية هـــذه الطريقة فتتخلص الاهالى من هذا العبء الثقيل وتحفظ أموالها لما هو أنفع وأعم

فائدة. وفى اليوم الرابع قمنا مبكرين وأخذنا نجد فى السير الى أن بلغنا بلدة (ادم ولا) عند الظهيرة فهرع المسلمون هناك لاستقبالنا بكل ترحاب ، وبعد أن استرحنا نحو ساعة استأنفنا السير حتى وصلنا بلدة (بندراولا) فبتنا فى نزلها وتمتعنا بهوائها العليل

وفى اليوم الخامس سددنا خطواتنا الى (دمبتنا) وهناك استقبلنا أهلها من المسلمين وغيرهم بكل بشاشة واكرام وبعد أن تغدينا فى نزلها امتطينا جيادا كانت معدة لنا وصعدنا الى سراى السير توماس لبتن البعيدة عن المنزل بمسافة أربعة أميال . وتحيط بهذه السراى بساتين نضرة وتكتنفها مزارع متلاصقة خضراء من شجر البن والشاى والكينا . وسياج تلك البساتين من أنواع الورد وشجر الخوخ والبرتقال وغيرها مما يضيق بوصفه المقال

وهناك وجدنا أسباب الراحة وافرة فأقمنا شهرا كاملا في ضيافة صديقنا السالف الذكر.. وكنا رأينا فى غضون هذه المدة كيفية جمع ثمر البن ـ الذى يشبه ثمر النبق تماما ـ وبشره وغسله ونشره في الفاوريقة . وكذلك زراعة الشاى وكيفية جمع أوراق أطراف الاغصان وفرمها ونشرها حتى تذبل ثم ادخالها فى فرن طوله ٨ أمتار واخراجها منه . ثم وضعها فى غرابيل تفرزها الى أربعة درجات أو أصناف لكل منها قيمة معلومة ، كل ذلك فى الفاوريقة حيث تقطع أوراق الشاى الخضراء التى تشبه ورق الملوخية الى قطع صغيرة ناشفة وتكون تامة الصنع صالحة لان توضع فى صناديقها فى مسافة لا تزيد عن ساعة من الزمن

هدية الى مصر

ولايجاد نوع البن اليمنى فى بلادنا المصرية أرسلنا الى صديقنا المرحوم أحمد باشا المنشاوى تقاوى تكفى لزرع عشرين فدانا حتى يعمم انتشاره . كما أرسلنا لهذا الغرض

أحسن أنواع (المانجه) و (الموز) الاحمر والاصفر المضلع أيضا وغيره من الاصناف المتعددة من الفاكهة الزكية الرائحه اللذيذة الطعم التى رجوت انتشارها فى مصر • وبعثنا اليه أيضاً بأنواع الحبهان والقرنفل والبانليا الطيبة الرائحة

ثم زرنا مزارع صديقنا السير لبتن بجهر (بيراسيا) ومكثنا بها شهرا أيضا • وعدنا بعد ذلك الى (دمبتنا) مرة ثانية وأقمنا فيها ٤٠ يوما كأربعين لحظة فى سرور وراحة لا يكاد يدركهما عقل انسان ، وذلك بفضل اعتناء الرجل المهذب المستر موريس ناظر مزرعة دمبتنا وهمة الشاب اللطيف المستر برى ناظر مدرسة بيراسيا

ثم قفلنا راجعين الى كولمبو ونحن نرتل آى الشكروالثناء لصديقنا السير توماس لبتن معجبين بكرمه وحسن اعتنائه بنا ••

انتقالنا الى كندى

وفى سنة ١٨٩٢ انتقلنا الى مدينة كندى عاصمة الجزيرة قديما وعولنا على الاقامة فيها لقرب مناخها لمناخ مصر فى زمن الربيع • وقد أمر الحاكم السير ارثر غردون بسفرنا فى صالونه الخاص بالسكة الحديدية • وكان قد استأجر لنا منزل المستر فيجانيكا حاكم البلدة ، وهناك أقمنا الى وقت عودتنا الى بلادنا

وكان قد سبقنا بالاقامة فى مدينة كندى محمود باشا سامى ويعقوب باشا سامى وطلبة باشا عصمت ثم قام على أثرنا على باشا فهمى • ولم يبق فى كولمبو غير محمود باشا فهمى لانه كان قد أصيب بشلل فى جانبه الايسر

وفى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١٢ حضر محمود باشا فهمى الى كندى لتغيير الهواء ونزل ضيفا على ولدنا السيد محمد بك عرابى ولكن أجله لم يمهله حيث توفى فى ليلة ١٣ من الشهر المذكور ودفن فى قرافة « منيرة كندى »

ومدينة كندى هذه قائمة فى واد ذى ثلاث شعب (بين ثلاثة جبال . وبها بيت للحاكم ومحكمة نظامية فى بيت ملوك طائفة الشنكلبز

وفى منتصف المدينة بركة عظيمة طولها ميل وعرضها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ متر تقريبا ، تنصب فيها مجارى السيل من رؤوس الجبال . وعليها حاجز من الشمال وقنطرة لصرف المياه الزائدة عن منسوبها . وعلى حافتها أشجار المنجو والدوم وجوز الهند وغير ذلك . وهى محل النزهة العمومى

وفوق الجبل الغربى خزان للمياه المنبجسة من قمته طوله نصف ميل وعرضه مائة متر وعليه سد عظيم . وفى جانبه الجنوبى جدول فوق سطح الخزان تنصرف فيه المياه الزائدة وتمتد منه المواسير الموصلة الى أعلى نقطة من بيوت المدينة

وفى هذه المدينة الجميلة منتزه يقال له (سيرادينيا جاردن) على نهر سيرادينيا مساحته نحو ٦٠٠ فدان كله أشجار من أنواع مختلفة وبجانب كل شجرة منها لوحة مكتوب عليها اسم نوعها وبلادها الاصلية . وهو منتزه فائق الابداع، وله دفتر يقيد فيه اسم كل من دخله

معبد كندى

وفى وسط المدينة معبد عظيم عليه قبة شاهقة فوقها كرة كبيرة من الذهب الخالص . وفى هذا المعبد سن منسوبة (للبوذا) موضوعة فى علبة من ذهب داخل صندوق من الآبنوس ، ويجتمع أهل الجزيرة فى مدينة كندى كل عام لمدة أسبوعين فى مولد البوذا ويسير الموكب ليلا فى الطرقات حتى تنتهى مدة الاحتفال

إما كيفية سير الموكب فهى أن تطوف فى الشوارع من ٤٠ الى ٥٠ من الافيال وعليها السروج المزركشة ثم يمشى خلف الموكب أحد ذرية ملوك سيلان وخلفه فيل عليه شبه خزنة للعطايا وامامه ذرية الوزراء ثم الاعيان ، وكل واحد من

هؤلاء خلفه ثلاثة أفيال أو أربعة وهو ماش على أقدامه ملتحفا برداثه المزركش على حسب عوائدهم القديمة ، وحوله رجال ادارته وبين يديه الطبول والزمور والرقاصين · وهكذا يجرى الموكب حتى تنتهى مدة الاحتفال بالمولد

المساجد والمسلمون

وفى المدينة المذكورة ضريح للسيد شهاب الدين على مرتفع من الارض يصعد اليه بمرتقى نحو ٢٠ سلما ، ومسجده عظيم متقن وهو حرم المدينة

وهناك مسجد آخر لطائفة (الملاى) وكنيسة للبروتستانت وأخرى للكاثوليك ومعابد لطائفتى (التمل والشنكليز)

ويبلغ تعداد هذه المدينة نحو ٢٠ ألف نفس منها نحو ١٠ آلاف من المسلمين ، وكلهم على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه · وفى الايام العشرة الاول من شهر المحرم يقيمون المساخر احتفاء بدخول العام الجديد على أشكال مختلفة تشبه ما يجرى في مصر وأوربا فى أيام الاعياد · وفى يوم عاشوراء يصنعون قبة تشبه قبة المحمل مغطاة بكسوة مزركشة تسمى (باجورا) ويسيرون بها بموكب عظيم فى أغلب شوارع المدينة وأمامهم الموسيقى والطبول والزمور والصنوج احتفالا بذلك اليوم

أما ثغر (كولمبو) فيسكنه نحو ١٥٠ الف نفس والمسلمون منهم يبلغ عددهم نحو ٢٠ الفا والباقون من الهندوس والشنكليز والتمل والبرتغاليين والهولنديين وقليل من الفرس · وفيه سبعة مساجد · الجامع الكبير فى مركز المدينة وجامع (مردانه) وجامع الملاى فى مركز جزيرة العبيد (سليف آيلند) وجامع (متوال) وجامع (كوليتي) وجامع (كارمجى جعفرجى) للشيعة وجامع (الشيخ عبد الله) فى بساتين القرافة

فى العودة الى مصر

وفى شهر فبراير سنة ١٩٠٠ صدر ترخيص لطلبة باشا بالعودة الى مصر بناء على قرار جمعية من الاطباء بأنه اذا لم يعد الى بلاده لا يعيش أكثر من خمسة أشهر ، ووافق على ذلك حاكم سيلان السير ردجوى جوزيف ، فرجع الى مصر، ولكنه لم يعش أكثر من المدة التى قررها الاطباء فلبى دعوة ربه رحمه الله ، ودفن بقرافة الامام الشافعى رضى الله عنه

وكذلك حدث لمحمود باشا سامى ارتشاح فى (القرنيتين) أفقده النظر ، وقرر مجلس الطب وجـوب عودته الى بلاده لمعالجته في المناخ الذى ولد فيـــه ، ووافق على ذلك حاكم الجزيرة السير ردجوى جوزف ، فترخص له بأمر الخـــديو بالعودة الى مصر ، فرجع في شهر سبتمبر سـنة ١٩٠٠ . ونال رضى الحضرة الخديوية ، ومنح الحقوق المدنية ، وردت اليه أملاكه الموقوفة ، واستولى على ريعها المتجمد مدة نفيه من ديوان الاوقاف ، ولكن لم يعد اليـــه بصره الى أن مات رحمه الله وضم الى عظام أهله

وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٠٠ توفى يعقوب سـامى الى رحمة ربه ودفن بجوار قبر محمود باشافهمى بقرافة (منيرة كندى) بمدينة كندى . ولما نعيته الى حاكم سـيلان كتب كتاب تعزية الى زوجته وابنته، وذكر فيه أنه صدر له الأمر بالعودة الى وطنه المحبوب وكان يود أن يبشره بذلك. ولكن المقدر لم يسمح له بأن يرى بلاده وبعد سـداد ديونه من مرتبه الذى كان يصرف لامرأته ، أرسلت وابنتها الى مصر على حساب الحكومة المصرية في الدرجة الاولى ، وأرسـلنا ولدنا السـيد على عرابى معهما لحفظهما ورعايتهما فى مدة السفر ، وأوصلهما الى عائلتهما بمصر بكل صيانة وكرامة

وفى ١٢ مايو سنة ١٩٠١ زار مدينة كندى ركاب ولى

عهد الحكومة الانكليزية فجال فيها وكانت المدينـة مزدانة بأحسن زينة

وفي ١٤ منه قابلت سموه،فلقيت منه كرما وحلماوكمالا وآنست رقة ولطفا فجلست في حضرته نحو ربع سـاعة ، وسألني فيها عن صحتي وحالتي فعرضت على سـموه اني أعتبر تشريفه للجزيرة فكاكا لنـا من الأسر فوعدني بأنه سيسعى لدى الخديو في تحقيق ذلك ثم جرت المخابرة بين سموه وبين الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية فى هـذا الشأن

وفي ٢٤ من الشهر المذكور جاءنا تلغـراف من حاكم الجزيرة يقول فيه انه قادم الى كندى ليبشرنا شخصيا بصدور أمر الخديو بالعفو عنا وعودتنا الى وطننا العزيز ، وبحضوره توجهنا اليه وشكرناه على لطفه ، وعرضنا عليه أن لنا الحق في السفر على حساب الحكومة التي حملتنا الى تلك الجزيرة فاخذبيانا بالأنفس التى معنا،وتخابر مع الحكومةالانكليزية والمصرية فى شأن ذلك ، فصدر الأمر بسفرنا على حساب الحكومةالمصرية فاستعددنا لذلك وشرعنا فيتسديد ما علينا من الديون شيئا فشيئا ، حتى أبرأنا ذمتنا وطرحنـا عن كاهلنا حملا ثقيلا

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٠١ بارح علي فهمي باشـا جزيرة سيلان ودخل القاهرة في أول سبتمبر من السـنة المذكورة

وفى ٤ سبتمبر بارحنا مدينـة كندى صباحا ، وكان صالون الحاكم معدا لنا فأقلنا القطار الى كولمبو . أما احتفال أهل كندى بوداعنا فقدكان عظيما حتىغصت أرصفةالمحطة بالمودعين ، وفى مقدمتهم محمد افندى يوسف والدكتـور كيت طبيب عائلتنا وابراهيم لبي وغيرهم ، ولما وصلنا ثغر كولمبو نزلنا فى بيت صـديقنا المحترم كرمجي جعفرجي

الكائن في (بمبلابتيا) وأقمنا به١٤يوما في انتظارالسفينة المسماة (البرنس هنرى) الالمانية الآتية من الصين. وفي تلك المدة دعينا لتوزيع المكافأة على الناجحين من تلاميذ مدرسة (ميردانة) الاسلامية التي صار افتتاحها بحضورنا على نفقة المسلمين تحت رئاسة المحترم وبش ماركار وولده المحترم عبد الرحمن افندى العضو العامل فيمجلس الحكومة عن طائفة المسلمين ، وكذلك زرنا المدرسة الحميدية لتوديع أساتذتها وطالبيها وكان الاحتفال فيها شائقا جدا ثم زرنا بيوت أعيان الثغر ونبهائه كبيت المحترم شنى لبى وأخيه محمد لبى وبيت محمود شنى لبى وزين الدين افندى وعبد الرحمن افندى العضو المذكور وبيت المحترم كريمجي جعفرجي وأخوته المحترم آدم على ابن أخيه ، وبيت حضرة الوزير الكبير ابراهيم ديدى كبير وزراء سلطنة ملديف

وفى أصيل ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠١ الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ دخلت السفينة (البرنس هنرى) ميناء كولمبو وتغطى وجه الماء بالزوارق والرفاصات وتكدست جموع المودعين تكدسا هائلا حتى لم نتمكن من الوصول الى السفينة الا بشق النفس وهناك تليت علينا قصائد التوديع من نخبة أهل سيلان ثم سلمت الينا فى محافظ من الفضة الخالصة البديعة الصنع

وفى الساعة الواحدة بعد الغروب نزل المودعون وهم يبكون للفراق ، وتفرقوا جماعات ووحدانا وقد أمطرت السماء مدرارا كأنما تفتحت ينابيعها فنزل السيل كأنه من أفواه القرب والطيور محلقة فى الجو فوق الميناء أسرابا كأنها أتت لتوديعنا أو لمشاهدة ذلك الاحتفال

ولما استقر بنا المقام فى السفينة بعد مغادرة تلك الجموع المكتظة بها، أقلعت بعد ساعتين (باسم الله مجريها ومرساها) تمخر فى عرض المحيط الهندى لاول مرة وقبلتها كنانة الله العزيز الحكيم . وكانت حمولتها ١٢٠٠٠ طنا وسرعة سيرها

بنسبة ١٦ عقدة في الساعة وهي مستوفية لاسباب الراحة وكانت الريح هادئة وما هو الا القليل حتى غابت شواطىء الجزيرة عن العيون وقصر مدى الابصار عن ادراكها ، فلم نعد نرى غير مسبح الفلك،ومسرح الحوت ، فبتنا تلك الليلة ولم يطعم الكرى أجفاننا ولم يجد الوسن اليها سبيلا فرحين بقرب رؤية الوطن العزيز ، حتى خلنا أن السفينة قد عطلت عن سيرها مع أنها تكاد تطير لشدة سرعتها ، وودنا لو أن لنا أجنحة فنطير ، وهكذا أخذنا نردد طول تلك الليلة قول القائل :

رياح الفلا هلا تكونين مركبي
فان بخار القطر ليس بمسعف

ولما كان الصباح قمنا مبكرين وأشرفنا على منظر يأخذ بمجامع القلوب ويستهوى النفوس ، فقد رأينا الشمس بارزة من خدرها ، وقد أماطت عن وجهها قناع الظلمة كالحسناء التى نزعت خمارها الاسود ابتغاء مرضاة عشيقها الذى ما فتىء يسألها السفور وقد أتعبه النظر الى الدياجير والحنادس . وقد أرسلت الشمس أشعتها الارجوانية على أديم الماء ، فأخذ يلمع كالذهب الوهاج . وأينما ألقيت بصرى رأيت سبيكة من النضار لا تستبين آخرها العيون والابصار

على هذا النمط مرت الايام والليالى حتى اجتزنا خليج عدن والسفينة تتهادى فى مياه البحر الاحمر كأنها العروس ليلة زفافها تميل ذات اليمين وذات الشمال معجبة بدلالها وعظمتها . وبعد أن قطعت نحو ثلاثة آلاف ومائتى ميل رست فى ميناء السويس . وذلك في غروب يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ الموافق ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ فبتنا تلك الليلة فى السفينة وفى الصباح ودعنا من فيها وخرجنا الى البر ، ونحن نتنفس الصعداء ونلهج بأنواع الدعاء لله

سبحانه وتعالى لوصولنا الى بلادنا سالمين بعد مرور ١٩ عاما ذقنا فيها وتحملنا مكرهين ألم الفراق

• وهناك نزلنا فى بيت الشيخ النجارى بعد أن كتبنا الى محافظ المدينة مصطفى بك ماهر الذى كان من تلاميذ السيد عبد الله نديم وكان معروفا بحب الحرية والوطنية ، فأنكرنا وأعرض عنا ولم يتنازل الى الرد علينا • فبعثنا بتلغراف الى قائمقام الحضرة الخديوية وكان فخرى باشا ، فكتب الى مصلحة السكة الحديدية بتخصيص صالون لنزولنا وعائلتنا ومن معنا من السويس الى القاهرة على حساب الحكومة • وكان عدد عائلتى وحاشيتى ٢١ نفسا

وفى ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ الموافق أول أكتوبر سنة ١٩٠١ برحنا السويس ووصلنا الى القاهرة قبيل الغروب • وقد كان ازدحام الناس لتوديعنا فى محطة السويس عظيما ، وكذلك كان استقبالنا فى الزقازيق وبنها وخصوصا فى القاهرة ، فان اجتماع الناس بلغ حده الاقصى بالرغم من تنبيه المحافظة الشديد بعدم التجمهر والاحتفاء

ولما نزلنا فى محطة القاهرة أخذنا المركبات الى منزل أولادى بشارع الملك الناصر فى شارع خيرت واجتمعنا بهم بعد غيابى تسعة عشر عاما وأربعة أشهر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

مطالبتى باملاكى

فى ٨ يونيو سنة ١٩٠٥ كتبت الى لورد كرومر خطابا نوهت فيه بما ضمنه تقريره عن مصر والسودان فى السنة السابقة من أن الثورة العرابية كانت ضد العسف وسوء الحكم ؛ ثم قلت : ان الحكومة السابقة المستبدة الظالمة سلبت ونهبت أملاكى بغير حكم شرعى ، وطالبت برد هذه الاملاك

والاموال ، أو تعويضي عنها لتكون معاشا بعد وفاتي لعائلتي التي تزيد على خمسين شخصا • فكان جوابه أنه يأسف لعدم امكانه التدخل فى مسألة نظرت فيها الحكومة المصرية سنة ١٨٨٢ ؛ وهو جواب من قبيل ذر الرماد فى العيون ، اذ كان اللورد مطلق التصرف فى الحكومة ولا راد لأمره

وفي ١٩ديسمبر من تلك السنة كتبت الى مستشارالمالية المصرية مطالبا اما برفع المرتب السنوي المقرر لى من الحكومة المصرية من ستمائة جنيه الى ألفي جنيـــه طبقا لما وعد به اللورد دفرين عقب حوادث١٨٨٢ ، واما برد أملاكي المنهوبة بغير حكم قانوني وريعها يزيد على ٣٠٠٠ جنيه فى السنة، أو تعويضي عنهـــا احقاقا للحق وحفظا لكرامة عائلتي ، فرد المستشار فى ٢٨ من ذلك الشهر بأنه يأسف لانه لا يقدر أن يشير على الحكومة المصرية بتحقيق ما طلبت

وقد عرضت مثل هذا الطلب عـــلى رئيس النظار ثلاث مرات فلم يجب بكلمة ما ، لانه لا يقدر على شيء

وفي ٣٠ مارس سنة ١٩٠٦ كتبت الى ولى عهد انجلترا البرنس أوف ويلز لمناسبةوجوده بقصر عابدين أثناء زيارته لمصر للتوسط لدى الخديو لمنحى حقوقى المدنية ورد أملاكى المسلوبة أو ترتيب معاش معـــادل لها تتوارثه ذريتي من بعدى ، كما كتبت بذلك الى الحضرة الخـــديوية ومصطفى فهمى باشا رئيس مجلس النظـــار ولورد كرومر • فتلقيت فى ١١ من ابريل التالى من سكرتير ولى عهـــد انجلترا أن أعمال سموه لا تسمح له بالتوسط المطلوب • كما تلقيت من لورد كرومر ردا بهذا المعنى نفسه • ولم أتلق من الخديو أو رئيس النظار أى رد

وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ سلمت أحمد شفيق باشـــا رئيس الديوان الخديوى التماسا لعرضـــه على الخديو لاتمام

العفو عني بمنحي الحقوق المدنية وتسوية معاشى ، فوعد بعرضه ولم تظهر لذلك نتيجة

وفي ١٠ مايو من تلك السنة كتبت فى ذلك الى رئيس الحكومة الانجليزية ووزير خارجيتها ورئيس البرلمان الانجليزى والى كثير من الاحرار الانجليز ، فتلقيت فى ٢١ من أغسطس التالى من وزارة الخارجية البريطانية ردا أحالتنى فيه الى الحكومة المصرية

وهكذا تبين أن الحكومة المصرية لا تريد أن تسمع لصوت الحق ولا ترد على من يخاطبها، أو هى لا تقدر على عمل يخالف ارادة الانجليز • كما تبين أن الحكومة الانجليزية لا تريد أن تتوسط فى اقامة العدل ودحض الظلم ورد أملاكى المنهوبة بقوة الاحتلال ، وتحيل شكواى الى حكومة الخديو التى لا تقدر على عمل ما بغير أمر الانجليز • ولذلك تركت لاولادى وأحفادي من بعدى ، ولذريتى جيلا بعد جيل ، الحق فى المطالبة بحقوقى وأملاكى المنهوبة من الحكومة المصرية ومن المجلس النيابى المصرى ، حين تسترد الأمة حريتها واستقلالها ومجلسها النيابى • وانى واثق بأن أمتى المصرية الكريمة لا تنسانى ، ولا تترك أولادى حين يأتى اليوم الذى تعرف فيه حقيقة أعمالى الوطنية الواجبة على كل وطنى حر

الخلاصة

لما قويت شوكة الاستبداد ، وكثر الظلم والجور ، وضيق الخناق على الأمة المصرية ، أراد الله جلت قدرته أن ينقذ عباده المصريين من جور المستبدين وعسفهم ، فجعل من الضعف قوة تكبح جماح الظالمين • ذلك بأن ألف بين القلوب المتنافرة ، وجمع كلمة الأمة المصرية عن بكرة أبيها على الخلاص من ربقة الاستعباد • وقدر الله سبحانه وتعالى أن أكون زعيم هذه الحركة الوطنية المباركة لما للأمة من الثقة بالجيش، فسرت بالأمة على بينة من الامر الى أن نالت حكومة

نيابية ، وقوانين عادلة تضمن لها الحرية والعدل والمساواة بين عموم المستوطنين بوادى النيل ، على الرغم من اختلاف العناصر والمذاهب ، بلا سفك قطرة دم ولا مصـــادرة أحد من خصومنا فى ماله • وكان الخديو توفيق باشا معضـدا لنا فى أول الامر ومرتاحا لاجابة طلباتنا الوطنيـــة ؛ حتى جعل نفسه كأحـــدنا • ولكن رجال حاشيته المنتفعين من السلطة الاستبدادية كرهوا أن يتساووا مع الناس ، كأنهم من غير جنس البشر ، فأغروا الخديو على أن يلقى بنفسه فى أحضان الانكليز ليستعيد سلطته الاستبدادية ، كما عهدت اليه الحكومة الانكليزية بذلك من قبـل • وكانت الحكومة المذكورة ترغب فى عدم تحرير المصريين وارتقائهم لطمعها فى الاستيلاء على وادى النيل وامتلاك السودان ،لارتباطهما بطريق الهند واستراليا ونيوزيلندا ورأس الرجاء الصالح فى الجنوب الغربى من أفريقية •

فلذلك هولت الجرائد الانكليزية وأفهمت أوربا زورا أن الجيش المصرى متمرد ، وأن الأمة المصرية فى أقصى درجات التوحش ، وطلبت الحكومتان الفرنسية والانكليزية من دول أوربا عقد مؤتمر دولى فى الاستانة لوصف العـلاج الناجع لداء مصر الموهوم ، فوافقت أوربا عـلى ذلك ولكن الحكومة العثمانية رفضت عقد المؤتمر أو الاشتراك فيه لعدم وجود ما يوجب ذلك ، فقررت أوربا عقد المؤتمر فى الاستانة ـ رضيت الدولة العثمانية أو لم ترض ـ ثم عقد المؤتمر وقرر لائحته المجحفة بحقوق الدولة العلية، فرفضها الباب العالى، وانتهزت انكلترا الفرصة بايعازها الى الاميرال سيمور بأن يختلق الاسباب التى بها يعلن الحرب على المصريين، وكان ما هو واضح بهذا الكتاب من أسباب الحرب وبذلك كان مجىء الإنكليز الى مصر عدوانا واهانة للمصريين واحتقارا للدولة العلية ، وضحكا على ساسة أوربا باعلانها الحرب مع وجود

أرباب المؤتمر الذى لم يقرر فيه الحرب • وتقرر بمجلس وزارى حضره ثلة من الشيوخ تحت رياسة الخديو ودرويش باشا المندوب العالى السلطاني وجوب الحرب مع الانكليز مدافعة عن البلاد ، حربا واجبة شرعية • ولما انحاز الخديو ومن معه الى الانكليز انعقد لذلك مجلس عام لادارة البلاد حضره ثلاثة من أعضاء العائلة الخديوية ووكلاء الدواوين والعلماء وشيخ الاسلام وبطريرك الاقباط وحاخام الاسرائيليين وأعضاء مجلس النواب وأعيان البلاد ، وقرروا ايقاف أوامر الخديو وتفويضى فى أمر الدفاع عن البلاد ، وتحرر تلغراف بذلك للباب العالى ، وبعد أن كانت الدولة العلية ممتنعة من موافقة الدول على تمرد الجيش المصرى، وعلى عقد المؤتمر الدولى أو الاشتراك فيه أو ارسال عساكر من طرفها تحت رئاسة القائد الانكليزى ، صدر منشور من سعيد باشا الصدر الاعظم باعتبارنا عصاة نحن ومن اتبعنا، اجابة لطلب اللورد دوفرين السفير الانكليزى لدى الدولة العلية ، ونشر بجريدة الجوائب وأرسل منه مئات الالوف الى مصر والهند وجميع البلاد العثمانية ، لاطفاء ثورة غضب المسلمين ويعلم الله كيف كان صدور هذا المنشور بغير أمر السلطان ورضاه ضد رجل نهض بأمته التعسة لتدافع عن بلادها وشرفها ، وهى لم تخرج على سلطانها بل تقاتل امة أجنبية اعتدت عليها فى عقر دارها، فتسبب من هذا المنشور انخلاع القلوب وانحلال العزيمة وهروب كثير من أركان الحرب الى الخديوى بطرف الانكليز ظنا منهم أن الله قدر عليهم انهم عصاة لدى سلطانهم ، مما أدى الى هزيمة التل الكبير

وكذلك أثرت فى العقول منشورات الخديو بأن لا مطمع للانجليز فى بلادنا ، وانما جاءوا لتأييد السلطة الخديوية واستئصال شأفة العصاة ، ثم يعودون الى بلادهم ، وانهم نائبون عنه ، فمن قدم لهم الطاعة سلم ومن امتنع عن

مســـاعدتهم ندم ، لانهم قوته التي يصول بها لاسـترداد السلطة الاستبدادية • وعين معهم محمدسلطان باشا الذى كوفىء على ذلك بعشرة آلاف جنيه ، وزهراب بك الذىصار بعد دلك جنرالا (باشا) ، وأنعمت عليه الحكومة الانكليزية وعلى محمد سلطان باشا برتبة (سير) • وكان القضاء على الحرية ثم قتل من قتل ونفى من نفى ولله الأمر من قبـــل ومن بعد

انخدع المصريون الا قليلا بهذه المنشـــورات الخديوية العرقوبية،واعتقدوا بجلاء الانكليز عن وادى النيل الخصيب حفظا لشرف التاج البريطانى • ولكن انقضت الايام والليالى بعد تشتيت الجيش المصرى ، ومات الخديو محبوب الانكليز، وجلس على الاريكة الخديوية عباس الثانى محبوب المصريين، وتم الاصلاح الذى أخـذه الانكليز على عاتقهم ، ومضى على احتلالهم غير الشرعى ٢٩٠ عاما فما بالهم لا يوفون بوعـدهم وينجلون عن البلاد المصرية وهى هادئة ســاكنة • نعم ان الانكليز كبـــاقى الامم لا ينجلون عن بلاد احتلوها برضى أنفسهم أبدا ، ولكنهم سينجلون عن كنانة الله رضوا بذلك أو غضبوا ، قريبـــا أو بعيدا ، فان عـــرب الرعاة (أمة الهكسوس) احتلوا مصر بزعامة قائدهم سلاطيس ومكثوا بها ١٠٠ ســنة ثم خرجوا منها عنوة وقسرا ، وأمة الليبيين احتلوا مصر بزعامة قائد منهم يدعى شيشاق ومكثوا فيهـا ٢٠٠ سنة ونيف ثم وقع الخلاف بينهم فبادوا

ثم تغلب عليها النوبيون بقيادة ملكهم بعنخى ومكثـــوا فيها٥٠سنة حتى أخرجهم منها الآشوريون وهؤلاءأخرجهم بسامتيك الأول المصرى رأس العائلة ٢٦ • ثم تغلب عليها الفرس بقيـــادة الملك قمبيز بن كورش ومكثت الفـرس مستعبدة المصريين ١٢١ سنة وهم العائلة ٢٧ ، ثم أخرجهم المصريون • وبعد ٦٦ سنة عادت الفرس بقيـــادة أخوس

الملك وتغلب على مصر وهي العائلة ٣١ ومكثت فيها ٨ سنين، ثم تغلب عليها الملك اسكندر المقدونى ومكث بها ٩ سنوات، ثم الدولة البطليموسية اليونانية ، ومكثت فيها ٢٩٣ سنة ، وهي العائلة ٣٣ ، ثم أعقبتها دولة الرومان ، ومكثت فيها ٦٧٠ وهي العائلة ٣٤ فهي مقبرة لكل من اعتدى عليها واحتلها ببطشه وجبروته لانها (كنانة الله من أرادها بسوء أهلكه الله) • وهذه هي الامم البائدة التي تغلبت على مصر قبل الاسلام فأبادها الله جلت قدرته • وقد اعتدت فرنسا على مصر وأتت اليها بقيادة نابليون بونابرت الاول بدعوى أن السلطان سليم محب لفرنسا وقد أذن له باحتلال مصر لقتال المماليك المتمردين على السلطان ، وهي دعوى لا ظل لها من الحقيقة ثم شاء الله أن يخرج هو وجيشه من مصر •

وكذلك الانكليز دخلوا مصر بأسباب غير شريفة وخدعوا المصريين والدولة العثمانية وأوربا وحاربوا المصريين بدعوى تأييد الخديو ورشوا رجال الدولة العلية • ولكن الله يدافع عن عباده المؤمنين ، وهو واقف من أعدائه بمجاز طريقهم وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير •

فعلى الناشئة المصرية أن تجد وتجتهد وتعمل ليلا ونهارا على استرداد مجدها واستقلالها وحريتها المسلوبة منها ومطالبة الانكليز بالجلاء حتى ينكشف عنها هذا البلاء • ثم انى أدعو الامة المصرية الى التباعد عن التمدن الغربى المزيف فلا تفعل المنكرات التي نهى الله عنها وتأمر بالمعروف الذى أمر الله به ، وأن تترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقيم شعائر الدين الحنيف وتحيى مناسكه • فلا عز ولا سؤدد بغير الدين وهو وحده يكفل لمن اتبعه باخلاص هناء الدنيا وثواب الآخرة • ثم أناشدهم أن يشدوا أواصر الاخاء بين أبناء وطنهم ، ويطهروا قلوبهم من الغل والضغينة ، ويعملوا يدا واحدة ورجلا واحدا لرفع شأن بلادهم واعزاز

كلمة دينـــهم • فاذا فعلتم كل ما ذكرت وأرهفتم آذانكم للسمع وأصغتم الى نصائح من حنكته التجـارب ، فعرف من تقلب الحدثان الطريقة المثلى والدواء الناجع ، هناك يخرج الله أعداءكم ، ويولى عليكم خياركم ، والله على كل شيء قدير

الى هنا وقف بنا جواد اليراع فى ميـدان تنميق هـذه الحقائق باختصار خشـــية من ملل القراء • وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته أن يوفقني لما فيه رضاه مع حسن الثناء وجميـــل الأثر وتمام النعمة وزيادة الكرامة • وأن يختم لى بالسعادة ، انا اليه راغبون • وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين والتـــابعين لهم باحسان الى يوم الدين

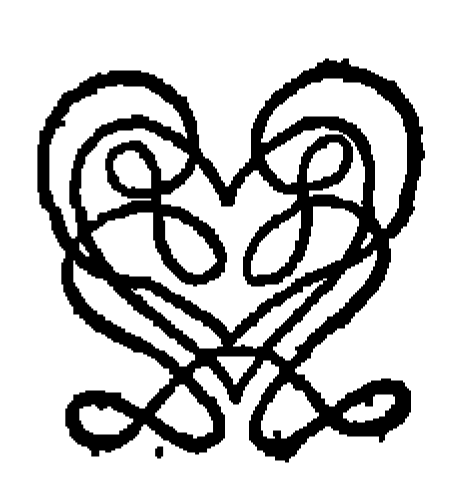
وكان الفراغ من كتابى هذا فى ١٨ رجب سـنة ١٣٢٩ الموافق ٢٦ يوليو سنة ٩١٠

خادم وطنه

احمد العرابى الحسينى

المصرى

عفى عنه



فهـــرس

صفحة

رقم الايداع : ٨٩/٣٦٣٥
الترقيم الدولى : ٩ - ٤١٩ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول ـ
الصفاة ـ ص. ب رقم ٢١٨٣٣
13079 ـ تليفون ٤٧٤١١٦٤

للحصول على نسخ من كتاب الهلال
اتصل بالتلكس : 92703 HILAL. U. N.

هــــــــذا
الـــكــتــاب

قدم الزعيم الوطني احمد عرابى قائد أول ثورة فى تاريخ مصر الحديث ، سيرته الذاتية ، بعد عودته من منفاه ، لكى يقدم الحقائق كاملة عن الثورة التى قادها ومن أجل «تمحيص التاريخ من الأهواء الفاسدة ، والمفتريات الباطلة » ، وسيرته الذاتية تبين أسباب الصدام بين الحركة الوطنية الصاعدة ، وبين حركة استعمارية ، لم يعد أمامها وسيلة سوى الصدام العسكرى المباشر ، وضرب الاسطول البريطانى مصر فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ .

ويكشف عرابى الأكاذيب التى سادت ، وأكبر عملية تشويه للتاريخ الوطنى ، ووصف حياة مصر السياسية فى عهد الخديو اسماعيل والخديو توفيق ، ودوافع الحركة الوطنية فى العمل على إنقاذ الوطن من براثن الديون والامتيازات الأجنبية ، ونفوذ الدول الأوربية .

وظلت هذه المذكرات حبيسة الادراج ، لا ترى فرصة للنشر سبعين عاما حتى رأت النور ، وأكتمل دور عرابى ، بأن ترك عبرة نضاله ودروسه للأجيال القادمة ..

٢٠٠ قـرش